

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

الإعلام بأعلام بيت الله الحرام

المؤلف

محمد بن أحمد بن محمد (النهروالي)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.



مكة المكرمة - تاريخ

م ٢٠٠٢ - ١٤٢٣ تاريخ مكة المكرمة

الفن : مكة المكرمة - تاريخ ..... الرقم : ٨٤٤٤

العنوان : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام

اسم المؤلف : الفاسي المكي — ٨٣٢ هـ

مصادره : .....

أوله : بعد البسملة — الحمد لله الذي جعل المسجد الحرام أمناً مثابة للناس

آخره : والحمد لله رب العالمين

اسم الناسخ : .....

نوع الخط وتاريخ النسخ : نسخ ... ٧ ربيع الأول ٩٨٥ هـ

ملاحظات : عليه تملكات ١١٠٥ هـ

عدد الأوراق : ١٥٥ عدد الأسطر : ٢٤ المقاس : ١٤,٥ × ٢٠,٥ سم

المكتبة المصور عنها المخطوط ورقمه فيها : مشترى من أمين دمج (مكتبة الرجل) تسلسل (١٥٥)

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة شؤون المكتبات - المكتبة المركزية
قسم الأطروحات
الرقم: ٨٤٤٤
التاريخ:

٨٤٤٤

الألوكة
www.alukah.net

من كتب
خير الدين الزركلي

من كتب المرحوم العبد الفقير
محمد بن المحامي
عمر

كتاب تاريخ مكة

المسمى بالاعلام
باعلام بيت الله الحرام
تأليف الامام العالم العلامة
العمدة الفهامة نبراس
البلاغة وقس الفصاحة
الهمزي

الكامل الجحفل الفاضل الامام الفطن

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
عمادة شؤون المكتبات - المكتبة المركزية
قسم المخطوطات
الرقم: ٨٤٤٤
التاريخ:

لن يحصل له الرعاف بكتب بدم الرعاف على جبهته المصاب بمكة وسط الدنيا
وف بالعباد محرب

من كتب
خير الدين الزركلي

خ الهيئة العامة
(تأسيسية وخيرية)

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
عمادة شؤون المكتبات - المكتبة المركزية
قسم المخطوطات
الرقم: ٨٤٤٤
التاريخ:

الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الكافرين رب يسر ولا تعسر

الحمد لله الذي جعل المسجد الحرام امناً ومثابة للناس وامر بتطهير الكعبة البيت الحرام القطا
والعاكفين وانزال عنها الخوف والباس وقيض لعمارة حرمه الامين اعاظم الخلفا والسلاطين
واجلسهم على سرير السعادة اكرم اجلاس بحمده على حصول المراد وتشكره على الكرامة والسعاد
بهذه الحرم الشريف الذي سوى العاكف فيه والباد ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له البر السلام ونشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السما
فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام القايل من بنى لله مسجداً لمحض قطاة
او اصغر بنى الله له بيتاً في الجنة اي دار السلام صلى الله عليه وعلى اله الكرام وصحبه العظام
نجوم الدين ومصابيح الظلام ما طاف بالبيت العتيق طايف واعتكف بالمسجد الحرام عاكف
ووقف بعرفة والمزدلفة واقف اما بعد فلما وفقني الله تعالى لخدمة العلم الشريف
وجعلني من جيران بيته المعظم المنيف تشوقت نفسي الى الاطلاع على علم الآثار وتشوفت
الى فن التاريخ وعلم الاخبار لاشتماله على حوادث الزمان وما ابقاه الدهر من اخبار وقايع
الدوران واحوال السلف وما ابقوا من الآثار والاحداث بعد ما صاروا الى الاجداث
فان في ذلك عبرة لمن اعتبر واتعاظاً بحال من مضى وعبر واعلاماً بان ساكن الدنيا على اجناح
سفر ومعالجة للفضلاء واقادة لمن يأتي بعد من البشر فان من ارخ فقد حاسب على عمره
ومن كتب وقايع ايامه فقد كتب كتاباً الى من بعده بحوادث دهره ومن قيد ما شاهد فقد
اشهد احوال اهل عصره ما لم يكن في عصره ومن كتب التاريخ فقد اهدى الى من بعده اعماراً
وبواني مساعيهم وابصارهم ديار كانت لهم ديار واعلم اهل الآفاق باخبار بلاد ما كانت
تستقل الهمم ولا ادراً اني لم ار الديار يعيني فلعلي ارى الديار بسمعي
ولقد فادنا الامم الماضون باخبارهم واطلعونا على ما دثر وبقي من آثارهم فابصرنا ما لم يشاهدوه
بابصارهم واحطنا بما لم يحط به خبراً من اخبارهم فرحمهم الله تعالى اجمعين وبوأهم جنات
عدن فيها خالدين لقد عز سواحتي كلنا واننا لنفرس حتى يأكل الناس بعدنا
فاردنا افادة من بعدنا ببعض ما رأينا وشهدنا واعلام بعض ما شهدنا وعلمنا من استدعا
الدعاء الدعاء منهم والاسترحام وطلباً للمثوبة من الله البر السلام ولقد قلت في هذا المقام

لم يبق منا غير آثارنا ... وتمحى من بعد اخلاقنا

وكلنا مرجعنا للفنا ... وانما الله مآلوا الباقي

تنبيه لا يخفى عن ضمائر اولي البصاير وخواطر اهل الفضل الباهر ان المسجد الحرام الذي هو
حرم امن للانام زاده الله شرفاً وتعظيماً وعزاً وعظمة ومهابة وتكريماً اعظم مساجد الدنيا
واشرف مكان خصه الله تعالى بالشرف والعليا يجب تعظيمه وتكريمه على كافة الانام سيما سلاطين
الاسلام الذين هم ظل الله في العالم وخلايف الله في الارض على كافة بني ادم ولقد بني هذا
المسجد وسعد عدة من الخلفاء امراء المومنين وتعقد وهدم اخرها شاهدناه من عصر
ايام المصبي الى الكهولة ما عمره المهدي العباسي وزيادة الدوحة للمعتضد العباسي وزيادة باب
ابراهيم للمقتدر العباسي ثم مالت الاروقة الشمالية الى الجانب الشرقي من المسجد الحرام من
تسعماية وخمسين وفارق السطح المتصل برباط المرحوم السلطان قايتباي والمدرسة الاشرفية
لصاحب اليمن التي صارت الآن من وقف الخواجا ابن عباد الله وصار ما يرمموه ذلك من جانب
السلطنة الشريفة في ايام السلطان الاعظم الاكرم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان
الى ان مال هذا الجانب الشرقي ميلاً عظيماً محسوساً بحيث كان يخشى سقوطه ثم علق واستند بالاخشاب
في ايام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم ملك ملوك العصر والزمان المخلص لسليم الكليم
الاحسان السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان انزل الله عليه شآبيب الرحمة والغفران
فعرض ذلك عليه فرزاره الشريف بنا جميع المسجد من جوانبه الاربعة على احسن وضع واجمل
صوره واحر ان يجعل مكان السطح قبابا محكمة راسخة الاساس لان خشب السقف يبلى
بتقادم الزمان تاكله الارضة والعقاب المكن والزمان وذلك في سنة تسعماية وتسع وسبعين
فلما وصل الحكم الشريف شرع فيه لاربع عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة تسعماية
وثمانين على وجه جميل بغاية الاحكام والاتقان واسس على تقوى من الله ورضوان
الى ان تقل من سرير سلطنة الدنيا الى ملك لا يبلى وعز لا يفنى وسلطان لا يزول
ونعيم لا ينفد ولا يحول في جنة عالية فيها عين جارية وفيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة
ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم كمل اتمام عمارة المسجد الحرام في ايام دولة السلطان
الاعظم الهمام اجل عظماء ملوك الاسلام سلطان سلاطين الارض مالك بساط البسيطة
بالطول والعرض القايم بوظايف النفل والسنة والفرض خداوندكار العالم وسلطانه وامير
المومنين الذي جلس على كرسي الخلافة فتمكن قدم كسرى وايوانه الذي غذى بلبان جد

العدل والاحسان ونشأ على طاعة الله وعبادته منذ كان والى الان واحب العلماء
والصالحين وامدهم بالخيرات الحسان الذى عجز عن القيام بحق شكره لسان كل
لسان مجدد معالم المسجد الحرام ملوه وابوه وجده ومشيد مدارس العلوم الدينية
وقد سلمها بسعده وجده ناشر الوية الامن والامان فى جميع الممالك والبلدان
ظل الله الممدود على كافة العباد السلطان الاعظم والليث الغشمشم والبحر
الخضم السلطان مراد جعل الله تعالى السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفى
عقبه الى يوم التناد وازال بنوره عدله ظلم الظلم والعناد وشقت لسيف
تهره شمل اهل الكفر والالحاد وهدم بمعاول باسه وسطوته الكنايس والبيع
وعمر بصيت معدلته وصيب عدله ورافته المساجد والجمع كما قال الله القوى
القادر فى محكم كتابه العزيز الباهر انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
وفى ذلك اقول ان سلطانا نام مراد ظل الله فى الارض باهر السلطان
ملك صار من مضى من ملوك الارض لفظا وجامعين المعانى
ملك وملو فى الحقيقة عندى ملك صيغ صيغة الانسان
ملك عادل فحل ضعيف وقوى فى حكمه سيان
سيفه والمنون طرفا زمان لحتوف العدو يبتدران
كمل المسجد الحرام حسنا فاق فى العالمين كل المبانى
تهلك الهلك والافل لا انما الملك فى بنى عثمانى

ولما كان هذا البنيان العظيم الاركان اثرا باقيا على صفحات الزمان دالا على سنن
من امر به على اعيان الانسان كما اشار اليه القايل فى سالف الزمان بقوله
ان البناء اذا تعاظم قدره اضحى يدل على عظيم الباني
جمعت فى نهضة الاوراق من اخباره ذلك مارق وراق وتيسر به الركبان الى سائر الافاق
وتنير فى صفحات الدهر كما تسمو فى الاشراق وتحفظ فى خزاين الملوك والسلاطين
كانفس الاعلاق فكان كتابا حسنا فى بابه ممتعا لمن تعلق باسبابه انيسا بحال مونسه
وجليسا لا تمل مجالسته جمع بين لطايف تاريخيه واحكام شرعيه ومواعظ نافعه
وفوايد بارعه وسميته الاعلام باعلام بيت الله الحرام وخدمته خزاين كتب هذا

السلطان

السلطان الاعظم والخاقان الاعدل الاكرم المطيع لامر الله والمتحرى لاتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم
احد السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وليشملهم بفيض فضله العظيم فلا
فضل الا فضله حلد الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظل سلطنته القوى المتين لتاييد
هذا الدين المبين وانام الانام فى ظل امانه وعدله الكلين وابقاه على سرير السلطنة
العادلة دهرا طويلا وتبتد على نهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا واسئله
سبحانه سائل ان يكسو هذا المولف من حسن القبول جلبابا لا يخلقه كر الليالى والايام
ويجعلنا من المقبولين فى بابه العالى الفايزين بالنظر الى وجهه الكريم فى دار السلام امين
وقد رايتنا ان نقسم هذا الكتاب المستطاب الى مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة والابواب
الى فصول بحسب الاحتياج اليها والى الله المرجع والماب الباب الاول فى ذكر موضع مكة
المشرفة شرفها الله تعالى وحكم بيع دورها واجارتها وحكم المجاورة بها الباب الثانى
فى بناء الكعبة المعظمة الباب الثالث فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام فى
الجاهلية وصدر الاسلام الباب الرابع فى ذكر ما زاد العباسيون فى المسجد الحرام
الباب الخامس فى ذكر الزيادتين اللتين زيدتا فى المسجد الحرام بعد الربع الذى امر
به المهدى الباب السادس فى ذكر ما عمره ملوك الجراكسة فى المسجد الحرام الباب السابع
فى ظهور ملوك آل عثمان خلد الله سبحانه سلطنتهم الى انقضاء الدوران الباب الثامن
فى دولة السلطان المخوف بالرحمة والرضوان السلطان الاعظم سليمان خان الباب
التاسع فى دولة السلطان الاعظم الخاقان السلطان سليم الثانى الباب العاشر
فى سلطنة سلطان العصر والزمان السلطان مراد خان الخامسة فى ذكر المواضع المباركة
والاماكن المانوسة المشرفة المقدمة فى ذكر سند ما ينقله فى كتابنا هذا من اخباره
البلد الحرام الى من ينقل عنه للوثوق والاعتماد اعلم ان من بركة العلم نسبته الى قايله وما
لم يكن هناك سند بين الناقل والراوى ومن ينقل عنه فلا اعتماد على ذلك النقل ولابد
ان يكون رجال السند موثوقا بهم والا فلا اعتبار لتلك الرواية واقدم مورخى مكة
المشرفة ابو الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقى ثم الامام ابو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس
الفاكهى المكى ثم قاضى القضاة السيد تقى الدين محمد بن احمد بن على الحسينى الفاسى

ثم المكي ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد الشافعي العلوي المكي ثم ولده الشيخ عز الدين عبد
العزيز بن عمر بن فهد وهذا الاخير ممن ادركناه ولنا عنه رواية واما الاول فنذكر
سندنا اليهم ليعتمد على نقلنا عنهم فاما ابو الوليد الازرقي فروى مولفاته عن جماعة
اجلة اخيارا وعلماء كبارا منهم والدي المرحوم مولانا علاء الدين احمد بن محمد بن قاضي خان
ابن بهاء الدين بن يعقوب الحنفي القادري المخزومي قال الازرقي المكي رحمه وليس جدنا قاضي
خان هذا صاحب الفتاوى المشهورة من علماء مذهبنا بل هذا غير ذلك من علماء
ثغر وانه قال اخبرنا بها العز عبد العزيز بن فهد عن والده الحافظ نجم الدين بن عمر بن فهد
عن شيخه قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن احمد بن علي الفاسي المورخ قال اخبرنا
بها ابو المعالي عبد الله بن عمر الصوفي عن ابي زكريا يحيى بن يوسف القرشي اجازة ان
ابا الحسن علي بن هبة الله الخطيب وعبد الله بن ظافر الازدي اباه عن ابي ظاهر احمد ابن
محمد الحافظ قال ابانا بها المبارك بن عبد الجبار المعروف بابن الطيوري قال ابانا بها ابو
طالب محمد بن علي بن الفتح القشاري قال ابانا بها ابو بكر احمد بن محمد بن ابي موسى الهاشمي
قال اخبرنا بها ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال ابانا بها ابو الوليد محمد بن محمد الله
ابن احمد بن محمد الوليد الازرقي رحمه واما ابو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي
فاني اروي مولفه عن الحافظ المسند المعمر المخطيب ببلد الله الحرام احمد محب الدين بن ابي
القاسم محمد العقيلي التنوري المكي رحمه قال ابنا بي به المسند المعمر ابو العباس احمد بن محمد
الدمشقي الشهير بالحجار اجازة قال ابنا تني به المسندة المعمرة زينب بنت احمد بن عبد الرحيم
اجازة قالت ابنا تني به الحافظ المسند بها الدين ابو الحسن علي بن هبة الله سبط الحيزي
اجازة قال ابنا نابه الحافظ المسند ابو طاهر احمد بن محمد السلفي اجازة قال ابنا نابه الحافظ
محمد بن احمد اليحيى لفيا قال ابنا نابه الحافظ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الغساني احد
ائمة الحديث بقرطبة قال ابنا نابه الحافظ الحكم بن محمد الجذامي عن ابي القاسم بن ابي عاتب
الهمداني عن ابي الحسن الانصاري عن مولفه الباب الاول في ذكر وضع مكة المشرفة
وكم بين دورها واجارتها وكم المجاورة بها اعلم ان بلد الله الحرام مكة المشرفة بلدة كبيرة
مستطيلة ذات شعاب واسعة ولها مبدا ومنتهيان تمتد اوعاها المعلاة وهي المقبرة

الشريفة ومنتهاها من جانب جدة موضع يقال له الشبيكة ومن جانب اليمن قرب مولد حمزة
في الصوب مجرى العين ينزل اليه من درج يقال له بازان وعرضها من وجه جبل يقال له الان
جبل حزل الى اكثر من نصف جبل ابي قبيس ويقال لهذين الجبلين الاخشبان وسماهما
الازرقي في جبل ابي قبيس والجبل الاخر فانه قال اخبا مكة ابو قبيس وهو الجبل المشرف
على الصفا والاخر الجبل الذي يقال له الاحمر وكان يسمى في الجاهلية الاعرف وهو الجبل
المشرف على قعيقعان وعلى دور عبد الله بن الزبير رضي انتهى فيكون قعيقعان مما يشرف
عليه الجبل المقابل لابي قبيس وقال ياقوت في معجم البلدان قعيقعان جبل مشرف على
مكة المشرفة وجهه الى ابي قبيس انتهى فيكون قعيقعان هو نفس الجبل وانما يسمى الان
جبل حزل بكسر الجيم وفتح الزاي وتشديد اللام لان طائفة من الجيوش يقومون بهذا
الجبل يسمون بهذا الاسم يلعبون فيه بالطبل واما موضع الكعبة المعظمة فهو وسط المسجد
الحرام والمسجد الحرام بين هذين الجبلين في وسط مكة المشرفة ولها شعاب كثيرة مزورة
اذا اشرف الانسان من جبل ابي قبيس لا يرى جميع مكة المشرفة بل يرى اكثرها وهي تسع
خلقا كثيرا خصوصا في ايام الحج فانه يرد اليها قوافل كثيرة عظيمة من مصر والشام وحلب
وبغداد وبصره ولحسا ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة والسحر وحضرموت وعمان
جزيرة العرب طوائف لا يحصيهم الا الله تعالى فتسعهم جميعهم افنيتها وجبالها ووديانها
وهي تزيد عمارتها وتنقص بحسب الزمان وبحسب الولاة والامن والخوف والغلا
والرخا وهي الان بحمد الله تعالى في دولة السلطان الاعظم الفياض الكريم معهم هذا
العالم بالعدل والفيض والكرم السلطان مراد خان خلد الله ملكه وجعل بساط انبساط
ملكه في اعلا درجات العمارة والامن والرخا بجاه نبيها محمد اول العمر الى الآن مثل
هذه العمارة ولا قريبا منها وكنت اشاهد قبل الان في سنين الصبا خلو الحرم الشريف
وخلو المطاف من الطايفين حتى اني ادركت الطواف وحدك من غير ان يكون معك احد
مرارا كثيرة كنت اترصده حاليا لكرة الثواب بان يكون الشخص الواحد يقوم بتلك
العبادة وحده في جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط واما الملايكة
فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن اولياء الله تعالى ممن لا يظهر صورته
ويطوف خافيا عن اعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار بنا على ادا

هذه العبادة بالانفراد ظاهر كثير من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل
واحد في جميع الدنيا ولا يشاركه غيره في تلك العبادة بعينها الا الطواف فانه يمكن
ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله سبحانه وتعالى اعلم بالسرائر حتى حكى لي والدي رحمه
ان وليا من اولياء الله تعالى رصد الطواف اربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف
وحده فراى بعد هذه المدة خلو الطواف فتقدم ليشرع واذا بحية تشاركه في ذلك
الطواف فقال لها ما انت من خلق الله فقالت اني ارصدك ما رصدتك قبلك بداية عام
فقال لها حيث كنت انت من جنس البشر فاني فزت بالانفراد بهذه العبادة من بين
البشر وانتم طوافه وكلمها شيخ معمر من اهل مكة المشرفة انه شاهد الظباء تنزل من
جبل ابي قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى المسجد الحرام ثم تعود وما وصدوق
عندي وكنا نرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى القوافل تاتي
بالحنطة من نخلة فلا تجد اهلها من يشتري منهم جميع ما جلبوه فكانوا يبيعون ما
جاءوا به بالاجل اضطرارا لبعود وبعد ذلك ياخذوا الاثمان ما باعوه وكانت الاسعار
رخيصة جدا لقلة الناس وعزة الدراهم واما الان فالناس كثيرون والرزق واسع
والخير كثير والخلق مطمئنون امنون في ظل السلطنة الشريفة خاضعون في بحر
انعامها واحسانها ونعمة الورى بقاء دام الله تعالى سلطنته الزاهرة واطال عمره الشريف
وخلد دولته القاهرة وخلد قتله الباهرة ومكة المشرفة يحيط بها جبال لا تسلك
اليها الخيل والابل والاحمال الا من ثلاث مواضع احدها من جهة المعلاة والثانية
من جهة الشبيكة والثالثة المسفلة واما الجبال المحيطة بها فيسلك في بعض سفحاتها
الرجال على الاقدام لا الخيل والجمال والاحمال وكانت مكة المشرفة من قديم الزمان مسورة
من جهة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن عمر بن الخطاب الى الجبل المقابل له
وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد اهداه ملوك الهند الى صاحب مكة المشرفة
وقد ادركنا منها قطعة جدار كان فيه نقوب لسيل قصير دون القامة وما وعلى
سمت قطعة جدار مبني الى جانبه سبيل على مجرى ذيل عين حنين بناه المرحوم مصطفى
ناظر العين باسم المرحوم السلطان سليمان خان سقاه الله سبحانه وتعالى من
الكوثر والسلسبيل يوم العطش الاكبر يوم الميزان وجعل علو السبيل منظرة فيها شبابيك

من الجهات الاربع يتنزه الناس فيها وذلك باق الى هذا اليوم وتهدم ما عداه وكان في
جهة الشبيكة ايضا سوران بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج
مكة المشرفة وكان ذلك السور فيه بابين بعقدين ادركنا احد العقدين بيد خارجة
الجمال والاحمال تهدم سيافيا الى ان لم يبق منه شيء الان ولم يبق منه الا في بين
جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج وكان سور من جهة المسفلة في مرتب التمين
لم نذكره ولم ندرك اثاره وذكر التقي الفاسي نقلا عمن تقدم انه كان لمكة المشرفة
سوران من اعلاها دون السور الذي تقدم ذكره قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية
وانه كان من الجبل الذي الى جهة القرارة ويقال له يعلع الى الجبل المقابل الذي الى جهة سوق
الليل قال وفي الجبلين اثار تدل على اتصال السور بها انتهى ولم يبق الان شيء من
اثار هذا السور الثاني فيما اظن ولعل دور مكة المشرفة كانت تنتهي الى هذا الموضع حيث
وضع عليه السور ثم اتصل العمران الى ان احتيج الى سور المعلاة وقال الفاكهي وممن
اثار النبي صلى الله عليه وسلم مسجد باعلى مكة المشرفة يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى فيه عند بئر جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وكان الناس يأتمون ويزورون في السكني
في قديم الدهر هذه البئر وما فوق ذلك قال من الناس وفي ذلك يقول عمر بن ربيعة

نزلت بمكة من قبايل نوفل ... ونزلت خلف البئر ابعد منزل

هذا على ما من مقالة كاشح ... ذهب اللسان بقوله لم يفعل

قلت المسجد هذا هو مسجد الراية موجود بئرا الى الان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع راية
يوم فتح مكة المشرفة فيه والبئر موجود الآن خلف المسجد وقد بحث الفاكهي عن حدها
كثيرا الى صوب المعلاة واما حدود هذه الاسوار فقد قال التقي الفاسي ما عرفت متى
انشئت هذه الاسوار بمكة المشرفة ولا من انشاها ولا من عمرها غير انه بلغني ان الشريف
ابا عزيز قتادة بن ادريس الحسني جدد سادتنا اشراف مكة المشرفة ادام الله سبحانه
وتعالى عزهم وسعادتهم ما والذي عمرها قال واظن ان في دولة عمر السور الذي باعلى مكة
المشرفة وفي دولة سهلت العقبة التي بني عليها سور باب الشبيكة وذلك من جهة
المظفر صاحب اربل في سنة سبع وستمايه ولعله الذي بنى السور باعلى مكة المشرفة
والله اعلم قال ورايت في بعض التواريخ ما يقتضي انه كان لمكة المشرفة سور فيما من

المقتدر العباسي وما عرفت هل هو هذا السور الذي بأعلا مكة المشرفة واسفلها او من
احد الجهتين قال وطول مكة المشرفة من باب المعلاة الى باب الماجن يعني درب اليمن
بالمسفلة موضع السوق الذي كان موجودا في زماننا طريق المدعى والمسعى ومسيل وادي
ابراهيم والسوق الذي يقال له الان سوق الصغير مع ما فيه من دورات وفنادق
ليست على استقامة اربعة آلاف ذراع وانما وستون ذراعا بتقديم الثاء
بذراع اليد وهو ينقص عن ذراع عمل الذراع الجديد المستعمل الان يعني الذراع الشرعي
وطول مكة المشرفة من باب المعلاة الى باب الشبيكة من طريق المدعى ثم يعدل عنه الى
سويقة ثم الى الشبيكة من طريق المدعى اربعة آلاف ذراع ومائة ذراع وانما وستون
ذراعا بتقديم السين ذراع اليد ايضا انتهى وقال ايضا ذكر الزبير بن بكار عن ابي
ابن ابي وداعة السهمي ان سعد بن عمر السهمي اول من بنى بيتا بمكة المشرفة وانشد في
ذلك ابيات يقول ● واول من بوا بمكة بيته ● وسوّر فيها ساكنا بانا فيا
قال وينبغي لمن بنى بمكة المشرفة بيتا ان لا يرفع بناه على بناء الكعبة الشريفة قال بعض
الصحابة رض فكان يأمر بهدمه قال الازرقي وانما سميت الكعبة كعبة لانها لا تبنى بمكة
المشرفة بناء مرتفع عليها ثم قال حدثني حدي عن ابن عيينة عن ابن شيبة الحجبي
عن شيبة بن عثمان انه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة الشريفة فكان يعظم
الامر ويهدمه ثم قال قال جدي لما بنى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس من
عظم داره التي بمكة المشرفة فنال المسجد الحرام امر قومه ان لا يرفعوا ما على الكعبة
الشريفة ليكون دونها اعظاما للكعبة الشريفة قال الازرقي قال جدي لم يبق
بمكة المشرفة دار كبير او غيره تشرف على الكعبة الشريفة الا هدمت او خربت
الا هذه الدار فانها باقية الى اليوم انتهى واما حكم دور مكة في بيعها واجارتها
فقد ذكر الامام قاضيخان انه لا يجوز بيع دور مكة عند ابي حنيفة رض في ظاهر حكم بيع دور مكة
الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول ابي يوسف ومحمد قال صاحب الواقعات
وعليه الفتوى وروى الحسن عن ابي حنيفة رض ان بيع دور مكة المشرفة جايز
وفيها الشفعة وهو قول ابي يوسف وعليه الفتوى ذكره في عيون المسايل قال
قوام الدين في شرح الهداية بيع بناء مكة المشرفة جايز اتفاقا لان بناءها ملك الذي

بناه

بناه الا ترى ان من بنى في ارض الوقف جاز ان يبيع بناه فكذلك هذا واما بيع ارض
مكة المشرفة فلا يجوز عند ابي يوسف وهو ظاهر الرواية وهو قول محمد وعند
ابي يوسف يجوز ونسخ الطحاوي قول ابي يوسف وقال ورأينا المسجد الحرام الذي كان
الناس سواء العاكف فيه والبادي للملك لاحد فيه ورأينا مكة المشرفة على
ذلك فقد اجرى البناء فيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخلها من دخل
دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن فلما كانت مما يغلق عليه
الابواب ويبنى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع التي تجري فيها الملك
ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادي
لان المراد المسجد لا جميع ارض مكة المشرفة انتهى ملخصا واما اجارة دور مكة المشرفة
فقد ذكر صاحب التقريب قال روى هشام عن ابي حنيفة رض انه كره اجارة
دور مكة المشرفة وقال لهم ان ينزلوا عليهم في دورهم اذا كان فيها فضل وان لم
يكن فلا وهو قول محمد انتهى وروى محمد في الآثار عن ابي حنيفة عن عبد الله بن
زياد بن يخيخ عن عبد الله بن عمر رض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
اكل من اجور بيوت مكة شيئا فكانما اكل نارا اخرجه الدارقطني باسناد ضعيف
وقال الصحيح انه موقوف وروى انه كره اجارتها لاهل الموسم ولم يكره للمقيم لان
اهل الموسم لهم ضرورة الى النزول والمقيم لا ضرورة له وعن عمر بن الخطاب رض
انه نهى ان يغلق بمكة المشرفة باب دون الحاج فانهم يقولون كلما راوه فارغا وعن
عمر بن عبد العزيز رض انه كتب في خلافته الى امير مكة المشرفة ان لا يبيع اهل مكة
ياخذون على بيوت مكة اجرا فانه لا يحل لهم وكانوا ياخذون ذلك خفية وسارة
وهذا مبني على اصل وهو ان فتح مكة المشرفة ان كان عنوة فتكون معنونة ولم
يقسمها النبي صلى الله عليه وسلم واقرها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع ولا
تكرى ومن سبق الى موضع فهو اولى به وبهذا قال ابو حنيفة ومالك والاوزاعي
وكان فتحها صلحا فتبقى ديارهم بايديهم يتصرفون فيها كيف شاؤا سكنا واسكانا
وبيعا واجارة وعن ذلك وبه قال الامام الشافعي واحمد وطايفة من المجتهدين

وعلى ذلك عمل الناس قديما وحديثا واما اسماء مكة المشرفة فانها سميت بها لقلة مايها من
قولهم امك الفصيل ما في ضرعها اذا لم يبق فيه شيا ولذلك تسمى المعطشة لانها تنقص
الذنوب اى تفنيها ومن اسمايها بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اى تكسرها وفيها العرص
بفتح المهملة ولذلك سمى علم عرض الشعر عرضا لان الخليل بن احمد اخذ عن مكة
المشرفة فسماه باسمها والبلد الامين والبلدة والقرية وام القرى قال المحب الطبري سمى
الله سبحانه وتعالى مكة المشرفة بخمسة اسماء مكة وبكة والقرية والبلد وام القرى قال ابن
عباس رضى الله عنهما سميت ام القرى لانها اعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها ومن
اسمايها كوثى وام كوثى لان كوثى اسم محل من تعبقعان وفاران والقديمة وقلعة الفلق
لكثرة نملها والحاطمة لحطمها للجبابرة والوادى والحرم والعرش وبره وصلاح مبنيا على
الكسر كحذام وقطام ومن اسمايها الحيبة ايضا ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى ان الذى
فرض عليك القران لرادك الى معاد لما فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما الى
قال الى مكة المشرفة ومن اسمايها الباسة بالباء الموحدة والسين المهملة المشددة قال
مجاهد لانها تبس من الحد فيها اى تهلكه لقوله تعالى وبست الجبال وتسمى الناسية ايضا
بالنون والسين المهملة اى تنسى تنسد بداخلها اى تطرد من الحد فيها وتنفيه ولها اسامى
غير ما ذكرناه وللمحب الطبرى رسالة فى اسمايها قال النووى ولا يعرف بلدة لها
اسماء من مكة المشرفة والمدينة المنورة لكونهما اشرف الارض وقال عبد الله الرجانى فى
تاريخه للمدينة المنورة بعد ذكره لاسماء مكة المشرفة ومن الخواص اذا كتب بدم الرعاف
على جبين المرعوف مكة وسط الدنيا والله رءوف بالعباد انقطع الدم باذن الله تعالى واما
فضل مكة المشرفة فاعلم ان مكة المشرفة والمدينة المنورة افضل بقاع الارض بالاجماع
وذكر القاضى عياض ان موضع قبر نبينا عليه افضل الصلاة والسلام اى مما ضم اعضاء
الشريفة افضل بقاع الارض بالاجماع لحلول سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم افضل
الصلاة والسلام وفيه قال البشكرى رحمه الله تعالى

" جزم المجيب بان خير الارض ما " قد حاط ذات المصطفى وحواها
" ونعم لقد صدقوا بساكنها علت " كالنفس حين زكت زكى ما واها

ثم اختلف العلماء فى ان مكة المشرفة افضل ام المدينة المنورة فذهب الامام الاعظم ابو حنيفة

واصحابه

واصحابه والامام الشافعى واصحابه والامام احمد واصحابه رضى الله عنهم ان مكة المشرفة افضل من المدينة
المنورة لحديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا
افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة
صلاة فى مسجدى رواه احمد وابن حبان فى صحيحه والترغيب فى الفضائل التى ابنتها الله
سبحانه وتعالى لبلده الحرام فجعل فيها بيته العظيم الذى اذا قصده عباده حط عنهم اوزارهم
ورفع درجاتهم وجعلها قبلة للمسلمين احياء واموتا وفرض الحج على من استطاع اليه سبيلا
مرة فى عمره ولم يفرض على كل عام على الناس اجمعين فرض كفاية وحرمها يوم خلق الله السماوات
والارض ولا يدخلها الا باحرام وهو منوى ابراهيم واسمعيل على نبينا وعليهما الصلاة
والسلام ومسقط راس جدنا الامام عليه افضل الصلاة واتم السلام ومحل اقامته صلى
الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها ثلاثة عشر عاما ومحل نزول اكرم القران ومهبط
الوحى ومظهر الايمان والاسلام ومنشا الخلفاء الراشدين وبها الحجر الاسود ونهم والمقام
وغير ذلك من المزايا العظام ولقد احسن القايل حيث قال

" ارض بها البيت الحرام قبلة " للعالمين له المساجد تعدل
" حرم حرام ارضها وصيودها " والصيد فى كل البلاد محلل
" وبها المشاعر والمناسك كلها " والى فضيلتها البرية ترحل
" وبها المقام وحوض زمزم مترعا " والحجر والركن الذى لا يرحل
" والمسجد العالى الحرام والصفا " والمشعران لمن يطوف ويرمل
" وبمكة الحسنات ضوعف اجرها " وبها المسئ عنه للخطايا تغسل

وقال الامام مالك رضى الله عنه المدينة افضل من مكة المشرفة لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال حين خروجه من مكة المشرفة الى المدينة المنورة اللهم انك تعلم انهم اخرجونى من احب
البلاد الى فاسكنى احب البلاد اليك رواه الحاكم فى المستدرك وما هو احب البلاد
الى الله سبحانه يكون افضل والظاهر استجابة دعاية صلى الله عليه وسلم وقد اسكنه
الله سبحانه وتعالى المدينة المنورة فتكون افضل البقاع ولادلة اخرى من الاحاديث
الشريفة وبين الطايفتين نزاع ومشاحات والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال
واما حكم المجاورة بمكة المشرفة فذهب اماما الاعظم ابو حنيفة رضى الله عنه وبعض اصحاب

حكم المجاورة بمكة

الشافعي رض وجملة من المحتاطين في دين الله سبحانه وتعالى الى كراهة المقام بمكة المشرفة وذلك
لخوف سقوط حرمة البيت الشريف في نظره وقلة الاحترام بالانس والتبسط الى ان
يذهب من قلبه الاحترام والهيبة بالكلية فيصير بيت الله الحرام في نظره كسائر
البيوت والعياذ بالله تعالى او تنقص الهيبة والحرمة الاولى في نظره كما هو شان الناس
في الاكل الامن عصمه الله سبحانه وتعالى وحيث كان ما هو الاكثر من حكم الناس ينيط به حكم الكراهة
فاقامة المسلم في وطنه وما هو اشتاق الى مكة المشرفة باقوى حرمتها في نظره خير له وسلم من مقامه
بمكة المشرفة من غير احترام لها او مع نقصان احترامها هذا ملخص ما في عبارة ولهذا كان
عمر رض يدور على الحاج بعد قضاء النسك بالدرة ويقول يا اهل اليمن بمكم وياهل الشام
شامكم ويا اهل العراق عراقكم فانه ابقى لحرمة بركم في قلوبكم وقال ابو عمر الزجاجي من جاور
بالحرم وقلبه متعلق بما سوى الله فقد ظهر خسرانه وقال بعض السلف كم من رجل بحرك لسانه
وهو اقرب الى هذا البيت الشريف ممن يطوف به كما قيل وكم من بعيد الدار نال مراده
وكم من قريب الدار مات كئيبا وقال ابن مسعود رض ما من بلد يواخذ فيها بالهم
قبل العمل الا مكة وتلى قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ولقد اختار جمع
الائمة عبد الله بن عباس رض المقام بالطايف وما حوله على مكة المشرفة وقال لان اذنب
سبعين ذنبا بغير مكة احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وذهب بعض العلماء الى القول
بتضاعف السيات بارض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجاء ابو محمد الجوهري سنة
فلم يستند الى حايط ولم ينم فقيل له بم قدرت على هذا فقال علم الله سبحانه صدق باطني
فاعانني على ظاهري وبقي ابو عمر والزجاجي الصوفي اربعين سنة مجاورا بمكة المشرفة
لم يقض حاجته البشرية في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وهكذا يروى عن
ابي حنيفة رض في مدة اقامته بمكة المشرفة وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره عبد الرزاق في مصنفه
وروى عن وهب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة اصلي في الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة
الشريفة والاستار خافيا فاسمعت فاذا هي الكعبة تناجي وتقول الى الله اشكو
ثم اليك يا جبريل ما القى ممن حولي ممن سمي اسمهم وتفكهم بالعهود وذكر احوال الدنيا والاعتناء
والخوض فيما لا ينبغي لهم واللهو واللعب لان لم ينتهوا عن ذلك لانتقض انتقاضة

يرجع

يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وسيل الامام مالك رض عن الحج والجوار اجب البيت او الحج
والرجوع فقال ما كان الناس الا على الحج والرجوع وفهم ابن رشد من هذا اقتضاء الكراهة
في المجاورة عنده والظاهر انه لا يقتضيه والله سبحانه وتعالى اعلم وذهب ابو يوسف
ومحمد والامام الشافعي والامام احمد رض الى استحباب المجاورة بها وفي الملتقطات والمبسوط
في باب الاعتكاف لا باس بالمجاورة بمكة في قولهما وانه الافضل وقال وعليه عمل الناس
وحكى الفاكهي في منسكه عن المبسوطات ان الفتوى في قولهما وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من صبر على حر مكة ساعة باعدت النار عنه مسيرة مايه عام
وعن سعيد بن جبير رض من مرض يوما بمكة كتب له من العمل الصالح الذي يعمله في
سبع سنين فان كان غريبا ضوعف ذلك رواه الفاكهي وتحصل ما ذهب اليه
ابو حنيفة رض من كراهة المجاورة مبني على ضعف الخلق عن مراعاة حرمة الحرم
الشريف وقصورهم عن الوفاء بقيام حق البيت الشريف فمن امكنه الاحتراز عن ذلك
وعرف من نفسه الوفاء بحرمة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه يبقى معه حرمة
البيت الشريف وجلالته وهيبته وعظمته في عينه وقلبه كما كان عند دخوله في الحرم
الشريف ومشاهدة بيت الله تعالى فالاقامة بها ما هو الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شك
في تضاعف الحسنات بها واما تضاعف السيات فالكل العلماء على عدم تضاعفها ولا
شك في تردد سائر الاولياء اليها في الاوقات الفاضلة فمن لم يحد بهم او لم يحده ما هو نال السعادة
العظمى ووردهم يحضرون الجمعة والاوقات الشريفة ويحجون كل عام فكان داب والد جدي
قبل ان يكف نظره يبادر يوم النحر بعد رمي جمرة العقبة الى مكة المشرفة ويجلس في الحطيم
تجاه بيت الله تعالى ويلحظ الطايفين بنظره ويسبح بالسباحة الى صلاة المغرب فيطوف
بعد صلاة المغرب ويسعى ويعود الى منى وكان يقول ان اولياء الله تعالى لا بد ان يحجوا كل
سنة ويفطروا الافضل وما والا بان بطواف الزيارة في اول يوم النحر فبادر النزول
من منى في ذلك اليوم واجلس في الحطيم اشاهد الطايفين لعل ان يقع نظري على احد منهم او
يقع نظره علي فيحصل لي ببذلك بركتهم واستمر على ذلك الى ان كف بصره رحمه فكنت اذهب
به ويجلسه في الحطيم ويقول ان كنت لا انظرهم فلعل ان يقع نظرهم علي فيحصل لي بركتهم
واستمر على ذلك الى ان توفي رحمه وان اولياء الله تعالى يخفون انفسهم عن اعين الناس فلا

يراهم الامن اسعده الله تعالى وانه سبحانه وتعالى المسؤول ان يجعلنا من سعدة الدنيا والآخرة
بمنه وكرمه امين **الباب الثاني في بناء الكعبة المشرفة** زادها الله سبحانه وتعالى
شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما قال قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن احمد
ابن علي الحسني المكي الفاسي في كتابه شفاء الغرام لاشك ان الكعبة المشرفة بنيت
مرات وقد اختلف في عدد بنائها ويتحصل من مجموع ما قيل في ذلك انها بنيت عشر
مرات وهي بناء الملائكة وبناء ادم عليه السلام وبناء اولاده وبناء الخليل عليه الصلاة
والسلام وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصي بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وسلم
وبناء قريش قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وبعده صلى الله عليه وسلم بخمس
وعشرين سنة وبناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وهو ابن الزبير بن العوام الاسدي
واخرها بناء الحجاج بن يوسف الثقفي وفي اطلاق العبارة ان بناء الكعبة المشرفة
يجوز فان بعضها لم يتوعبه البناء كالاخير وهو بناء الحجاج فانه انما هدم جانب
الميزاب فقط واعاده وابقى الجوانب الثلاث وهي جهة الباب وجهة الشام
الذي هو مقابل الباب وجهة الصفا المقابل لجهة الميزاب فانها باقية على بناء عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنه واما بناء الكعبة الشريفة وهو اول بنائها فذكر الامام ابو الوليد احمد
ابن عبد الله بن احمد الازرقي في تاريخه فقال حدثنا علي بن مسلم الطوسي عن ابيه
حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصاري حدثنا الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين
ابن الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال كنت مع ابي علي بن الحسين
بمكة بينهما هو يطوف واذا رأى اذا جاء رجل طويل فوضع يده على ظهر ابي فالتفت
ابي اليه فقال الرجل السلام عليك يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
اريد ان اسالك فرد عليه السلام وسكت ابي واذا الرجل خلفه حتى فرغ من سبوعه
فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فصلى ركعتين ثم استوى قاعدا فالتفت الي
فجلست الى جانبه فقال يا محمد ابن السايل فاومات الي الرجل فجاء وجلس بين يديه فقال
له عم تسال فقال اني اسالك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت فقال له ولدي
من اين انت قال من اهل الشام قال اين مسكنك قال بيت المقدس قال قرأت الكتابين
يعني التوراة والانجيل قال نعم قال له ابي يا اخا الشام احفظ عني ولا ترو عني الا حقا

امابدء هذا الطواف فان الله تعالى قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقالت الملائكة
اي رب اتخلق خلقا منا من يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون اجعل
ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد
ولا نتباغى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعظمك ولا نعصيك فقال الله
سبحانه وتعالى اني اعلم مالا تعلمون قال فظنت الملائكة انها قالوا رد على ربهم وانه قد
غضب عليهم من قولهم فلذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم يتضرعون ويبكون اشفاقا
من غضبه فطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم ووضع الله
تعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور على اربع اساطين من زبرجد بغشاها ياقوتة
حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت وصارا هون عليهم من العرش ثم ان الله تبارك
وتعالى بعث ملائكة وقال لهم ابنوا لي بيتا في الارض بمثاله وقدره وامر الله تعالى من في
الارض من خلقه ان يطوفوا بهذا البيت كما تطوف اهل السماء بالبيت المعمور فقال
الرجل صدقت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان انبئني قلت هذا
الحديث يدل على ان بناء الملائكة عليهم السلام للكعبة المشرفة كان بعد خلق الارض ولنا
احاديث دالة على ان الكعبة المشرفة خلقت قبل الارض بالفي عام بعين سنة في رواية وباقي
عام في رواية قال ابو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي المكي في اوائل تاريخ مكة
المشرفة حدثني عبد الله بن ابي سلمة قال حدثنا الواقدي قال حدثنا ابن جريج عن عاصم
عاصم الثقفي عن سعيد بن المسيب قال قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه خلق الله سبحانه وتعالى
البيت الشريف قبل الارض والسموات باربعين سنة وكان غثاء على الماء قال الفاكهي
وحدثني عبد الله بن ابي سلمة قال حدثنا المنذر بن سليمان قال حدثنا ابن عيينة عن سعيد
ونافع مولى ال الزبير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال الكعبة خلقت قبل الارض بالفي عام
قيل وكيف خلقت قبل الارض وهي من الارض فقال لانه كان عليها ملكان يتحالان
بالليل والنهار الفي سنة فلما اراد الله ان يخلق الارض دحاها من تحت الكعبة فتحللها
في وسط الارضين قال وحدثني عبد الله بن ابي سلمة قال وحدثنا الواقدي قال حدثنا
اسحق بن يحيى بن طلحة انه سمع مجاهدا يقول ان قواعد البيت الشريف خلقت قبل
الارض بالفي سنة ثم بسطت الارض من تحته اقول وظهر مما مر بناء ان موضع

البيت الشريف قيل خلق الارض لانفس بناء البيت الشريف فانه اول ما بنته الملائكة
بامر الله سبحانه وتعالى ثانيا بناء ادم عليه السلام وقد ذكره ابو الوليد الازرقي فقال
حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن طلحة عن عمرو الحضرمي عن عطاء بن رباح بفتح الراء
والموحدة بعد ما الف ثم حاء مهملة عن ابن عباس رضي قال لما اهبط ادم الى الارض
من الجنة قال يارب اني لا اسمع اصوات الملائكة قال بخطيئتك يا ادم ولكن اذهب
فابن لي بيتا وطف به واذكرني حوله كما رايت الملائكة تصنع حول عرشي قال فاقبل
ادم عليه السلام يتخطى الارض فطويت له ولم يقع قدمه في شيء من الارض الا صار
عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة المشرفة فبنى البيت الحرام وان جبريل عليه السلام خط
بجناحه الارض فكشف عن اس ثابت على الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة من
الصخر ما لا يطيق الصخرة منها اثنون رجلا وانه بناه من خمسة اجبل من لبنان
وطور زيتا وطور سيناء والجودي وحرا حتى استوى على وجه الارض وهذا يدل على
ان ادم عليه السلام انما بنى اساس الكعبة المشرفة حتى ساوى وجه الارض ولعل هذا بعد
دثورها بنته الملائكة بامر الله سبحانه وتعالى اولا ثم انزل الله سبحانه وتعالى البيت المعمور
لادم عليه السلام ليتاسى به فوضعه على اساس الكعبة المشرفة ويدل على ذلك
ما رواه ابو الوليد الازرقي في تاريخه قال حدثني ابي عن جدي قال حدثنا سعيد ابن
سالم عن عثمان بن سياج قال بلغني ان عمر بن الخطاب رضي قال لكعب يا كعب اخبرني
عن البيت الحرام قال كعب رحم انزل الله سبحانه من السماء ياقوتة حمراء مجوفة مع ادم عليه
السلام فقال له يا ادم ان هذا بيتي انزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي
ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من جاره ثم وضع
البيت الشريف عليه فكان ادم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويصلي
حوله كما يصلى حول العرش فلما اغرق الله قوم نوح عليه الصلاة والسلام رفعه الى السماء
وبقيت قواعده وقال ايضا حدثني ابي قال حدثني محمد بن يحيى بن عبد العزيز بن عمران
عن عمر بن ابي معروف عن عبد الله بن ابي زياد انه قال لما اهبط الله ادم عليه
السلام من الجنة قال يا ادم ابن لي بيتا بحذاء بيتي الذي في السماء تتعبد فيه انت
وولدك كما تتعبد ملائكتي حول عرشي فانبسطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الارض

الثانية

السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى اشرف على وجه الارض وهبط ادم بياقوتة حمراء
مجوفة لها اربعة اركان بيض فوضعها على الاساس فلم تزل لياقوتة كذلك حتى كان
زمن الغرق فرفعها الله تعالى وقال الازرقي ايضا حدثني محمد بن يحيى عن ابراهيم بن محمد عن ابي يحيى
ابن ابي المليح انه قال كان ابو هريرة رضي يقول حج ادم عليه السلام فقضى المناسك فلما جاء قال
يارب ان كل عامل اجر قال الله تعالى اما انت يا ادم فقد غفرت لك واما ذريتك فمن جاء منهم
هذا البيت فبناء بذنبه غفرت له فاستقبلته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا
هذا البيت قبلك بالفي عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر قال فكان ادم عليه السلام اذا اطاف يقول لهذه الكلمات وكان طواف
ادم عليه السلام سبعة اسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان ابن عمر رضي يفعل
ذلك وقال الازرقي ايضا حدثني محمد بن يحيى بن ابي عمر رضي قال حدثنا هشام بن عبد الرحمن
وسليمان المخزومي عن عبد الله بن ابي سليمان مولى بني مخزوم انه قال طاف ادم عليه
السلام سبعا ثم صلى بحذاء الكعبة المشرفة ركعتين ثم اتى الملتزم فقال اللهم انك
تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنوبي
وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى
اعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قضيت علي قال فاوحى الله سبحانه وتعالى
اليه يا ادم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولم يدعني بها احد من ولدك الا
كفيته همومه وغمومه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له
من وراء كل تاجر واتته الدنيا راغمة وان كان لا يريدها قال فمنذ طاف ادم عليه
السلام كانت سنة الطواف الثالث بناء اولاد ادم عليه السلام للكعبة المشرفة
روى الازرقي باسناده الى وهب بن منبه لما رفعت الجنة التي اعز الله تعالى بها
ادم عليه السلام من حلى الجنة حين وضعت له بمكة المشرفة في موضع البيت الشريف
ومات ادم عليه السلام فبنى بنو ادم عليه السلام من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة
فلم يزل معمورا يعمرونه ومن بعدهم حتى كان زمن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام
فنسفه الغرق وغيب مكانه حتى بوأ الابراهيم عليه الصلاة والسلام انتهى قال الحافظ
ابو القاسم السهيلي في الفصل الذي عقده لبنيان الكعبة المشرفة وكان بناؤها

الاول حين بنى شيث بن ادم عليه السلام انتهى ولعل مراد السهيلي بالاولية بالنسبة الى
بناء البشر لا الملائكة وان بناء ادم عليه السلام انما هو اساس الى ان ساوى وجه
الارض وانزل اساسه عليه من الجنة البيت المعمور فوضعه على ذلك الاساس والمراد
بالخيمة المشار اليها في خبر وهب بن منبه ما والبيت المعمور او لعلها خيمة غير البيت
المرفوع لعلها رفعت بعد وفاة ادم عليه السلام وابقى البيت المعمور الى ان رفع في
زمن الطوفان وفي ذلك من ارتكاب المجاز ما يصح به هذه الروايات المتباينة
ظواهرها والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال **الرابع بناء الخليل عليه الصلاة وسلام**
قال الامام تقي الفاسي اما بناء الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام فهو ثابت
بالكتاب العزيز والسنة الشريفة وهو اول من بنى البيت الشريف على ما ذكره
العاكمي عن علي بن ابي طالب رضي وجزم الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره وقال
ولم يرد عن معصوم ان البيت الشريف كان مبنيا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام
انتهى فهو ينكر ما قدمناه من الاثار واما على ما قدمناه من الاثار فبناء ابراهيم عليه
الصلاة والسلام اول مبني بالنسبة الى من بناه بعده لا الاول الحقيقي والله سبحانه
وتعالى اعلم وروى الازرقي في تاريخه عن ابن اسحق ان الخليل عليه الصلاة والسلام
لما بنى البيت الشريف جعل طوله في السماء تسعة اذرع وجعل طوله في الارض من
قبل وجه البيت الشريف من الحجر الاسود الى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعا
وجعل عرضه في الارض من الميزاب من الركن الشامي الى الركن الغربي الذي يسمى
الان العراقي اثنين وعشرين ذراعا وجعل طوله في الارض من جانب ركن ظهر
البيت الشريف من الركن الغربي المذكور الى الركن اليماني احدى وثلاثين ذراعا
وجعل عرضه في الارض من الركن اليماني الى الحجر الاسود عشرين ذراعا وجعل الباب
لاصقا بالباب غير مرتفع عنها ولا منصوب حتى جعل لها بابا للحبرتي بابا وغلقا بعد
ذلك وحفر ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام في بطن البيت الشريف على
يمين من دخله حفرة لتكون خزانة للبيت الشريف يوضع فيما يهدى الى البيت
الشريف فكان ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام يبني واسمعيل عليه الصلاة
والسلام ينقل له الحجارة على عاتقه فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم

عليه

عليه ويبني ويحوله اسمعيل عليه السلام في نواحي البيت الشريف حتى انتهى الى موضع
الحجر الاسود فقال ابراهيم لاسمعيل عليهما السلام يا اسمعيل ائتني بحجر
اضعه هنا يكون علما للناس يبتدؤن منه الطواف فذهب اسمعيل عليه
السلام في طلبه فجاء جبريل عليه السلام الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالحجر
الاسود وكان الله سبحانه وتعالى استودعه جبل ابي قبيس حين الطوفان
طوفان نوح عليه الصلاة والسلام فوضعه جبريل عليه السلام في مكانه وبنى
عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وما حينئذ نور يتلألأ فاضاء بنوره
شرقا وغربا وشاما ويمنا الى منتهى انصباب الحرم في كل ناحية وايامنا سودته
انجاس الجاهلية وارجاسها قال ولم يكن ابراهيم عليه الصلاة والسلام سقف
البيت الشريف ولا بناه بمدر وانما رصه رصا قال وذكر سنده الى عبد الله
ابن عمر رضي ان جبريل عليه السلام نزل بالحجر الاسود على ابراهيم عليه الصلاة والسلام
من الجنة وانه وضعه حيث رأيتم وانتم لا تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا
به ما استطعتم فانه يوشك ان يجئ جبريل عليه السلام فيرجع به من حيث جاء به انتهى
قال السيد تقي الدين الفاسي روينا عن قتادة قال ذكر لنا ان الخليل عليه
الصلاة والسلام بنى البيت الشريف من خمسة اجبل من طور سينا وطور زيتا
ولبنان والجودي وحراقال وذكر لنا ان قواعده من حراقال وروى ان الخليل
على نبينا وعليه الصلاة والسلام اسس البيت الشريف من ستة اجبل من
ابي قبيس ومن الطور ومن الحدس ومن احد ومن ورقان ومن رضوى وقال
الازرقي قال ابي وحدثني جدي عن سعيد بن سالم عن ابن جريج عن مجاهد
انه قال كان موضع الكعبة المشرفة قد خفي ودرس زمن الطوفان فما بين نوح
وابراهيم عليهما الصلاة والسلام قال وكان موضعه اكمة حمراء لا تعلوها السيول
غير ان الناس كانوا يعلمون ان موضع البيت فيما هناك من غير تعيين محله
فكان يأتيه المظلوم والمعقود من اقطار الارض ويدعو عنده المكروب
ويدعي عنده احمد الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت الشريف
حتى بوأ الله سبحانه وتعالى مكانه لابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اراد عمارة

بيته واظهار دينه وشعايره فلم يزل منذ اهبط الله سبحانه ادم عليه السلام الى الارض معظما
محترما عند الامم والملل قال ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في كتاب العرائس من
قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما نجى الله سبحانه وتعالى خليله عليه الصلاة والسلام
من نار نمرود وآمن به من آمن خرج مهاجرا الى ربه وتزوج ابنة عمه سارة وخرج بها
يلتمس القرار بدينه والامان على نفسه ومن معه فقدم مصر وبها فرعون من القرعنة
الاول وكانت سارة من احسن النساء وكانت لا تعصي ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ولذلك اكرمها الله سبحانه وتعالى فاتى اليلس الى فرعون مصر وقال له انها سارة رجل معه امرأة
من احسن النساء فارسل الجبار الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقال له ما هذه المرأة
منك فقال هي اختي وخاف ان قال هي امرأتي ان يقتله فقال له زينها وارسلها
الى فرجع ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى سارة وقال لها ان هذا الجبار قد سالني
عنك فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني عنده فانك اختي في كتاب الله تعالى فانه ليس
مسلم في هذه الارض غيري وغيرك ثم انفتلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم عليه الصلاة
والسلام يصلي وقد رفع الله سبحانه وتعالى الحجاب بين ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وبين سارة ينظر اليها منذ فارقته الى ان عادت اليه اكراما له وتطييبا لقلب ابراهيم
عليه الصلاة والسلام فلما دخلت سارة على الجبار رآها فذهش في حسنها ولم يملك
نفسه ان مد يده اليها فبست يده على صدره فلما رأى ذلك اعظم امرها وقال
لها سلي ربك ان يطلق يدي علي فاني والله لا اوذيك فقالت سارة اللهم ان
كان صادقا فاطلق يده فاطلق الله سبحانه يده فوهب لها هاجر وهي جارية
نبطية جميلة ورد ها الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فاقبلت اليه فلما احس
بها انفتل من صلاته وقال مهيم قالت كفى الله كيد الفاجر ووهبني هاجر وقد
وهبتها لك فلعل الله يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى يئست
فوقع ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام على هاجر فحملت وولدت له اسماعيل
عليه السلام واقام ابراهيم بناحية من ارض فلسطين بين الرملة وايليا وهاجر ضيفة
من باتيه وقد اوسع الله سبحانه وتعالى عليه وبسط له في الرزق والمال والخدم فلما
اراد الله سبحانه وتعالى هلاك قوم لوط على نبينا وعليه الصلاة والسلام بعث الله سبحانه

وتعالى

وتعالى رسله بارهونة بالخروج من بين ظهرانيهم وامرهم ان يبشروا ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب عليهما السلام فلما نزلوا عليه بشروهم وقال
لا يخدم هؤلاء القوم الا انا فخرج فجاء بعجل سمين مشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا
ايديهم فنكرهم واوجس منهم خيفة حيث لم ياكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم فبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
فضحكت سارة قال ابن عباس رضي الله عنهما فضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها
وكانت بلغت تسعين سنة وبلغ ابراهيم عليه الصلاة والسلام مائة وعشرين سنة
وقال مجاهد وعكرمة تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت قال الشاعر فحملت سارة
باسحق على نبينا وعليه الصلاة والسلام وكانت حملت هاجر باسمعيل على نبينا وعليه
الصلاة والسلام فوضعتا وشب الغلامان فتسابقا فسبق اسمعيل على نبينا وعليه
الصلاة والسلام فاخذ ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فاجلسه في حجره واخذ
اسحق فاجلسه الى جانبه فغضبت سارة وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في
حجرك وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك واخذ مما ما اخذ النساء من الغيرة فحلفت
لتقطعن منها بضعة ولتغيرن خلقها ثم ذهب اليها عقلها فتحرت في يمينها فقال
لها ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام اخفضيها وانهكي اذنها ففعلت
ذلك فصارت سنة في النساء والخفاض بالمحجمات للنساء كالختان للرجال ثم
تصاهر اسمعيل واسحق على نبينا وعليهما الصلاة والسلام كما يتصاهر الاطفال
فغضبت سارة على هاجر وحلفت ان لا تساكنها في بلد واحد وامرت ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ان يعزلها عنها فاوحى الله سبحانه وتعالى الى ابراهيم على نبينا
وعليه الصلاة والسلام ان ياتي بهاجر واسمعيل الى مكة المشرفة فذهب بهما حتى قدم
مكة المشرفة ومنى اذ ذاك عضاة وسلم وموضع البيت الشريف ربوة حمراء فعمد
بهما الى موضع الحجر بسكون الجيم فانزلهما ثم امرها ان تتخذ عريشا ثم انصرف
فتبعته هاجر فقالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرجعت عنه
وكان معها جرعة ماء فنفد فعطشت وعطش ولدها فنظرت الى الجبل فلم تر داعيا
ولا مجيبا فصعدت على الصفا فلم تر احدا ثم هبطت وعيناها مما ولدها حتى نزلت

في الوادي فغابت عنه فهرولت حتى صعدت من الجانب الآخر فراته واستمرت الى ان صعدت
المروة فما رأت احدا وترددت كذلك سبعا فعادت الى ولدها وقد نزل جبريل عليه السلام
فضرب بعقبه موضع زمزم بجناحه فنبع الماء فبادرت هاجر اليه وحبسته من السيلان
كيلا يضيع الماء وفي لفظ البخاري يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف
من الماء لكانت عينا معينا فشربت وارضعت
ولدها وقال لها جبريل عليه السلام لا تخافي من الضيعة فان ههنا بيت الله عز وجل
يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله قال ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي
بكر القرطبي في تفسيره لا يجوز لاحد ان يتعلق بهذا في جواز طرح ولده وعياله بارض
مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم واقتداء بفعل ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فانه
فعل ذلك بامر الله سبحانه وتعالى وقد روي ان سارة لما غارت من هاجر بعد ان
ولدت اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام خرج بهما ابراهيم عليه الصلاة والسلام
الى مكة المشرفة وانزل الله وابنه هناك وركب منصرفا في يومه وكان ذلك كله بوحي
من الله تعالى والماء زمزم من الشرف والخواص والمزايا ما لا يوجد لغيره ففي المستدرك
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ماء زمزم لما شرب له وروي ابن ماجه موقوفا الا انه اختلف
في ارساله ووصله وارساله اصح كذا في فتح الباري لشرح البخاري وروى الدارقطني
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له وان
شربته لتشبعك اشبعك الله به وان شربته لقطع ظمأك قطعه وهي هزمة جبريل وسقي
الله اسماعيل وعن عكرمة قال كان ابن عباس رضي الله عنهما اذا شرب من زمزم قال اللهم اني اسألك
علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء وفي صحيح البخاري قال ابو ذر كنا كان الطعام
الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما اجد على كبدي سخفة جوع وذكر انه
اجزاه ثلاثين ما بين يوم وليلة وفي صحيح مسلم من حديث ابي ذر انه طعام طعم
زاد الطيالسي في الوجه الذي اخرجه مسلم وشفاء سقم قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا
موجود فينا الى يومنا هذا لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن ممكذبا ولا لشربه بحيث ما قلت
ومن عجيب ما اطلعت عليه في كتاب وفاء الوفا في اخبار دار المصطفى للسيد نور الدين
علي السمهودي الشافعي عالم المدينة المنورة في عصره ومورخها ومحدثها وقد اخذنا عنه
اخذ سنة فروى عنه بواسطة قال ان بالمدينة بئرا يعرف ببئر زمزم ولم تزل اهل

المدينة

المدينة الشريفة قديما وحديثا يتبركون بها ويشربون من مائها وينقل الى الافاق كما ينقل ماء زمزم
ويسمونها بئر زمزم لبركتها انتهى رجعنا الى القصة قالوا ومرت رفقة من جرهم يريدون الشام
فرأوا طيرا يحوم على جبل ابي قبيس فقالوا ان هذا الطير يحوم على ماء فتتبعوه فاشرفوا على بئر زمزم
فقالوا لها جران شئت نزلنا معك وانسناك والماء ماؤك لنشرب منه فاذنت لهم فنزلوا
معها وهم اول سكان مكة المشرفة وتوفيت هاجر ودفنت في الحجر بسكون الجيم وشب اسمعيل
على نبينا وعليه الصلاة والسلام فتزوج من جرهم فتكلم بلسانهم فتعرب فيقال لبني
اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام العرب المتعربة ويقال لجرهم وقحطان العرب
العاربة والعرب العربا وكان لسان ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام عبرانيا
ولسان اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام عربيا ثم ان ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة
والسلام استاذن سارة ان يزورها هاجر وابنها فاذنت له واشترطت ان لا ينزل عندها
فقدم ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقد مات هاجر فاتى الى بيت اسمعيل
على نبينا وعليه الصلاة والسلام فوجد امرأته فسألها اين صاحبك قالت ذهبت تصيد
وكان اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام يخرج من الحرم الى الحل يتصيد ما
يتعيش فقال لها اعندك ضيافة من طعام او شراب قالت ليس عندي شيء فقال
لها اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له غير عتبة بيتك وذهب ابراهيم
على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلما جاء اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام
قالت له جاءني شيخ صفته كذا وكذا اقرأك السلام وقال لك غير عتبة بابك
فقال لها الحقي باهلك وتزوج غيرها فمكث ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام
مدة ثم استاذن سارة ان يزور اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام
فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام
الى مكة المشرفة وقدم على منزل اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام فوجده
غائبا في الصيد فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد ورجعت فقالت
له يا عم هلم حتى اغسل راسك والم شعثك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذي بنى عليه
الكعبة المشرفة فيما بعد وقالت اجلس يرحمك الله وجاءت بلحم ولبن وماء فاكل
وشرب فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت شقه الايمن ثم الايسر فاثرت

الملك على راسه وبدنه الى ان فرغت من تنظيفه فقام من عندها وتوجه من حيث شاء وقال
لها اذا جاء صاحبك فاقرئيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء
فلما جاء اسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام وجد رائحة ابيه فقال لها هل
جاءك احد فقالت نعم جاءني شيخ من حسن الناس وجها واطيبهم ريحا فاضفته وسقيته
وغسلته وهذا موضع قدميه وجبن توجه اقرأك السلام وقال لك كذا وكذا فقال
نعم امرني ان ابني بيتا وقبل موضع قدم ابيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى ان بنى
عليه فيما بعد ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة لما بناها هكذا
في قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام وروى فيها ايضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه قال
اشهد بالله ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام
ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمس نورهما لاضاءا ما بين
المشرق والمغرب ثم لما امر الله تعالى خليله على نبينا وعليه الصلاة والسلام ببناء البيت
الشريف قدم الى مكة المشرفة وبناها كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله الحرام امر
ان يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما عسى ان يبلغ صوتي فقال الله تعالى عليك
الاذان وعلي البلاغ. فطلع على جبل بثير ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا وامركم
ان تحجوه فاجيبوا داعي الله فاسمع الله سبحانه وتعالى صوته جميع من في الدنيا
ومن سيولد ممن هو في اصلاب الاباء وارحام الامهات الى يوم القيمة فاجابه من سبق
في علم الله سبحانه وتعالى انه سيحج ولبى كل واحد بعدد محمد في اصلاب الاباء وارحام
الامهات واما امر الله سبحانه وتعالى ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام بذبح
ولده اسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقد اختلفت العلماء في ان المامور
بذبحه اسماعيل او اسحق على نبينا وعليهما الصلاة والسلام فقال قوم هو اسحق
على نبينا وعليه الصلاة والسلام وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي
وذهب عبد الله بن عمر وابن المسيب والشعبي ومجاهد والحسن البصري رضي الله عنه
اسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال ابو بكر النووي رحمه في كتابه التهذيب
اختلف العلماء في الذبيح هل هو اسماعيل او اسحق على نبينا وعليهما الصلاة والسلام
فقال قوم هو اسحق على نبينا وعليه الصلاة والسلام والكاذبون على انه اسمعيل

على نبينا وعليه الصلاة والسلام ومن رجح كون الذبيح اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام
الحافظ عماد الدين اسمعيل بن كثير قال في ترجمته وهو الصحيح وروى عن كعب الاحبار
عن رجال قالوا لما راى ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام في المنام ان يذبح ابنه
وتحقق انه امر به قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب
لنحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبعه والده فقال الشيطان لئن لم افتن عند
هذا ال ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لا افتن احدا منهم ابدا فتمثل الشيطان
رجلا فاتى ام الغلام فقال لها اتدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به
ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال لها الشيطان لا والله ما ذهب به الا ليذبحه
قالت كلا ما اوشفق به واشد حبا له فقال لها يزعم ان الله امره بذلك قالت فان كان
الله امره بذلك فليطع امر ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يسعى
على اثر ابيه فقال له يا غلام اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا
الشعب فقال والله ما يريد الا ذبحك قال لاي شئ قال لزعم ان الله امره بذلك قال فليفعل
ما امره الله تعالى سمعا وطاعة لامر الله تعالى فاقبل الشيطان على ابراهيم على نبينا وعليه
الصلاة والسلام فقال اين تريد ايها الشيخ قال اريد هذا الشعب لحاجة لي فيه
فقال اني ارى ان الشيطان خدعك بهذا المنام الذي رايته انك تريد ذبح ولدك
وثمرة كبدك فتندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم على نبينا
وعليه الصلاة والسلام فقال اليك عني يا ملعون والله لامضين لامر ربي
فنكص اللعين على عقبه ورجع بخزيه وعجزه ولم ينل من ابراهيم على نبينا وعليه
الصلاة والسلام شيئا فلما احلم ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام في الشعب
ويقال ذلك في بثير قال له يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال
يا ابت افعل ما تومر ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال فحدثت ان اسمعيل على
نبينا وعليه الصلاة والسلام قال له عند ذلك يا ابتاه ان اردت ذبحي فاشدد
وثاقي لئلا يصيبك مني شئ فينقص اجري فان الموت شديد ولا آمن ان اضطرب
عنده اذا وجدت مس حرارة واشحذ شفرتك حتى تجهز علي فتذبحني فاذا انت
اضجعتني فاكبني على وجهي ولا تضجعني لشقي فاني اخشى ان انت نظرت الى وجهي

ان تدركك الرقة فتحول بينك وبين امر ربك فى وان رايت ان ترد قميصى الى امى فانه عسى
ان يكون اسلى لها فقال ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام نعم العون انت يا بنى
على امر الله تعالى ويقال انه ربطه كما امره بحبل فاوثقه ثم شفرته ثم تله للجبين واتقى
النظر الى وجهه ثم ادخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام فى يده ثم اجتهد بها اليه
ونودى ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحتك فداه الله بذبح فاذا بجهاد دونه
واتاه بكبش من الجنة قيل رعى قبل ذلك اربعين خريفا قال الكلبى ذكر اهل الكتاب
وكثير من العلماء ان الكبش الذى فدى به اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام كبش
املح اقرن اعين وقد روى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه انه هو الذى قربان المتقبل من احد
ابنى ادم عليه السلام فانظر رحمك الله الى طاعة هذا الولد لامر الله تعالى من ذبح ابنه قرة
عينه وقطعة كبده والى طاعة هذا الولد لامر الله سبحانه وانقياده الى ذلك راضيا
مستسلما باذل امره تعالى وانظر الى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة وطاعتها
لامر الله تعالى واطاعة زوجها اللهم صل وسلم عليهم افضل صلواتك وسلامك وعلى
سائر الانبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وانفعنا اللهم بهم اجمعين
وارزقنا التوفيق وحسن اليقين اسير قال الازرقى ثم ولد لاسمعيل بن ابراهيم عليه السلام
من زوجته بنت مضاض بن عمرو الجرهمى اثنى عشر ولدا منهم نابت بن اسمعيل وقيدار
ابن اسمعيل وقطور بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام
مائة وثلاثين عاما ومات ودفن فى الحجر مما قولى البيت الشريف بعده نابت
ابن اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ونشا مع العرب من نابت وقيدار فكلوا
وعموا ثم توفى نابت بن اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام فولى البيت الشريف
بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمى وضم بنى نابت بن اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة
والسلام وصار ملكا عليهم وعلى جرهم ونزلوا بقعيقعان باعالى مكة المشرفة وكانوا
اصحاب سلاح وبنى قعيقعة فيهم وصارت العمالقة وكانوا اثنى عشر الفا باسفل مكة المشرفة
الى جبل يقال له السميدع ونزلوا ابا جياد وكانوا اصحاب خيل وعدة
وكان الامر بمكة المشرفة لمضاض بن عمرو دون السميدع الى ان حدث بينهما البغى
فاقتتلوا فقتل السميدع وتم الامر لمضاض بن عمرو وفى ذلك يقول شاعرهم

ونحن

ونحن قتلنا سيد الحى عنوة ... فاصبح فيها وهو حيران موجع
وما كان يبغى ان يكون خلافنا ... بها ملكا حتى اتانا السميدع
فذاق وبال الامر حين جاول بكمنا ... وعالج مناغصة تنخى وتوجع
فنحن عمرنا البيت كنا ولاته ... نذافع عنه من اتانا ونمنع
وما كان يبغى ان يلى الدهر غيرنا ... ولم نبك حى قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكا فى الدهور التى مضت ... ورثناها ملوكا لا نرام فتوضع

ثم نشا الله سبحانه بنى اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام وحولوا جرهم وكانت جرهم
ولاة البيت الشريف لابناء عمهم بنو اسمعيل اخوة لامهم وقراتهم فلما صارت عليهم مكة المشرفة
انتشروا فى الافاق فلم يأتوا قوما ولا نزلوا بلدا الا اظهر الله عليهم وهو يميز دين
ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها العمالقة وكانوا اولاة
مكة المشرفة وكانوا اضيعوا حرمة الحرم واستحلوا ما واستخفوا بها فاخرجهم الله من ارض الحرم
قال ثم ان جرهم استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام واحدثوا فيها ما لم يكن
قبل ذلك فقام فيهم مضاض بن عمرو خطيبا فقال يا قوم احذروا البغى فقد رايتم من كان
قبلكم من العمالقة كيف استخفوا بالبيت فلم يعظموه فسلطكم الله عليهم فاخرجتهم فتفرقوا
فى البلاد وتمزقوا كل ممزق فلا تستخفوا بحق بيت الله تعالى فيخرجكم منه فلم يطيعوه
ودلاهم الشيطان بالغرور وقالوا من يخرجنا ونحن اعز العرب واكثرها رجالا واسلحها فقال
لهم اذا اراد الله بطل ما تقولون فلما راى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى عزالين من ذهب كانا فى
الكعبة المشرفة وما وجد فيها من الاموال التى كانت تهدى الى الكعبة المشرفة ودفنها فى بئر زمزم
وكانت بئر زمزم قد نضب ماؤها فحفر بالليل واعمق الحفر ودفن فيها تلك الاموال والغزالين
وطم البئر واعتزل جرهم واخذ معه بنى اسمعيل وخرج من مكة فجات خزاعة فاخرجت جرهم
من البلد وولت امر مكة وصاروا اهلها فجاء بنو اسمعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم
وقصاعة ولم تدخل بينهما واستاذنهم ان نسكنهم فابت خزاعة وقالوا من قارب الحرم
من جرهم فدمه هدر فنزلت البلا لمضاض بن عمرو ودخلت مكة المشرفة فاخذتها خزاعة
وصارت تخرجها وتاكلها فتتبع مضاض اثرها فوجدها دخلت مكة المشرفة فسلك الجبال
حتى طلع على جبل ابى قبيس يبتهل الى الله فى بطن وادى مكة المشرفة فابض الابل تخر وتوكل

ولا سبيل اليها وراى انه ان هبط الوادى قتل فولى منصرفا الى اهله وانشا يقول

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطا فحنو ذى ... الى المنحنى من ذى الاراكة حاضر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا ... صروف الليالى والجدود العواثر
وابدلنا بها الاسى دار غربة ... بها الذيب يأوى والعدو محاضر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
وكنا لاسمعيل صهرا وحيرة ... فابناؤه منا ونحن الاصاهر
فاخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك بها الدنيا تجرى المقادر
وصرنا احاديثا وكنا بغبطة ... كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحت دموع العين تجرى لبلدة ... بها حرم امن وفيها المشاعر
بوادٍ انيس لا يطار حمامه ... ولا ينفر الصيد بها ما دبه العصافر
وفيها وحوش لا ترب انيسة ... اذا خرجت منها فما ان تغادر
فيا ليت شعرى هل تعمرن بعدنا ... جبال وتقضى سهلة والظواهر
وهل فرح يأتى بشئ نريده ... وهل جزع يأتيك مما تحاذر

وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة المشرفة وصاحت خزاعة بحجابة بيت الله الحرام وولاة امر مكة المشرفة وفيهم بنو اسمعيل لانهم اعوانهم فى شئ ولا يطلبونه الى ان كبر شأن قصى بن كلاب بن مرة واستولى على حجابة البيت الشريف وامر مكة المشرفة وقالوا قصى اول رجل من بنى كنانة اصاب ملكا بمكة المشرفة فكانت اليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة واللواء والقيادة وهو الذى جمع امر قريش فسمى مجمعا بكسر الميم المشددة وفى ذلك يقول شاعرهم

ابوكم قصى كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر
فهم ملكوا البطحاء بعد وسوددا ... وهم طردوا عنها عراة بنى عمرو

وقيل سميت قريش قريشا لتجمعهم على قصى والتقرش هو الاجتماع وما كان قريشى قبل ذلك يسمى قريشا وقيل ان النضر بن كنانة كان يسمى قريشا واستمر بنو قصى كذلك الى ان ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وقد اطلنا الكلام فى هذا المقام وهو موضوع ذلك قطرة بحر

فانتجن

فانتجنا منه هذه المقدار لاشتماله على فنون من الاعتبار الخامس والسادس من بناء العمالقة

وجرهم ذكر الازرقى فى ذلك وذكره بسنده الى سيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال فى خبر بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام للكعبة المشرفة ثم انهدم فبنتها قبيلة من جرهم قال وذكر الفاكهى بسنده الى على بن ابى طالب رضى الله عنه قال اول من بنى البيت الشريف ابراهيم على بنينا وعليه الصلاة والسلام ثم انهدم فبنتها جرهم ثم انهدم فبنتها العمالقة قال السيد التقى الفاسى قلت يقتضى ان جرهما بنت البيت الشريف قبل العمالقة والجرهم الاول يقتضى ان العمالقة بنته قبل جرهم وبه جزم المحب الطبرى فى القرى وذكر المسعودى فى مروج الذهب ان الذى بنى الكعبة المشرفة من جرهم الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد فى بناء البيت الشريف ورفعه كما كان على بناء ابراهيم على بنينا وعليه الصلاة والسلام والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال وذكر الازرقى شيئا من خبر العمالقة يقتضى سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال كان بمكة حى يقال له العمالقيق كانوا فى عز وثروة وكانت لهم خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وما بينها وكانت العضاة ملتفة والارض مقلة وكانوا فى عيش رخى فبغوا فى الارض وبغوا على انفسهم واسرفوا وظهر والمظالم والالحاد وتركوا شكر الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة المشرفة الظل ويبيعون الماء فاخرجهم الله سبحانه وتعالى من مكة المشرفة بان سلط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم ثم ساقتهم بالجذب حتى لحقتهم الله تعالى بمسا قطروس ابيهم بيلد اليمن فتفرقوا وهلكوا وابدل الله سبحانه بعدهم الحرم بجرهم وكانوا سكانه الى ان بغوا فيه ايضا فاهلكوا جميعا انتهى السابع جاء فى الكعبة المشرفة ذكر الزبير بن بكار فى مكة المشرفة فى كتاب النسب ان قصى بن كلاب لما ولى امر البيت الشريف جمع نفقته ثم هدم الكعبة المشرفة فبناها بناء لم يبنها احد ممن بناها قبله مثله وقال ابو عبد الله محمد بن عابد السنقرى فى معارفه ان قصى بن كلاب بنى البيت الشريف وجزم به الماوردى فى الاحكام السلطانية فانه قال فيما اول من جدد بناء الكعبة الشريفة من قريش بعد ابراهيم على بنينا وعليه الصلاة والسلام قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل انتهى قال السيد التقى الفاسى فى شفاء الغرام وما رواه الفاكهى والزبير بن بكار ان قصيا بنى الكعبة المشرفة على خمسة

وعشرين ذراعا ففيه نظر لما اشتهر في الاحكام ان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة
والسلام بنى طول الكعبة الشريفة تسعة اذرع وان قريشا لما بنت الكعبة الشريفة
زادت في طولها تسعة اذرع وان قصيا اراد ان يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعا
فالمعروف ان عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعا في بناء
الخليل عليه السلام بل يزيد على خلاف معتاد الزيادة وان اراد عرضها من الجهة الشامية
واليمانية فعرضها من هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعا ثلاثة
اذرع او اربعة وكل من بنى الكعبة الشريفة بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبنها
الا على قواعد ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام غير ان قريشا اقتصرت من
عرضها من جهة الحجر الشريف لما اقتضاه الحال وضع ذلك الحجاج بعد عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى اعلم وكان مبدأ امر قصي ان اباه كلاب
ابن مرة تزوج فاطمة بنت سعد بن شيل فولدت له زهرة وقصيا فهلك كلاب
وقصي صغير وهو بضم القاف وفتح الصاد المهملة تصغير قصي بفتح القاف وكسر
الصاد المهملة بمعنى بعيد واسمه زيد واما لقب قصي قصيا لانه ابعد عن اهله
ووطنه مع امه لما توفي ابوه فانها تزوجت ربيعة بن حرام فذهل بها الى ارضه
وولدت له رزاحا فلما كبر قصي وقع بينه وبين ربيعة شر فعيروه بالغربة وقالوا
له الالتحق بقومك وكان لا يعرف له اباء غير ربيعة بن حرام تزوج امه فسئلي اليها
ما عيروه به فقالت له يا ولدي انت اكرم ابا منهم انت ابن كلاب بن مرة وقومك
بمكة المشرفة عند البيت الحرام فقدم لمكة المشرفة فعرف لقومه فضله وقدمه
وكرمه وكانت خزاعة مستولية على البيت الشريف وعلى مكة المشرفة وكان
كبيرهم خليل بن حبشية الخزاعي بيده البيت الشريف وسدانته فخطب الى
الخليل ابنته فعرف الخليل نسبه فزوجه ابنته حبى فتزوجها قصي وكرمت اولاده
وامواله وعظم شرفه وهلك خليل واوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته حبى
فقالت لا اقدر على هذه السدانة فجعلت ذلك لابي غبشان وكان سكيرا يحب
الخمر فاعوزه في بعض الاوقات ما يشربه من الخمر فباع مفتاح البيت الشريف
بزق خمر فاشتراه منه قصي وصار في الامثال اخسر صفقة من ابي غبشان وفي ذلك

يقول

يقول الشاعر
باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت ... بزق خمر فبئست صفقة الباعي
باعت سدانتها بالخمر فانقرضت ... عن المقام وظل البيت والناعي
وقال اخر
باعت خزاعة بيت الله ضاحية ... بزق خمر فما فازوا ولا ربحوا
فلما صار المفتاح الى قصي تناكرته خزاعة وكرتكالبوا عليه فاجمع على حربهم فحاربهم واخرجهم
من مكة المشرفة وولي قصي امر الكعبة الشريفة ومكة المشرفة وجمع قومه فملكوه على
انفسهم وكانوا يحترمون ان يسكنوا مكة المشرفة ويعظمونها عن ان يبنوا بها بيتا مع
بيت الله سبحانه وتعالى وكانوا يكونون بها نهارا فاذا امسوا خرجوا الى الحل ولا يستحلون
الجنابة بمكة المشرفة فلما جمع قصي قومه اليه اذن لهم ان يبنوا بمكة المشرفة بيوتا وان
يسكنوا وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب ولا تستحل قتالكم
ولا تستطيع احد اخراجكم فقالوا له انت سيدنا ورايناتبع رايك فجعلهم حول البيت الشريف
وفي التسهيل القبائل
ابو كم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر
وانتم بنوه زيد ورزيد ابوكم ... به زيدت البطحاء فخرا على فخر
والبداء هو فنيق دار الندوة والندوة في اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة
وغيرها من المهمات فلا تنكح امراة ولا يتزوج رجل من قريش الا فيها قال الازرقي ولا
يدخل من قريش ولا غيرهم الا ابن اربعين سنة وكان ولد قصي يدخلها كلهم اجمعون
وقسم جهات البيت الشريف بين طوائف قريش فبنوا دورهم حول الكعبة الشريفة
من جهاتها الاربع وتركوا للطواف بيت الله تعالى مقدارا يقال انه المعروف الآن حول
البيت الشريف بالحجر المخوت المسمى بالمطاف وشرعوا ابوابا يبوتهم الى نحو البيت الشريف
وتركوا بين كل بيتين طريقا ينفذ منه الى المطاف الى ان زاد عمرهم في المسجد الحرام
وتبعه عثمان بن عفان رضي الله عنه وتبعهما غيرهما على ما ياتي تفصيله ان شاء الله تعالى
وكان قصي اول ملك من بني كعب بن لوي اصاب ملكا فاطاعه به قومه وله كلمات
حكم تؤثر عنه منها من اكرم لئيما شركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه
ومن لم يصلحه الكرام اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان وكان
اجتمع لقصي ما لم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة
والندوة واللواء والقيادة فالحجابة وهي سدانة البيت الشريف اي تولية مفتاح

بيت الله تعالى والسقاية اسقاء الحجيج كلهم الماء العذب وكان عزيزا بمكة المشرفة يجلب اليها المياه
من الخارج فيسقى الحاج منه ويتبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه للحاج وكانت وظيفة
فيهم والرفادة وذلك اطعام الطعام لساير الحاج تمد لهم الاسمطة في ايام الحاج وكان
السقاية والرفادة مستمرة الى ايام الخلفاء العباسيين ومن بعدهم من الملوك والسلطين
قال السيد التقي العامري ان الرفادة كانت في ايام الجاهلية وصدر الاسلام واستمر ذلك
الى ايامنا وقال واما اطعام الطعام يصنع بامرات سلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج
قلت واما في زماننا فلم يفعل شيء من ذلك ولا ادري متى انقطع واما الندوة فقد تقدم
بيانها واما اللواء فراية يلوون بها على رمح وينصبونها علامة للعسكر اذا توجهوا الى
محاربة عدو فيجتمعون تحتها ويكونون عندها والقيادة امارة الجيش اذا خرجوا
الى حرب فهذه كلها اجتمعت في قصي فلما كبر سنه وضعف بدنه قسمها بين اولاده
وكان عبد الدار اكبر اولاده وكان عبد مناف شرف في زمان ابيه فقال قصي لعبد الدار
لالحقنك يا بني بالقوم وان شرفوا عليك فاعطاه الحجابة وسلم اليه مفتاح البيت
الشريف وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له واعطاه السقاية
واللواء وقال لا يشرب احد الا من سقايتك ولا يعقد لواء لقريش لحرب بها الا انت بيدك
وجعل له الرفادة وقال لا يأكل احد من اهل الموسم طعام الا من طعامك فكانت الرفادة
خراجا تخرجه قريش من اموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكل
من لم يكن له سعة ولا زاد وكان قصي فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال يا
معشر قريش انكم جيران الله واهل بيته واهل حرمه وان الحاج ضيف الله وزوار
بيته ولهم احق الاضياف باكرامه فاجعلوا لهم طعاما وشرابا ايام الحاج حتى يصدروا
عنكم فجعل قصي كلما كان بيده من امر قومه الى عبد الدار وكان قصي لا يخالف ولا
يرد عليه شيئا صنعه لعظم شانه ونفاذ سلطانه قال اسحق ثم ان قصيا هلك فقام
على امره بنوه من بعده ثم ان بني عبد مناف هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا
اجمعوا ان ياخذوا ما بايدي بني عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا
انهم اولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم وتفرقت قريش فكانت طائفة منهم يرون
ان بني عبد مناف احق من بني عبد الدار وطائفة يرون ابقاء بني عبد الدار على ما جعله

قصي

قصي لابيهم فاجمعوا على الحرب ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف والحجابة
واللواء والندوة لبني عبد الدار وتحالفوا على ذلك فولي السقاية والرفادة هاشم
وكان عبد شمس سفارا مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا وهو اول من سن الرحلتين
لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف وماول من اطعم الثريد بمكة المشرفة واسمه
عمرو وانما سمي هاشما لهشمه الخبز وثرده لقومه كما قال القائل

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت اليه الرحلتين كلاهما سفر الشتاء ورحلة الاضياف

ثم هلك هاشم بغزة من ارض الشام تاجرا فولي السقاية والرفادة اخوه المطلب بن
عبد مناف فكان ذا شرف وكرم وكان يسمى الفياض لسماحته وكرمه وفضله وكان
اصغر من عبد شمس فتوفي المطلب برومان من ارض اليمن وتوفي عبد شمس بمكة المشرفة
وتوفي نوفل بالعراق ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد وفاة عمه
قال ثم مكث مدة بعد عمه المطلب فاقام لقومه ما كانت تقيمه اباؤه من قبله وشرف
في قومه شرفا لم يبلغه احد من اباءه فاجله قومه وعظم خطره فيهم وكان اكبر اولاده
الحارث لم يكن لاول امره عزه وكان به يكنى فقال له عدي بن نوفل بن عبد مناف
يا عبد المطلب استطيل علينا وانت فذ لا ولد لك فقال له عبد المطلب او بالهلة
تعيرني فوالله لين اتاني الله عشرة من الولد لادخرن احدهم عند الكعبة فلما كمل عشرة
جمعهم ثم اجرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله تعالى بذلك فاطاعوه وقالوا وفت
بنذرك وافعل ما شئت قال لياخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم ايتوني ففعلوا
ودخلوا على هبل وهو صنم كان بعيد في جوف الكعبة فقال عبد المطلب لصاحب القداح
اضرب على هبل بالقداح فاعطاه كل واحد قدحه وكان عبد الله بن عبد المطلب
اصغرهم سنا واجملهم الى والده ثم ضرب صاحب القداح فخرج السهم على عبد الله فاخذ
عبد المطلب بيده واحد الشفرة ثم اقبل به على اساف وهو صنم كان على الصفا
ليذبحه عنده فجذب العباس عبد الله من تحت يد ابيه حتى اثر في وجهه شجة
فلم تزل في وجه عبد الله الى الممات فقامت قريش من انديتها وقالوا لين فعلت
هذا لا يزال الرجل ياتي بابنه فيذبحه فما يمنع الناس على هذا ولكن اعذر فيه

فنفديه باموالنا وكان بالجارية عرافة كاهنة لها تابع من الجن فانطلقوا اليه حتى
قدموا عليها وقص عليها عبد المطلب القصة وخبر نذره فقالت لهم ارجعوا عني
اليوم حتى يأتيني تابعي وساخبره فرجعوا من عندها ثم عادوا عليها فقالت لهم
كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت لهم قربوا انتم ولدكم عشرة من الابل
ثم اضربوا عليها وعليه فان خرجت على ولدكم فزيدوا عشرة اخرى واضربوا عليها
وعلى ولدكم واستمروا كذلك الى ان يخرج السهم عليها اى على الابل فانحروها عنه
فقد رضي ربكم وبحي ولدكم فرجعوا حتى قدموا مكة فقربوا عشرة من الابل واضربوا
القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمروا
يزيدون عشرة بعد عشرة حتى بلغت الابل مائة فخرج القدح على الابل فنحروها
ثم تركت لا يمنع من لحومها وسباعها ادمي ولا وحش ولا طير قال الزهري وكان
عبد المطلب اول من سن دية النفس مائة من الابل فجرت في قريش ثم نشأت في
العرب واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم **الثامن** بناء قريش للكعبة المشرفة قال الحافظ
الحفاظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد الصالحي في كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة
خير العباد وهو احسن كتاب للمتاخرين واسطة في السيرة النبوية ولبابه اجازة
عامة ان امراة عجرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة
المشرفة فاحترق كرسيها واحشاؤها ودخلها سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها
فاراد ان يشدوا بنيانها ويرفعوا بناءها حتى لا يدخلها الا قرشيا واذ ذاك
كان البحر قد رمى سفينة الى ساحل جدة لتاجر رومي اسمه بقوم بموحدة وقاف
مضمومة وكان نجارا بناء فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى جدة
فابتاعوا خشب السفينة وكلموا قوم الرومي ان يقدم معهم الى مكة فقدموا اليها
واخذوا اخشاب السفينة واعدوها لسقف الكعبة المشرفة قال الاموي كانت
هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع قوم الى
الكنيسة التي احرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت قرب مرسى جدة بعث الله عليها
ريحا فحطمتها قلت لا يعرف طريق بين بحر الروم والحبشة يمر فيها على جدة الا ان يكون
ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فجهز بما لا من بندر السويس والطور ونحو ذلك

فار

قال ابن اسحق وكان بمكة المشرفة قبطي يعرف بحر الخشب وتسويته فوافقهم ان يعمل لهم سقف
الكعبة المشرفة ويساعده باقوم في ذلك قال وكانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة
الشريفة لا يدنو منها احد الا كشت فيه وفتحت فاها وكانوا يهابونها ويزعمون انها
تحفظ الكعبة الشريفة وهدايا ما وان راسها كراس الجدي وظهرها وبطنها اسود وابيض
اقامت في البئر خمسمائة سنة وقال ابن عبلة فبعث الله سبحانه وتعالى طايرا فاختطفها
وذهب بها فقالت قريش نرجو ان يكون الله سبحانه وتعالى رضي لنا بما اردنا فعله
فاجمعوا امرهم على هدمها وبنيانها قال ابن هشام فتقدم عابد بن عمران بن مخزوم
وهو قال ابي البنى صلى الله عليه وسلم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى
رجع الى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من مالكم الا الحلال الطيب ليس
فيه مهر بغي ولا ربا ولا مظلمة ثم ان قريشا اقتسمت جوانب البيت الشريف فكان
شق الباب لبني زهرة وبني عبد مناف وما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني
مخزوم ومن انضم اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وكان شق الحجر
لبني عبد الدار وبني اسد بن عبد العزيز وبني عدي بن كعب وجمعوا الحجارة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الاساس فاضوا
الى حجارة خضر كالاسنمة فضربوا عليها بالمعول فخرج برق كاد ان يخطف البصر فانهوا
عند ذلك الاساس ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصم فيه القبايل كل
قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه وكادوا ان يقتتلوا على ذلك فقال لهم ابو امية
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفا مطاعا اجعلوا الحكم بينكم فيما
اختلفتم فيه لاول من يدخل من باب الصفا ففعلوا منه ذلك وكان اول من دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا محمد الامين وكان صلى الله عليه وسلم
قبل ان يوحى اليه يدعى الامين لامانته وصدقه فقالوا جميعا رضينا بحكمه ثم قصوا
عليه قصتهم فقال صلى الله عليه وسلم هلم الي ثوبا فاتي به فاخذ الركن فوضعه بيده
فيه عليه الصلاة والسلام ثم قال لياخذ كبير كل قبيلة بطرف هذا الثوب فحملوه
جميعا وانوا به وهو الى ما يحاذي موضعه فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم ووضعه في محله بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول هبيرة بن ابي وهب

المخزومى تشاجرت الاحياء فى فضل حطة ، جرت طيرهم بالنحس من بعد اسعد ،
، تلا قولها بالبغض بعد مودة ، واوقدنا بينهم شر موقد ،
، فلما رأينا الامر قد جد جده ، ولم يبق شئ غير سل المهند ،
، رضينا وقلنا العدل اول طالع ، لحى من البطحاء من غير موعد ،
، ففاجانا هذا الامين محمد ، فقلنا رضينا بالامين محمد ،
، بخير قريش كلها امس شيمة ، وفى اليوم مع ما يحدث الله فى غد ،
، فجاء بامر لم ير الناس مثله ، اعم وارضى فى العواقب والبد ،
، اخذنا باطراف الردآ وكلنا ، له حصة من رفعها قبضة اليد ،
، فقال ارفعوا حتى اذا ما علت به ، اكفهم وآنى به خير مسند ،
، وكل رضينا فعله وصنيعه ، فاعظم به من رأى هاد ومهتد ،
، وتلك يد منه علينا عظيمة ، نروح بها هذا الزمان ونغتدى ،

ولما بنت قريش الكعبة المشرفة جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعا بسعة اذرع زايدة على ما عمره الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ونقصوا من عرضها اذرعا من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التى اعدوها لعمارة الكعبة المشرفة ورفعوا بابها عن الارض ليدخل من شاؤا ويمنعوا من شاؤا وجعلوا من داخلها ست دعايم فى صفين ثلاث وفى كل صف من شق الحجر الى الشق اليمانى وجعلوا فى ركنها الشامى من داخلها درجة يصعد منها الى سطح الكعبة المشرفة **تنبيه** اختلف فى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة المشرفة فقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو اشهر الاقوال وروى عن مجاهد ان ذلك قبل المبعث بخمسة عشر عاما والذى جزم به ابن اسحق انه كان قبل المبعث بخمس سنين والله سبحانه وتعالى اعلم **التاسع بناء عبد الله ابن الزبير رضى الله عنه** للكعبة المشرفة بعد الاسلام وسيأتى تفصيل ذكره وما وقع له فى الباب **الثالث فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام** فى ايام الجاهلية وصدر الاسلام **العاشر بناء الحجاج** بن يوسف الثقفى بعد بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وسيأتى بيانه عقيب بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنه للكعبة المشرفة ان شاء الله تعالى وبناء الحجاج هو

جهة الميزاب والحجر بسكون الجيم ونقله جوف الكعبة الشريفة ورفع الباب الشريف

الذى فى لصق الملتزم وسد الباب الغربى الذى بلصق المستجاب لاغير وما عدا ذلك فى الجهات الثلاث وهو جهة الكعبة الشريفة وجهة ظهرها وما بين الركن اليمانى والحجر الاسود فهو بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنه باق الى الان كما ستذكره فى زيادة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فى المسجد الحرام وهدم الكعبة وبناها على قواعد ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام **فصل** فى تحلية الكعبة الشريفة وبابها الشريف بالذهب والفضة وما دليلها قال ابو الوليد الازرقى اول من حلى الكعبة الشريفة فى الجاهلية عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بالعزيين الذهب اللذين وجدتا فى بئر زمزم حين حفرها ثم قال واول من ذهب البيت الشريف فى الاسلام عبد الملك بن مروان وقال المسجى ما يقتضى خلاف ذلك فقال اول من حلى البيت الشريف عبد الله بن الزبير رضى الله عنه جعل على الكعبة المشرفة واساطينها صفايح الذهب وجعل مسامرها من الذهب وذكر الفاكهى ان الوليد بن عبد الملك بن مروان جعل الذهب على ميزاب الكعبة وذكر الازرقى ان الوليد بن عبد الملك بعث الى واليه على مكة المشرفة خالد بن عبد الله القسرى ستة وثلاثين الف دينار يضرب منها على باب الكعبة الشريفة صفايح الذهب وعلى ميزاب الكعبة الشريفة وعلى الاساطين التى فى جوف الكعبة الشريفة وعلى اركانها من داخل وذكر الازرقى ان الامين بن الرشيد ارسل الى عامله على مكة المشرفة وهو سالم بن الجحاج ثمانية عشر الف دينار ليضرب بها صفايح الذهب على باب الكعبة الشريفة فقلع ما كان على الباب الشريف من الصفايح وزاد عليها الثمانية عشر الف دينار وضربها صفايح استمرت على الباب الشريف وجعل سايرها وحلقتى الباب الشريف واعتابه من الذهب وذكر ايضا ان حجة الكعبة الشريفة ارسلوا الى المتوكل العباسى يذكرون له ان زاويتين من زوايا الكعبة الشريفة من داخلها بصفايح الذهب وزاويتين بصفايح الفضة والاحسن ان تكون كلها ذهبا فارسل المتوكل الى اسحق بن سلمة الصايغ بذهب وامره ان يعمل ذلك فكسر اسحق ثلاث الزوايا واعادها من الذهب وعمل عرضها ثلثا ذراع منطقة من فضة تركبها فوق ازار الكعبة الشريفة من داخلها عرضا وجعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه المنطقة قال وكان اسفل الباب عتبة من خشب ساج قد رثت وتاكلت فابدلها بخشب اخر فرد اليه صفايح من فضة قال اسحق الصايغ

فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية الاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب
من الفضة وما حلى به المقام من الفضة سبعون الف درهم وذكرات السيد تقي الدين الفاسي
ما وقع بعد الازرقي من عمارة البيت الشريف فقال من ذلك ان الحجة كتبوا الى
المعتضد العباسي ان بعض ولاة مكة المشرفة قطع ايام الفتنة عضادتي باب الكعبة
المشرفة وعيرها وسكبها دنانير واصرفها على ذوي الفتنة فامر المعتضد باعادة ذلك
جميعه فاعيدت كما اشاروا به قال ومن ذلك ان ام المقتدر الخليفة العباسي امرت على عمل
لولوان يليق جميع اصطوانات البيت الشريف ذهبا ففعل ذلك في سنة ثلثمائة وعشرة
قال ومن ذلك سئل الوزير جمال الدين بن علي بن منصور المعروف بالجواد وزير صاحب
مصر انفذ في سنة تسع واربعين وخمسمائة حاجبه الى مكة المشرفة ومعه خمسة الاف
دينار ليعمل بها صفائح الذهب والفضة في اركان الكعبة المشرفة من داخلها قال وممن
حلاه الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وحلاها حينئذ الملك المجاهد صاحب اليمن ايضا
ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر حلى باب الكعبة المشرفة الذي عمله
لها بخمسة وثلاثين الف درهم وان حينئذ الملك الاشرف شعبان حلت باب
الكعبة المشرفة في سنة ست وسبعين وسبعمايه انتهى ما ذكره التقي الفاسي قال وقد
ادركنا الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان يختلس من فضته اوقات الغفلة ممن قادته
وخفت يده الى ان انكشف سفل الباب الشريف عن خشب الباب ومسكه ازار من يفعل
ذلك وحبس وحقر فعرض ذلك على الابواب السلطانية في ايام المرحوم السلطان سليمان
اسكنه الله داريس الجنان في سنة احدى وستين وتسعمايه فرفع الامر الشريف السلطاني
بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى باب الحرم الشريف المقيم بمكة المشرفة في منصب نظارة
الحرم الشريف يومئذ وهو من فضل بكتة مصر احمد جلبي المقاطعجي صهر المرحوم محمد بن سليمان
دفن دار مصر اذ ذاك وكان له شعر لطيف بالتركي ومخلصه نيركاوي تمنا جامي وترجم بالتركي
كتاب روضة الشهداء للملا جامي وضمنه من لطايف النظم والنثر ما يستحسنه الطبع ومن
يحاسن السجع ما يخف على السمع وهو كتاب مقبول متداول بين اللطفا وكان وصوله
الى مكة المشرفة في افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمايه وكان في البيت الشريف حينئذ
من اخشاب سقفه الكسرات وصار الماء ينزل من موضع الكسر الى جوف البيت الشريف وكان قائم

مصر

مصر يومئذ قدوة العلماء العظام حامد افندي وهو اليوم مفتي ممالك الاسلام بالباب العالي اطال الله
عمره المديد وادام بقاه السعيد فحج الى بيت الله الحرام وقاضي مكة المشرفة يومئذ المرحوم مولانا محمد
ابن محمود المعروف بخوجه قنني اسكنهما الله فسيح الجنان وحف تربتهما بالروح والريحان فاطلعا على
هذه الاختلال وعرضاه على الابواب الشريفة السلطانية فلما وصل العرض الى المرحوم السلطان
سليمان بواه الله غرف الجنان ارسل الى مفتي الاسلام سلطان العلماء الاعلام مولانا ابي السعود
افندي المفتي الاعظم قدس الله روحه وكرمه يستفتيه عن حكم الله تعالى في هذه المسئلة جوازا وعدم
جوازا فلما اليه بجواز ذلك ان دعت الضرورة اليه فارسل جواب المفتي الاعظم الى صاحب مصر
يومئذ الوزير المعظم سنان باشا المرحوم فارسله الوزير المذكور الى الحرم الشريف المشار اليه
وقاضي مكة المشرفة يومئذ مع امر شريف سلطاني مضمونه العمل بمقتضى الفتوى فجمع احمد جلبي مون
والاخشاب اللايقة لذلك العمل وكان كاتبه صولي مصطفى جلبي ومعماره مصطفى المعمار وقتل
الشروع في العمل اقتضى رايهم مشاورة العلماء في ذلك فجلس مولانا محمد افندي بن محمود بن كمال
بعد صلاة الجمعة لاربع عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمايه في الحرم
الشريف واستحضر مفتي علماء الشافعية المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي ومولانا
الشيخ نور الدين علي بن ابراهيم العسيلي ومولانا القاضي يحيى بن قايز بن ظهيره ومولف هذه الكتاب
وتفاوضوا في هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار انه شاهد عودين من اعواد سقف الكعبة المشرفة
مكسورين نزلا عن محاذاة بقية اخشاب السقف الشريف من وسطهما معدارا ثنى عشر قيراطا وذكر
ان عودا ثالثا الى جانبهما الى نحو الباب الشريف نزل ايضا تسعة اصابع عن محاذاة اعواد السقف الصحيحة
هبوطا الى اسفل وانه يحتمل ان يكون مكسورا وان يكون صحيحا لكنه اعوج باعوجاج ما الى جانبه من
العود المكسور وشهد معه المعلم احمد الحميماتي المصري وعزه وذكروا بانه ان لم يتدارك تغيير الخشب
المكسور بخشب صحيح فالغالب من امثال ذلك ان يسقط الى اسفل وتزعزع الجدران بسقوطه
ويغلب في الظن اختلال في جوانب السطح يؤدي الى سقوط السقف جميعه وتشقق الجدران
وسقوطها فاتفقت اراء الحاضرين على الاقدام على تغيير السقف وتبديل تلك الاعواد وعينوا
ان يشرعوا صبح يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمايه فنقصب
طايفة حركيم كهمو والعرض بحاله فقدما رايا صوابا وحركوا طايفة من العلماء الى الكلاف وزعموا
ان من تعظيم البيت الشريف ان لا يتعرض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة الشريفة

هذه المدة المديدة والرياح تنسفها من الجوانب الاربع ولا يضرها دليل على ان قيامها
ليس بقوة البنا بل بقدرة الله سبحانه وتعالى وانه لا يجوز تغيير احجارها الا اذا
سقطت بنفسها وغير ذلك من التمويهات والتهويلات التي يتنزه عن مسامع
العقلاء وهولوا الامر على عوام الناس وغوغائهم وحان ان يقوم لذلك فتنة
من العوام فكتب مولانا الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر تاليفا واسعا في الرد على
اوليك المعاندين واستند الى نقول كثيرة وضم على الجوازات وجاني بحرضني على الشاش
على ما صدر مني من القبول للجوازات ونقل لي عن المحب الطبري في كتابه استقصاء البيان
في مسئلة الشاذروان بعد ذكره حديث عائشة رضي في هدم الكعبة الشريفة ما
نصه وقد دل هذا الحديث تصريحا وتلويحا انه يجوز التغيير في الكعبة لمصلحة ضرورية
او حاجة مستحسنة ولما بلغ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي السيد الشريف شهاب
الدين احمد بن ابي نمي صاحب مكة المشرفة اذ ذاك نعمده الله تعالى برضوانه واسكنه
فسيح جنانه حضر بنفسه من البر الى مكة المشرفة وسيدنا سلطان الاعلام شيخ الاكرام
شمس الملة والدين الشيخ محمد بن مولانا الشيخ ابي الحسن البكري نفعنا الله به وبامثاله
الكرام وشد به ازر شريعة سيد الانام عليه افضل الصلاة واتم السلام ومولانا
الافندي الاعظم قاضي مكة المشرفة ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة ومرجع اهل
بلد الله الحرام القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن يعقوب المالكي طيب الله ثراه وجعل
الفردوس الاعلى ماواه وناظر الحرم الشريف يومئذ احمد جلبي المذكور فحضروا جميعا
بحاه البيت الشريف عند مقام سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة واتم التسليم
واشار الى مولانا الشيخ محمد البكري ان يلقي درسا يتكلم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فتكلم على ذلك
عادة بلسان طلق فصيح ولفظ منتظم مليح ابهر به الحاضرين واذهل الناظرين
واقاد واجاد وقلد نقاب الدر الاجياد فلما انقضى الدرس اخرج الناظر فتوى
المفتي الماسي قراها الشيخ محمد البكري فقال ومن يخالف هذا من الناس هذا هو
الصواب ومحض الحق قاله مولانا الشيخ العمال بالشروع في العمل فشرعوا وسكنت
الفتنة ولله الحمد وكل ذلك كان بتدبير المرحوم القاضي تاج الدين المالكي ثم توفي

في سنة تسع وستين وتسعمايه ولما كشف عن ثلث الاعواد في السقف الشريف وجدوها
مكسورة فاظنوا فابدلوها باعواد جديدة في غاية الاحكام والاستقامة واعادوا السقف
والسطح كما كان بغاية الاتقان وبسط ثواب ذلك في صحايف المرحوم السلطان سليمان
عليه الرحمة والرضوان ثم بعد الفراغ طلبوا مني شيا يمكن كتابته نكتبت لهم كلاما يتضمن
التاريخ وهو الحمد لله الذي عمر الكعبة الشريفة بالشرايع المحمدية فعدت وهي البيت المعمور
حسا ومعنى وشيد قواعد ملته من جدد سقفها تشييد واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا واصلح الوجود بوجود من وجد فيها جدا ابر بدان ينقض
قائمه وخصه بكنز انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر فكان له بذلك عظمة
وكرامه وانا له الحظ الاوفر من ملك سميه نبي الله سليمان بن السلطان سليم خان الخامس
عرش ملوك بني عثمان خادم الحرمين الشريفين الحافة الوية نصره ورايات ظفره
في الخافقين فلقد جدد سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور
والسقف المرفوع واصلح ارضها المقدسة وجدرها المتخذة قبلة للركوع والسجود
وعزز طرائقها بجديد عمارة على عضون حساب اجد فكان مجدد سطح بيت الله مالك
الدول سليمان ملكه الله الارض ومن عليها وجعل باب سعادته قبلة تسجد جباه
المطالب اليها ثم لما فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلق به شرع في تسوية
فرش المطاف الشريف فان الحجارة انفصلت وصار بين كل حجر وحجر حفر وكانت
تلك الحفر تسد تارة بالنورة وتدك تارة بالرصاص وتسمر بمسامير الحديد فازال ما
بين الاحجار من الحفر وتحت طرف الحجر الى ان التصقه بطرف الحجر الاخر من جوانبه الاربع
واستمر في فرش المطاف الشريف على هذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك واصلح
ابواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالجص ومر الحكم السلطاني بتصفيح الباب
الشريف بالفضة فاخرجوا جميع فضة الباب الشريف وزادوا عليها فضة وجعلت
صفايح وصلح منها باب الكعبة الشريفة وسمرت الصفايح بمسامير الفضة واعيدت الحلقات
الاربع على الباب الشريف واصلح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب
الى ان عن بعد ذلك وعمل الميزاب في الباب السلطاني مصفحا بالذهب وارسل الى بها
فوضع موضع الميزاب الذي كان في الكعبة الشريفة وجهز للباب الحافاني فوصل ووضع

في الخزينة العامرة واما عمارة المطاف الشريف فوقع في سنة احدى وسبعين وستمايه وكتب قد
امرت بتاريخ كتبت على بعض مواضع المطاف فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم ان اول بيت وضع للناس
للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا تقرب الى
الله تعالى بتجديد فرش اجار المطاف وتسويتها تحت اقدام الطائفين بالمطاف وتحلية الباب
الشريف والميزاب المعظم المنيف خليفة الله الاعظم وسلطان الروم والعرب والعجم من اصطفاه
الله تعالى واجتباه لتعمير بيته الحرام واختاره واقتضاه لخدمة الركن والمقام السلطان الملك
المظفر ابو الفتوحات سليمان خان تقبل الله منه صالح الاعمال وبلغه ما يؤمله من السعادة في الحال
والمآل وقد مر بنا التاريخ بطوله فيما تقدم عام الله قبلنا **فصل** في ذكر معاليق الكعبة المعظمة وكسوتها
اما المعاليق فقال المسعودي في مروج الذهب كانت الفرس تهدي الى الكعبة الشريفة اموالا
وجواهر في الزمان الاول وكان ساسان بن بابك اهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا
وذهبا كثيرا الى الكعبة الشريفة وقال الشريف التقي الفاسي في شفاء الغرام يقال ان كلاب
ابن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي اول من علق في الكعبة
الشريفة السيوف المحلاة بالذهب والفضة وصيره للكعبة الشريفة ثم نقل عن الازرقي
اشياء اهديت للكعبة الشريفة منها ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما اهدى
اليه هل الان نبعث بما فعلناها في الكعبة ونبعث السماح بالقصعة الخضراء فعلقت في
الكعبة الشريفة ونبعث المامون بالياقوتة التي تعلق في كل موسم بسلسلة من الذهب في وجه
الكعبة المشرفة ونبعث المتوكل على الله بسلسلة من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت
الرفيع والزبرجد تعلق في سلسلة من الذهب في وجه البيت الشريف في كل موسم وأهدى
المعظم العباسي قفل لباب الكعبة الشريفة فيه الف مثقال ذهبا في سنة تسع عشرة
ومايتين وكان والي مكة المشرفة يومئذ من قبل صالح بن العباس فاتى الحجبة ليسلمهم
القفل فابوا ان ياخذوه منه واراد ان ياخذ القفل الاول ويرسل به الى الخليفة فابوا
ان يعطوه ذلك وتوجه الى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة الشريفة عليها
واعطاهم القفل الذي كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم وذكر الفاسي ان مما اهدى الى الكعبة
المشرفة طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت مع ياقوتة كبيرة حضر الرسل به سنة
لما اسلم في سنة مايتين وتسع وخمسين فعرض امره على المعتمد على الله وبعثه احمد الموفق

باسه بن اخي المعتمد على الله فامر بتعليقه في البيت الشريف فعلقتا قال الشريف التقي الفاسي
ومما علق بعد الازرقي قصبة من فضة فيها كتاب بيعة جعفر بن امير المومنين المعتمد على
الله وبيعة ابي احمد الموفق باسه بن اخي المعتمد على الله قدم بها الفضل بن عباس في موسم
سنة احدى وستين ومايتين وكان وزن القصبة ثلثماية وستين درهما فضة وعليها
حاجز عن ذلك ثلثة ازرار سلسلة سلسل من فضة ودخل الكعبة يوم الاثنين الرابع
ليال خلون من صفر فعلق هذه القصبة مع معاليق الكعبة قلت وسياتي ان هرون
الرشيد كتب ان يكون ولي عهده من بعده محمد الامين ثم عبد الله المامون وبايع لهما على
ذلك اعيان مملكته وكتبا بما يعتمدانه وارسل نسخة ذلك وعلقها في الكعبة الشريفة ثم لما
وقع بعده الاختلاف بينهما وارسل الامين عسكر القتال اخيه المامون ارسل الى مكة المشرفة
واخرج كتاب العهد من الكعبة الشريفة ومزقه فمزق الله ملكه وانكسر عسكره وانتصر المامون
وجاء الى بغداد وحاصر الامين الى ان اسكنه عبد الله بن طاهر وقتله واتى براسه الى المامون
وسياتي تفصيل ذلك جميعه ان شاء الله تعالى لما وقعت الفتن بمكة المشرفة اخذت تلك
المعاليق من الكعبة المشرفة فتحرقت في ذلك الامر وقد كانت الملوك ترسل تعاديل الذهب
وتعلق في الكعبة الشريفة وكانت سدنة البيت الشريف اذا احتاجت اختلست منها ما
يسد به خللها وتدفع به فقرها واحتياجها وقد ادركناه في ايام الصبي وقد خفت القناديل
وادركنا من شيوخ الكعبة المشرفة من كان يتيم بذلك بل اخبرني رجل بكاريانه عمل احدهم
محطاما كبيرا من الذهب مرجانا من علة اعواد طوال كل واحد منها كحوذراع تركب فتطول
ثم تفك وتحمل في الكم فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة الشريفة ابتدا فدخل وحده كما هو عليه
مشايخ الكعبة المشرفة وهب ذلك المحطاط ونزل قنديل وفك تلك الاعواد وعفس
ذلك القنديل ووضعه في محله الواسع ثم اذن للناس في الدخول الى البيت الشريف
وما كان يحمله على ذلك عز فقره واحتياجه بخلاف ما يستحيانه عند وافقدرة امير من
امراء مكة قنديل كان علق قريبا في البيت الشريف فتكلم على ذلك شيخ واراد اهانته
فلم يقدر على ذلك فتكلم الناس عليه وكان يقول المحافظة على بنية الانسان اوجب
من المحافظة على قناديل معلقة في الكعبة الشريفة لا ينفعها تعليقها ولا يضرها فقدها
وقد وصلنا الى هذه المخمصة فنعذر في ذلك ان وقع نعلم ما والبيت الشريف الان

وسلم والشكر في غاية الصون في ايام هذا الشيخ الموجود لعفته وامانته علقت في
قناديل كبيرة اهدايا الملوك الى الكعبة الشريفة وهي محفوظة معلومة عند الناس
باقية يرونها في سقف البيت الشريف اوقات فتح الكعبة المشرفة لسائر الناس وقد
وصل في وسط سنة اربع وتسعين وتسعمايه من الباب الشريف العالي السلطاني
جاويش اسمه محمد كان قبل ذلك كاتبا للحرم الشريف على عمارة المسجد الشريف وكان
توجه ببشارة اتمام عمل المسجد الشريف الى الباب العالي السلطاني وهو رجل في غاية
الامانة والاستقامة وحسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحسن الخط والمروة وعلو الهمة
فاقبلت عليه السلطنة نضرها الله تعالى وانعمت عليه بانواع الانعام والتهاني وعزل ذلك
من الاكرام وصار في عداد خواص جاويشية الباب العالي وارسل الى الحرمين الشريفين
بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف في هذه العمارة اجلهم سيدنا
ومولانا المقام الشريف العالي سيد السادات الاشراف وصفوة الصفوة من شرفاء
بني عبد مناف السيد الشريف الحسيب النسيب المستغني بشرف ذاته عن التوصيف
والتلقيب بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن بن ابي نمي خلد الله تعالى دولتهما وسعادتهما
وادام عزهما وسيادتهما وكذلك شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء الاعلام وسند
الفضلاء الكرام ناظر المسجد الحرام ومدرس اعظم مدارس اعظم سلاطين الانام
صفوة نخبة ال سيد المرسلين عليه افضل الصلاة والسلام وقاضي المدينة المنورة
سابقا بدر الملة والدين مولانا السيد حسين الحسيني المكي المالكي لازال الحرم الله
الامين مشمولا في ايام نظارته بالعز والتكريم واهل الحرمين الشريفين عامرقين في
بحر احسانه كل وقت وحين امين وكذلك لقاضي مكة المشرفة يومئذ اقضى قضاة
المسلمين اولي ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين وارث علوم الانبياء والمرسلين
مولانا مصلح الدين لطفي بيت زاده ذكره الله بالصالحات وافاض عليه سوابغ الخيرات
وكذلك لامين العمارة الشريفة افتخار الامراء العظام معمر المسجد الحرام الامير احمد
وفقه الله سبحانه وتعالى وجهزت ايضا السلطنة الشريفة نضر الله تعالى بهما الاسلام وايد
وايد بتاييده ما دين سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام مع الجاويش المشار اليه
ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها في سقف بيت الله الحرام

زاده

زاده الله تعالى تشريفا وتعظيما والثالث في الحجرة الشريفة النبوية بحاذاة الوجه
الشريف النبوي تعظيما لسيد الانام على ذلك الوجه المليح تحية مباركة من ربنا
وسلام فلما وصل محمد جاويش المذكور الى مكة المشرفة بما في يده من الخلع وبما في
يده من التشاريف والقناديل المعظمة قوبل بغاية الاجلال والتعظيم وعومل بنهاية
الاحترام والاقبال والبس الخلع الشريفة الفاخرة وانعم عليه بالصيافات والانعامات
الوافرة وحضر الى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي
السيد حسن المشار اليه حضرة العالية ادام الله عزه واقباله ومعه اكابر السادات الاشراف
وجلس في الخط الكريم بحاذاة بيت الله العظيم ومعه سيدنا ومولانا ناظر الحرم الله
سبحانه وتعالى شيخ مشايخ الاسلام السيد القاضي حسين الحسيني المومى اليه
خلد الله عظمته واجل له عليه وباقي من ذكرنا وسايرالاعيان والاشراف وكافة العلماء
والفقهاء والموالي واجتمع الناس حول الكعبة الشريفة وامتلا الحرم الشريف بذلك
الموكب المنيف وفتح باب بيت الله الحرام واحضرت الخلع الشريفة السلطانية والقناديل
السنية الخاقانية وقربت المراسيم الشريفة المطاعة في الاقطار والجهات فوقف
منبر لطيف بصوت جوهري يسمعه الخاص والعام والتمس سيدنا ومولانا السيد حسن
خلعتين فاخرتين ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة ثم طاف السيد حسن
المشار اليه بالبيت الشريف بخلعتيه على المعتاد والرئيس والموذنون يدعون للسلطنة
الشريفة وله جلوة زمزم والناس رافعون اكفهم بالدعاء الى ان فرغ السيد الشريف من
الطواف ودعا بالملتزم الشريف ثم صلى ركعتي الطواف عند مقام ابراهيم على نبينا وعليه
الصلاة والسلام ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقية الاعيان الى بيت الله
الحرام ودخلوا الكعبة الشريفة واحضرت القناديل واختارها لهما مكانا عاليا يقع نظر
الداخل الى بيت الله الحرام في اول دخوله الى الكعبة الشريفة عليهما واحضر سلم يصعد
عليه فعلقهما السيد الشريف حسن بيده تعظيما لامر السلطنة وقربت الفوانيس
في الكعبة الشريفة وحولها ودعا الناس اجمعون ورفعت اصواتهم بالدعاء الى الله
سبحانه وتعالى يتضرعون الى الله سبحانه وتعالى بدوام هذا السلطان الاعظم السلطان
العالم خلد الله ملكه قاهر الظاهره وايد ايام سلطنته الفاخره وجعله بين سرادق

الدنيا والاخرة ثم انفض ذلك المجلس العظيم وانقضى ذلك الموكب الوسيم وكان يوما شريفا
مشهودا ووقتا بهاركما ميمنا مسعودا رقمته الليالي والايام في صحائف اوراقها واثبتته
في جرايد مآثرها واطباقها واما المزار حديثا بعده فلكن حديثا حسنا لمن روى
ثم توجه محمد جاويش المذكور بالقنديل الذي بقي معه الى المدينة النبوية المنورة ووصل الى
تلك الروضة الشريفة المطهرة واجتمعت له اكابر المدينة الشريفة واعيانها وعلمائها
وصلحائها واماثلها وشيخ حرمها ونوابها ومن له شان وقدر من مجاوريها وسكانها
فعمل موكب عظيم في الحرم الشريف النبوي وفتحت الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها افضل
الصلاة واتم السلام وعلق ذلك القنديل بحذاء الوجه الشريف النبوي على افضل الصلاة
واتم السلام وقربت الفواتح وحصل الدعاء من سايرجيران سيد الانام عليه افضل التحية
واتم السلام بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان العالم خلد الله ملكه السعيد
وايد معدلته وفضله واحسانه المزيد فالله تعالى يديم ويطيل عمره ويسعده ويوفقه للخيرات
ويرشده ويوفقه للاعمال الصالحة من اعمال الخيرات ويسدده وهو اول من علق قناديل
الذهب في الحرمين الشريفين من سلاطين العثمان خلد الله سلطنتهم وايد دولتهم الى
انتهاء الزمان وقد سبق بهذه المنقبة الشريفة اباه السلطان العظام وفاتحة هذه
المزية الكريمة اجداده واسلافه الكرام لا تزال تتعاقبها رسلا طين العالم وخلفا يها وتراثيا
باء قدام اقدام عزمهم هام ملوك الدنيا وعظمايها وفي ذلك يقول القايل

هو العادل الظالم للمال والعدى ... حزاينه قد اقفرت وديارها
عليم بنوباته ينظر قلبه ... فلم يغن اسرار القلوب استتارها
به دمراته الصليب واهله ... به ملة الاسلام عال منارها

فصل في ذكر كسوة الكعبة الشريفة قديما وحديثا وحكم بيعها وشرائها والتبرك بها
ذكر الازرقي وابن جريج ان اول من كسى الكعبة المشرفة تبع الحميري من ملوك اليمن في
الجاهلية تعظيما لها واسمه اسعد وانه بلغه في منامه انه يكسو الكعبة فلما
الانطاع ثم رأى انه يكسوها فلما ما حج اليمن وجعل لها بابا يغلق وقال اسعد في ذلك

وكسونا البيت الذي حرم الله ... ملاء مقصبا وبرودا
واقمنا به من الشهر عشرا ... وجعلنا لبابه اقليدا

وخرجا منه الى حيث كنا ... ورفعنا لواءنا المعقودا

قال الازرقي ايضا حدثني جدي حدثنا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة قال كان
يهدى للكعبة المشرفة هدايا شتى من اكسية وحجرة انماط ويكسى به الكعبة الشريفة فاذا
بلى شيء منها جعل فوق ثوب اخر ولا ينزع مما عليها شيا وكانت قريش في الجاهلية ترفد
كسوة البيت الشريف فيضربون على القبايل بقدر احتمالهم من عهد قصي بن كلاب حتى
نشأ ابو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان مترايحا في المال فقال لقريش انا
اكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قريش
العدل لانه عدل قريشا وحده في كسوة البيت الشريف ويقال لبنيه بنو العدل وقال
ايضا حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن اسمعيل بن ابراهيم بن ابي حبيبة عن ابيه قال
كسى النبي صلى الله عليه وسلم البيت الشريف الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضي
القباطي وكان يكسى الديباج بعد ذلك وقال ايضا حدثني جدي قال كانت الكعبة الشريفة
كل سنة تكسى كسوتين فتكسى اول الديباج فيصايد عليها يوم التروية ولا يحاط
ويترك الازار حتى يذهب الحاج ليلة يخرقونه فاذا كان العاشر علقوا عليها الازار
واوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها الى يوم السابع والعشرين من شهر رمضان
فيكسوها الكسوة الثانية وهي من القباطي فلما كانت ايام خلافة المامون امر ان تكسى
الكعبة الشريفة ثلاث مرات في كل سنة فتكسى الديباج الاحمر يوم التروية وتكسى
القباطي اول رجب وتكسى الديباج الابيض في عيد شهر رمضان واستمر على ذلك ثم
انهى اليه ان الازار الذي تكسى به الكعبة المشرفة في العاشورا ويلصق بالقميص الديباج الاحمر
الذي تكسى به يوم التروية لا يصير الى تمام السنة وانه يحتاج الى ان يجدد لها ازارا على عشر
شهر رمضان مع قميص الديباج الابيض الذي تكسى به على العيد فامر ان تكسى ازارا اخر
على عشر شهر رمضان ثم تبع المتوكل على الله ان الازار يبلى قبل شهر رمضان من كثرة
مس ايادي الناس فزاد ها ازارين وامر باسبال قميص الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل
فوقه في كل شهرين ازارا وذلك في سنة اربعين ومايتين ثم بعد الخلفاء العباسيين
وايام ولهم وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة
من قبل سلاطين اليمن بحسب قوتهم وضعفهم الى ان استمرت الكسوة الشريفة من سلاطين

مصر الى ان اشترى السلطان الملك الصالح بن الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر وقفهما
على عمل كسوة الكعبة الشريفة اسمها بيسوس وسندبيس ثم استمرت سلاطين مصر من بعده
ترسل كسوة الكعبة الشريفة في كل عام وكانوا يرسلون عند تجديد كل سلطان مع
الكسوة السوداء التي تكسى من جانب البيت الشريف كسوة حجر الداخل البيت الشريف
وكسوة خف الكعبة الشريفة البنوية على ساكنها افضل الصلاة واتم السلام مكتوب
على كل من الكسوة السوداء والحجر والخف الا الا الله محمد رسول الله دالات في قوائم
وقد تزاد في حواشي تلك الدالات ايات اخر مما سبقت او اسماء اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم او تركت سادجة بحسب ما يومر به النساج فلما آلت سلطنة ممالك العرب
الى سلاطين آل عثمان خلد الله ايام سلطنتهم القاهرة ما دام الدوران ودام الزمان
واخذ المرحوم السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان مملكة العرب
من الجركسة بالسيف والسنان جهزت كسوة البيت الشريف داخلا وخارجا وكسوة
المدينة المنورة الشريفة على ما جرت به العادة وامر باستمرار الكسوة السوداء الكعبة الشريفة
على الوجه المعتاد ولما آلت السلطنة العظمى الى المرحوم السلطان سليمان خان امر باستمرار
الكسوة الشريفة على عوايدها السابقة ثم بلغه ان قريتي بيسوس وسندبيس الموقوفتين
على كسوة الكعبة الشريفة خربتا وضعف ريعهما عن الوفاء بمصرف الكسوة الشريفة
فامر ان تحمل من الخزاين السلطانية بمصر ثم اضاف الى تلك القريتين الموقوفتين قريتين اخر
اوقفهما على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفا عاما ايضا مستمرا وذلك مما اعظم مزايا
السلاطين العظام الذين يفتخرون بها على ملوك الانام ولا يصل الى ذلك الا الاعظم السلاطين
العظام الفخام وهي الآن من خصوصيات سلاطين آل عثمان زين الله تعالى بمزايا هم اجياد
الليالي والايام وخلد ذكر محاسنهم في صحائف دائرة الدهر الى يوم القيام ان شاء الله تعالى الملك
العلام امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم واما نزع كسوة الكعبة الشريفة
وتقسيمها بين الناس فقد ذكر الازرقي قال حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن ابي نجيح
عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضه كان ينزع كسوة البيت الشريف في كل سنة فيقسمها
على الحاج وقال ايضا حدثني جدي حدثنا عبد الجبار بن الورد المكي قال سمعت ابن ابي
مليكة يقول كان على الكعبة المشرفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فلما

كسيت

كسيت في الاسلام من بيت المال خفقت عنها ثلاث الكساوي شيئا فشيئا وكان اول من
اظاهرها بكسوتين عثمان بن عفان رضه فلما كان ايام معاوية رضه كساها الديباج مع
القباطي ثم انه بعث اليها كسوة ديباج وقباطي وجرام شيبة بن عثمان ان يجرد
الكعبة الشريفة من الكساوي ويخلقها بالطيب ويلبسها ما جهزه اليها فجردها وطيب
جدرانها بالخلوق وكساها ثلاث الكسوة التي بعث بها معاوية رضه وقسم الثياب
التي كانت عليها في اهل مكة وكان عبد الله بن عمر رضه حاضرا في المسجد الحرام فما انكر ذلك
فلم كراهة قال وكانت شيبة تكسوها حتى يراى على امراة حايض من كسوتها فما
انكر ذلك عليها وقال ايضا حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن عبد الحكيم بن عبد الله
ابن ابي فروة عن هلال بن اسامة عن عطاء بن يسار قال قدمت مكة المشرفة معتمرا
فجلست الى عبد الله بن عباس في صفة زمزم وشيبة بن عثمان يجرد الكعبة الشريفة
ورايته يخلق جدرانها ويطيبها ورايت ثيابها التي جردها عنها قد وضعت بالارض
ورايت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها فلم ار ابن عباس رضه ينكر شيئا من ذلك
مما صنعه شيبة بن عثمان وقال ايضا حدثني جدي حدثنا ابراهيم بن محمد بن يحيى حدثنا
علقمة عن امه عن ام المومنين عايشة رضه ان شيبة بن عثمان دخل عليها وقال يا ام
المومنين كرهت ثياب الكعبة عليها فتجردها من خلقانها وحفر لها حفرة تدفن فيها
ما يلي منها ليلا تلبسها الحايض والجنب فقالت له عايشة رضه ما اصبت فيما فعلت
فلا تعد الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من
حايض ولا جنب ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله وابن السبيل ومذهب علمايا
في ذلك رجوع امره الى السلطان والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك قال الامام
فخر الدين قاضيخان في كتاب الوقف في فتاواه ديباج الكعبة الشريفة اذا صار
خلقا يبيعه السلطان ويستعين به في امر الكعبة الشريفة لان الولاية فيه للسلطان
لا للعزبة وفي تتمة الفتاوى عن الامام محمد في ستر الكعبة الشريفة يعطى منه انسان
فان كان ثياله ثمن لا ياخذه وان لم يكن له ثمن فلا باس به قال الامام نجم الدين الطرسوسي
في منظومة
وما على الكعبة من لباس ان برث جاز بيعه للناس
ولا يجوز اخذه له بلا مرا للاغنيا لا ولا للفقرا

وقال الامام الفقيه ابو بكر الحداد في السراج الوهاج لا يجوز قطع شيء من كسوة الكعبة الشريفة ولا نقله ولا بيعه ولا شراؤه ولا وضعه بين اوراق المصحف ومن حمل شيئا من ذلك فعليه رده ولا عبرة بتوهم الناس انهم يشترون ذلك من بني شيبة فانهم لا يملكونه فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها قالا لا يبيع ذلك ويجعل ثمنه في سبيل الله انتهى وقد ورد في الحديث الصحيح لولا حداثة قومك بالكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله وقال القرطبي من علماء المالكية كنز الكعبة المال المجتمع مما يهدى اليها بعد نفقة ما تحتاج الكعبة الشريفة اليه وليس من كنز الكعبة الشريفة ما تحلى به من الذهب والفضة لان حليها جلس عليها لحفرها وقناديلها فلا يملكها احد انتهى وقال الزركشي من علماء الشافعية في قواعده قال ابن عبد السلام امتنع من بيع كسوة الكعبة الشريفة واوجب رد ما حمل منها شيأ وقال ابن الصلاح ما يحلى به رأى الامام والذي يقتضيه القياس ان العادة استمرت قديما بانها تبدل كل سنة ويأخذ بنو اسيبة تلك العتيقة يتصرفون فيها بالبيع وغيره ويقرهم الائمة على ذلك في كل عصر فلا تردد في جوازه والذي يظهر لي ان لكسوة الكعبة الشريفة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فامرها راجع لمن يعطيها من قبله لمن شاء من الشيبيين او غيرهم وان كانت من اوقاف المسلمين وغيرهم فامرها راجع الى شرط الواقف فيها فمتى لم يعينا له وان جهل شرط الواقف فيما عمل فيها بما جرت به العوايد السابقة كما هو الحكم في سائر اوقاف وكسوة الكعبة الشريفة ان من اوقاف السلاطين ولم يعلم شرط العامل فيها وقد جرت عادة بني شيبة انهم يأخذون لنفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيتبعون على عادتهم فيها والله سبحانه وتعالى اعلم وللعلماء المتاخرين رسايل في حكم كسوة الكعبة الشريفة لم يتيسر لي الان الوقوف على شيء منها والله سبحانه وتعالى اعلم

الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الاسلام وبيان ما احدث فيه من التوسيع والزيادة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزمن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وزمن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وهدم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بناء قريش للكعبة الشريفة واعادتها على قواعد ابراهيم عليه السلام على نبينا وعليه الصلاة والسلام ثم هدم الحجاج جانب الميزاب من الكعبة الشريفة واقامتها على ما ابتدته قريش في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه الشريف اعلم ان الكعبة

الشريفة

الشريفة لما بناها ابراهيم على بنينا وعليه الصلاة والسلام لم يكن حولها دور ولا جدار واستمرت كذلك في ايام العمالقة وجرهم وخزاعة لا يسكن احد ان بني كعبة دارا ولا جدارا حرما للكعبة الشريفة فلما آل امر البيت الشريف الى قصي ابن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة الشريفة كما تقدم بيانه جمع قصي قومه وازن لهم ان يبنوا بمكة المشرفة حول الكعبة المشرفة بيوتا من جريدا تهم الاربع وكانوا يعظمون الكعبة الشريفة ان يبنوا حولها بيوتا او يدخلوا الى بمكة المشرفة على جانبها وكانوا يقيمون بها نهارا فاذا امسوا خرجوا الى الحل فقال لهم قصي ان سكنتم حول البيت الشريف يا معشر الناس ولا تستحي قبايلكم والمحكوم عليكم وبنو عمومتكم الذود عنه من الجانب الشامي كما تقدم بيانه ويقال انها مقام الحنفية الذي يصلي فيه الان الامام الحنفي الصلوات الخمس وقسم قصي باقي الجهات بين قبايل قريش فبنوا دورهم وشرعوا ابوابهم الى نحو الكعبة الشريفة وتركوا للطايفين مقدار المطاف الشريف بحيث يقال ان القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت الى حاشية المطاف الآن وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا فيه باب يسلك منه الى بيت الله الحرام ثم كثرت البيوت واتصلت الحرم من البنى صلى الله عليه وسلم فولد صلى الله عليه وسلم على اشهر الاقوال بشعب بني هاشم بقرب المحل المسمى الآن بشعب علي وكان عليه الصلاة والسلام يسكن دار سيدة النساء خديجة الكبرى رضي الله عنها ثم لما ظهر الاسلام وولي المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمان خليفته ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم زاد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأى ان يزيد في المسجد الحرام فاول زيادة زيدت في المسجد الحرام زيادة فيما بذكرها فنقول روينا انسند المذكور سابقا في المقدمة عن ابي الوليد الازرقي قال اخبرني جدي قال اخبرنا مسلم عن خالد عن ابن جريج قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدران يحتط به وانما كانت دور قريش محدقة به من كل جانب غير ان بين الدور ابوابا يدخل الناس منها الى المسجد الحرام فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضاق المسجد بالناس لزم توسيعه فاشترى دورا حول المسجد وهدمها وادخلها في المسجد ونقبت دورا احتيج الى ادخالها في المسجد والى صحابها من بيعها فقال

لهم عمر رض انتم نزلتم فى فناء الكعبة وبيتم بدورا ولا تملكون فناء الكعبة ومنازلات الكعبة
فى سوحكم وفنائكم فقومت الدور ووضع ثمنها فى خوف الكعبة الشريفة ثم هدمت واد خلت
فى المسجد ثم طلب اصحابها الثمن فسأل لهم ذلك وامر ببناء جدار قصير احاط بالمسجد وجعل
فيه ابوابا كما كانت بين الدور قبل ان تهدم جعلها فى محاذات الابواب السابقة ثم كثر الناس
فى زمان عثمان رض فامر بتوسيع المسجد واشترى دورا حول المسجد هدمها وادخلها فى
المسجد وابى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر رض وهدم دورهم وادخلها المسجد
فضج اصحاب الدور وهاتوا فاد عائهم وقال لهم انما جرأكم على ذلك حلمى عليكم الم يفعل
ذلك بكم عمر رض فلم يضج به احد ولا صاح عليه وقد اخذت حدوده فضج ثم سنى وصحيح
على ثم امر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن اسيد فتركهم ولم يذكر الازرقى
متى كانت زيادة عمر رض ولكن زيادة عثمان بن عفان رض وذكر ابن جرير الطبرى وابن الاثير
والجورى فى تواريخهم ان زيادة عمر رض كانت فى سنة سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين
وان زيادة عثمان رض كانت فى سنة ست وعشرين من الهجرة اقول زيادة امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رض وعمارته للمسجد كانت عقيب السيل العظيم من سنة سبع عشرة من الهجرة
وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سيل ام نهشل قال شيخ شيوخنا حافظ
عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقى محمد بن فهد الهاشمى العلوى فى كتاب اتحاف الورى باخبار ام القرى
فى حوادث سنة سبع عشرة فيما جاء سيل عظيم يعرف بسيل ام نهشل من اعلا مكة المشرفة
من طريق الهدم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام
من موضعه وذهب به حتى وجد باسفل مكة المشرفة وعين مكانه الذى كان فيه لما عفى السيل
فاتى به وربط بلصق الكعبة المشرفة فى وجهها وذهب السيل بام نهشل بنت عبيدة بن سعد
ابن العاص بن اميه بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب فماتت فيه واستخرجت
منه باسفل مكة المشرفة وكان سيل هايل فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رض وهو
بالمدينة المنورة فاهاله ذلك وركب فزعا مغوثا الى مكة المشرفة فدخلها بعمرة فى شهر رمضان
فلما وصل الى مكة المشرفة وقف على حجر المقام وما ولاه ملتصق بالبيت الشريف فتهول من ذلك
ثم انشد عبدا عنده علما من هذا المقام فقال المطلب بن وداعة السهمى انا يا امير المؤمنين
عندى علم بذلك فقد كنت احصى عليه مثل هذا الامر فاخذت قدرا من موضعه الى باب

الحجر

الحجر ومن موضعه الى زمزم وما وعندى فى البيت فقال له عمر رض اجلس عندى وارسل اليها فاتى بها
فقيس بها ووضع حجر المقام فى ذلك المحل يعنى الذى هو فيه الآن واحكم ذلك واستمر الحال
قال وفيها وسع عمر بن الخطاب رض المسجد الحرام بدورا شتراها وهدمها وادخلها المسجد وذكر
ما قد مناه انفا قال وفيها عمل عمر رض الردم الذى باعلا مكة المشرفة صونا للمسجد الحرام بناه
بالصفاير والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعلم سيل بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم فى سنة
اثنين ومايتين فكشف عن بعض احجاره وشوهد فيه صخور عظيمة كبيرة لم ير مثلها
والاقدمون يسمون هذا الردم ردم بنى جمح بضم الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة وهم بطن من
قريش ينسبون الى جمح بن عمرو بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك اقول بهذا الردم الموضع الذى
يقال له الان المدعى وهو مكان كان يرى البيت الشريف منه اول ما يرى وكان الناس
خصوصا من برد الحج من ثنية كدا وما والمجون اذا وصلوا ذلك المحل شاهدوا منه البيت الشريف
والدعاء مستجاب عند رؤية البيت الشريف وكانوا يقفون هناك للدعاء واما الان بعد
ما حالت الابنية عن رؤية البيت الشريف ومع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة
القديمة وعن يمينه وبساره ميل ان للاشارة انه المدعى قال مولانا القاضى جمال الدين
ابو البقاء بن الضياء الحنفى فى كتابه البحر العميق فى مناسك الحج الى البيت العتيق انه كان يرى
فى زمنه راس الكعبة المشرفة لكلهم من راس الردم يعنى المدعى واذا ظهر له يقف ويدعو
ويسال الله سبحانه وتعالى حاجته فان الدعاء مستجاب عند رؤية الكعبة الشريفة انتهى وقال
حافظ الدين النهروانى فى المانع عن صاحب الهداية انه استوصى عن شيخ له سماه له فقال
له اذا وصلت سوق كدا ورايت الكعبة الشريفة فادع الله تعالى ان يجعلك مستجاب الدعوة
لمن قال ان من زارها اولا كانت دعوته مستجابة انتهى وكان القاضى ابو البقاء المذكور فى اوسط
المائة السابعة ووفاته فى سنة اربع وخمسين وستمايه ولا شك ان من عهد الصحابة رض
الى زمانه كان الناس يقفون ويدعون عند مشاهدة تلك الكعبة الشريفة ولا اعلم اهل وقف
النبى صلى الله عليه وسلم فيه ام كان ذلك المحل غير مرتفع فى عهده عليه الصلاة والسلام وما
رفعه الا عمر رض بالردم الذى بناه وما ارتفع عن الارض وصار البيت الشريف يشاهد حينيذ
فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه وبالجملة فالآن لا يرى
البيت الشريف منه ولكنى انظر فى جميع عمرى فى المدعى نقف فيه الناس فالاولى استمرار

وقوف الناس بهذا المحل الشريف والدعاء فيه تبركا لوقوف من سلف للدعاء فيه واستجابة
والله اعلم بحقيقة الحال ولما رأيت هذا الوادي صار السيل اذا وصل من اعلى مكة المشرفة لا
يعلو هذا الوادي بل كان يحرف عنه الى جهة الشمال المتصل الى بيت الشريف المبنى الذي
بناه عمر رض فلم يصل هذا السيل الى المسعى ولا الى باب السلام الى الآن فصارت هذه الجهة
من يومئذ الى يومنا هذا مرتفعة عن مجرى السيل وصار السيل الكبير اذا جاء كما يذهب الى
جهة السوق ويمر بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام الى ان يخرج من اسفل مكة المشرفة
وهذا السيل سيل وادي ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل الى اسفل مكة سيل اخر يعرف
يسمى سيل اجياد يجتمع من الجبال التي في جنوب مكة وينصب من محلة اجياد ويمر عرضا
الى ان يصدم الركن اليماني من المسجد ويحرف الى اسفل مكة وقوة جريانه تمنع جريان سيل
وادي ابراهيم فينقف ويتراكم ويدخل المسجد الحرام ويعم مثل هذا السيول لمكة من كل عشرة
اعوام تقريبا فيدخل المسجد الحرام ويحتاج الى تنظيف وتبديل الحصى وبحو ذلك وقد
عمل المتقدمون والمتاخرون لذلك طرقا واهتموا غاية الاهتمام فاندثرت اعمالهم بطول الزمان
ولم يفطن الملوك بعدهم لذلك فاستمرت السيول العظيمة كل مرة تدخل الى المسجد الحرام فلست
الان بصدد شرح ذلك واما زيادة عثمان بن عفان رض في المسجد الحرام فقد ذكر ابو زكريا
النووي رحمه نقلا عن ابي الوليد الازرقي وافقني قضاه الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية
وغيرهما من الائمة المعتمدين وفي كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا اما المسجد الحرام فكان
فناء حول الكعبة المشرفة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابي بكر رض جدر يحيط به وكانت الدور محدقة به وبين الدور ابواب يدخل منها الناس
من كل جانب ومن كل ناحية فلما استخلف عمر رض وكثر الناس وسع المسجد الحرام واشترى دورا
وهدمها وزاده فيه واتخذ للمسجد جدارا قصيرا دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه
وكان عمر رض اول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام فلما استخلف عثمان رض اتبع ما سنه عمر وفعله
بها ايضا وبنى المسجد الحرام والاروقة فكان عثمان رض اول من اتخذ للمسجد الحرام الاروقة
انتهى قال الحافظ النجم عمر بن فهد في تاريخه في حوادث سنة ست وعشرين اعتمر عثمان
رض من المدينة المنورة فاتى ليلا فطاف وسعى وامر بتوسيع المسجد الحرام فذكر ما قدمناه
قال وجدد انصاب الحرم الشريف وكلم اهل مكة عثمان رض ان يحول الساحل من السعيبة

وهي ساحل مكة المشرفة قديما في الجاهلية الى ساحلها اليوم وهي جدة لقربها من مكة
المشرفة فخرج عثمان رض الى جدة ورأى موضعها وامر بتحويل الساحل اليها ودخل البحر واغتسل
فيه وقال انه مبارك وقال لمن معه ادخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله احد الا يتزر ثم
خرج من جدة على طريق عسفان الى المدينة المنورة وترك الناس ساحل السعيبة في
ذلك الزمان واستمرت جدة بندرا الى الآن مكة المشرفة وهي على مرحلتين طويلتين
من مكة المشرفة بسير الاثقال يستوعب احداهما الليل كله في ايام اعتدال الليل والنهار
وتزيد المرحلة الثانية على جميع الليل بشيء قليل واما الراكب المجد والساعي على قدميه
فيقطعهما في ليلة واحدة وما رأيت من علمائنا من صرح بجواز القصر فيهما بل رأيت من
ادركت من مشايخ الحنفية كانوا يتمون الصلاة واما انا فاري لزوم القصر فيهما
لان مدة مسافة القصر عندنا ثلاث مراحل تقطع كل مرحلة في اكثر من نصف النهار
في اقصر الايام بسير الاثقال وهذان المرحلتان يكونان على هذا الحال ثلاث مراحل
فائدة رأيت في موطأ الامام مالك حديثا صحيحا يدل على صحة ما جنحت اليه وصورته
عن مالك ان ابن عباس رض كان يقصر الصلاة في مثل ما بين مكة والطايف وفي
مثل ما بين مكة وعسفان وفي مثل ما بين مكة المشرفة وجدة انتهى والله سبحانه وتعالى
اعلم بحقيقة الحال ووقعت زيادة عبد الله بن الزبير رض هو صحابي وابن صحابي وابو
احد العشرة المشهود لهم بالجنة وامه اسماء بنت ابي بكر الصديق رض ذات النطاقين
وخالته عايشة الصديقة ام المومنين رض ولد بالمدينة المنورة بعد عشرين شهرا
من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول مولود للمهاجرين بعد الهجرة ففرح المسلمون
بولادته فرحا شديدا لان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد وحنكه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه ابا بكر باسم جده
رض وكان صواما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قويا قسم الليالي
الى ثلاث فليلة يصلي الصلاة قايما الى الصبح وليلة يصلي وليلة يصلي ويستمر راكعا الى الصبح
وليلة يصلي ويستمر ساجدا الى الصبح ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وقل ان
حييا وكان ممن ابى البيعة ليزيد وفر الى مكة المشرفة واطاعه اهل الحجاز واليمن
والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته الا اهل مصر والشام فانهم بايعوا لمزيد فلما

هلك الجاع اهلهما عبد الله بن الزبير رض ثم خرج مروان بن الحكم فتغلب على مصر والشام
الى ان ولى عبد الملك بن مروان فجهز جيشا كثيفا على ابن الزبير رض وامر عليهم الحجاج ابن
يوسف الثقفي فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير واصحابه فخرج ابن الزبير
وحده وقاتل قتالا شديدا عظيما الى ان استشهد رض في سنة ثلاث وسبعين من
الهجرة النبوية على ساكنها افضل الصلاة واتم السلام وانشد في النابغة الجعدي يقول

حكمت لنا الصديق لما ولينا ... وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس بكرا فاعتدى ... وعاد صباحا حالك اللون اسحم

وكان لما حاصره الحصين بن نمير في عسكر جهزه يزيد عليه نجانا بالمسجد الحرام فنصب عليه
المناجيق واصاب بعض حجارة الكعبة الشريفة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض
اخشابها وكسوتها والتزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر بعده فراى عبد الله
ابن الزبير رض ان يهدم الكعبة الشريفة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد ابراهيم على نبينا
وعليه الصلاة والسلام لما سمع من حديث عائشة رض قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عائشة لولا ان قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فالصقتها بالارض
وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة اذرع من الحجر فان قريشا استقصرتها
حين بنت الكعبة فان بدا لقومك ان يبنوها من بعدي فهلمي لاريك ما تركوه فاراها
قريبا من سبعة اذرع اخرجه الشيخان في صحيحهما وفي رواية لمسلم عن عطاء قال قال
ابن الزبير رض اني سمعت عائشة رض تقول انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا
ان الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنايه لكنت ادخلت
فيه من الحجر خمسة اذرع انتهى فاستشار عبد الله بن الزبير رض من بقي من الصحابة رض
في ذلك فكان منهم من ابى ومنهم من وافقه على ذلك فصمم واقدم على ذلك ولما اراد
هدم البيت الشريف ليجدد بناءه خرج اهل مكة المشرفة من مكة شرفها الله حوفا وانبط
العمال عن ذلك فاتى عبد الله بن الزبير رض عبد الرفيق الساقين وعبيدا له من
الحبوش يهدمونها رجاء ان يكون فيهم الحبشي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة قال الامام عبد الله بن اسعد اليافعي في
تاريخه مراة الزمان اراد عبد الله بن الزبير رض ان يجعل الطين الذي يبنى به الكعبة المشر

من الورس فقيل له انه لا يستمسك به البنيان كما يستمسك بالحص فارسل الى صنعاء اليمن
يطلب منها جصا نظيفا محكما فاتوه به فبنى به الكعبة الشريفة فلما اكملوا هدمها كشفوا
عن اساس ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فوجد الحجر داخل في البيت الشريف
فبنى البيت الشريف على ذلك الاساس وكان ادارهسة اعلى فناء البيت الشريف فكان
البناؤن يبنون من وراء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج فادخل الحجر
في البيت الشريف والصق باب الكعبة الشريفة بالارض ليدخل الناس منه وفتح
بابا غربيا من مقابلة هذا الباب ليخرج الناس منه كما كان عليه لما عودت قريش الكعبة
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وحضره النبي صلى الله عليه وسلم وعمره يومئذ خمس
وعشرون سنة وكان النفقة فقرت بقريش لما بنت الكعبة الشريفة يومئذ فاخرجوا
الحجر من البيت الشريف وجعلوا عليه حايطا قصيرا علامة على انه من الكعبة الشريفة
فازال عبد الله بن الزبير رض ذلك الوضع واعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية
وبنى على قواعد ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وكان طول الكعبة الشريفة
قبل قريش تسعة اذرع وزادت قريش فيها تسعة اذرع فلما اكمل عبد الله بن
الزبير رض طولها ما ينى عشر ذراعا رايها عريضة لان طول الحجر كان زاد في طولها تسعة
اذرع فصارت لها في السماء سبعة وعشرين ذراعا ولما فرغ من بنيانها طيبها بالمسك
والعنبر داخل وخارجا من اعلاها الى اسفلها وكساها الديباج وبقيت من الحجارة
بقية فرصها حول البيت الشريف نحو من عشرة اذرع وكان قواعد من عمارة
البيت الشريف في سابع عشر شهر رجب سنة اربع وستين من الهجرة فرحم
الى التنعيم ماهو واهل مكة المشرفة معتمرين شكرا لله تعالى وذبح مايه بدنة وذبح
كل واحد على قدر سعته وجعلوا ذلك اليوم عيدا مشهودا وبقيت هذه العمرة
سنة عند اهل مكة الى اليوم يجتمعون الى الاعتمار فيه ولا يكادون يتخلفون
عن العمرة في هذا اليوم في كل عام ويا تون من البر بقصد هذه العمرة وكان
اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الان اكثر واعظم من الآن بحيث يقال ان
صاحب ينبع يومئذ السيد قتاده بن ادريس بن مطاعن الحسني جد سادتنا
الاشراف ولاة مكة المشرفة الان ادام الله عزهم وسعادتهم لما علم من امر اهل مكة

المشرفة يومئذ وهم طائفة اخرى من بني حسن يقال لهم الهواشم للاشراك على اللهو
والذات وكثرة الطعم من عبيد نهم على الناس واستيلاء العزوز عليهم ونفرة القلوب
عنهم وعدم توجههم الى حوائل البلد الحرام ارتقب الشريف قتادة يوم السابع عشر
من شهر رجب واغتنم الفرصة لاستحواذ اهل مكة المشرفة بهذه العمرة وخروجهم
بجمال يتم الى التنعيم فهجم بعبيده وذويه ودخل عليها من اعلاها ومنع ولاتها السابقين
من الدخول اليها وكانت مكة المشرفة يومئذ مسورة وولاتها من بني حسن الهواشم
اخر هم الشريف مكثر بن عيسى بن قليبلة فقر من بعد الى جهات اليمن وتمكن السيد
قتادة من البلد ودلك في سنة تسع وتسعين وخمسمايه واستمرت الولاية في
ولده الى الان والى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وفي سنة
اربع وسبعين من الهجرة كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يذكر له ان عبد الله بن الزبير
زاد في الكعبة المشرفة ما ليس منها واحدث فيها بابا اخر فكتب اليه عبد الملك بن مروان
ان يعيد ما على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج من جانبها
الشامي قدر ستة اذرع وشبرا ومبنى ذلك الجدار على اساس قريش وكتب ارضها
بالحجارة التي فضلت ورفع الباب الشرقي وسد الباب الغربي وترك سائر ما لم يغيره
شيئا فهي الان جوانبها الثلثة من بناء عبد الله بن الزبير رض والجانب الرابع الشامي بناء الحجاج
وهو ظاهر اي يفصل عن بناء عبد الله بن الزبير رض فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد
الملك بن مروان وحج في ذلك العام مع الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومي وهو
من ثقاة الرواة فتحادثا في امر الكعبة الشريفة فقال عبد الملك ما ظن ان ابن الزبير
سمع من عائشة رض ما كان يزعم انه سمع منها في امر الكعبة فقال الحارث انا سمعت ذلك
من عائشة رض تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قومك استقصروا في بناء البيت
ولولا حدثان عهد قومك بالكفر اعدت فيه ما تركوا منه واعدته على ما كان عليه على قواعد
ابراهيم فان بدا لقومك ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من سبعة
اذرع وقال صلى الله عليه وسلم وجعلت لها بابين موضوعين على الارض بابا شرقيا
يدخل الناس منه وبابا غربيا يخرج الناس منه فقال عبد الملك انت سمعتها تقول
ذلك قال نعم انا سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب في يده متحاسعة

طويلة

طويلة ثم قال وددت والله اني تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك كذا ذكره النجم عمر بن فهد وذكرنا
ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الغرابة المهمة والحديث يحكون رجعنا الى ما نحن بصدده
من ذكر زيادة عبد الله بن الزبير رض في المسجد الحرام وسندنا المتقدم ذكره متصل مرفوع الى
الامام ابي الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد الازرقي قال حدثني جدي قال كان المسجد الحرام
محاطا بجدار قصير غير مسقف وكان الناس يجلسون حول الكعبة الشريفة بالعداة والعشي
يتحلقون الاحياء فاذا قلص قامت الحلق قال وحدثني جدي قال حدثنا عبد الرحمن بن الحسن
ابن القاسم بن عقبة عن ابيه قال زاد عبد الله بن الزبير رض في المسجد الحرام فاشترى دورا
واد خلها في المسجد وكان مما اشترى بعض دار ابي حدرة الازرقي وكانت لاصقة بالمسجد
الحرام وبابها شارع على باب بني سبيعة على يسار الداخل الى المسجد الحرام وكانت دارا كبيرة اشترى
بعضها بسبعة عشر الف دينار واد خلها في المسجد وكتب لمالك ابن اخيه مصعب بن الزبير رض
بالعراق يدعوه اليها قال فركب رجل منا الى العراق فوجد مصعبا قتل عبد الملك بن مروان
فلم يثبت الا يسيرا حتى قتل مصعب فرجع الى مكة المشرفة فعلم ابن الزبير رض بعدان يعطي
ويدافعها حتى جاء الحجاج بن يوسف وحاصره وقتل ولم ناخذ منه شيئا قال وذكر جدي انه
سمع شيخة اهل مكة المشرفة يذكرون ان عبد الله بن الزبير رض سقف المسجد غير انهم
لا يدرون اكله سقف ام بعضه قال ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكن رفع
جدرانه وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة وقال حدثني جدي عن سفيان بن عيينة
عن سعيد بن مرزوق عن ابيه قال كنت على عمل المسجد الحرام في زمان عبد الملك بن مروان
فامرني ان اجعل في راس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب وروى جدي عن سفيان عن
عمرو بن دينار عن يحيى بن حيدة عن داود بن روح قال المسجد الكوفة تسعة اجزية ومسجد
مكة سبعة اجزية وذلك في زمان عبد الله بن الزبير رض ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك
للمسجد الحرام قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي كان الوليد جبارا ظالما اخرج ابو نعيم في
الحلية قال عمر بن عبد العزيز الوليه بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حيادة بالحجاز
وفي قدين يزيد بمصر امتلات الارض جورا قال الحافظ السيوطي لكنه قام بالجهاد في ايامه
وفتح في دولته الفتوحات العظيمة قال الذهبي عاش بالجهاد في ايامه وفتح فيها الفتوحات
العظيمة كايام عمر بن الخطاب رض وقال ابن ابي عبيدة وابن بكير الوليد فتح الهند والاندلس

وبنى مسجد دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوى وبنايه قال ابو الوليد الازرقى قال جدى عمر الوليد
ابن عبد الملك المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك وعمل عملا محكما وكان اذا عمل المساجد نقش فيها
ونحو اول من نقل الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وعمل على رءوس الاساطين صفائح
الذهب وانى للمسجد بالرخام وجعل للمسجد سراديقات قال النجم عمر بن فهد بعث الوليد بن عبد الملك
الى واليه على مكة المشرفة خالد بن عبد الله القسرى بستمائة وثلثين الف دينار يضرب بها على
باب الكعبة المشرفة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة الشريفة وعلى الاساطين التى فى باطنها
وعلى الدعائم التى فى جوفها ويقال ان الحلية التى حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة الشريفة
هى بقايا كانت فى مائدة سليمان بن داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام من ذهب وفضة وقد
قد احتملت من طليطلة من جزيرة الاندلس على بغل قوى تفسخ تحته وكان بها اطواق من
ياقوت وزبرجد والله تعالى اعلم **الباب الرابع** فى ذكر ما زاد العباسيون فى المسجد
الحرام لما انطوى بساط ملك بنى مروان وآل الحال العباس الامر والسلطنة مزقت بنى امية
كل ممزق ونتف الدهر حلل ايامهم ومزق وخرق بنو العباس لباسهم وخرق وكان رضى
لهم الدهر وصفق وكانت تغور امالهم بواسم وعزهم ايامهم بصوف اللهو مواسم وريح
عزهم فى ارجاء عزهم نواسم وكانت يقيق بجيوشهم الفضاء وتجرى على حسب خطوبهم
خيول القدر والقضاء ثم انحرفت عنهم الايام فاظلمت عزهم اشراقهم واذوى بلهيب العلى
يانع اوراقهم فلم يدفع عنهم الرمح ولا الحسام ولم ينفع ما يتسق لهم من المن الجسام واذاقهم
الموت الاحمر مروان الحمار ونزع من تحت الملك الى تحت حافر الحمار فما ملكت عليهم
السماء والارض وما بقى لهم الا ما قدموه من نقل وفرض ونزعوا من التراب الى بطن
التراب وسيقوا للحساب الى يوم الحساب فسحقا لدنيا لا وفاء فيها لمبنيها ولا بقاء
لحالتى تمنيها وتجنيها ولا ابقاء فيها على مجنيها ومجنيها ذلت عزة عاد وهدمت قصور
شداد واخربت ايوان ذات العماد وافى على المدينا وزخرفها والحنه الحنه من هجوم مرفها
وتصرفها كم بادت حنه حنه امن بطشى وفتكى وكم صاحت عليهم لا تغتروا بضحكى كقوله
قل يغركم منى ابتسام فعلى مضحك والفعل مبكى
وكانت مدة ملكهم الف شهر وكان ما تملكوه من الوهر والقهر لتلك المدة كالمهر وجعل
الله سبحانه وتعالى بيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة

القدر

القدر خير من الف شهر قال الحافظ السيوطى فى الدر المنثور اخرج ابو حاتم ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال رايت ولد الحكم بن العاص على المنابر كانهم القردة فانزل فى ذلك
وما جعلنا الرويا التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن يعنى
العاص وولده الحكم واخرج ابن مردويه عن عايشة رضى الله عنها قالت لمروان بن الحكم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك انكم الشجرة الملعونة
فى القرآن واخرج ابن مردويه عن الحسين بن على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصبح ذات يوم مهموما فقيل له مالك يا رسول الله قال انى رايت فى المنام كان
بنى امية يتعاورون منبرى هذا فقيل له يا رسول الله لانهم فيها دنيا تنالهم فانزل
الله سبحانه وما جعلنا الرويا التى اريناك الا فتنة للناس قال ابن عطية فى تفسيره
ولا يدخل فى هذا عثمان رضى ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز رضى انتهى وما كانت
فى الحقيقة ولاية بنى امية الا فتنة للناس وآل الملك بعد هم الى آل العباس
واضحكهم الدهر بعد العبوس والياس والبسهم حلل الامر والتهنى وانزحهم بذلك الاكباس
والسهم بعد الوحشة وما دام لهم ذلك الايناس وهكذا الدنيا دول تتداول وما
زال محال زمان دولة ورجال ما اول من ولى منهم السفاح ابو العباس عبد الله بن محمد
ابن على بن عبد الله بن العباس رضى وكان اصغر من اخيه ابى جعفر المنصور قال ابن
جرير الطبرى كان بدو امر بنى العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم العباس
عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل يتوقعون ذلك الى ان بويع لابنه محمد سرا فلما
مات محمد عهد لولده ابراهيم فسخنه مروان وقتله فى السجن فعهد ابراهيم لاخيه عبد الله
هذا وبويع له فى الكوفة فى ثالث شهر ربيع الاول سنة اثنين وثلثين ومايه
وكان مولده فى سنة سبعة عشر وتوفى بالجدرى فى ذى الحجة سنة ست وثلثين
ومايه وكان نقش على خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يومن وكان بدو ولاسما كما قتل
فى بيعته من بنى امية وابنائهم مالا يحصى كثرة وتوطات له الممالك من الشرق
الى اقصى الغرب وكان عمره ثمانية وعشرين عاما ومدة امارته اربعة اعوام وجرت
عادة الله سبحانه فى الملوك والسلاطين قصر اعمار من سفك الدما منهم وولى
بعده اخوه ابو جعفر عبد الله المنصور وهو اسن من اخيه السفاح وبويع له من اخيه

في اول سنة سبع ومائتين ومايه وكان ظلوما غشوما اول من اوقع الفتنة بين
العباسيين والعلويين وقتل الاخوين محمد وابراهيم ابني محمد بن عبد الله بن الحسن
ابن الحسين بن علي رضوانا عليه واذى بسببهما خلقا كثيرا من العلماء قتل وضربا
ممن افتى بجواز الخروج عليه منهم الامام ابو حنيفة رحمه الله رضي الله عنه على القضاء فابى فسجن فمات
في السجن وقيل انه سمه في السجن لكونه افتى بالخروج عليه وسمي لنخله بالد وابنى محاسنه
العمال والصناع على الدانى والجبة وقتل ابان بن صدقة الخراساني وماله الذي قام بدعوة العباسيين
الى بني العباس وشرح ذلك يطول وذلك له الممالك ودانت له الامصار ولم يخرج
عنه عن جزيرة الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن
مروان الاموي فانفرد بالاندلس وطالت مدته وملكها بنوه واستمرت في يدهم مدة
وفي محرم الحرام سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل في سنة تسع وتسعين ومائة امر
ابو جعفر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام فزيد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة
وزاد في اسفله الى ان انتهى الى المسارة التي في ركن باب بني سهم ولم يزد في الجانب الجنوبي
سيالا لانه يسيل الوادي وصعوبة البناء فيه وعدم ثباته اذا قوي السيل عليه ولذلك
لم يزد في اعلى المسجد واشترى من الناس دورهم وهدمها وادخلها في المسجد الحرام وكان
الذي ولي عمارة المسجد لابي جعفر المنصور امير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله
الحارثي وكان من سرخته عبد العزيز بن عبد الله بن شافع جد شافع بن عبد الرحمن
الشيبي وكان زياد احضر بناء شيبة بن عثمان وادخل اكثرها في الجانب الاعلى من
المسجد فتكلم مع زياد في ان يميل عنه قليلا ففعل وكان في هذا المحل ازور ازاني المسجد
الحرام وامر ابو جعفر المنصور بعمارة منارة هناك ففعلت واتصل عملها في اعلى المسجد
الحرام بعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل ابو جعفر المنصور طاقا واحدا بساطين الرخام
دايرا على صحن المسجد الحرام وكان الذي زاد فيه مقدار الضعف مما كان قبله وزخرف
المسجد الحرام بالفسيفسا والذهب وزينه بانواع النقوش ورخم الحجر بالحناء المهملة
المكسورة ثم الجيم وما اول من رخمه وكان كل ذلك على يد زياد بن عبيد الله الحارثي
والى الحرمين الشريفين والطائف من قبل المنصور وفرغ من ذلك في عامين وقيل
في ثلاثة اعوام وكتب على باب بني سهم احد ابواب المسجد الحرام من جهة الصفا بسم الله

الرحمن

الرحمن الرحيم محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام
ابراهيم ومن دخله كان آمنا وسوه على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر
فان الله غني عن العالمين امر عبد الله امير المؤمنين اكرمه الله سبحانه وتعالى بتوسعة
المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرا منه للمسلمين واهتماما بامورهم والذي زاد
فيه الضعف مما عليه قبله وفرغ منه ورفعت الايدي عنه في ذي الحجة الحرام سنة اربعين
ومايه وذلك بتيسير الله تعالى على امير المؤمنين وحسن رعايته وكفايته وكرامته له باعظم
كرامته فاعظم الله اجر امير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام واحسن ثوابه وجمع
له بين خيري الدنيا والآخرة واعز نصره وايده وجح المنصور في ذلك العام واحرم من الجحفة
وبذل على بخله الاموال العظام واعطى اشراف قريش لكل نفر منهم الف دينار واعطى اهل
المدينة المنورة عطايا لم يعطها احدا قبله كان ولما قضى حجه والزيارة توجه الى زيارة بيت
المقدس ثم سلك الى الشام ثم الى الرقة فنزلها كما ذكره الحافظ عمر بن فهد وذكر حكاية مفيدة
اذكرها استطرادا وان كانت خارجة عن المقصود لعظم فايدتها وهي لما راح المنصور كان
يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل يطوف ويصلي ولم يعلم احد فاذا طلع الفجر رجع الى
دار الندوة فيجي المؤذنون ويسلمون عليه ويؤذنون الفجر ويقيمون الصلاة فيخرج يصلي
بالناس فخرج ذات ليلة في السحر وشرع يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول اللهم
اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين اكي واهله من الظلم والطغيان
فاسرع المنصور في مشيه حتى صار بعيدا من كلامه ثم خرج من الطواف الى باب الحجبة من
المسجد ثم ارسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلى ركعتين وقبل الحجر واقبل الرسول وسلم
على المنصور فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد
في الارض وما يحول بين اكي واهله من الظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما اقلقني
وامرضني واشغل خاطري فقال يا امير المؤمنين ان استثنى على نفسي واصعبت الي بازن
واعيلم اباتك بالامور على اصلها والا احجبت عنك بقدرة الله تعالى ولا تقبل الي
واقتصرت على نفسي ففيها الى شغل شاغل عن غيري فقال له انت آمن على نفسك
فقال اني اللهي الليث السهو وابيت شديد القلب فقال ان الذي داخل الطمع حتى حال

بينه وبين الحق ومنع من اصلاح ما ظهر من الفساد والبغي في الارض هو انت فقال ايها
الرجل كيف بداخلي الطمع والصفراء والبيضاء بيدك والحامض والحلو في قبضتي ومن يحول
بيني وبين ما اريده من ذلك فقال هل داخل الطمع احد من الناس ما داخلك يا ابن اوس
ان الله عز وجل استرعاك امور المسلمين وانفسهم واموالهم فاغفلت امورهم واهملت
جمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجر والطين وابوابا من الخشب والحديد
وحجابا من السلاح واتخذت وزراء خونة واعوانا ظلمة ان نسيت لا يذكرونك وان
احسنت لا يعينونك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والسلاح والرجال وامرت ان
لا يدخل عليك غيرهم من الناس ولم يوما بايصال المظلوم اليك ومنعت من ادخال الملهوف
عليك وحجبت الجايع والعاري والمحتاج عنك وما احد منهم الا وله حق من هذا المال
فما زال الهول الفزع الذين استحلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيتك وامرتهم ان لا يحجبوا
عنك يقولون في انفسهم هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه فاتقوا ان لا يصل اليك بين
اجناد الناس الا ما اردوه ولا يخالفك منهم عامل الا اقصوه عنك وابعدوه فلما تفرس
ذلك عنك وعمهم عظيمهم الناس وهضمتهم وكرمتهم وكان اول من صانعهم ودارا هم عمالك
بالاموال والهدايا والرشا فتقووا بها على ظلم رعيتك وتعهم من كان ذا قدرة وثروة
من رعيتك ليظلموا من دونهم فاشتريت بذلك الظلم والقهر وزاد بغيهم وطغيهم وكثر
فسادهم وافسادهم وصار هول لا شركاؤك في سلطانك وانت غافل فان فاجاك
مظلم حيل بينه وبين الوصول اليك وان اراد رفع قصته اليك وضرخ بين يديك ضرب
ضربا شديدا ليكون ذلك نكالا لغيره وانت تنظر بعينك ولا ترحم بقلبك فان
سالتهم عنه قالوا اساء الادب فادبناه وجهل مقامك فزجرناه فما بقاء الاسلام على
ظهور هذه المظالم والاثام فاني سافرت الى ارض الصين فقد منها وقد اصاب ملكهم
انفة اذهب سمعه فجعل يبكي فقالت له وزراوه مالك تبكي لعلك عيناك فقال
اني لا ابكي على فقد سمعي ولكن ابكي على المظلوم يصرخ ببابي يطلب رفع ظلامته فلا
اسمع صوته وحيث ذهب سمعي فان بصري لم يذهب فاداوني الناس ان لا يلبس
الاحمر المظلوم لا يراه بالنظر فاعينه وكان يركب الفيل كل يوم ليرى المظلومين فيعينهم
ويرفع ظلامتهم انظر يا مسكين هذا مسترك باسه غلبت رافته بالمسترك على رافتك بالمسلمين

وانت

وانت تؤمن بالله وابن عم نبيه صلى الله عليه وسلم فان الاموال الاتجم الا الواحدة من قلة اموالهم
قلت اجمعها لولدك فقد اراك الله تعالى في الطفل يخرج من بطن امه عريانا مالا على وجه
الارض مال وما من مال الا وهو بيده يحيحه بقوة وقصوة عن كل احد فما يزال الله تعالى
يلطف بذلك الطفل حتى يسوق اليه ما قدره له من المال فيملكه ويحويه كما حواه عزه ولست
الذي يعطي بل الله الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع وان
قلت اجمع المال ليستديم به سلطاني فقد اراك الله تعالى عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم
ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من السلاح والكراع وما ظن ملكت انت وولدك
ابيت على من الضعف والقلة حين اراد الله تعالى ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب عافية
وهي على ما انت فيه فوا الله ما فوقها انت فيه من منزلة تدرك الا بالعمل الصالح واعلم
انك لا تعاقب احدا من رعيتك اذا عصى باعظم من القتل فان الله تعالى يعاقب من عصاه بالعذاب
الاليم وانه يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور فكيف يكون وقوفك عذابين يديه وقد
نزعت ملك الدنيا من يدك ودعاك للحساب هل يغني عنك ما كنت فيه شيئا قال فبكى
المنصور بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احيالي فيما حولت والم ارمن الناس
الا احياء قال يا امير المومنين عليك بالائمة الاعلام الراشدين قال ومن هم قال العلماء
العاملون قال فانهم قد فروا مني قال نعم فروا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر لهم من خطئك
فاذا فتحت الابواب وسهلت الحجاب ونضرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت بالعدل
ونشرت الفضل فانا ضامن لمن ذهب منك ان يعود اليك وجاء حينيذ الموذنون
وسلموا عليه واذنوا للفجر واقاموا فقام المنصور الى الصلاة فصلى بالناس واذا الرجل قد غاب من بين ايديهم فلما فرغ المنصور من الصلاة سال عنه فقالوا
ذهب فقال ان لم تاتوني به عاقبتكم عقابا شديدا فذهبوا يلتمسونه فوجدوه
في الطواف فتقدم اليه الحرسي فقال انطلق معي والا هلكت وهلكت من
معي فقال كلا لست بذاهب معك فقال انه يقتلني ان لم اتيه بك فقال كلا لا يقدر
على ذلك واخرج من جيبه رقعة وقال ضعها في جيبك لم يجبك منذ سنة فانه
دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال دعاء لا يرتقه الله تعالى الا للسعداء من دعا به
صباحا ومساء هديت ذنوبه واستجيب دعاؤه وبسط الله تعالى رزقه عليه واعطاه

املة واعانه على عدوه وكتب عنه اسه صدقا فقال اقراه الى لاخذه عنك واتلقنه
منك فقال قل اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء
وعلمت ما تحت ارضك كما علمت ما فوق عرشك وكان وسواس الصدور كالعلانية
عندك وعلانية القول كالسر في علمك فانفاد كل شيء لعظمتك وخضع كل سلطان
لسلطانك وصار امر الدنيا والاخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا
ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك علي قبيح عملي الطفي
ان اسالك ما استوجبه منك فصرت ادعوك امنا واسالك مستانسا وانت
المحسن الي والي المسيء الى نفسي فما بيني وبينك اودد الي وابعض لي منك ولكن الثقة
بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم
قال فقرانه واخذت الورقة في جيبي واذا بالرسل تسعى الي تستعجلني فابتدله فاذا هو
جعر يتلظى فلما وقع نظره علي سكن غيظه وتبسم وقال لي ويلك انت تحسن السحر
فقلت لا واسه يا امير المومنين ثم قصصت عليه امري فقال هات الورقة فناولته اياها
فاخذها وصار يملي الي ان بلغ الحيتله وامر لي بعشرة الاف درهم ثم قال اتعرف الرجل
فقلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام قلت والذي اروى هذه الحكاية عن والدي
الشيخ علاء الدين القادري الحرقاني النهروالي الحنفي نزيل مكة المشرفة قال اباني
بهذه الحكاية العزيز بن عبد العزيز بن النجم عمر بن فهد عن والده عن القاضي زين الدين
ابو بكر بن الحسين العثماني المراغي عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي قال اباني
الامام ابو الحسين علي بن احمد بن البخاري عن الحافظ ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
قال اخبرنا محمد بن ناصر انا المبارك بن عبد الجبار انا محمد بن علي بن الفتح حدثنا
ابو النضر محمد بن محمد النيسابوري عن ابراهيم بن احمد الخطاب حدثنا ابو علي الحسن بن عبد الله
الترمذي حدثنا المثنى بن سلمة القرشي قاضي اليمن قال سمعت ابا المهاجر المكي يقول قدم
المنصور حاجا وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل وساق الحكاية بطولها
قال النجم عمر بن فهد وفي سنة ثمان وخمسين ومايتين عزم على الحج ابو جعفر المنصور وكان
يريد قتل سفيان الثوري رحمه فلما وصل الخبر ميمون بعث الى الخشابين فقال لهم
ان ابتم سفيان الثوري فاصلبوه فجاوا ونصبوا له الخشب وكان جالسا بفناء الكعبة

المشرفة

المشرفة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا
ابا عبد الله قم واخف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى استار الكعبة الشريفة
واخذ بها ثم قال برئت منه ان ظلمها ابو جعفر وعاد الى مكانه فركب ابو جعفر من بئر
ميمون فلما كان بين الحجونين سقط عن فرسه فانشدت عنقه فمات فوقه في
سابع ذي الحجة وقت السحر فحفر له بئر فدفنوه في احدهما ليعموا قبره عن الناس
وبرأ الله سبحانه منهم عبده سفيان فانظر الى عباد الله المخلصين واذل لهم على جباب
قدس رب العالمين وكيف حال اهل الدنيا المغرورين وكيف تتضاءل عظيمهم في عظمة
سلطان السلاطين سبحانه وتعالى وما احقر سلطنة البشر المخلوق من ماء مهين
وما اسرع زوال ملكه وصيرورته عبرة للمعتبرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
وعظة لمن اراد ان يتذكر عواقب هذه الاعتبار ويعلم ان الملك لله الواحد القهار
لا شريك له في الملك ولا اول له من الذل على الدوام والاستمرار والمنصور هو
الذي بنى مدينة بغداد ومولده سنة خمس وتسعين ومدة ملكه اثنتان وعشرون
سنة وثلاثة اشهر وعاش اربعا وستين سنة وكان قد راى منامات يدل على قرب
اجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحج وتوفي كما ذكرنا والله سبحانه وتعالى اعلم وولي
بعده الملك الخليفة ولده ابو عبد الله محمد ولقب المهدي ثالث من ولي من العباسيين
وقام بالبيعة له بمكة المشرفة لما مات ابوه الربيع بن يونس الحاجب واسرع بارسال
الخبر اليه فوصل اليه الخبر في بغداد فلكم الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ان المنصور امير المومنين عهد الي فاجاب وامر فاطاع ثم ذرفت
عيناه ثم قال لقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرائب الاجبة وقد قاسيت عظيما
وقلت جسيما فعند الله سبحانه وتعالى احتسب امير المومنين وبه استعين على تقلبه
امور المسلمين ونزل فبايعه الناس فاول من جمع بين تعزية وتهنئة ابو دلامة انشد
فقال

عيناي واحدة ترى مسرورها ... فعلامة جذلى واخرى تذرف
تبكي وتضحك تارة ويسوءها ... ما انكرت ويسرها ما تعرف
فيسوءها موت الخليفة محمد ... ويسرها ان قام هذا الخلف
ما ان رايت كما رايت ولا اري ... شعرا سرحه واخر انتف

هذا جاه الله فضل خلوة ولذات جنات النعيم تزخرف

وكان المهدي مناسب ولاه ابوه طبرستان والري وما يليهما فناذب وتميز وجالس العلماء وكان كريما يليح الشكل شجاعا محبا للعلماء وكان يقول ادخلوا العلماء والقضاة واحضروهم عندي فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم كان خيرا كثيرا وقدم عليه مروان بن ابي حفصة الشاعر فانشده قصيدة فلما وصل الى قوله

البيت فقرنا النصف من صلواتنا ميسرة شهرا ثم شهر نواصله

وما نحن بخشى ان يجب مسيرنا اليك ولكن اهباء البرعاجله

فضحك المهدي وقال كم بيت قصيدتك قال ستون بيتا فامر له بستين الف درهم قبل ان يتم انشادها وله شعر لطيف رقيق احسن من شعر ابيه واولاده بكثير ومنه ما ذكره الصولي وهو

ما يكيف الناس عنا ما يريد الناس منا

انما نهمهم ان ينبشوا ما قد دفنا

لو سكتنا باطن الارض كانوا حيث كنا

ان اردوا كشف امر قد سترناه كشفنا

ومن نظم هذا البيت من عدة ابيات نظمها في جارية كان يحبها جاسد يدا وهو قوله

اما يكفيك انك تملكيني وان الناس كلهم عبيدي

وكان المهدي يحب الحمام فدخل عليه غياث وكان يروي الحديث فقال روى عن ابي هريرة رضه مرفوعا لا يسبق الا في حافر او نصل او زاد فيه او جناح فقهم المهدي انه وضع له هذه الزيادة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما يجيء بالرد تارة بالدينار وامر له بعشرة الاف درهم فلما قام المهدي قال اشهد ان قفاك قفا كذاب ثم امر بذبح ما عنده من الحمام فذبحت ذكره غير واحد من علماء الحديث منهم الحافظ السيوطي

وكان نقش خاتم المهدي الله ثقة محمد وبه يومن وحكى الربيع قال عرض على المنصور يوما خز ابن مروان بن محمد وكان جملتها اثني عشر الف ثياب خز فاخرج منها ثوبا واحدا ودعى الخياط وقال له فصل من هذا جبة لي وجبة لولدي محمد المهدي فقال لابي منه جبتان فقال فصل منه جبة وقلنسوة ونجعل ان يخرج منها ثوبا اخر فلما افضت الخلافة الى ولده محمد المهدي امر بتلك الثياب فكان يعين منها فقرقا

يتبع

جميعا في عبيده وخدمه في ساعة واحدة وكان جوادا شجاعا كثير اللهو والصيد الا انه كان يكثر الزنادقة وقتل منهم خلقا كثيرا ووصى ابنه الهادي بقتلهم حيث وجدهم قال النجم عمر بن فهد في حوادث سنة ستين ومايتين وفيها خلع المهدي العباسي وحمل له الامير محمد بن سليمان النيلج حتى وافى به مكة المشرفة ولقد اشتهى لم يتم لاحد قبله ونزل المهدي دار الندوة وجاء عبد الله بن عثمان بن ابراهيم المجبي في ساعة خالية وسط النهار فدخل عليه فقال ان معي سيالم يحمل الى احد قبلك فتكشف له عن الحجر الذي فيه صورة قدمي خليل ابيه ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهو الذي يزار الى الان بمقام ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فسر المهدي بذلك وقبله ومسح به وصب فيه ماء فشربه وارسله الى اهله واولاده فتمسحوا به وشربوا الماء منه ثم احتمله واعاده الى مقام ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام واعطاه المهدي جوايز كثيرة واقطعه ضيعا بوادي نخلة يقال له ذات القريع فبنا عد بعد ذلك بسبعة الاف دينار وذكر بعجبة الكعبة الشريفة للمهدي انه لما تكلمت على الكعبة الشريفة كسوة كثيرة اثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فامر بنزعها فنزعت حتى بقيت مجردة ووجد الكسوة هشاما من الديباج الخسرواني وكسوة من قبله عاتكة من اليمن فجردت الكعبة الشريفة منها وطلي جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية والمسك والعنبر وصعد الخدام على سطح الكعبة الشريفة وصاروا يسكبون قوارير الغالية والمسك والعنبر والغالية الممسكة المطيبة على جدران الكعبة الشريفة من الجوانب الاربع وتعلقوا بالكرات التي تحاط عليها ثياب الكعبة المشرفة ولهم يمسحون الطيب على الكعبة الشريفة الى ان استوعبوها ثم كسيت ثلاث كسوات من القباطي والخز والديباج وفتح المهدي في الحرمين الشريفين اموالا عظيمة ومبلغ ثلاثون الف الف درهم وصل بها معه من العراق وثلثمائة الف دينار وصلت اليه من مصر ومائة الف دينار وصلت اليه من اليمن ومائة الف ثوب وخمسون الف ثوب فرق جميع ذلك على اهل الحرمين الشريفين واستقر على قاضي مكة المشرفة يومئذ ومحمد الاوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي وامره ان يشتري دورا في اعلى المسجد الحرام ويهدمها ويدخلها في المسجد الحرام واعد

لذلك الموال العظيمة فاشترى القاضي المذكور جميع ما كان قرب المسجد الحرام والمسعى من البيوت
مما كانت من الصدقات والاوقاف اشترى لمستحقين وللمسجد الحرام بدلها دورا من
بفاج مكة المشرفة واشترى كل ذراع مكسر في مثله مما دخل في المسجد الحرام بخمسة
وعشرين دينارا وما دخل في سيل الوادي بخمسة عشر دينارا وكان مما دخل في الهدم
دار الازرق وهي يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من اعلاه على يمين الخارج من باب
بني شيبة وكان ثمن ناحيته ثمانية عشر الف دينار وكان كرسيا دخل في المسجد الحرام
في زيادة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ودخلت ايضا دار حزة بنت سباع الخزاعية وكان
ثمنها ثمانية واربعين الف دينار دفعت اليها وكانت شارعة في المسعى يوميذ
قبل ان توسع المسعى ودخلت ايضا دار آل جبير بن مطعم ودار سيبة بن عثمان اشترى
جميع ذلك وهدم وادخل في المسجد الحرام وجعل دار القوارير برجة بين المسجد الحرام
والمسعى ثم استقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما نالت الخلافة اليه فبناها دارا
ثم صارت الى حماد البربري فعمرها وزينها بالرخام وظاهرها بالقوارير والفسيفساء
قلت وتداولت الايدي عليها بعد ذلك الى ان صارت رباطين متصل صفين احدهما
كان يعرف برباط المراغي والثاني يعرف برباط السدرة واستبد لهما السلطان بايتمش
فبناهما مدرسة ورباطا في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ووقف عليهما استغلات
بمكة المشرفة واقطاعا بمصر وهما باقيان الى الآن صدقة جارية على سكانه عين الله
شرع في اوقافه الخراب لاستيلاء الايادي الحادثة عليها عما سواه من عمرها واحسن
الى من احسن نظرها وهذه الزيادة الاولى للمهدي في اعلى المسجد الحرام كذلك وفي
اسفله الى ان انتهى الى باب بني سهم ويقال له باب العمرة والى باب الحياطين ويقال
له الان باب ابراهيم وكذلك زاد من الجانب الشامي الى منتهاه الان وكذلك زاد
في الجانب اليماني ايضا الى قبلة الشراب وتسمى الان قبلة الشريف والى حاصل الزيت
وكان بين جدار الركن اليماني وجدار المسجد الحرام الذي يلي الصفا بسبعة واربعين
ذراعا ونصف ذراع وكان ما وراء سيل الوادي فهذه الزيادة كلها الزيادة
الاولى للمهدي وامر بالساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت الى بحر جده
في موضع كان في ايام الجاهلية ساحل لمكة المشرفة يقال له الشعيبة فجمعت هناك

لان مرساه قريب كلف بندر جده لان مرساه الذي تقف فيه السفينة بعيد عن البر
وصارت الساطين الرخام تحمل منها على الجمال الى مكة المشرفة وتحاكى بها العربان الى الآن
ويقال ان بقايا الساطين رخام دفنها الهرج في الرمل والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة
ذلك وعمل الاساس لتلك الساطين بحيث جعفر لها في الارض جدرانا على شكل
الصليب اقاموا كل اسطوانة على موضع التقاطع فكشف عنه السيل العظيم الواقع
في سنة ثلاث وتسعماية فشاهدت اساس الساطين على هذا الوجه واستمر
عملهم الى سنة اربع وسبعين وماية فجع المهدي في ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة
ليست في وسط المسجد بل في جانب منه ورأى المسجد قد اتسع من اعلاه واسفله
ومن جانبه الشامي وضاق من الجانب اليماني الذي يلي سيل الوادي وكان في محل السيل
الان بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد في بطن الوادي ثم يسلكون زقاقا ضيقا
ثم يصعدون الى الصفا وكان السعي في موضع المسجد الحرام وكان باب دار محمد بن عباد
ابن جعفر العابدي عند حد ركن المسجد الحرام اليوم عند موضع المنارة الشارعة
في بحر الوادي فيما على المسعى وكان الوادي يمر دونها في بعض المسجد الحرام اليوم فهدموا
دار محمد بن عباد بن جعفر العابدي وجعلوا المسعى والوادي فيها وكان عرض الوادي من
الميل الاخضر الملاصق لمارة التي في الركن الشرقي للمسجد الى الميل الاخضر الآخر
الملاصق الان لرباط العباس وكان هذا الوادي مستطيلا الى اسفل المسجد الان يجري
فيه السيل ملاصقا بجدار المسجد اذ ذاك وهو الان بطن المسجد من الجانب الشمالي
فلما رأى المهدي تربيع المسجد الحرام ليس على الاستواء ورأى الكعبة الشريفة في
الجانب اليماني من المسجد جمع المهندسين وقال لهم ايدان نزيد في الجانب اليماني من
المسجد الحرام لتكون الكعبة الشريفة في وسط المسجد فقالوا له لا يمكن ذلك الا بان
تهدم البيوت التي على حافة السيل في مقابلة هذا الجدار اليماني من المسجد وينتقل
السيل الى تلك البيوت ويدخل السيل في المسجد كما قد شاهده ومع ذلك كان وادي
ابراهيم له سيول عارمة وهو وادٍ حدور نخاف ان حولناه عن مكانه ان لا
يثبت اساس البناء فيه على ما تريد من الاستحكام فتذهب به السيول وتعلو السيول
فيه وتنصب في المسجد ويلزم هدم دور كثيرة وتكثر المؤنة ولعل ذلك لا يتم فقال

المهدى لابدان يزيد هذه الزيادة ولو انفقت جميع بيوت الاموال وصمم على ذلك وعظمت
نيته واشتدت رغبته فصار ليهيج به فهندس المهندسون ذلك بحضوره وربطوا
الالهاج ونصبوها على اسطحة الدور من اول الوادى الى اخره ورفعوا المسجد من فوق
الاسطحة وطلع المهدى الى جبل ابى قبيس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة الشريفة فى
وسط المسجد ورأى ما يهدم من البيوت ويجعل مستقل محل للسعى وشخص الى ذلك
بالالهاج المربوطة من الاسطحة وورى انه ذلك شيء بعد اخر حتى رضى به ثم توجه الى
العراق وخلف الاموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة العظيمة
وهذه هى الزيادة الثانية للمهدى فى المسجد الحرام وهذا ملخص ما ذكره الازرقى والفاكهى
والحافظ نجم الدين عمر بن فهد فى تواريخهم وههنا اشكال عظيم ما رأيت من تعرض له
وهو ان السعى بين الصفا والمروة من الامور التعبدية التى اوجبها الله تعالى علينا
فى ذلك المحل المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العبادة الا فى هذا
المكان المخصوص الذى سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وعلى ما ذكره هؤلاء الثقاة
ادخال ذلك السعى فى الحرم الشريف وحول ذلك المسعى الى دار ابن عباد كما تقدم
واما المكان الذى يسعى فيه الآن فلم يتحقق انه بعض من المسعى الذى سعى فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره فكيف يصح السعى فيه وقد حول عن محله كما ذكره هؤلاء
الثقاة ولعل الجواب عن ذلك ان المسعى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا
وبنيت تلك الدور بعد ذلك فى بعض عرض المسعى القديم فهدمها المهدى وادخل
بعضها فى المسجد الحرام وترك بعضها للسعى فيه ولم يتحول تحويل كليا والا لانكر
علماء الدين من الائمة والمجتهدين مع توفرهم اذ ذاك وكان ابو يوسف ومحمد ابن
الحسن والامام مالك بن انس موجودين يومئذ وقد قرروا ذلك وسكتوا عليه
وكذلك من صار بعد ذلك الوقت فى رتبة الاجتهاد كالامام الشافعى واحمد
ابن حنبل وبقية المجتهدين فلما لم ينكر احد منهم على صحة السعى من غير نكير ينقل عنهم
وبقى الاشكال فى جواز ادخال شىء من المسعى فى المسجد الحرام وكيف يصير ذلك
مسجدا وكيف يصير حال الاعتكاف فيه وحاصله بان يجعل حكم المسعى حكم الطريق العام
وقال علما وبجواز ادخال الطريق فى المسجد اذا لم يضر باصحاب الطريق فيصير مسجدا وصح

الاعتكاف

الاعتكاف فيه حيث لم يضر من يسعى فاعلم ذلك وهذا مما تفردت ببيانه وسه الحمد على
التوفيق لتبيانه والشكر على انعامه وامتنانه **فصل** ومما لابد منه ان نذكر فيه من
عجيب ما نقل من التعدى على المسعى الشريف واغتصابه ما وقع قبل عصرنا هذا بنحو
مائة عام فى ايام دولة ملوك الجراكسة فى سلطنة الملك الاشرف قايتباى المحمودى
ومحصله انه كان له تاجر يستخدمه قبل سلطنته كان مقربا منه فى زمان امارته اسمه
الخواجا شمس الدين محمد بن عمر بن الزمن وكان مقربا منه بعد سلطنته ويتعاطى له
متاجره مع دينه وخبرته ومآثره الجميلة واعتقاده فى العلماء والصلحاء والتصاقه
بطلب العلم ايضا وكان السلطان قايتباى ارسله الى مكة المشرفة ليتعاطى له
متاجره وليعمر له مدرسة ويعمر جانبا من الحرم الشريف ومن بحر الشريف ومن خوف
الكعبة الشريفة وهو الذى امره بعمارة المسجد الشريف النبوى بعد الحريق المشهور
الواقع فى سنة ست وثمانين وثمانمايه وبنى له المدرسة التى فى المدينة المنورة
واجرى عين الزرقا بالمدينة المنورة وعين خليص من طريق المدينة المنورة وعين
عرفات وعين ذلك من الخيرات الجارية الى الان يغزان حب لجاه الجاه ونفاذ الامر
او قعد فيما نذكره وهو انه كان بين الميلين مياضاة امر بعملها السلطان الملك
الاشرف شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون وكانت فى مقابلة باب على يحدها من
الشرق بيوت الناس ومن الغرب المسعى الشريف ومن الجنوب سيل وادى ابراهيم
الذى يقال له الان سوق الليل ومن الشمال دار العباس التى هى الان رباط يسكنه
الفقراء فاستاجر الخواجا شمس الدين بن الزمن هذه المياضاة وهدمها وهدم من
جانب المسعى الشريف مقدار ثلاثة اذرع وحفر اساسه ليبنى بها رباطا يسكنه
الفقراء فمنعه من ذلك قاضى القضاة بمكة المشرفة عالم المسلمين وقاضى الشرع
المبين القاضى برهان الدين ابراهيم بن على بن ظهيرة الشافعى فلم يمتنع من ذلك
فجمع القاضى ابراهيم المذكور محضرا قابل حضره علماء المذاهب الاربعة ومن اجلهم
مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفى رئيس العلماء الحنفية يومئذ
والشيخ شرف الدين محمد بن عبيد الحنفى والقاضى علاى الدين الزواوى الحنفى وبقية
العلماء المكيين والقضاة والفقها وطلب الخواجا شمس الدين بن الزمن وانكر عليه

جميع الحاضرين وقالوا له في وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثون ذراعا واحضروا النقل
من تاريخ الفاكهي وذرعوا من ركن المسجد الى المحل الذي وضع فيه ابن الزمن من اساسه
فكان سبعة وعشرين ذراعا فقال ابن الزمن المنع قاضي الجي او يجمع الناس فقال له
القاضي امنعك الان لانك مباشر في هذا المحل لهذا العمل والفعل الحرام وامر
العزبانزالة تعديه وتوجه القاضي بنفسه الى محل الاساس ومنع البنايين والعمال
من العمل وارسل عرضا ومحضرا فيهما خطوط العلماء الى السلطان قايتباي وكتب ابن
الزمن ايضا اليه وكانت الحراكسة لهم تعصب وقيام في مساعدة من يلوذ بهم ولو على
الباطل فلما وقف السلطان قايتباي على تلك الاحوال نظر ابن الزمن وعزل القاضي
ابراهيم وولى خصمه المنصب وامر امير الحاج ان يضع الاساس على مراد ابن الزمن
ويقف عليه بنفسه وكان امير الحاج يشبك الجمالي فوصل في موسم سنة خمس
وسبعين وثمانمايه ووقف بنفسه بالليل واوقد المشاعل وامر البنايين والعمال
خوفا من الطالة العامة عليهم فبنوه الى ان صعدوا به وجه الارض وجعل ابن الزمن
ذلك رباطا وسبيلا وبنى في جانبه دارا وحفر الميضاة وجعل لها بابا من جهة سوق
الليل وجعل في جانب الميضاة مطبخا يطبخ فيه الرشيشة ويقسم على الفقراء ووقف على
ذلك دورا بمكة المشرفة ومزارع بمصر واستمرت الى ان انقطع ذلك المطبخ في عهدنا
وبعت القدور بل الدور وبالله العجب من ابن الزمن وما ذكرناه من فضله وخيره
كيف اتهكب هذا الحرام باجماع المسلمين وكيف طاب له فيه من الثواب وكيف
تعصب له سلطان عصره الاشرف قايتباي مع انه احسن ملوك الجراكسة عقلا ودينا
وخيرية وهو امر يفعل لهذا الحرام والامر المجمع على حرمته في مشعر من مشاعر الله تعالى وكيف
يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه نهى عن منكر ظاهر الانكار فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر
لهم وابن هذا حكى عن كسرى انوشروان العادل وهو من اهل الكفر انه اراد المهندسون
بتسوية ايوانه بادخال قطعة ارض لجوز بعد ان بذلوا لها اضعاف ثمن ارضها فابت
فلم يجدم التعرض لارضها فبنى في ايوانه انزوارا بسبب ذلك فقال هذا انزوار
جرا من الاستقامة فصار ذلك مثلا يذكر بعد الوقوف من السنين وما قيل

وانما المرء حديث بعده ٭ فكن حديثا حسنا لمن روى ٭

فصل

فصل قال الحافظ نجم الدين بن فهد في حوادث سنة سبع وتسعين وثمانمايه ما ملخصه فيما
هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد الحرام والزيادة الثانية فيه للمهدي فهدموا
كثيرا دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيما وهدموا ما بين الصفا والوادي من الدور
وحرفوا الوادي من موضع الدور حتى اوصلوه الى مجرى الوادي القديم في الاجياد الكبير وما
الان الطريق الذي يمر منه الى دور السادة الاشراف امراء مكة المشرفة عمر الله بهم السبل
وزال بوجودهم مواد الفتنة والفساد وابتدوا من باب بني هاشم من اعلى المسجد الحرام
ويقال له الان باب علي رضي الله عنه ووسع المسجد يمنة الى اسفل المسجد وجعل في مقابلة هذا
الباب باب في المسجد يعرف الان بباب عروه ويحرفونه العوام ويسمونه باب عزوز
لان السيل اذا زاد على مجرى الوادي ودخل الى المسجد الحرام خرج من هذا الباب الى اسفل مكة
المشرفة فاذا الطمغ عن ذلك خرج من باب الحناطين ايضا ويسمى الان باب ابراهيم على
بنينا وعليه الصلاة والسلام فيمر السيل ولا يصل الى جدر الكعبة المشرفة من الجانب
اليماني فكان من جدر الكعبة المشرفة الى الجدر اليماني من المسجد المتصل بالوادي تسعة
وعشرون ذراعا ونصف ذراع فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من جدر
المسجد اولا الى الجدر الذي عمل آخرا وهو باقي الى اليوم تسعون ذراعا فاستم المسجد الحرام
غاية الاتساع وادخل في قرب الركن اليماني في المسجد من اسفله دار ام هاني بنت ابي
طالب رضي الله عنه ويقال الان للباب الذي فتح هناك باب ام هاني لان دارها كانت بقرب
هذا الباب وداخل في المسجد الحرام الان ومن هذا الباب يدخل الى المسجد سرداب آل مكة المشرفة
آل الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وكانت عند دار ام هاني بئر جاهلية حفرها قصي
ابن كلاب احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم فادخلت تلك البئر ايضا في المسجد الحرام
وحفر المهدي عوضها بئرا خارج باب الحزورة يغتسلون عندها الموتى من الفقراء الى الآن
ومن ابواب المسجد الحرام من اسفله باب بني سهم يعرف الان بباب العمرة لان المعتمرين
من التنعيم يدخلون منه الى المسجد ليستقربونه بالنسبة الى الدخول الى المسجد الحرام
ومن اعلى مكة المشرفة كما هو السنة الشريفة وسيأتي ذكر بقية ابواب المسجد الحرام
عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلد الله تعالى ملك سلطانها الى قيام
الساعة ان شاء الله تعالى واستمرت البنايون والمهندسون في بناء هذه الزيادة ووقع

الاعمدة الرخام وتسقيف المسجد الحرام بالخشب الساج المنقش بالالوان نقرا في نقش الخشب
كما ادركناه وكان في غاية الصفا والطرفة والاحكام باقيا فيدلون الازورد في
غاية الصفا والتزويق بالنسبة الى الازورد هذا الزمان واستمر على ذلك المذكور الى ان توفي
المهدي لثمان بقين من المحرم الحرام سنة تسع وستين ومايه قبل ان يتم عمارة المسجد الحرام
على الوجه الذي اراده وكان مولده في جمادى الاخرة سنة ثمان وعشرين ومايه ومدة
ملكه احد عشر سنة وشهرا وعاش ثلاثا واربعين سنة وقعد الامر لولده موسى الهادي

فصل في ولاية ابي محمد موسى الهادي بن المهدي بن المنصور العباسي ولد بالري في سنة
سبع واربعين ومايه وامه ولد تسمى الخيزران والدة هرون الرشيد وكان حين موت
والده بجرجان وقد عهد له ابوه بالخلافة فاخذ له البيعة اخوه هرون الرشيد لما مات
ابوه لثمان بقين من المحرم الحرام سنة تسع وستين ومايه ولم يل الخلافة قبله في
مقدار سنده وركب خيل البريد من جرجان الى بغداد ولما بويع له بالخلافة وما رآها
خليفة غيره وكان طويلا جسيما ابيض بشفتيه الحمرة تكلم فيكثر لذلك فتح فمه
ويغفل عن ذلك فيستر فمه مفتوحا فوكل ابوه في صباه خادما كلما راه مفتوح الفم
قال له موسى اطبق فيفتح على نفسه ويضم شفتيه فلقبه الناس موسى اطبق
فعرف بهذا اللقب وكان وصاه ابوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقا كثيرا وكان شجاعا
كريما يحب المدح دخل عليه مروان بن ابي حفصة فانشده قصيدة في مدحه فلما بلغ الى قوله

تشابه يوما بوسه ونواله ٭ فما احد يدري لايهما الفضل

فقال له الهادي قبل ان يتمها ايها اجب اليك ثلاثون الفا معجلة او سبعون الفا مؤجلة
فقال بل ثلاثون الفا معجلة فقال بعلمائك كلها المعجلة والمؤجلة وعجل لك بما
وامر له بمائة الف وقد مدح ابراهيم الموصلي بقصيدة اولها قوله

سليمى ازمعت بينا ٭ فاين لقاونا اينا

فاعطاه سبعمائة الف درهم وكان كمال المسجد الحرام اول شيء اتم به الهادي وبادر الموكلون
بذلك الى اتمامه وكملوه الى ان اتصل بعمارة المهدي وبنوا بعض اساطين الحرم الشريف
من جانب باب ام هانى بالحجارة ثم طليت بالجص فكان العمل في خلافة الهادي
دون العمل في خلافة المهدي في امر الاستحكام والزينة والاهتمام ولكن كملت عمارة

المسجد

المسجد الحرام على هذا الوجه الذي كان باقيا الى هذه الايام وما زاد بعد ذلك الا
زيادتان نشير اليهما ان شاء الله تعالى وهذه الاساطين الرخام جاء بها المهدي من بلاد
مصر والشام واكثرها مجلوب من بلاد اخميم من اعمال وهي بلدة خراب الان من
بلدان اقليم مصر القديمة كثيرة الرخام يجلب منه الى مصر والى غيرها والله اعلم ولم
تطل مدة الهادي وكانت مدة ملكه سنة وشهرا وتوفي شابا عمره اربع وعشرون
سنة في منتصف شهر ربيع الاول سنة سبعين ومايه واختلف في سبب
موته فقيل انه وقع بيديه له فتعلق به فوقعا في مقصبة فدخلت قصبة في مخاريجهما
فماتا جميعا وقيل بل قتلته امه الخيزران لانه عمل على قتلها واراد قتل اخيه هرون
الرشيد ليولي العهد ولده صغيرا من اولاده عمره عشرسنين وكانت امه
الخيزران قد استبدت بالامور العظام وكانت الموكب تقف على بابها فزجرها
وقال لها ان وقف امير على بابك ضربت عنقك امالك مغزل يشغلك او مصحف
او سبحة فقامت من عنده غضبى فبعث اليها طعاما مسموما فاطعمته كلب فانتفخ لحمه
فعملت على قتله لما وعت وامرت جواريها بان يغممنه وجهه بساط جلس عليه جواريه
فانسد نفسه الى ان مات وولي الخلافة بعده بعهد ابيه اخوه هرون الرشيد
العباسي الخامس من العباسيين ليلة السبت لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر
ربيع الاول سنة سبعين ومايه ومولده بالري لما كان ابوه اميرا عليها وعلى خراسان
سنة مايه وثمانية واربعين وامه الخيزران ام الهادي وفيها قال مروان بن ابي حفصة
الشاعر ٭ يا خيزران هناك ثم هناك ٭ اضحى يسوس العالمين ابناك

وكان فصيحا بليغا اديبا كثير العبادة كثير الحج والغزو وفي ذلك يقول بعض شعرائه

٭ فمن يطلب لقاءك او يرده ٭ ففي الحرمين او اقصى الثغور ٭

وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما في عام واحد وكان يصلي في خلافته كل يوم
مائة ركعة لا يتركها الا لعلة ويتصدق كل يوم بالف درهم ويحب العلم واهله ويعظم
حرمات الاسلام وبلغه عن بشر المريسي انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن
ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتي بلغته الى بيت الفضل بن العباس ويعظمه وكان
يبكي على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه وكان قاضيه ابو يوسف يعقوب صاحب الامام

الاعظم رحمه فكان يعظمه كثيرا ويمثل امره ويروى عن ابى معاوية الضرير قال اكلت مع الرشيد يوما
ثم صب على يدى من لا اعرفه ثم قال لى الرشيد انه يرى من يصب عليك قلت لا قال انا
اجل للعلم واراد الرشيد ان يوصل ما بين بحر الروم والقلزم ليتم بها له ان يغزو الروم
ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكى لو فعلت ذلك دخلت سفاين الروم ارض الغزو
واختطفوا المسلمين من المساجد ومن المسجد الحرام فتركه وكانت ايامه ايام جزر كانها
اعراس ولياحيار فى اللهو واللذات سامحه الله تعالى وله مثالب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى
واسند الصولى عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد فى السنة التى ولى فيها اكلاف فى
اطراف الروم فغزا اهلها وظفر وعاد ووجه بالسبى من آخر السنة وفرق بالحرمين مالا كثيرا
وكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له ان هذا الامر صار اليك فى هذه السنة
فاغزو حج ووسع على اهل الحرمين ففعل هذا كله فى عام واحد وأول خلل فتق ذلك
الحافظ السيوطى وغيره قال الحافظ النجم عمر بن فهد رحمه فى حوادث سنة سبعين
ومايه فيها هاج هرون الرشيد بالناس وفرق مالا كثيرا وكان مجد ماشيا على اليهود تفرقت
له من منزل الى منزل وقيل ان الحجة التى حج فيها ماشيا هى حجه فى سنة سبع وستين ومايه
قال وفى بعض حجات هرون الرشيد انه لما سعى ليسعى فيه فتعلق بعلته وهو يسعى
ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضه فوقف
له هرون واقتتل عليه فصاح به يا هرون فقال لبيك قال ارق الى الصفا فلما رقاه
قال ارم بطرفك الى البيت الشريف قال قد فعلت قال كم هم يعنى الحجيج قال ومن
يحصيهم الا الله سبحانه وتعالى فاعلم ايها الرجل ان كل واحد من هذه الخلق يحاسب عن فاحشة
نفسه ويسال عنها وحده يوم القيمة وامانت وحدث فتسال عنهم اجمعين فانظر
كيف جوابك حين تسال يوم القيمة فبكى هرون بكاء شديدا وجلس وخدمته بعطونه
منديل بعد منديل وهو يسلمها بدموعه فقال له واحرى قولها لك قال قل يا عم فقال
ان الرجل اذا ساء التصرف فى ماله حجر عليه فكيف تصرفت فى مال المسلمين وتسئ
التصرف فيه وانت تحاسب بين يدى الله عز وجل على جميع ذلك فازداد بكاؤه وكثر
نحيبه واراد جنده ان يطردوا الرجل عنه فكفهم عنه الى ان فرغ من نصايحه وقام
عنه بنفسه وهرون يبكى ويتضرع ويستغفر الله سبحانه وتعالى

فصل وفى اثناء دولة

الرشيد

الرشيد قدمت الخيزران ام الرشيد والهادى الى مكة المشرفة قبل الحج فى سنة احدى وستين
ومايه فاقامت الى ان حجت به وعملت الخيزران الخيرات واجرت دورها بالصفا
الى جانب دار الارقم المخزومى التى تشتمل على مسجد ما نوه يقال له المختبى لان النبى صلى
الله عليه وسلم كان يدعو فيه الى الاسلام خفية فى صولة المشركين فى اول البعث واسلم
فيه جماعة من الصحابة رضه ولما اسلم عمر رضه اظهر الاسلام ويقال الان فيقال تسمى فيه الوحى
وهذه الدور التى اشترتها الخيزران متصلة بهذا المزار الشريف وتسمى الى الان دار الخيزران
وكانت قد آلت الى بعض الاشراف من بنى حسن ثم اشتراها صاحبنا المرحوم المغفور المبرور
المحسن المشكور الامير المامور باجراء عين عرفة الى البلد المحمور الباذل نفسه وماله
واولاده فى سبيل الله لنيل المثوبات والاجور دفتردار مصر سابقا صاحب الاوقاف السلطانية
المنصورة السعيد الشهيد المشهور المذكور بالاحسان الى يوم النشور ابراهيم بيك ابن
تغرى بردى المؤيدى اسكنه الله سبحانه وتعالى فى دار القرار جنات عدن تجرى من تحتها الانهار
ثم ملكها ابن المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب جلبى افندى باظر الصدقات السليمية
حضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالمين ذى الخلق العظيم والطبع الكريم المرحوم
المغفور له السلطان سليم نقله الله الى جنات النعيم وملكه تملكا اعظم من ملكه العظيم
فملكها ولو شاء زاده يومئذ قبل ان يلى تخت السلطنة العظمى ففرح بها كثيرا واستبشر بها
وبحصولها ونوى ان ينشئ فيها عمارات وخيرات وجهات تصرف الى الفقراء بهذه الجهات
فلم يقدر على ذلك وزاحمت امور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار وافتتاح بلاد يونس
وغيرها ولم يمكنه الزمان الجائر ولا ساعده الدهر القادر الغادر ولكن حصل له ثواب ما نواه
من الخيرات والاعمال بالنيات وان الارض سيورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فصارت هذه الدار من املاك ملك العصر والزمان سلطان سلاطين الدهر فى هذا
الزمان والاوان صاحب تخت السعادة والاسعاد وارث سرير الملك من الاباء والاجداد
السلطان الاعظم الكريم السلطان مراد خلد الله ايام سلطنته القاهرة الى يوم الحشر والتناد
والهمه العدل فى الرعية لاحياء رسوم العدلة بين العباد قلت ولم اطلع للرشيد مع كراهة
حجه على انه عمر فى ايامه شيأ من المسجد الحرام غير ان عامله بمصر موسى بن عيسى الهدى
الى مكة المشرفة سنة سبعين ومايه مقنوشا مكملا له تسع درجات فجعل فى المسجد الحرام واخذ الحجر القديم

الذى يخطب عليه بمكة المشرفة ووضع فى عرفة وذلك فى اول حجات الرشيد سنة مايه
وستين وقيل فى سنة احدى وخمسين ومايه من الهجرة ووصل الى مكة المشرفة
منبر صغير له ثلاث درجات ووضع فى وجه البيت الشريف فخطب عليه معاوية
ابن ابى سفيان وهو اول من خطب بمكة المشرفة على منبر وكانت الخلفاء والولاة
بها قبل ذلك يخطبون بها قياما على اقدامهم فى وجه الكعبة المشرفة وفى الحجر
الشريف قال ابو الوليد الازرقى فى حدثنى جدى عن عبد الرحمن بن حسن عن ابيه
قال اول من خطب بمكة المشرفة على منبر معاوية بن ابى سفيان وساق ما قدمناه
فى ذلك ثم قال وذلك المنبر الذى جاء به معاوية رضى به من خرب وكان يعمر ولا
يزاد فيه حتى حج الرشيد فاتى بمنبر له تسع درجات وخطب عليه فكان بمكة المشرفة
لم يغير الى ايام الواثق بالله العباسى فاراد ان يحج فامر ان يعمل له ثلاث منابر منبر
بمكة المشرفة ومنبر بمنى ومنبر بعرفات وحج وخطب عليها وفرق بالحرمين على
اهلهما مالا كثيرا وفى ايامنا التى ادركناها من الشباب الى المشيب شاهدنا سائر
عملها سلاطين عصرنا وسنذكرها فى محلها ان شاء الله تعالى ولله الحمد به وحده على جميع انعامه

فصل اعلم ان مما تحققه العاقل ولا يذهل عنه الا الاقل ان الدنيا دار الاكدار
ومحل الهموم والغموم والخسارات وان اخف الخلق بلاء والما الفقراء واكثرهم تعبا وعناء
وهمما هم الملوك والامراء والاكابر ويقال لكل شعر من السرور قامة من الهم ولهذا ليس نجا
على العقل وقيل

لقد قنعت نفسى بالكفول ٭ وصدت عن الرتب العالية
وما جهلت طيب طعم العلى ٭ ولكنما تؤثر العافية

وقيل

يقدر الصعود يكون الهبوط ٭ فاياك والرتب العاليه
وكن فى مقام اذا ما وقعت ٭ تقوم ورجلك فى عافيه

وطالما رضيت الملوك والسلاطين بحال الفقراء والضعفاء والمساكين وقيل

فى كل بيت كربة ومصيبة ٭ ولعل بيتك ان رأيت اقلها

فارض بحال فقرك واشكر الله تعالى على خفة ظهرك ولا تتعد طورك ووقف على حد
تجد ذلك نعمة وعافية ساقها الله اليك ورافة ورحمة افاضها الله سبحانه وتعالى
من خزائن لطفه عليك فاعتبر بهذه الكلمات وخذ لنفسك حظا وافرا من هذه

اللفظات

وذلك ان هرون الرشيد من اعقل الخلفاء العباسيين واكملهم رايا وتدبيرا وفطنة
وقوة واتساع مملكة وكثرة خزائن بحيث كان يقول للسحاب امطرى حيث سيئت
فان خزائن الارض التى تمطرى فيها يجبى الى وهو ذلك كان ابتهم خاطرا واشتهم فكرا
واسغلهم قلبا وكان من اولاده محمد الامين بن زبيده بنت ابى جعفر المنصور فقسم الرشيد
مملكته بين ولديه محمد الامين وعبد الله المامون وكانت زبيده قد استولت
على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف ما ارادت وكان ولدها محمد الامين شديد الترف
والدلال كثير اللهو واللعب مغلوبا على عقله لا يصلح للملك ولا يستحق اكثر فتوولده
الثانى من جارية سوداء اسمها مراجل من جوار الطبخ نمات فى نفاسها وعبد الله المامون
اتم عقلا واكمل رايا واصح تدبيرا واكثر فضل ومعرفة فيه صلاح لتدبير الملك واهليته
لان يصير خلفا عن ابيه فى خلق فقده وما قدر ابوه ان يجعله ولى عهده بعده مجاذرة على خاطر
زبيده على ذلك فجعل محمد الامين ولى عهده فى سنة خمس وسبعين ومايه ولقد ان امين
وعمره يومئذ خمس سنين بحرص امه زبيده على ذلك وجعل عبد الله المامون ولى العهد
بعد محمد الامين فى سنة اثنين وثمانين ومايه وولاه ممالك خراسان باسرها وعهد
الى ولده الثالث فى سنة ست وثمانين ومايه وولاه الجزيرة والثغور وهو صبى ولقبه
المؤتمن وقسم مملكته بين هذه الثلاثة فقال العقلاء لقد القى بينهم واضر الرعية بهم قال عبد الله
ابن صالح ٭ الله قد هرون حل فقده ٭ لما اصطفاه فاحيا الدين والسننا
٭ وقدم الامر هرون لرائده ٭ بانا بنا وماونا وموتمنا

وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه اميا فاراد الله تعالى فى ما اراد
به الرشيد وقتل محمد الامين على يد عبد الله المامون وصارت الخلافة بعد المامون الى محمد
المعتصم ساقها الله سبحانه وتعالى اليه وجعل الخلفاء كلهم من نسله ولم يجعلها من غير نسله من
اولاد الرشيد وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وكان الرشيد لما حضر عهده لاولاده
الثلاثة جمع المجموع وامرهم بمبايعة اولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب
بذلك عهدا محكما وكتابا ابرمها ووضع الاعيان والاكابر والاركان والامراء خطوطهم
عليه وجهزه الى بيت الله الحرام وامر بتعليقه فى وسط الكعبة الشريفة ليشتد
الوثوق به ولا يقع خلافه والله سبحانه وتعالى غالب على امره وفى ذلك قال ابراهيم الموصلى

جزا الامور معتمد ٭ واحق امر بالتمام ٭
امر قضى احكامه ٭ مولاى فى البيت الحرام ٭

ولم يفد ذلك التدبير عما رقمه القدير فى لوح المقادير واسه على كل شئ قدير وقال

ولو كانت الدنيا تنال بفطنة ٭ وتدبير اريب لنال اعلا المراتب ٭
ولكنها الاقدار تجرى بقدرة ٭ من اسه لا يجرى تدابير طالب ٭

قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى ذكر محمد بن الصباح البزاز ان اباه شيع الرشيد من خراسان الى النهروان فجعل يحادثه فى الطريق ويشكو الرشيد همومه ويتنفس عنده نفثات الصدور الى ان قال له يا صباح الخلد لا ترانى بعد هذا فقلت بل يطيل اسه عمر امير المومنين ونفديه بارواحنا ويعيش سالما من الافات فقال انك لا تدرى ما اجد فقلت لا واسه فقال تعال حتى ابثك ما اجده عن غرك وتنحى عن الطريق واومى الى من معه بالتنحى عنه ولم يرمقونه بطرف فخفى ثم قال امانة اسه يا صباح اكتم امرى فقلت نعم فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير عريض معصوبة على بطنه فقال هذه علة اكتمها عن كل احد وحولى رقباء لكل واحد من اولادى يعدون انفاسى على نفسه ورقيب المامون وجبريل بن بختيشوع رقيب الامين وفلان وعدنا لنا انسيته رقيب المعتصم وكل منهم يحصى ايامى وساعاتى ويستطيل عمرى وحياتى ويظهر ذلك الان منهم فانى اطلب منهم برذونا فياتونى به اعجف ضعيفا يزيد فى علتى ويضاعف على مرضى ثم طلب منهم برذونا لكوبه فاتوه ببرذون عاجز منقطع يتعبه اكبه كما ذكره واوهمه ايهم ويصبر على ما يكابده فنظر الى نظرة حزين مكروب وركب على ذلك البرذون فقبلت رجله وودعته وفارقته ولهم ينظرون الى نظرة خفت عاقبتها وكفانى الله سبحانه وتعالى شرهم واستمر الرشيد عليل الى ان بلغنى وفاته بطوس انظر الى هذا الملك الجليل والخليفة النبيه النبيل والسلطان الذى قال ان يوسف ميت ٭ وما عاجز فى بيه غمانه ٭ مغلوب عليه فى مملكه وسلطانه ٭ متحسر على عظم شانه متاسف على علو مكانه ٭ بيده خزائن الارض وما يملك مما نقيرا ولا قطميرا ٭ ولا يقدر على شئ وكان ربك قديرا ٭ ولما جرت للمنذة موسى الحمام على الصفوف ومزقتا ثياب رشيد مخالب المنون ٭ وخلعت عنه خلع الملك فتداولت السلطان ٭ وغسلته سماء الدموع بماء الاجفان ٭ وحنطته بحنوط اعماله ٭ وادرجته فى خام خصاله

وخلده

وخلاله ونقلته من سرير السعود الى لحد الخلود فمضى كان لم يكن شيا مذكورا وكان ابن اسه قد رامقدورا وقد حكى ان الرشيد كان يرى منامات انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس وقد غلب عليه الوجع عرف انه ميت فبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لى القبر فى هذا المحل احفروا له وقال قربونى الى شيعته فحملوه فرقد الحان نظر الى القبر فقال عبرة وقال يا ابن ادم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير وانه ينزل الى لحده من يقرا ختمة فيه ففعلوا ذلك فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد فى القبر بطوس لثلاث عشرين من جمادى الاخرة سنة احدى وتسعين ومايه وتقدم ان مولده بالرى سنة ثمان واربعين ومايه وكانت مدة ملكه ثلثا وعشرين سنة وشهرين ونصف شهر والله اعلم

فصل لما توفى الرشيد ولى الخلافة ولده محمد الامين وكان مليح الصورة ابيض اللون فصيحا جميلا بليغا سيى التدبير كثير التبذير ضعيف الراى عن لا يصغى الى قول المشير ولما ولى الخلافة فتح اللهو سفارا وشرب الخمر خمارا وخلع العذار فى العذارى واشترى عزيب المغنية بماية الف دينار واخذ جارية من عمر ابراهيم بن المهدى بعشرين الف دينار وعزل اخاه المومن وخلع اخاه المامون وارسل الى الكعبة المشرفة من جاه بصحيفة العهد عهد ولده له ولاخويه فمزقها وعهد الى ولده رضيع سماء الناطق باكى ودعاله على المنابر وممن نصح الامين ومنعه من هذا الغدر والنكث حازم بن خزيمة فقال له يا امير المومنين لئن ينتصحك من كذبك ولم يغشك من صدقك والى انصحك واصدقك ولا اكذب فى نصحك لا تجرى العوادى على الحلم فتخلعوا ولا تحملهم على نكث العهد فينكثون عهدك وان الغدر شوم والناكث منكوب مغلوب وصاحب الحق مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم وتوجد القلوب اليه ورقة النفوس له ولذلك تاثير فى الظاهر والباطن فابى الامين عنه وبذكلامه وعمل برايه السقيم وصمم على ذلك اشد تصميم وارسل جيشا على بن عيسى على احد جنود المامون عدتهم اربعون الفا وارسل المامون لقتاله طاهر بن الحسين وعدة اربعة الاف مقاتل فانهزم على بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عسكره وجاء طاهر بن الحسين براسه الى المامون وكم من فية قليلة

غلبت فيه كثيرة باذن الله فقوى قلب المامون لذلك وكثر اتباعه ومال الناس اليه فجمع
الجموع وسار الى بغداد لقتال اخيه الامين ولما زال امر اخيه المامون بحسن تدبيره
وانقياد الناس اليه وبضعف امر الامين بكرة لهوه وتقصيره ونفور القلوب
عنه الى ان حصر فى بغداد وتفرقت عنه جنوده وصار بوامنه الى المامون فكل ذلك
والامين فى لهوه وغفلته ولعبه مع نسايه بحضرته واحتجابه عن اهل دولته
الى ان نجم طاهر بن الحسين ودخل بغداد فجاء مسرور الخادم الى الامين وهو فى جنب
حوض ماء مع جواريه يصيد معهن السمك فى ذلك الحوض وكان وضع فى انف
كل سمكة درة نفيسة شبكها بقصبة الذهب فكل من صادت من جواريه سمكة
كانت الدرة التى فى انفها لصايدتها فرفع الامين راسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين
دخل بعسكره الى بغداد فقال دعنى فان الجارية قد نصادت مشغفين وانا ما صدت شيا
فرجع مسرور بها هنا واذا بالجند قد احاطوا بدار الخلافة ونهبوها واسست طاهر بن الحسين
الامين بيده وجلسه فلما شاهد الامين هذا الحال قال لطاهر بن الحسين يا طاهر اعلم
انه ما قام لنا قايم قط فكان جزاوه عندنا الا السيف فانظر لنفسك اودع بلوح يا بى
مسلم الخراسانى وامثاله الذين بذلوا انفسهم فى قيام الدولة فكان ما آلهم الى القتل وفعله
عادة الله تعالى فى مقيمى الدول كعمرو بن سعيد قام دولة عبد الملك بن مروان فقتله
وابى مسلم الخراسانى قام بدولة السفاح فقتله المنصور وكعبد الله القايم بدولة
العبيديين قتل عبد الله المهدى وامثال ذلك كثيرة فيمن ذكر فاثرت هذه الكلمات
فى قلب طاهر وصار يحذر منها الى ان كان اخر جلد قتل المامون بيده ولما راى طاهر
ابن الحسين بعد الاستيلاء على الامين وجلسه عدم سكون الفتنة ادخل اعجميا
لا يعرف اللسان على الامين وامرهم بقتله فقتلوه واخذ راسه وطيف به فى مدينة
بغداد ونودى على هذا راس المخلوع الى ان سكنت الفتنة وكان ذلك فى المحرم سنة
ثمان وتسعين ومايه قال محمد بن راشد اخبرنى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين
لما حوصر قال فطلبنى فى ليلة مقمرة فجيته فقال اما ترى فى حسن هذه الليلة وصفو
هذا القمر فاشرب معى نبيذا فقلت نعم فسقانى ثم طلب جارية مغنية فجات جارية
اسمها ضعف فتطيرت منها وغنت وانشدت وجعلت تقول شعر النابغة الجعدى

كليب

كليب لعمرى كان اكثر ناصرا ... وايسر ذنبا منك ضرج بالدم
فتطيرت من ذلك فقال غنى غير هذا فغنت وجعلت تقول
الكى فراقهم يوما فارقنى ... ان التفرق للاكباد قطار
ما زال بعدو عليهم ريب دهرهم ... حتى تفانوا وريب الدهر عذار
فقال لها لعنك الله اما تعرفين غير هذا فقالت
اما وريب السكون والحركات ... ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السماء فى الفلك
الا لنقل السلطان عن ملك ... قد زال سلطانه الى ملك
وملك ذو العرش دايما ابدا ... ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فقامت فغرقت فى كاس بلور فكسرته فازداد تطيرا فقال لها ابراهيم
ما اظن امرى الا قد قرب واذا بصوت سمعناه من الشارع قضى الامر الذى فيه تستفتيان
فقام مغتما وقت عنده فاخذ بعد ليلتين وقتل وعلم بقتل الامين على المامون وكان يريد ان
يرسل بطاهر بن الحسين اليه ليرى رايه فيه فخفف ذلك على طاهر حتى عاش طويلا بعيدا
وآل امره الى ما آل والى الله المصير

فصل

لما تم على الامين تمام وكان على ما قد رايته
اشد مايم آل الملك الى عبد الله المامون بعد قتل اخيه فى سنة ثمان وتسعين ومايه
وكان من رجال بنى العباس حزما وعلما وحلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وتادب
وتفقه وبرع فى فنون التاريخ والادب ولما كان اعتنى بالفلسفة وعلوم الاوايل فضل
واضل ومحن الناس بالقول بخلق القران ولولا ذلك كان يعد من اكمل الخلفاء وكان يضرب
المثل بحلمه ومن انصافه انه راى آل البنى صلى الله عليه وسلم احق بالخلافة من غيرهم فلم
يخلع نفسه وتفويض الامر الى على بن موسى الكاظم وهو الذى لقبه بالرضى وضرب الدراهم
والدنانير باسمه وزوجه ابنته واره بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولى عهده فى
الخلافة فاشتد ذلك على بنى العباس وخرجوا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدى ولقبوه المبارك
فسار المامون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المامون فى صفر سنة
اثنتين ومايتين وتوفى على بن موسى الرضى فى سنة ثلاث ومايتين واسف عليه المامون
واراد اقامة غيره وذكر الصولى ان بعض اصحابه قال له انك فى بركة باولاد على بن ابى طالب

والامر فيك قدر على برهم والامر فيهم وكملة العباسيون فى اعادة لبس السواد فابى فكرهوا على ذلك
الى ان جاءهم الخبر ذلك واعادوا شعار السواد وكان كثير الجهاد وهو الذى فتح قرة حصار وكان
كثير العبادة قيل انه ختم فى شهر رمضان ثلثمائة وستين ختمة وكان العلماء محبوبين فى ايامه
يجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله تعالى ويقال ان سبب موته انه اشتهى
اكلة سمكة تسمى البرعاده ان لمسها احد اخذته النفاضة من ساعته لشدة برديها فاكل
منها فمات لوقته وما امن المامون من اظهار ريب المنون ونقل من الملك الى الهلك فاح
جسمه للصون وولاه التراب عن الاحباب وسالت عليه العيون ورجع الى ربه الكريم فانا
له وانا اليه راجعون وكانت وفاته لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ثمان
عشرة ومايتين بارض الروم ودفن بطرسوس وفيه قال ابو سعيد المخزومى

هل رايت النجوم اغنت عن المأ ... مون اوعن ملكه المأنوس
خلفوه بعرصتى طرسوس ... مثلما خلفوا اباه بطوس

فصل لما مات المامون ولى بعده اخوه ابو اسحق محمد المعتصم بالله بن هرون الرشيد
مولده سنة ثمان وثمانين ومايه وكان يقال له المثمن لانه ثامن الخلفاء وثامن اولاد
الرشيد والثامن من ولد العباس واستخلف سنة ثمان عشرة ومايتين وملك ثمانية
اعوام وعاش ثمانية واربعين سنة قال الصولى قد كان مع المعتصم غلام فى الكتاب يتعلم
معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال اى سيدى قد استراح
من الكتاب قال يا ولدى ان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال لمعلمه اتركه للتعليم
فانشأ عاميا يكتب كتابة مغشوشة ويقرا قراءة ضعيفة وقال نفطويه كان المعتصم
من اشد الناس قوة وبطشا كان يجعل بين فخذيه الرجل بين اصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ
السيوطى وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها احد فيما اول من ادخل الاتراك الدواوين و
يتسبب بمملوك الاعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر الفا وبعث الى سمرقند وفرغانة
اموالا لشراء الاتراك والبسيم الخواتيم الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل فى بغداد
ويؤذون الناس وضاقت بهم البلد فشكاهم اهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه
وقالوا ان لم يخرج جندك الاتراك عنا خربنا بلدك قال كيف تحاربون وانتم عاجزون
عن حربى قالوا نرميك بسهام الاسحار ونسل عليك سيوف الدعا فقال واسلاه الطيق

ذلك ولكن انظروا فى لانظر لى بلد اسفل بهم اليها ولا تضجروا بى ولكفوا عنى سهام دعائكم
فبنى مدينة سر من راى بقرب بغداد وانتقل اليها فى سنة اثنين وعشرين ومايتين
وللمعتصم غزوات مع الكفار من اشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها اليد البيضا
ونصر فيها الملة المحمدية الغراء وخذل فيها الكفرة اعداء الدين واعز فيها الاسلام
والمسلمين وملخصها ان ملك الروم ارسل كتابا الى المعتصم تهدده فاستشاط
غضبا وامر بجوابه فكتب له الجواب فلم يرض منه شيئا ومزق الكتاب الذى ورد
عليه وامر ان يكتب فى ظهر قطعة منه بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقراه
وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ويحمد من ساعته فنعله المنجمون وقالوا ان البطالم
نحس فقال لهو نحس علينا لا علينا وسار من يومه وتلاحمت العساكر ووقع
حرب عظيم قتل فيه ستون الفا من النصارى واسر منهم ستون الفا وهرب
ملكهم وتحصن بحصن عمورية فحاصره المعتصم ونزل به الى ان فتحه واسر ذلك
الملك الكافر وقتله وكان ذلك فتحا عظيما من اعظم فتوحات الاسلام ومدحه
الشعراء بقصايد طنانة واحسن ما قيل فيه قصيدة ابى تمام التى سارت بها الركبان
وطنت حصاتها فى الاسماع والاذهان وهى

السيف اصدق انباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفايح لا سود الصحايف ... فى متونهن جلا الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة ... بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
اين الرواية بل اين النجوم وما ... صاغوه من زخرف منها ومن كذب
ولوتبين امر قبل موقعه ... ما خيف ما حال بالاوثان والصلب
فتح تفتح ابواب السماء له ... وتبرز الارض من ابوابها العجب
تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتقب فى الله مرتغب
لم يرد قوما ولم ينهض الى بلد ... الا تقدمه جيش من الرعب
لولم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا ... من نفسه وحدها فى عسكر لجب
عداك عن النفوس الشاصية عن ... برق الغموم وعن سلسالها الخصب
حتى تركت عمود الشرك منعفرا ... ولم يقرح على الاوثان والطنب

ان الاسود اسود الغاب همتها ٭ يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
خليفة الله جازى الله سعيك عن ٭ جرثومة الدين والاسلام والحسب
ان كان بين ظروب الدهر من رحم ٭ موصولة او ذمام غير منقضب
فبين ايامك اللاتي نصرت بها ٭ وبين ايام بدر اقرب النسب
انظر الى هذه الدر المنضود ٭ والجوهر الذي يزري بجواهر العقود ٭ وتنزه في رياض
الفاظه ومعانيه ٭ واجتن ثمار البلاغة من معاطف اغصانه ٭ ومحاسنه ٭ وخذ
بالحظ الوافر من ذوق تراكيبه ومبانيه ٭ وكان المعتصم من اغلاظ الخلفاء الذين
الزموا الناس بالقول بخلق القرآن وهذه من اعظم خلاله الردية ٭ مع انه كان عاميا
لا حظ له من الكمالات العلمية ٭ بل حمله على ذلك مجرد الجهل والتعصب ٭ ومكان اغناه
هو واخوه عن الزام العلماء بهذه الجهليات عدوانا وتعنتا ٭ وما لهم وللدخول في
هذه المسالك الضيقة ضلالا وغيا ٭ وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور بهذه
الدنيا ٭ فما اسرع ما ذهبوا وذهب عزورهم وعزهم بردا ٭ ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا
يظلم ربك احدا ٭ ولما جرد عليه الاجل سيف المنون ٭ ما عصم المعتصم ظهور الحصن
ولا منعه من حسام الحمام مال ولا بنون ٭ ومن بعض ما قيل

كل حي لاقى الحمام بمودى ٭ مالحي مؤمل من خلود
لا يهاب المنون شيئا ولا ٭ يرعى على والد ولا مولود
يقدح الدهر من شماريخ هضبو ٭ ويحط الصخور من صهود
ولقد تركت الحوادث والايام ٭ وهما في الصخرة الجلمود
وارانا كالزرع يحصدنا الدهر ٭ فمن بين قايم وحصيد
يحكم الله ما يشاء ويمضي ٭ ليس حكم الاله بالمردود
ليس ينجي من المنون حصون ٭ عاليات ولا حصار حديد

ومن ارجى دعايه لما احتضر اللهم انك تعلم اني اخاف من قبلي لا من قبلك ٭ وارجوك
من قبلك لا من قبلي ٭ فيا من لا يزول ملكه ارحم من كان زال ملكه ٭ وتوفي في يوم
الخميس لاحد عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومايتين

فصل وولي الخلافة بعده المعتصم ابنه ابو جعفر هرون ولقب الواثق بالله

في تاسع شهر ربيع الاول سنة ثمان وعشرين ومايتين ومولده لعشر بقين من
شعبان سنة ست وتسعين ومايه وامه ام ولد رومية اسمها قراطيس واستخلف
تركيا اسمه اشناس ولقبه بات سلطان وهو اول خليفة استخلف سلطانا
والبسه وشاحين بجوهرين وتاجا بجوهر واتبع اباه في الامر بالقول بخلق القران
ثم رجع عن ذلك في اخر امره قال الخطيب كان القاضي احمد بن ابي دؤاد قد استولى
على الواثق وحمله على التشديد بالقول بخلق القران فحمل اليه رجل ممن خالف في هذه
المحنة والقاضي احمد بن ابي دؤاد حاضر فقال الرجل وهو مكبل بالحديد اجزوني عن
هذا الراي الذي دعوتم الناس اليه هل هو شيء علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع
الناس اليه او هو شيء لم يعلمه فقال ابن ابي دؤاد بل علمه فقال الرجل وسع النبي صلى
الله عليه وسلم ان يسكت عنه وانتم لا يسعكم فهتوا وضحك الواثق وقام قايما
على قدميه ودخل بيته ومد رجله وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وسلم ان يسكت
عنه ونحن لا يسعنا وامر ان يعطى الرجل ثلثماية دينار وان يرد الى بلده ولم يمتحن
احدا بعد ذلك ومقت ابن ابي دؤاد من يومئذ ولم ير تغير له شان والرجل هو ابو عبد
الرحمن عبد الله بن محمد الازدي شيخ النساي وكان الواثق عالما شاعرا جاذ قال ابن الكلبي
اكثر بني العباس رواية للشعر ومن شعره في واقعة حال هذه الابيات

جاءك بالرجس والوبر ٭ معتدل القامة والقدر
فالهبت عيناي نار الجوى ٭ وزاد في اللوعة والوجد
املت بالملك وصالا به ٭ فصار ملكي سبب البعد
مولاي تشكي الظلم من عبده ٭ فانصف المولى من العبد

قال الصولي اجمعوا على انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الابيات في الرقة واللطف
مات بسر من راى يوم الاربعا لست بقين من ذي الحجة سنة اثنين وقيل ثلث ومايتين
وحكى انه لما مات ترك وحده واستغاث الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذان واستل
عينيه واكلها فسبحان العزيز المتعالي وتبارك القوي القادر ذي الجلال بيده
الملك لا يزول ولا يزال

فصل ثم ولي الخلافة بعده اخوه المتوكل على الله
ابن المعتصم بن الرشيد العباسي مولده سنة خمس ومايتين وبويع له بالخلافة في اليوم

الذى مات فيه اخوه وامه ام ولد تركية اسمها شجاع وكان كريما اعطى خليفة شاعرا
ما اعطاه المتوكل وكان سنيا سنيا اظهر السنة واكرم العلماء وامات البدع ومنع
القول بخلق القرآن وامر النصارى بلبس الغلو وشنع على الجهمية والمعتزلة وامر ان
يطاف بحمار يحلق لحية قاضى مصر محمد بن ابى الليث ويطاف به الاسواق على حمار لانه كان
جهميا يقول بالجهمية وخلق القرآن ففعل به ذلك ومن افعاله الشنيعة انه هدم
قبر الحسين بن على رض فى سنة ست وثلاثين ومايتين وهدم ما حوله من الدور
وجعله مزرعة ومنع من زيارته فتالم الناس من ذلك وكتبوا السنتهم على الحيطان وقيل

فلقد اتاه بنوا ابيه بمثله ... بهذا لعمري قبره مهدوما
اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا ... فى قتله فتتبعوه رميما

وهذا الفعل السيئ مجامع محاسنه وصار ما عذب من زلال احسانه مغلوبا باجاجه
وآسنه وعدت عليه هذه الزلة افضح فضيحة وهذه الخلة الشنيعة اقبح قبيحة
ووقعت فى ايامه عجايب مما ان النجوم ماجت فى السما وتناثرت الكواكب كالجراد ولم
يعهد قط مثل ذلك ورجمت قرية السويدا باحية مصر بحجارة من السما فوزن حجر
منها فكان عشرة ارطال والتقى جبل باليمن عليه مزارع الى جبل اخر ووقع على جبل
طابر ابيض دون الرخمة فصاح يا معشر المسلمين اتقوا الله تعالى اربعين مرة وجاء
من العد ففعل كذلك فكتبوا اخر ذلك على البريد الى بغداد وكتبوا فيه شهادة
جماعة انسان سمعوا ذلك باذانهم وذلك فى شهر رمضان سنة واحد واربعين
ومايتين وحصلت الزلازل وغارت عيون مكة المشرفة فارسل المتوكل الى مكة
المشرفة ماية الف دينار فهالها اجراء العين التى بعرفات فصرفت فيما الى ان جرت
كذا ذكره الحافظ السيوطى وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد فى كتابه اتحاف الورى
باخبار ام القرى فى حوادث سنة خمس واربعين ومايتين فيما غارت عين شاس
وهى عين مكة المشرفة فبلغ ثمن القربة من الماء درهما فبعث المتوكل على اسه جعفر
ابن المعتصم مالا فانفق عليها حتى جرت كذا ذكره ابن الاثير فى تاريخه وهذه العين
من عمل زبيدة وهى عين بازان ظنا انتهى قلت عين شاس موجودة الى الآن
وهى من جملة العيون التى تنصب فى ذيل عين حنين وهى تجرى وتضعف احيانا

بقلة المطر وعلمها معروف ولما كثرت المماليك وتحكم الاتراك فى بغداد واخذوا فى امر الملك واستولوا
على المملكة وصاروا هم اهل الحل والعقد والولاية والعزل الى ان حملهم الطغيان على العدوان وبسطوا
على الخليفة المتوكل لما اراد ان يبادر مملوك ابيه وصيف التركى الكرة امواله وحز اذنيه
فغضب له كاغر التركى وانحرف الاتراك عنه فدخل باغر عليه ومعه عشرة اتراك
وهو فى مجلس انسه وعنده وزيره الفتح بن خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات
فصاح الفتح ويلكم هذا سيدكم وابن سيدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والندما
على وجوههم وبقى الفتح وحده والمتوكل غايب عن نفسه من السكر فضربه باغر بالسيف
على عاتقه فقده الى حجره فطرح الفتح نفسه عليه فضربهما باغر ضربة ثانية فماتا معا
فلفهما فى بساط ومضى هو ومن معه ولم يتخط فى ذلك كله شان وكان قتله فى ليلة
الاربعا لليلتين مضتا من شوال سنة سبع واربعين ومايتين فى القصر الجعفرى وكان
بناه المتوكل ولما قتل دفن فيه هو ووزيره الفتح بن خاقان الذى قتل معه وكانت ولاية
وطول قتله اربع عشرة عاما وعمره احدى واربعون سنة **فصل** وولى بعده
ولده محمد ابو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن هرون الرشيد بويع له
بالخلافة بعد قتل ابيه ولم تتم الملك لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة وقيل
انه والى الاتراك على قتل ابيه ليلى الخلافة بعده والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك وكان
على حنق من الاتراك ويسمهم ويقول هولاء قتلة الخلفا فلم يتمنوه واراد وا قتله فعلم المنتصر
الاقدام على ذلك لشدة محاذرته منهم فدسوا الى طبيبه ابن طيفور مايتى الف دينار
عند توعكه ليسمه فقصده بمبضع مسموم فاحس بذلك واراد قتل الطبيب فقال
له انك تصح طبيبا وتندم على قتلى فامهلنى الى الصبح فامهله فاصبح ميتا ويحكى انه بات
ليلة فى وعكه وابتهل فى دعاء وهو يبكى فسالته امه ما يبكيك فقال افسدت دينى
ودنياى رايت ابى الساعة وهو يقول قتلتنى يا محمد لاجل الخلافة واسلا تنتفع بها الا
اياما قلايل ثم مصيرك الى النار فاستمر هو هو ما من هذا المنام فما عاش بعد ذلك الا
اياما قلايلة وذكر ابن يحيى المنجم ان المنتصر جلس يوما للهو وامر بفرش بساط من دخاير الخزينة
تداولته الملوك ففرش فراى فيه صورة راس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية
فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر لذلك رجل من الاعاجم فقراه بلسانه وعبس

عند قراءتها فسأله المستعين عنها فقال لا معنى لها فالح عليه فقال لعلها ان الملك سيرويه
ابن كسرى بن هرمز فقلت ابى فلم اتمتع بالملك بعده الا ستة اشهر وهى مشهورة فتغير
وجه المستعين وقام من ذلك المجلس وترك اللهو لذلك ايراده وصار مغتما لذلك متهما
به وكان على خلاف رأى ابيه فى آل ابى طالب واعاد قبر الحسين رضى الله عنه بعد ما كان عفا
ابوه وامر بزيارته وورد على آل الحسين فدك وقصته مشهورة ومما يتعلق
الشيعة على ابى بكر رضى الله عنه وانما فعل ذلك بحديث سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم
حيث قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وواظفه على ذلك اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورضى به على بن ابى طالب رضى الله عنه ولم ينقض ذلك الحكم لما آلت الخلافة اليه
لعلمه ان ذلك هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال وكانت خلافة المستعين ستة اشهر
كما توهمه قال ابو منصور الثعالبى فى المحاسن ان اعراق الاكاسرة فى الملك بسرويه
قتل اباه فلم يعش بعده الا ستة اشهر واعراق خلفاء بنى العباس المستعين قتل اباه
فلم يعش بعده الا ستة اشهر انتهى قلت وكل منهما مات مسموما وكانت وفاة
المستعين بالفصد بمبضع مسموم كما قدمناه لخمس مضين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان
واربعين ومايتين وكان عمره ستا وعشرين سنة والله تعالى اعلم **فصل**
ثم ولى بعده ابو العباس احمد المعتز بالله بن المعتصم بالله عم المقتدر بالله اخو
المتوكل على الله وانما قدمنا الاتراك واخباره وعدلنا عن اولاد المتوكل لانهم
كانوا قتلوه فخافوا ان يلى الخلافة احد من اولاده فيأخذ بثاره ابيه فاختاره من
اولاد المعتصم المستعين بالله ومولده سنة احدى وثلاثين ومايتين واسم والده تسمى
تسمى بمحارف وكان له من الخلافة الا الاسم وكانت كلمة الاتراك مستولية
على الملك وكان الامر جميعه لوصيف التركى وباغر التركى وقيل فى ذلك

خليفة فى قفص ... بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له ... كما تقول الببغا

واستمر كذلك وما يزيد صدورهما فظهر بوصيف التركى فقتلاه وبقى باغر التركى الذى كان
سطا فى المتوكل وقتله فتملكت الاتراك فخرج عليهم من سامرا الى بغداد فارسلوا
اليه يعتذرون منه ويسألونه العود الى سامرا وهى محل الاتراك فامتنع منهم وكان

المستعين فاضلا اديبا اخباريا مطالعا فى التواريخ مطلعا عليها متحملا فى ملبسه وماكوله من
احدث الاكمام العراض فجعل عرض اكمامه ثمانية اشبار وهو الان من شعار سادات الاشراف بنى حسن
اشراف مكة المشرفة اعزهم الله تعالى ولما ابى المستعين عن العود الى الاتراك فى سامرا قصدته الاتراك
خلعته فاتوا الى الحبس واستخرجوا منه محمدا باعبد الله بن المتوكل على الله وبايعوه المعتز بالله
وبايعوه وعمره تسعة عشر عاما ولم يأكل فاكهة صيفا منذ خلعوا المستعين بالله
فى اول سنة اثنين وخمسين ومايتين وجيشوا الى بغداد جيشا كثيرا على المستعين بالله
وقاتلوه وقاتلهم ودام القتال شهرا وكثر القتل وغلت الاسعار وعظم البلاء وقل سمى
امر المستعين بالله الى ان خلع نفسه واشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك فاخذوه
واخذوا به الى واسط وحبسوه بها تسعة اشهر ثم نقله سعيد الحاجب فحبسه فى الجص
فى ثالث شوال سنة اثنين وخمسين ومايتين ولاحد وثلاثين سنة واستم المعتز
خليفة وكان بديع الحسن حسن الصورة وليس فى الخلفاء اجمل منه حسنا وكان نحيفا
مع الاتراك وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز حاكما منه فاجمع الجند عليه
وطلبوا منه ارزاقهم ووعدوه انه اذا اتفق عليهم ارزاقهم ركبوا معه على صالح بن وصيف
وقتلوه فيصفو له الملك ولم يكن فى خزائنه مال يصرفه عليهم فطلب من امه وكانت
تركية اسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء فابت عليه وشحت بالمال وسخت بولدها
وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتفق الاتراك على خلعه وركب صالح بن وصيف
ومحمد بن بغا ومن معهما واتوا الى دار الخلافة فهجموا على المعتز وجروا برجله وقفوه
فى الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه وادخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات
عطشا **فصل** واحضروا ابا عبد الله محمد بن الواثق وبايعوه المهتدى بالله بن الواثق
بالله بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة لليلة بقيت من شهر رجب سنة خمس
وخمسين ومايتين وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن وصيف قبيحة ام المعتز
وعذبها حتى اخذ منها الف الف دينار وذهبا جيدا ونصف اردب لؤلؤ ومثله زمرد
وستة اردب ياقوت احمر ثم خرجت الى مكة المشرفة فاقامت بها الى ان ماتت وقال الناس
الترحم عليها حيث ظهر هذا المال عندها وشحت به على ولدها وكان المهتدى كثير العبادة
ليس له من الامر شىء وكان قد اطرح الملك وهو ومنع الظلمة من الظلم فانفقت الاتراك

على خلعه وركبوا عليه فخرج اليهم وقاتلهم بنفسه الى ان اسكوه باليد وعصروا على بطنه الى ان مات
في شهر ربيع سنة سبع وخمسين ومايتين وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما والله اعلم

فصل ثم ولي الخلافة بعده ابن عمه ابو جعفر احمد ويلقب المعتمد على الله وستاتي ترجمته
ان شاء الله تعالى **الباب الخامس** في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد
تربيعه كذا امر به المهدي بن المنصور العباسي وشرع فيه فادركته الوفاة قبل اتمامه وتم
في ولاية الهادي بن المهدي المذكور كما سبق شرح ذلك فيما تقدم ووقع ترميم في الجانب الغربي
من المسجد الحرام قبل الزيادتين في ايام المعتمد على الله العباسي ثم بنيت الزيادة الكبرى من
الجانب الشمالي من المسجد الحرام في ايام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى في الجانب
الغربي من المسجد الحرام ايام المقتدر بالله فلنذكر تراجم هؤلاء الخلفا ونذكر ما احدثوه في المسجد
الحرام من تجديد وزيادة وترميم على الترتيب ان شاء الله تعالى وما نذكره في ضمن ذلك من
الفوايد الاستطرادية ترويحا للنفس وتسبيبا لحصول الفوايد وتوقيفا على احوال
الدهر وتعريفا بما يحدث من الحوادث في كل عصر ليعتمد العاقل على هذه الدنيا ويعتبر
بمن قبله في عدم هذه العجوز العمياء وهذه الفوايد في الحقيقة نتايج علم الاخبار ليعتبر المعتبر
حال نفسه بحال غيره في هذه الدار وان قواعد الحكمة ان افعال الفاعل الواحد متشابهة
الاثار والله سبحانه وتعالى هو الفاعل المختار والعبد العاجز غير مختار وربك يفعل ما
يشاء ويختار وقد وجدت محل القول ذا سعة فان وجدت لسانا قايلا فقل
ولما قتل متغلبة العبيد الاتراك الخليفة المهتدي بالله صبرا عمد والى الحبس فاخرجوا
منه ابن عمه ابا جعفر احمد بن عمه ابا جعفر احمد بن المتوكل على ابن المعتصم بن الرشيد ويلقبوه
المعتمد على الله وبايعوه على الخلافة في شهر رجب سنة ست وخمسين ومايتين وكان
مولده سنة سبع وعشرين ومايتين وامه ام ولد رومية اسمها فتيان وكان له اخوان
على اللهو واللذات فقدم اخاه طلحة بن المتوكل على الله ولقبه الموفق بالله وجعله
ولي عهده وولاه المشرق والجبال واليمن وفارس وطبرستان وسجستان واستند
وكان له ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه الغرب والشام والجزيرة
وعقد لهما لوائين ابيض واسود وعقد لهما البيعة وشرط على اخيه الموفق انه اذا
حدث به الموت وولده صغير كان الموفق ولي عهده وان كان ولده حينيذ كبيرا كان

ولده

ولده ولي عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها وكتب عليها القضاة والعدول
خطوطهم وارسلها الى المملكة المشرفة لتعلق في الكعبة الشريفة فعلقت فيها وما افاد مع
هذه التدابير حذر من قدر وما وقع الا ما قدره الله سبحانه وتعالى وكان الموفق عاقلا
مدبرا شجاعا مستقلا بامور المملكة ملتفتا لامورها الرعية وكان اخوه المعتمد يكتفي على
لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية غير ملتفت لامور المملكة فكرهه الناس واحبوا اخاه
طلحة الموفق بالله وظهرت فيه كفايات كثيرة وكان يسمون الخليفة مظفرا في الحروب وكان
ظهر في ايام المعتمد على الله طايفة الزنج وتغلبوا على المسلمين وكان لهم راس اسمه لهمول
يدعي انه ارسله الله الى الخلق وادعى علم الغيبات وفتك في المسلمين بحيث انه ذكر المسعودي
انه قتل الف الف مسلم وخمسماية الف مسلم وكان يستاسر نساء المسلمين ويبيعهن باخس
الاثمان ويادي على العلوية والشريفة بدراهمين وكان عنده نحو عشرة نساء من الاشراف
يطوهن ويتهنهن في الخدمة الشاقة وكان ذلك من اعظم المصايب في الاسلام وتملك
هذا الكافر مدة كثيرة اخذا من المسلمين واستاصل اهلها وجعلها دار مملكته كوالي طه
ورام هرمز وما والاهما فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع والعساكر ممن خلفه وقايم
الحروب ووسمته قوارع الخطوب فاخذهم حبانا ويدا ورضي بهم ساعدا وعضدا
وتعصب بحمود السلام واعد السيوف والرماح والسهام فركب بجموده الى الاعداء
والكفرة الليام الى ان التقت الفيئتان على حومة الحرب ونشبت كلوب الطعن والضرب
فجعلت السودان من لقاء الصوارم البيض وولوا الادبار للفرار كما يفر الليل الاسود
من النهار الابيض وانهزموا مابين مقتول وماسور ومجروح ومكسور الى ان قتل
كبيرهم لهبول ووجوه عسكره المخذول ونصر الله ملة الاسلام ومحا بنوره ذلك
الظلام واستردت المدن التي اخذها بالكفر والعناد كواسط ورام هرمز وغيرهما من البلاد
واطمان المسلمون وكافة العباد ولقبوه الناصر لدين الله وصار له حينيذ لقبان
ودخل الى بغداد في نصرة وعلو شان وراس ذلك سكارى على رمح وروس كبار عسكره
على الرماح وقصده الشعرا بالقصايد والامداح واجله الناس وبعد صيته
وكثر في بابه المداح واستفحل امره ولاحت له السعادة والفلاح واستمر اخوه المعتمد على
حاله منهمكا على لهوه ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الامور بيد الموفق بعد

سنشرح وسد غاية السداد وفي ايامه في سنة احدى وسبعين ومايتين وقع وهن
في بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربي قبل زيادة باب ابراهيم وكان في نفس
الجدار الغربي من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الحناطين وكان بقربه دار
زبيدة بنت ابي جعفر المنصور فسقطت تلك الدار على سقف المسجد الحرام فانكسر
بعض خشبه وانهدمت اسطوانتان من اساطين الحرم الشريف ومات تحت ذلك
عشرة انفس من خيار الناس وكان عامله يومئذ بمكة المشرفة هرون بن محمد بن اسحق
وقاضيها يعقوب بن يوسف فلما رفع امر هذا الهدم الى بغداد امر ابو احمد الموفق بابنه
عامله بمكة المشرفة هرون المذكور بعمارة ما تهدم من المسجد الشريف وجهز اليه
مالا بسبب ذلك وشرع في عمارته وجدد له سقفا من خشب الساج ونقشه
بالالوان المختلفة واقام الاسطوانتين الساقطتين وبنى عقودهما وركب السقف
وجعل في ايام عمارته سراداب بين العمال والبنايين وبين الناس ليستترهم عن اعين
من بالمسجد الحرام الى ان اكمل ذلك في سنة اثنين وسبعين ومايتين وركب من
الحجر لوحين في جدر المسجد الشريف في ذلك الجانب نقش على احدهما بالنقر في لوح
الحجر ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم امر ابو احمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولي
عهد المسلمين اطال الله تعالى بقاه بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى اجزل
الله ثوابه واجره وتم ذلك على يد عامله هرون بن محمد بن العلل بن عبد الجبار في
في سنة اثنين وسبعين ومايتين وعلى اللوح الثاني نقر كتابة صورتها بسم الله
الرحمن الرحيم امر الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين ابو احمد الموفق بالله اخو امير المؤمنين
اطال الله تعالى بقاهما القاضي يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما في ذلك
من رجاء ثواب الله تعالى والزلفى اليه وتم ذلك على يد عامله بمكة المشرفة ومحالها
هرون بن محمد بن اسحق بن موسى في سنة اثنين وسبعين ومايتين والحجرين
المذكورين لا وجود لهما الان بل محاهما الدهر والزمان وعفى اثرهما القديم الجديدان
كما عفى اثر غيرهما من العمائر والبنيان ودارعليهما الدوران فلا يبقى الا ثرهما
بعد زمان وقيل الدهر يمحي بعد العين بالاثر فما البكاء على الهباء والصور
وقد نقلت صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للامام ابي عبد الله محمد بن اسحق

الفاكهي

الفاكهي وكان للموفق باسه ولد نجيب اسمه احمد ابو اسحق جعله الموفق ولي عهده واستقال
به في حروبه واحواله وظهرت به نجابة وقوة فخشي الموفق منه على نفسه وعلى اخيه
المعتمد لما رأى من شجاعته وبسالته فاودعه بطن الحبس وكل به من يثق به في
امره واسمه محبوسا الى الزمان الذي قدره الله تعالى له ثم وقعت الوحشة بين
الخليفة المعتمد واخيه الموفق المذكور وتباغضت قلوبهما وتناحرت الصدور
فان الرياسة الدنيوية لا تقبل الاشتراك والعزة على الملك والسلطنة اسرع شيء
لوغر صدور الاملاك والانفراد والاستقلال بما يتفانى عليه ابناء الدنيا من اصحاب الاملاك
وقيل وما بي الاجيفة مستحيلة عليها كلاب هم من اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها

ولما كان المعتمد مع كونه عاجزا عن اخيه الموفق كان يحسده ويريد هضمه لاستيلائه على
المملكة ورضى الناس عنه واشتغاله بالخوض عن احوالهم اعني الرعية وبنوده الملاهي
والملاذ فاستعان المعتمد في هضم جانب اخيه بصاحب مصر يومئذ احمد بن طولون
وكان ملكا شجاعا فاتكا صاحب جيوش وجنود كثيرة جما عالما بالاموال والخزائن مستقل
بمملكة مصر يأخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة اهلة كثيرة المحصول لرفعة رعيته
وتقويته لهم وعدم ظلمه وجوره عليهم وكان يحصل منها اموال كثيرة جدا بسبب
عمارتها وكانت كالروض البهيج على زهرتها ونضارتها وما كانت الاحزابا كزهرها
اليوم والصدا ولا يفرق اهلها ورعيتها من جوره ولا تمادت عمرها الله تعالى بعدله
سلطاننا الاعظم وخليفة عصرنا الاكرم الاخم الذي عم بعدله البلاد اتساع
مراد الهمة سبحانه وتعالى العدل والرفق بالعباد ومحا بسيفة الصارم اهل الظلم والفساد
واطال عمره ودولته حتى يلحق الاحفاد بالاجداد فكاتب المعتمد على الله احمد بن طولون
وامره ان يقاتل اخاه الموفق ليخف امره على ذلك ويهون وجرت بينهما في ذلك
شؤون واشتغل الموفق بذلك عن اخيه وصار يواليه تارة ويعاديه وبعاديه
تارة ويداينه ومضى على ذلك ايام وانقضى عليه اعوام الى ان نالت قناة
حياة الموفق كل الميل ولزم بطون الفراش بعد متون سوابق الخيل ووفى حبله ووهت
قواه وماصانه حصنا برقاه وعما قليل

وخانديده عن حمله قلما ... من بعد حطم القنا في لبة الاسد

فلما استد حاله وتحقق عند غلمانه بادروا الى الحبس فكسروه واخرجوا منه ولده المعتضد فاووه ونصروه وجاوا به الى والده الموفق فلما راه ايقن بالموت وتحقق وقال له يا ولدي لهذا اليوم خانتك وفوض اليه الامر واوصاه بعمه المعتمد خيرا وكان ذلك قبل موت الموفق بثلاثة ايام فعطف الموت على الموفق عطف النسق فركب طبقا عن طبق الى الطباق الثرى والعمق ومضى عن الدار الفانية الى الدار الباقية والتحق وكانت وفاته في سنة ثمان وسبعين ومايتين وشيعت في موته اخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم انه عما قليل باخيه يلحق وحسب انه صفا له دهره وما علم ان الصفاء يعقبه الكدر وان الدهر ما صفى لاحد من البشر وان صروف الدهر تاتي بالغير والعبر وانها لا تبقي ولا تذر فما حال عليه الحول حتى استلب ذلك الطول والحول ولم يكن له بعد خذلان الناصر من قوة ولا ناصر ولا طال عمره القصير ولا استطال حوله القاصر ولم يبق للمعتمد عماد ولا اعتماد على الدهر الخؤون الغادر فانتقل من سرير الملك الى حفير الهلك ومضى كان لم يكن شيئا مذكورا وكان امره قدرا مقدورا وكانت وفاته يوم الاثنين لاحد عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة تسع وسبعين ومايتين

فصل وولي الخلافة بعده في تاريخ ابن اخيه ابو العباس احمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق والناصر لدين الله بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي مولده سنة ثلاث واربعين ومايتين وبويع له بالخلافة بعد عمه المعتمد في تاريخ وفاته المذكورة اتفاقا وامه ام ولد اسمها خواب وكان متحاميا باظاهر الجبروت قافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده سديد السياسة قليل الرحمة اذا غضب على احد القاه في حفرة وطم عليه التراب وكان اسقط المكوس في ايامه ورفع الظلم عن الرعية جدد ملك بني العباس بعد ما وهى ووهن واظهر عزائم الملك بعد ما تذللت واتهن وكان يسمى السفاح الثاني حيث جدد كما سماه ملك بني العباس وفي ذلك يقول ابن الوردي

هنيا بني العباس ان امامكم ... امام الهدى والباس والجود احمد
كذا بابي العباس اسس ملككم ... كما بابي العباس ايضا يجدد
امام يظل الامن يشكو فراقه ... تاسف ملهوف ويشاقه عنـ

وقار

وقال عبد الله بن المعتز

امام ترى ملك بني هاشم ... عذا عزه ابعد ما ذل لان
يا طالبا للملك كن مثله ... يستوجب الملك وان قل

وكان مع سطوته وباسه يتوخى العدلة ويبرز امورا في صورة الجبروت والعسف وهو في الباطن محق فيما يفعله وهذا هو الراي السديد للحاكم السديد لجمعه ما بين سياسة الدين وملاحظة الحق عند الله تعالى وقد نقل الحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد للصيد يوما وانا معه فمر بفتاة فعاث بعض جنده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وسأله عن صياحه فقال ان ثلاثة من غلمانك نزلوا الفتاة فاخرجوها فامر غلمانه فضرب اعناقهم ومضى هو وجاذبني فقال احمد فتى يا عبد الله ما الذي ينكره علي من امري فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ما سفكت دما حراما قط فقلت له باي ذنب قتلت احمد بن الطيب فقال اني رايته عاني الحال الحاد وظهر لي الحاد فقتلته لنصرة الدين فقلت والثلاثة الذين نزلوا الفتاة الان بماذا استحللت دماءهم ولاي شيء قتلتهم فقال واسا قتلتهم وانما احضرت ثلاثة من قطاع الطريق واوهمت الناس انهم هم الذين نزلوا الفتاة فامرت بضرب اعناقهم ثم احضر صاحب الشرطة فامره باحضار الثلاثة الذين نزلوا الفتاة فاحضرهم بانفسهم وشاهدتهم ثم امر باعادتهم الى الحبس وهكذا ينبغي تدبير السياسة واظهار النصفة وتخويف الجند واراهابهم ومن محاسنه انه كتب الى الآفاق باطال ديوان المواريث والامر بتوريث ذوي الارحام وكانوا يحرمونهم الميراث وكانوا يستولون على مخلفات الاموال بالظلم ولا يتصل الوارث بجميع حقه من التركة بل يوخذ كثير من غير حقه بانواع التعللات وكان يحصل على الرعية ظلم كثير بسبب ذلك وبعض الظلم باق الى الان بسر الله تعالى ازاله على يد سلطان عصرنا وفقه الله تعالى لاحياء مكارم واسدة المراحم واعانه على ابطال المظالم ولما الزم المعتضد ابطال ديوان المواريث في سائر مملكته فرح الناس واجروا دعوا له وام دولته وصاروا له بذلك صيت عظيم واجر جسيم عند الله تعالى الكريم ولعله هو الذي ينفعه في يوم اخرته ويزاد خلة جنات النعيم وكان من قضاته العالم ابو حازم الحنفي والي الحرمين وهو من كبار العلماء اهل الدين والتقوى وكان من بعض تصانيفه في الدين ان شخصا انكسر عليه مال كثير وثبت ذلك عليه عند

القاضي المذكور فامر بتوزيع ماله على غرمايه بالمحاصة وكان قد انكسر على ذلك المديون
مال للخليفة المعتضد ايضا فارسل المعتضد الى القاضي ابو حازم يقول له تشركني
مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فان لي ايضا مالا في ذمته فاجعلني كاحد غرمايه
فقال ابو حازم اني لا احكم لمدع بدون بينة عادلة فارسل وكيله وبينة
ارضاها لتكون باسوة غرماء هذا المديون فاحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة
والتزكية سرا وجهرا فامر المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضي وكانوا
من اكابر امرايه فما حضر احد منهم الى القاضي خوفا من رد شهادتهم ولم يحكم القاضي للمعتضد
ان يكون باسوة غرماء ذلك المديون فاعجب المعتضد ديانة القاضي وصيانته على
الحق وتصممه على ذلك وعدم ميله اليه وما احوج زماننا هذا الى قاض مثاله
خصوصا في اطراف البلاد يقول الحق ويبتغي وجه الله تعالى في خواطر العباد وكان
المعتضد انشد شعرا حسنا رثى به جارية درية وهو هذا

ياجبا لم يكد بعدك عندي جبيب ... انت عن عيني بعيد وفي القلب قريب
ليس لي اجد شيء من اللهو نصيب ... لك من قلبي علة قلب وان غبت رقيب
لو ترى كيف حالي فرط عويل ونحيب ... وفؤادي حشوه من حر في القلب لهيب
لتيقنت بانني قيد محزون كيئيب ... وقال لما احتضر
تمتع من الدنيا فانك لا تبقى ... وخذ صفوها لما صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر اني استقد ... فلم يبق لي حال ولم ير على حقا
قتلت صناديد الرجال ولم ادع ... عدوا ولم امهل على حسد خلقا
واخليت دار الملك عن كل نازل ... ووفرتهم عزا وشرفتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة ... ودانت رقاب الخلق اجمع لي رقا
رماني الردى سهما فاخمد جمرتي ... فها انا ذا في حفرتي عاجلا ملقا
وافسدت دنياي ودين سفاهة ... فياليت شعري بعد موتي مالي

فصل ومما وقع في ايام المعتضد من عمارة المسجد الحرام زيادة دار الندوة
وادخالها في المسجد الشريف من الجانب الشامي وهي اول الزياديين وهي صحن مربع

باربعة اروقة من جوانبه اضيف الى المسجد الحرام في وسط الجانب الشامي ملصقة الى الجانب
الجانب المذكور وهذا المسجد يسمى دار الندوة وهي كانت في زمن الجاهلية دار يجتمع
فيها صناديد قريش عند نزول حادث بهم للاستشارة في دفع ذلك الحادث عنهم
بالاتفاق على راي يجمعون على كونه صوابا فيما تون به بعد ذلك وكانت دار الندوة
مما تفاخر به قريش في الجاهلية وكان قد اجتمع في قصي بن كلاب الرفادة والسقاية
والسدانة والندوة واللواء فاقر فيها في اولاده ولما ظهر شان النبي صلى الله عليه وسلم
وآمن به كثير من قريش ومن لا تنصار خاف منه كفار قريش واجتمعوا في دار الندوة
وتشاوروا في قتله صلى الله عليه وسلم فظهر لهم ابليس في صورة الشيخ النجدي واشار
لهم من الراي ما اختاره فحماه الله سبحانه وتعالى من كيد المشركين فاذن الله في الهجرة
كما هو مشهور مذكور في كتب السير وذكره سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حيث قال
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين وليست الزيادة التي على يمين دار الندوة بل محلها في تلك الاماكن لا
على التعيين من خلف مقام الحنفي الى آخر هذه الزياديتين وكانت دار الندوة بعد
ظهور الاسلام وكثرة بناء الدور بمكة المشرفة دارا واسعة ينزل فيها الحلفا اذا وردوا
مكة المشرفة ويخرجون منها الى المسجد الحرام للطواف والصلاة وكان لها فناء واسعا
صار بساطة يرمى فيه القمامم فاذا حملت الامطار القوية سال من الجبال التي في
يسار الكعبة المشرفة مثل جبل قعيقعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة الى
ذلك الفناء وحملت اوساخه وقمامه الى دار الندوة والى المسجد الحرام واجتمع الى
تنظيف تلك الاوساخ والقمامم من المسجد الشريف كما سالت سيول هذا الجانب
الشامي وصار ضررا على المسجد الحرام فلما قضى مكة المشرفة يوميذ من قبل المعتضد
العباسي القاضي محمد بن عبد الله المقدسي وامير مكة المشرفة يوميذ من قبله ايضا
نجاح بن حاج مولى المعتضد المذكور مكاتبات الى وزير المعتضد يوميذ وهو عبيد الله
ابن سليمان بن وهب يتضمن ان دار الندوة قد عظم خرابها وتهدمت وكثرا
ما يلقى فيها القمامم حتى صارت ضررا على المسجد الحرام وجدرانه واذا جاءت المطر سالت
السيول من بابها على بطن المسجد وحملت تلك القمامم الى المسجد الحرام واما لو اجتمع

ما فيها من القمايم وتهدمت وبنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام وجعلت رحبة يصلي الناس
فيها وينتفع الحجاج بها كما كانت مكرمة لم تهيأ لاحد من الخلفاء بعد المهدي والهادي
ومنفعة قائمة ونشأ فاواجرا بها طول الزمان وان بالمسجد الحرام خرابا كثيرا وان
سقفه يسيل منه المطر اذا جاء المطر وان وادي مكة المشرفة قد انكبس بالتربة فغلت
الارض مما كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليماني ايضا الى المسجد الحرام
ووفد ايضا على بغداد سدنة الكعبة ورفعوا الى ديوان الخلافة ان وجد جدران الكعبة
الشريفة من باطنها قد تشعث وان الرخام المفروش في ارضها قد تكسر وان عضادتي
باب الكعبة الشريفة كانتا من ذهب فوقعت فتنة بمكة المشرفة سنة احدى
وخمسين ومائتين فخرج بعض العلويين فقطع عامل مكة يوميذ ما على عضادتي باب
الكعبة من الذهب فضربه دنانير واستعان به على حرب العلوي الذي خرج عليه يوميذ
وصار البشر ون العضادتين بالديباج ووقعت ايضا بعدها فتنة بمكة في سنة
ثمان وستين ومائتين فقلع عامل مكة المشرفة يوميذ مقدار الربع من الذهب الذي
كان مصفحا على باب الكعبة المشرفة ومن اسفله وما على انف الباب الشريف من
الذهب وضربه دنانير واستعان به على دفع تلك الفتنة وجعل بدل الذهب فضة
مموهة على الباب الشريف وعلى انف الباب المطيف فاذا المسح الحجاج به في ايام الحج ترى كما
بذلك المكان الشريف وذهب صبغ الذهب وانكشفت الفضة فيجدد تمويهه
كل سنة والمناسب اعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان وان رخام الحجر بكسر الحاء المهملة
وسكون الجيم قد تكسر ويحتاج الى تجديد وان بلاط المطاف حول الكعبة الشريفة لم
يكن تاما ويحتاج الى ان يتمم من جوانب الكعبة كلها وان ذلك من اعظم القربات واكبر
المثوبات ورفع ذلك الى الديوان العزيز للمبادرة الى انتهاز ذلك والامر راجع الى امر
الخلافة الشريفة والتسليم فلما اشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يوميذ
الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان من اهل الخبرة قدم راسخ في قصد تكميل
وفعل الخيرات وتيقنه جميلة في احراز الاجر والمثوبات فبادر الى عرض ذلك على امام
الخليفة المعتضد وحثه على اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليها وبذل المقدور فيها
فبرز امر المعتضد اليه والى عامله المومى اليه بالحضرة بعمل ما رفع اليه من ترميم الكعبة المشرفة والحجر

والطاف والمسجد الحرام وان يهدم دار الندوة ويجعل مسجدا ملحقا بالمسجد الحرام ويوصل به
وان يحفر الوادي والمسيل والمسعى وما حول المسجد الحرام ويعمق حفرها الى ان يعود الى حاله
الاول ويجري ماء السيل فيه ولا يدخل شيء منه الى المسجد الحرام فينصان المسجد الحرام بذلك
من دخول السيول فيه وان يحكم ذلك غاية الاحكام ويعمر ما يجب عمارته على وجه الاتقان
والاستحكام وامره ان يحمل من خزائنه مال اعظمها لهذه الاعمال وامر قاضي بغداد يومئذ وهو
القاضي يوسف بن يعقوب ابن ابرشت ذلك ويمده لعمله من يعتمد عليه وامر بحمل المال اليه
فحمل بعضه نقدا في ايام الحج مع ولده ابي بكر عبد الله بن يوسف وكان معدا ما في
جواجل الخلافة ومصالح طريق الحج وعمارته وارسل بباقي المال سفجا الى ولده المذكور
ليتسلمها من كتب اسمه في تلك السفاتج بمكة المشرفة وعين معه لهذه الخدمة رجلا
يقال له ابو الهياج عمرة بن جبان الاسدي لامانة وحسن راي ودينة جميلة وسيرة
حسنة فوصل الى مكة المشرفة في موسم حج سنة احدى وثمانين ومائتين فحلى بالذهب
الخالص باب الكعبة الشريفة وحج وتخلف بعد الحج بمكة المشرفة ابو الهياج المذكور ومن
معه من العمال والاعوان وعاد عبد الله بن القاضي يوسف مع الحجاج الى بغداد ليرسل
اليه ما يحتاج اليه من بغداد لتكميل ما امر به من العمارة المذكورة فشرع ابو الهياج في
حفر الوادي وما حول المسجد الحرام فحفر حفرا جيدا حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارعة
على الوادي اثنى عشر درجة وانما كان الظاهر منها درجات خمس فحفرت الارض وهي
بيضاء خارج مكة المشرفة ونظفت دار الندوة من القمايم والتربة وهدمت وحفر
اساسها وبنيت وجعلت مسجدا وادخل فيها ابواب المسجد التي كانت شارعة قبل
هذه البناء فتح لها من جدران المسجد الكبير ستة ابواب كمقدار سعة كل باب خمسة اذرع
وارتفاع كل باب من الارض الى جهة السماء احد عشر ذراعا وجعل بين الابواب الكبار ستة
ابواب صغار ارتفاع كل باب ثمانية اذرع وسعة كل باب ذراعان ونصف وجعل
في هذه الزيادة بابا بطاقين شارعين على الخارج في جانبها الشمالي وباب بطاق
واحد في جانبها الغربي واقيمت اروقتها وسقوفها من جوانبها الاربعة وركبت سقوفها
على اساطينها وسويت سقوفها بجنب الساج وجعل لها مشارعة وفرغ من عمارتها
في ثلاث سنين واما اكمالها فوقع في سنة اربع وثمانين ومائتين الا انها ما استمرت

على هذه الهيئة بل غيرت بعد قليل الى وضع اخر احسن منه بعد المعتضد المذكور قال
محمد بن اسحق الفاكهي في تاريخ مكة المشرفة ان ابا الحسن محمد بن نافع الخزاعي
ذكر في تعليق له ان القاضي اي قاضي مكة المشرفة محمد بن موسى لما كان امير
البلد جدد بناء زيادة دار الندوة وغير الطاقات التي كانت فتحت في
جدران المسجد الكبير وجعلها متساوية واسعة بحيث صار كل من في زيادة دار
الندوة من مصل ومعتكف وجاس بمكة المشرفة مشاهد البيت الشريف
وجعل اساطينها حجرا مدورا منحوتا وركب عليها سقوفا من الخشب الساج منقوشا
مزخرفا وعقودا جنبية بالاجر والجص ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولا
احسن من الاول وجدد شرافاتها وبيضها وانه عمل ذلك في سنة
وللهما به انتهى ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة الكبرى مأثرة عظيمة ومنقبة
كريمة اتى بها المعتضد واثرا باقيا على صفحات هذه الدهر مما فاز بها سواه وفعل
الخيرات لا يزال يذكر وصاحبه يمدح ويحمد بالسنة الخلق ويشكر ولو بليت عظامه
تحت التراب الاعفر فما مات من يذكر بالجميل بعد ان يقبر وما عاش من عاش بالشر
ومما قيل ما عاش من عاش مذموما خصايله ولم يمت من يكن بالخير مذكورا
واستمرت تلك الاساطين المنحوتة من الاحجار السود عليها السقف الساج المزخرف
المنضود مشيدة باقية الى ان ادركناها في غضون ايامنا بدلت بالاساطين المنحوتة من الرخام
الابيض المرمر بينهما لتوثيقها الاساطين المنحوتة من الشميسي الاصفر بعقود محكمة ازين من
عقود الجوهر وجعل عوض السقف الذي يلي حسبه كل حين فبأمر فوقه نزهة للناظرين
في غاية الاتقان والتزيين في زمان سلطاننا الاعظم الفخم الاكرم سلطان سلاطين
الزمان السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن عثمان خلد الله ملكه وسلطانه
وافاض على العالمين بره واحسانه نرجع الى ما كنا فيه من اخبار المعتضد العباسي وما وقع
له من الباس الذي ليس منه آسي ولما ان عض المعتضد عاض الموت العاضد ووقع في
عرق حياته مباضع النهبان الحاسد ولا حمته عند الحمام قوته ولا منعته عنه شدته
ولا هيبته فانزلته يد المنايا من سرير الملك فته والملك واركبته سرير الآلة الحدباء
الى حيث شفير الهوة والهلك ودفنته في تربة عمله الصالح وسقت ثراه بماطر من

ثنايه

ثنايه الفايح ومن اغرب ما حكاه المسعودي عن المعتضد في وفاته انه اعتل من افراطه من
كثرة الجماع وطالت علته وغشي عليه فشك من حوله في موته وكان لا يحس احد عليه
لشدة هيبته فتقدم اليه الطبيب بحجرة يحس بنضه فغمز عينه وقطن
لذلك فرفس الطبيب برجله فمنذ ذلك اذنه عافمات الطبيب ثم مات المعتضد
من ساعته وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الاخر سنة تسع و ثمانين
ومايتين وخلف من الاولاد اربعة ذكور و احدى عشر بنتا وكانت مدة المعتضد
تسع سنين وتسعة اشهر ونصف **فصل** لما استقر الامر بالمعتضد جعل ولي عهده
من بعده ولده ابا علي محمد ولقبه المكتفي بالله واخذ له البيعة قبل موته بثلاثة ايام فلما
توفي المعتضد كان المكتفي غايبا بالرقة فمضى باعجاء البيعة له الوزير ابو الحسين
علي القايم بن عبد الله فكتب اليه فوصل الى بغداد من الرقة في سابع جمادى الاولى وكان
يوم وصوله يوما مشهودا ازينت له بغداد ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور
تسع خلع عظيمة ومدحه الشعراء وانعم عليهم بالجوايز السنية وكان مولده في غرة شهر
ربيع الاول سنة اربع وتسعين ومايتين واسم والدته كريسما جخات وكان مليح
الصورة يضرب بحسنه المثل وفيه قال القايل يصف الدنيا

يزينت بين جمالها وفعالها ... فاذا الملاحة بالفصاحة لاتحي
واذا لاختارها ولوانها ... كالبدر او كالشمس او كالمكتفي

وكانت سيرته حسنة وافعاله حميدة فاحبه الناس وفرحوا بخلافته ودولته وذكر العفير
في تاريخه وهو تاريخ نيسابور عن ابن الجلاء وكان معلما للمكتفي قبل ان يلي الخلافة قال
فلما افضت الخلافة الى المكتفي كتب اليه هذين البيتين فقال

ان حق التاديب حق الابوه ... عند اهل الحجى واهل المروه
وحق الرجال ان يحفظوا ذا ... ك ويرعوه افضل بيت النبوه

ومن اعظم الحوادث في ايام المكتفي ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة المفسدين اعداء
الدين فاول من خرج فيهم يحيى بن هرويه القرمطي ومحل خروجهم وداره بلكهم هجر وهم
طايفة اباحية يستحلون دماء الحجاج والمسلمين يدعون ان الامام الحق بعد النبي
صلى الله عليه وسلم محمد بن الحنفية بن ابي طالب رضي الله عنه وينتسبون اليه بالباطل ويستندون

اليه اقاويل باطلة لا اصل لها ويكفرون من عداهم وهم الكفرة الفجرة فالله يهم اسه ولما ظهر
بالخروج بحي وقع بينه وبين عسكر الخليفة الى ان قتل وسيق الى جهنم وبئس المصير
فقام بعده اخوه الحسين واظهر شامة يوهمه الاسود ويزعم انها اية وظهر ابن
عمه عيسى بن مهدويه ويلقب بالمدثر ويزعم انه المراد بالسورة الشريفة القرانية
ودعى لنفسه على المنابر وافسد بالشام وعاث فيها فجورا وقتل الثلاثة وحرقت
رؤسهم وطيف بها في البلد في سنة احدى وتسعين ومايتين وخلف من
بعدهم خلف ظهر منهم مفاسد سيأتي ذكرها وتعب المسلمون كثيرا الى ان
خذلهم الله تعالى وسنذكر ذلك قريبا ان شاء الله تعالى ولم يطل زمان المكتفي بالله
وكانت مدة ملكه ستة اعوام ونصف ولما مرض مرض الموت وتيقن بالموت
والفناء والفوت سأل عن اخيه ابي الفضل جعفر بن المعتضد فقيل له انه احتلم واتضح
ذلك عنده فجعله ولي عهده ولقبه بالمقتدر بالله وبويع له على ان يكون الخليفة
بعده قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علته التي مات فيها والله ما افتتح
الا سبعماية الف دينار من فتها من بيت مال المسلمين في ابنية وعمارات لا
احتياج اليها وذكر ابو منصور الثعالبي قال حكى ابراهيم بن نوح ان الذي خلف المكتفي
مما جمعه هو وابوه لا يقل عن ثمانية الف الف دينار عينا ومتعة واوانى وعقارات
وكان من جملة المتعة ثلثمائة وستون الف ثوب ديباج فسبحان من بيده خزائن
السموات والارض واليه ترجعون جاء الاجل المحتوم المقدر وتل لسان حاله ان
اجل الله اذا شاء لا يؤخر انقصف غصن شبابه القضيب ويبس عود جماله
النضير الرطيب وصار بدره كمالة محسوفا وغاد بعد محياه المشرق بالكمال مظلما
مكسوفا فانتقل من دار الفنا الى دار الجزا والبقا في ليلة الاحد لثنتي عشرة ليلة
خلت من ذي القعدة الحرام سنة خمس وتسعين ومايتين وخلف ثمانية اولاد
ذكور وثمان بنات **فصل** وولي بعده باستخلاف اخيه ابو محمد على المقتدر
بالله بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي بايعه
الناس وعمره ثلث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله مثله لصغر سنه ذكره الخلال
السيوطي واسمه ولد تسمى معنيث وولي الخلافة ثلث عشرات هذه الاولى

ولم

ولم يتم له فيها الا صغر سنة فتغلب الجند عليه واتفقوا على خلعه فخلعوه وعقدوا البيعة
لابي العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولقبوه الغالب بالله وبايعوه
لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومايتين واستمر خليفة ساعة
من ذلك النهار وعبد الله بن المعتز لقصر زمان خلافته لا يتنفى عده من الخلفاء
ولكن نذكره لادبه وفضله وما اوسع بني العباس بل اشعر بني هاشم على الاطلاق
واكرمهم اداب ودخول ومعرفة بعلم الموسيقى واشعر الشعراء على الاطلاق في التشبيهات
المبتكرة الغريبة المخترعة الرقيقة المطربة التي لا يشق غباره فيها احد مولده في شعبان
سنة تسع واربعين ومايتين وقال المعافى بن زكريا المابويم لابن المعتز دخلت على
شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر المحدث المورخ فقال لي ما الخبر فقلت يوم
بالخلافة لعبد الله بن المعتز فقال فمن ترشح لوزارته قلت محمد بن داود قال فمن قاضيه
قلت ابو المثنى فاطرق قليلا ثم قال هذا الامر لا يتم فقلت فلم لا يتم قال كل واحد ممن
ذكرت ذو شان عظيم متقدم في علمه وفضله وعقله وان الدنيا مولية والزمان مدبر
فلا مناسبة لاحد ممن ذكرته رياسة في مثل هذا الزمان وما ارى هذا العقد الا الى
الاختلال والاضمحلال فقدره الله سبحانه وتعالى انهم خلعوه في ذلك اليوم وقال شيء مره
فان عبد الله بن المعتز لما عقدت له الخلافة ارسل الى المقتدر يامره بالخلاف داره الخلافة فله
وان يذهب الى دار محمد بن طاهر لينظر في امره فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة
قال ليس له عندي جواب الا السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه
وهم مستقلون للقتل في غاية الخوف والرعب وكبسوا على عبد الله بن المعتز فهاله ذلك
والقى الله في قلبه الرعب فانهزم هو ووزيره وقاضيه وكل من في دولته وديوانه ظنا
ان خلف هؤلاء انصارا وانصارا وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز وعلى بعض الامراء
والفقهاء وسلمهم الى يونس بن الحارث وقتل منهم من اراد وحبس عبد الله بن المعتز ثم
اخرج من الحبس ميتا واستقام الامر للمقتدر بالله والله يوتي ملكه من يشاء وهذه ولاية
الثالثة على ما ذكر فسار احسن سيرة واستقام امره من حد الاختلال وطلعت
شمس سعادته بعد الزوال ولاح بدره كماله من اوج الكمال والعزة لله الكبير المتعال
وحيث انجر الكلام الى ذكر عبد الله بن المعتز فلا باس بتتميم هذه الحالة وتزويق هذه

الرسالة بذكر بعض اشعاره المستطرفة ليعلم البلغاء مرتبته في البلاغة واقتداره على
الكلام ونورد قصيدته في الحماسة التي فاخر بها آل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخفى
ان الاقدام على مثل ذلك يدل على قوة الطبع فان الادعاء لمثل هذا المطلب العالي
من اشاله يمجوج في الاسماع منفور في الطباع فاذا ابرزه مع ذلك في قالب مطبوع
دل ذلك على قوة طبع الشاعر كما قال الاديب المفوه ابن الرومي

في زخرف القول تزيين لباطله ... والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وان تعب قلت ذا قيء الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت حدهما ... سحر البيان يرى الظلماء كالنور

وهذا منتهى القصيدة الرائية واما ابن المعتز فقد فاخر في قصيدته بين قومه بني العباس
وآل بني المطلب في نخلة وما انصف فيها ولا فيما ادعاه ولكنه اتى بشعر بليغ في معناه جزاه

الا من لعين تستكاريها ... تشكي القذى وتبكي بها
ترامت بنا حادثات الزمان ... ترامي الصبي بنشابها
ويا رب سنة كانت تقوت ... تقطع ارقاب اصحابها
وكم دهمي الماء من نفسه ... فمزق جدا بيها بها
وان فرصة امكنت في العدو ... فلا بد فعلك الايها
فان لم تلح بها مسرعا ... اتاك عدوك من بابها
وما ان ندم بعدها ... وتاميل اخرى وأتى بها
وما ينتقص من شباب الرجال ... يزد في نهاها وايبابها
نهيت بني رحمي ناصحا ... نصيحة بر بانسابها
وقد ركبوا بغيهم وارتقوا ... معاريج تهوى بركابها
فذاموا فرائيس اسد الشرى ... وقد نشبت بين انيابها
دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا ... بما تفضل الاسد في غابها
قتلنا اميه في دارها ... ونحن احق باسلابها
ولما ابى اسه ان تملكو ا ... نهضنا اليها وقمنا بها
ونحن ورثنا ثياب النبي ... فلم تجذبون باهدابها

كلم رحم يا بني بنته ... ولكن بنو العم اولى بها
فهلا بني عمنا اهبا ... عطية رهب دنانيرها
وكانت تزلزل في العالمين ... فشدت لديها باطنابها

فرد عليه شاعر هذا مذ وفصيح اوانه الشيخ صفي الدين الحلي بقوله

الا قل لشر عبيد الاله ... وطاغي قريش وكذابها
انت تفاخر آل النبي ... وتجحد ما فضل انسابها
بكم باهل المصطفى ام بهم ... فرد العداة باوصابها
اعلمكم نفي الرجس عنهم ... لطهر النفوس وايبابها
ام الشرب والله من دمكم ... وفرط العبادة من دابها
هم الزاهدون هم العابدون ... هم الساجدون بمحرابها
هم قطب ملة دين الاله ... ودور الوحي باقطابها
تقول ورثنا ثياب النبي ... فلم تجذبون باهدابها
وعندك لا تورث الانبيا ... فكيف خصصتم بانوابها
ابوهم وصي نبي الاله ... واهل الوصية اولى بها
اجدك يرضى بما قلته ... وما كان يوما بمرتابها
وكان بصفين من حربهم ... لحرب البعاة واحزابها
وصلى مع الناس طول الحياة ... وحيدا في صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم ... وهل كان من بعض خطابها
وان جعل الامر شورى لهم ... فهل كان من بعض ارابها
وقولك انتم بنو ابنته ... ولكن بنو العم اولى بها
بني البنت ايضا بنو عمه ... وذلك ادنى لانسابها
وقلتم بانكم القاتلون ... اسود اميه في غابها
كذبتم ولولا ابو مسلم ... لعزت على جهلها طلابها
وقد كان عبد الهكم لاسكم ... نراى عندكم قرب انسابها
وكنتم اسارى بطون الحبوس ... وقد شفكم ليث اغابها

الوراقة www.alukah.net

فاحزنجم وجاكم بها ... وتقصكم فضل جلبابها
فجاءت بموته اشر الجزا ... لطغوى النفوس واعجابها
فدع فى الخلافة فضل الخلاف ... فليست ذلولا لراكابها
وماتت والحض عن شانها ... وما تقصوت بانوابها
وماساوهت سوء ساعة ... فما كنت اهلا لاسبابها
ودع ذكر قوم رضوا بالكفاف ... وجاوا القناعة من بابها
عليك بلهوك بالعاديات ... وخلى المعالى لارباها
ووصف العذارى ذوات الخمار ... ونعت العقار بانقابها
فذلك شانك لا شانهم ... وجرى الجياد باحسابها

ومن السحر الحلال الذى عقده فى سلك اللال وبرقه بقلم البلاغة على صحايف الايام والليال هذا الموشح الذى يصلح وشاحا لكواكب الجوزاء وكليلا على التاج المحلى بنجوم الزباء سارت به الركبان وتناقلته الرواة بالسنة الزمان قوله

ايها الساقى اليك المشتكى ... قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت فى غرته ... وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته ... جذب الزق اليه واتكى
وسقانى اربعا فى اربع ... مالعينى عيبت بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر ... واذا ماست قامت جرى
عشت عيشا من طول البكا ... وبكى بعضى على بعضى معى
غض بان مال من حيث النوى ... مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موصول القوى ... كلما فكر فى البين بكى
ويحه يبكى لما لم يقع ... ليس لى صبر ولا لى جلد
يا قومى عذلوا واجتهدوا ... انكروا شكواى مما اجد
مثل حالى حقها ان تشتكى ... كمد الياس وذل الطمع
كبد حرى ودمع يكف ... يذرف الدمع ولا يغرف
ايها المعرض عما اصف ... قد نحى جنبى بقلبى وبكا
لا تقل فى الحب انى مدعى

ومن تشبيهاته الرايقة واشعاره الفايقة قوله

ومقرطق يسعى الى الندماء ... بعقيقة فى درة بيضاء
والبدر فى افق السماء كدرهم ... ملقى على بساط قزقاء
وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهة الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعرية وكتاب اشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان شعره وغير ذلك ومن كلامه البلاغة البلوغ الى المعنى ولم نطل سفر الكلام واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة شهيرة لا تطول بها هذه المجالة

ولما تقرر امر المعتضد فى التمكن والاقتدار واستقرت حل فته تام استقرار استوزر ابا الحسن على بن محمد بن الفرات فسار احسن سيرة واستقر فى الخلافة الى سنة سبع عشرة وثلثمايه فخرج يونس الخادم على المعتضد فركب وركب معه بجيشه والامراء وقادوا الى دار الخلافة فهرب خواص المعتضد من داره فنهبوا دار الخلافة وكان مما نهب ستمايه الف دينار لام المعتضد فاشهد على نفسه المعتضد بالخلع لاربع عشرة ليلة خلت من المحرم الحرام سنة سبعة عشر وثلثمايه والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

فصل

واحضر ابو المنصور محمد بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد هرون وبايعه يونس الخادم والامراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة الى الوزير ابى على ابن محمد بن مقله الكاتب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير ابن ابى على ابن مقله المذكور الى ساير البلاد وعمل يوم الاثنين الديوان فجاء العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فمنعهم الحاجب من الدخول الى الخليفة فقتلوا الحاجب ومالوا الى دار يونس واخرجوا المعتضد من الحبس وحملوه على اعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير واتوا باخيه محمد القاهر اليه وهو مغموم يبكى ويقول الله الله يا اخى فى روحى فاستدناه المعتضد وقبل بين عينيه وقال له يا اخى لا ذنب لك وانت مغلوب على امرك والله لا يبالك شى مما تكره فطيب نفسا وقر

عينا فلما زال الروع عاد اليه اخاه قال الى انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل
المقتدر الاموال للجند واسترضاهم وثبتت له الخلافة وهذه ثالثة والثانية
ثابتة **فصل** ومن جملة محاسن المقتدر انه زاد في المسجد الحرام زيادة باب
ابراهيم وهي الزيادة الثانية في الجانب الغربي من المسجد الحرام ويقال لها زيادة
باب ابراهيم وليس المراد به ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام بل كان
ابراهيم هذا خياطا يجلس عند هذا الباب عمر دهرا فعرف به وكان قبل هذه
الزيادة باب متصل بارو قة المسجد الحرام بقرب باب الحزورة يقال له باب الحياطين
وبقربه باب ثان يقال له باب بني جمح وخارج هذين البابين ساحة بين دارين
لزبيدة ام الامين بنيتا في سنة ثمان ومائتين ومابقي لتلك الدارين اثر الان
والذي يظهر ان داري زبيدة كانتا احداهما في الجانب الشامي في مكان رباط الحوري
الآن وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليماني من تلك الزيادة وهو رباط
راشد الذي يعرف الان برباط ناظر الخاص فادخلت هذه الساحة التي بين الدارين
في المسجد الحرام وابطل البابان يعني باب الحياطين وباب بني جمح حيث دخل في المسجد
الحرام وجعل عوض البابين باب كبير هو المسمى بباب ابراهيم في غربي هذه الزيادة
قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة ست وثلثمائة في كتاب تحاف
الورى باخبار ام القرى وفيها زاد قاضي مكة يومئذ محمد بن موسى من الجانب الغربي
قطعة عند باب الحياطين وباب بني جمح وهي السوح الذي كان بين داري زبيدة ام
الامين وعمل ذلك مستحدثا اوصله بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الاساطين
التي في وزان جدار المسجد الحرام الى القبلة التي عليها باب ابراهيم سبعة وخمسون
ذراعا الا سدس ذراع وعرض هذه الزيادة من جانبها الشمالي الى الجانب الغربي وذلك
من جدار رباط الحوري الى جدار رباط راشد اثنان وخمسون ذراعا وربع ذراع
وفي هذه الزيادة من جانبها الشرقي المتصل بالمسجد الكبير صفان من الرواق على اساطين
مخوتة من الحجارة وكذلك من جانبها الشمالي ولم يكن في جانبها الغربي رواق وفي
جانبها الشمالي سيل ماء وسط رواقه وكانت بهذه الزيادة مسارة ذكرها التقي
الفاسي في شفاء الغرام قلت اما المسارة فلا ادري من بناها ولا متى بنيت ولا متى

هدمت

هدمت واما السيل فكان موجودا الى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فهدم عند وصول العمائر
الشريفة السلطانية اليه واعيد بناؤه سبيلا كما كان وهذه الزيادة الثانية وقعت
في ايام المقتدر العباسي ومن جملة محاسن المقتدر ايضا انه ابطل من ديوانه استخدام اهل
الذمة من اليهود والنصارى وابطل تصرفهم في الاموال السلطانية واعاد الامر بتوجيه
ذوي الارحام في سائر ممالك الاسلام وانفق كثيرا من الاموال وافرغ خزائن بيت
المال وباع كثيرا من الضياع حتى ارضى الجند باكمال اعطياتهم وكان يصرف يوم عرفة كل عام
من الابل والبقر اربعين الف رأس ومن الغنم خمسين الفا كذا ذكره الجمال يوسف ابن
تغري بردي في تاريخه مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة وكان فقوة وقال ابو المحاسن
سبط ابن الجوزي كان المقتدر يصرف في كل عام في طريق مكة والحرمين الثمانية الف دينار
وخمسة عشر الف دينار وقال الحافظ السيوطي كان النساء غلبن على المقتدر فاخرج عليهن
جميع جواهر الخلافة ونفايسها واعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاث
مثاقيل واعطى زبيدان القهرمانة سبحة جواهر لم ير مثلها وكان في داره احد عشر الف غلام
خصي غير الصقالبة والروم والسودان وكان يبلغ النفقة على هما رستان ام المقتدر
في كل عام سبعة الاف دينار وانه خلف خمسة من اولاده فرفع في حياتهم ستمائة الف
دينار وقدمت رسل ملوك الروم بهدايا لطيفة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب
العدو فاقام مائة وستين الف مقاتل بالسلاح الكامل ستمائة طيس من باب الشماسية
الى دار الخلافة بعد ادخار الرسل بينهما في هذه المسافة واقام بعد هما الحجاب والكتبة
الف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي نصبت على حيطان
دار الخلافة ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت
في الارض اثنين وعشرين الف بساط وفي الحضرة مائة وتسع في سلسل الذهب والفضة
وعز ذلك وزاد الجمال يوسف بن تغري بردي من جملة الزينة سجرة صيغت وضعت
من الذهب والفضة واغصانها تتمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من
ذهب وفضة تنفخ الريح فيها فيسمع لكل طير تغريد وصفير خاص وهذا بعد وهن الدولة
العباسية وضعفها فكيف كانت زينتها في ايام قوة دولتهم في كمال وصفها فسبحان
من لا يزول ملكه ولا يزال ولا يفنى ولا يعتريه زوال ولا يغيره الشؤن ولا تحوله الاحوال

والوه الكبير المتعال لا اله الا هو وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثل ولا مثال كون الاكوان
وقدرها تقديرا ولم يتخذ صاحبة ولا وزيرا تعالى شانه وعلى سلطانه علوا كبيرا وقل الحمد
لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا واما بعد

فصل واول ما ظهر من وهن الخلافة فى ايام المقتدر ظهور الطايفة الملحدة التى
تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يودى الى الكفر يميلون دعاة الاسلام وينتسبون الى الموالاة
محمد بن الحنفية من اولاد على بن ابى طالب رضى الله عنهم ويرون كافة فضال المسلمين فاول خبيث
نجس ظهر منهم ابو طاهر القرمطى وبنى داره فى هجر وسماها دار الهجرة اراد نقل الحج اليها فبعث الله
واخزاه وكره فتكه فى المسلمين وسفك دماء المومنين الى ان اشتد بلاؤه فى الحاج وانقطع الحج
فى ايامه خوفا منه ومن طايفته الفاجرة واشتدت بلوكتهم ففى اخر اول عام ست عشرة
وثلثمايه لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة المشرفة الا وقد وافاهم عدو الله ابو طاهر
القرمطى فى عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف فى الطايفين
والمصلين والمجاورين مجدين فى اجرامهم الى ان قتلوا فى المسجد الحرام وفى مكة المشرفة
وشعابها قريب من الف انسان وتلك مصيبة ما اصيب الاسلام بمثلها وركض
ابو طاهر بسيفه مشهورا وهو سكران يصيح بفرسه عند البيت الشريف وقال
وراء والحجاج يطوفون حول بيت الله الحرام والسيوف تتوسمهم الى ان قتل
فى الطواف الشريف الف وسبعماية طايف محرم ولم يقطع طواف على بن بابويه
واسد ترى المجبين صرعى فى ديارهم كفتلة الكرمل لا يدرون اكم لبثوا
والسيوف تقفوه الى ان سقط بينا ركعه وطمت باشلاء الشهيد بئر زمزم وبالمكة
المشرفة من الابار وحفر قد ملئت بهم وطاح ابو طاهر الى باب الكعبة المشرفة وقلع بابها وهو يقول
انا بالله وبالله انا يخلق الخلق ويفنيهم انا
وصاح بالحجاج يا حمير انتم تقولون ومن دخله كان امنا فاين الامان وقد فعلنا ما فعلنا
فاخذ بلجام فرسه شخص وقال وقد استشهد للقتل ليس معنى الاية الشريفة ما
ذكرت وانما معناها من دخله فامنوه فلوى ابو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت
اليه وصانه الله ببركة بذل نفسه فى سبيل الله والرد على بعد الكافر فاخزاه الله تعالى
واراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيا يقلعه فاصيب بسهم من جبل

الى

الى قيس فما اخطاه نحره وخر ميتا وخر ميتا وامر اخر مكانه فسقط من فوق الى اسفل على راسه
الثالث عن الاقدام على القلع فمضى ابو طاهر وتركه على زعمه انفه وقال اتركوه حتى
ياتى صاحبه يعنى المهدى الذى يزعم انه يخرج فيهم وكان ممن قتل بمكة المشرفة ابرهام ابن المحارب
والحافظ ابو الفضل محمد بن الحسن بن احمد الهاروى الهروى اخذته السيوف وما
متعلق بيده بحلقة باب الكعبة الشريفة حتى سقط راسه على عتبة باب بيت
الله الحرام واخوه امام الحنيفة الفقيه ابو سعيد احمد بن الحسين الردعى والشيخ
ابو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرماوى وشيخ الصوفية الشيخ على بن بابويه
الصوفى والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعى نزيل مكة المشرفة وجماعة كثيرون
من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من اهل خراسان والعراق وبهت امواليهم
وسبيت نساهم وذراريهم وبهت دور الناس وقتل من وجد من اهلها الا من
اختفى فى الجبال وممن هرب من مكة المشرفة يومئذ فاطمة بنت محمد بن عبد الرحمن ابن
هرون القرشى مع عياله الى وادى بهجان وبهت القرامطة من داره وبنايته واموله
ما قيمته ماية الف دينار فافتقر بعد ذلك بعد تلك الثروة وكذلك بهت
دور اهل مكة المشرفة الى ان صار الباقى ممن يحاذى تلك الواقعة فقر ايستعطون
ولم يحج فى هذا العام احد ولا وقف بعرفة الا قدر يسير فانهزموا بانفسهم وسيحوا
باموالهم وتفوا بدون امام وامواجهم مستسلمين للموت واخذ ابو طاهر كنز الكعبة
الكعبة المشرفة وما فيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة وحليها وما نهبه من
اموال الحجاج فقسمها بين اصحابه واراد اخذ حجر المقام الذى فيه صورة ادم ابراهيم
الخليل عليه بيننا وعليه الصلاة والسلام فلم يقطع بدلان سدنة الكعبة المشرفة
عينوه فى بعض شعاب مكة المشرفة وتالم لذلك واستدعى بجعفر بن ابى علاج
البناء وامره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين رابع عشر
ليلة خلت من ذى الحجة الحرام ذلك العام وصار يرتد قة يقول قاتله الله واخزاه

فلو كان هذا البيت سر بنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا بحجنا حجة جاهلية ... محللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا ... جنايز لا تبغى سوى ربها ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة الشريفة واقام بمكة المشرفة احد عشر يوما وقيل
سنة ايام ثم انصرف الى بلده بهجر وحمل معه الحجر الاسود بريد ان يحول الحج الى مسجد الضرار
سماه دار الهجرة وعلقه في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد
وبقي موضع الحجر الاسود من البيت الشريف خاليا يضع الناس ايديهم فيه ويستلمونه بتركا
بجلده ولم يهد الطاهر ان يخطب لعبيد الله المهدي اول الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان
اول ظهوره فبلغ عبيد الله المهدي المذكور ذلك فكتب اليه ان اعجب العجب ارسالك
بكتب اليها مهنيا بما ارتكبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي
لم يزل محرما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وقتلت بالحجاج والمعتمرين
وتعديت وقتلت وبخرات على بيت الله الحرام وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين
الله في الارض يصافح به عباده وحملته الى بلدك وبرجوت ان اشكرك على ذلك
فلعنت اسمك لعنك والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه
ما يجزاه في عذه فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى ابي طاهر القرمطي وعلم ما في الخرف
عن طاعته واستلم الحجر الاسود عندهم اكثر من عشرين سنة يتحيلون به الناس
طمعا ان يحول الحج الى بلدهم وابى الله ذلك والاسلام وشريعة محمد عليه افضل الصلاة
والسلام ونهض من اعظم مصايب الاسلام واشدها في الدين من اوليت الكفرة
اللئام ذابت لها اكباد العباد وعمت فتنتها الحاضر والباد الى ان دمرها تلك الطائفة
القاهرة وابتلى بوطاهر النحس هذا بالكلمة فصار يتمثر بحمله بالدود وما اشتهى
ميتة الى دار الخلود ويعذب بانواع البلى في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى
ولما اتيت القرامطة عن تحويل الحجاج بحجهم الى الحجر رد والحجر الاسود الى محله وورد بيسير
ابن الحسن القرمطي الى مكة المشرفة في يوم الخميس يوم النحر سابع عشر ذي الحجة الحرام سنة تسع
وثمانين وثلثمائة ومعه الحجر الاسود فلما صار بفناء الكعبة الشريفة حضر معه امير مكة
المشرفة يومئذ وهو ظالما ابو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي فاظهر سقطا
اخرج منه الحجر الاسود وعليه ضباب فضة في طوله وعرضه شعوثا قد ذهبت
فيه بعد قلعه واحضر معه جصا يشده به فوضع حسن بن المفرج الحجر الاسود
في مكانه الذي قلع منه وقبل بل وضعه سنبر بيده وقال اخذناه بقدرة الله تعالى

واعدناه

واعدناه بشيبة وقد اخذناه بامره ورددناه بامره ونظر الناس الى الحجر الاسود فقبلوه واستلموه
وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك محمد بن نافع الخزاعي ونظر الى الحجر الاسود وقبله وتامله فاذا
السواد في راسه دون سايره وسايره ابيض وحضر معهم ممن حج تلك السنة محمد بن
عبد الملك بن صوار الاندلسي وشهد رد الحجر الاسود الى مكانه ولما اعيد الحجر الاسود
الى مكة المشرفة حمل على قعود هزيل فسمن وكانوا لما مضوا به مائتا تختمه اربعون جملا
وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا اربعة ايام وكان
المنصور بن القايم بن المهدي بذل لاحمد بن ابي سعيد القرمطي حاكم هجر خمسين الف
دينار
ذهب في الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل الحكم التركي مدبر الخلافة ستين الف دينار
للقرامطة على رد الحجر الاسود فابوا وقالوا اخذناه بامر ولن نرده الا بامر الذي اراده
الله سبحانه وتعالى رده على الوجه الذي اخذناه وفي التواريخ صورة اخرى لهذه القصة
رايتها ما سنا قضة وهذا اصح ما روى فيها فاعتمدنا عليه فعض بالنواجذ على ان الحجة
قاموا على الحجر الاسود من استطالته بيد خاين اليد لعدم استحكام بنايه فقلعوه
وجعلوه في البيت الشريف حفظا له وصونا له عن ارادة من اراده بسوء ثم امر واصانعين
فصاغا له طوقا من فضة وزنه ثلثمائة الاف وسبعة وثلثون درهما فطوقوا به
الحجر الاسود وشدوا عليه به ثم احكما بناه في محله كما كان ذلك قديما وكما هو الان
كذلك وكان قلع الحجر الاسود في ايام المقتدر ثم وقع بينه وبين بونس حرب
فتغول في المعركة فضربه واحد من البربر من خلفه فسقط الى الارض فقال لغلامه
ويلك الخليفة فقال انت المطلوب وذبحه بالسيف ورفع راسه على الرمح
وسلبا عليه وبقي مكشوف العورة حتى ستره الحشيش ثم حفر له مكان ودفن فيه
وعفى اثره فسبحان المعز المذل السميع البصير له الملك وحده لا شريك له وهو على
كل شي قدير وكانت مدة خلافة المقتدر اولا وثانيا وثالثا احدى وعشرين سنة
الا اياما وقتل لثمان بقين من شوال سنة اثنين وعشرين وثلثمايه

فصل

وولي الخلافة بعده اخوه ابو منصور محمد بن المعتضد ولقب بالقاهر بالله وقهر القاهر
المذكور وسمل عينيه وجاء الى العباس محمد بن المقتدر بالله بن المعتضد ولقبوه
الراضي بالله وبايعوه في سنة اثنين وعشرين وثلثمايه وصار خليفة الى ان

تولى قتل وثمانين وثلثمائة سنة ولي ثلاثين سنة الا ثلاثة ايام
ولد سنة تسع وثمانين ومائتين
له من الاولاد ثلاثة عشر ولدا ذكرا
خلفه بعده ابنه القاهر
توفي سنة

مات فى سنة تسع وعشرين وثلثمايه وبويع لاخيه ابى اسحق ابراهيم المعتضد بعده باكل فة
ولقب المتقى بالله وقبض عليه نوره الركى وسمل عينيه فى صفر سنة ثلث وثلاثين
وثلثمايه وبويع بعده باكل فة لابن عمه ابى القاسم عبيد الله بن المكتفى بالله بن المعتضد
ولقب المستكفى بالله واستمر فى اكل فة سنة واحدة واستكمل من وزارته معز الدولة
ابن بويه وسمل عينيه وصفه الى المتقى بالله والقاهر بالله وصار هو الثالثة فى العجمى والى
بعده اكل فة ابو القاسم الفضل بن المقتدر ولقب المطيع لله وبويع فى سنة اربع وثلاثين
وثلثمايه وكان رد الحجر الاسود من بلد هجر الى مكانه من البيت الشريف فى ايام المطيع
لله هذا وتم امره على ضعف اكل فة وو هنها واستيلاء بنى بويه على الملك وطالت
ايامه الى ان خلع نفسه ويوبع باكل فة لولده ابى بكر عبد الرحيم فى سنة ثلاث وستين
وثلثمايه ولقب الطايع لله وكان مغلوبا عليه من قبل امرايه وما كان له الا العظمة
ظاهرة لا غير يجبى الاموال ويرد فى سنة تسع وستين وثلثمايه رسول العزيز بالله بن المعز
العبيدى صاحب مصر الى بغداد يسال عضد الدولة بن بويه وهو يومية بلقب السلطنة
من الطايع ويبدو امر المملكة ان يزيد فى القابه ويقال له تاج الملة ويجدد عليه الخلع
ويلبسه التاج فاجابه الى ذلك فجلس الطايع على سرير عال واوقف حوله باية سيف متسلول
وبين يديه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه على كتفه بردة النبى صلى الله عليه وسلم وبيده
قضيب النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقلد بسيف النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك
كله مما يتوارثه الخلفا ويجعلونه لوكبهم العامة واحتجب بستارة حتى لا يقع عليه نظر
الجند فقام فى الستارة وحضر الجند من الاتراك والديلم ووقف ارباب الستارة
صفين ثم الان لعضد الدولة فدخل بينهم رفعت الستارة وقبل الارض ودخل رسول العزيز
صاحب مصر فهنا عضد الدولة بهذا الملك واستحثه فى الرجوع فقال له عضد
الدولة هذا هو خليفة الله فى ارضه ثم استمر يمشى ويقبل الارض تسع مرات فالتفت
الطايع الى خادمه المقرب عنده واسمه كالصو وقال له استدنه فقربه الى رجل السرير
وقدم الى ان قبل رجله فمشى الطايع بيمينه على راس عضد الدولة فامره ان يجلس على
كرسى رصع ووضع له قريبا من السرير فاستعفى عضد الدولة من ذلك فاقسم عليه
ليجلس فقبل الكرسى ثم جلس عليه فلما استقر جالسا قال له الطايع قد فوضت اليك ما

وكل

وكل الله تعالى الى من امور الرعية فى شرق الارض وغربها فقال يعينى الله تعالى على طاعة امير المومنين
وقبل الارض فامر ان يفاض عليه تسع خلع فافيضت عليه وهو يقبل الارض فى كل واحدة
وانصرف وانصرف الناس خلفه وقد اهالهم ما راوه واستعظموا ما شاهدوه وما كانت
هذه العظمة الا صورة صناعية وكلفة اصطناعية حقيقتها واهيه وقوتها واهنه
قال السلطنة قد آلت الى نصر بن بويه يركب الطايع اليه ويخلع عليه تسع خلع وطوقه بطوق
وسوره بسوارين ولقبه بهاء الدوله وصاهره فى سنة تسع وستين وثلثمايه
ثم فى سنة احدى وثمانين وثلثمايه جاء بهاء الدولة الى الطايع وقبل الارض بين يديه وجلس
على الكرسى وامر هذا من يديه فجذبوا الطايع من سريره ولفوه فى كساء وامر بهاء الدولة ان
يخلع نفسه ففعل ذلك وانتزعه وتقاعد عما كان بصدده

فصل

واتى بابى العباس
احمد بن اسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله وبويع له باكل فة لعشر خلين من شهر رمضان
فى ذلك العام وكان على غاية من العبادة والديانة والفضل وصنف كتابا فى الرد على القايلين
بخلق القران الكريم وامر ان يقرا فى كل جمعة فى حلق اصحاب الحديث بحضرة الناس وعدة ان يخرج
فى عملة الشافعية وذكره فى طبقاته وطالت مدة خلافته حتى انافت على احدى واربعين
وثلثمايه اشهر وتوفى فى سنة اثنين وعشرين واربعمايه

فصل

وولى اكل فة بعده
بعهد منه ابو جعفر عبد الله بن القادر بالله ولقبه القايم بامر الله وكان خيرا ديينا باهيا
الفضل الا انه كان مغلوبا بيد امرايه وطالت مدته نيفا وذلك وكانت خلافته خمسا واربعين
سنة ووفاته فى شعبان سنة سبع وستين واربعمايه وولى بعده بعهد منه حفيده
ابو القاسم عبد الله بن محمد بن القايم بامر الله ولقب المقتدى بامر الله بويع له باكل فة
يوم موت جده بحضرة الامام الكبير الولى الشهير مولانا ابى اسحق الشيرازى احد اركان ايمة
الشافعية وكان خيرا ديينا يحب بنى العباس وصالحهم ومن جملة صلاحه وبركته ان
السلطان ملك شاه من آل سبكتكين قصد ان يتحكم على الخليفة ويظهر العسف والخسف
على الخليفة المذكور فارسل اليه وما يقول لا بد ان تترك لى بغداد وتذهب الى اى
بلد شيت فارسل الخليفة يتلطف به فى ذلك فابى الا شدة وغلظا فقال لرسوله
اسالة المهلة لى ولو شهرا فابى وقال ولا ساعة فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة
ايام فامهله فصار الخليفة يصوم بالنهار ويقوم بالليل ويتضرع الى الله تعالى ويضع خده

على الزاب وبناجى رب الارباب ويدعو على ملكشاه فنفذ دعاوه وما مظلوم
نفوذ السهم المسموم فى كبد المظلوم واستجاب الله تعالى دعاه وتقبل تضرعه
ونداه فهلك السلطان ملكشاه قتل مضى عشرة ايام وكفاه الله تعالى شره
وما رب بظلام للعبيد وعدت هذه كرامة للخليفة المقتفى وهذه عقبى كل
ظالم ومعتدى وقيل وكم يد من لطف خفى ، يد وخفاه عن فهم الذكى
وكم لسراتى من بعد عسر ، وفرج كربة القلب الشجى
وكم هم تسآء به صباحا ، فتاتك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما ، فثق بالواحد الاحد العلى
تمسك بالنبى فكل هم ، يزول اذا تمسك بالنبى
وكذلك من قال لا تشغل بهموم القلب مكتئبا ، ولا تبيتن الا خالى البال
ما بين غمضة عين انت بها ، يغير الدهر من حال الى حال

وكانت وفاة الخليفة المقتدى بامر الله فى محرم الحرام سنة سبع وثمانين واربعمائة

فصل وولى الخلافة بعده ابنه ابو العباس احمد ولقب المستظهر بالله وبويع له بالخلافة
يوم مات ابوه وكانت امه ام ولد تركية اسمها الطون وكان كريم الاخلاق حسن الخط
لا بقا ومداحد فى كتابته حافظا للقرآن الحكيم عالما فاضلا وكان قد غلب عليه مملوك ال
سلجوق وكانت مدة خلافته اربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر وتوفى يوم الاربعا
لست بقين من شهر ربيع الاخر سنة اثنى عشرة وخمسمائة فصل وولى
الخلافة بعده ابو منصور الفضل المستظهر بالله ولقب بالمسترشد بالله وبويع له
بالخلافة يوم مات والده وامه ام ولد تسمى لبابه وكان سيفا عادينا مشغولا بالعبادة
حفظ القرآن والحديث ونظم الشعر ومن شعره قوله

انا الاشقر المدعو فى الملاحم ، ومن عمل الدنيا بغير مزاحم

وكان هذا التجمل من خيالاته الفاسدة فانه ما ملك من الدنيا ولا قناة دار وخرج
الى قتال مسعود محمد بن ملكشاه السلجوقى فلم يقاتله احد فقاتله وحده الى ان
قتل فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة فصل وولى الخلافة بعده ابو
جعفر منصور بن المسترشد ولقب الراشد بالله وبويع له بالخلافة يوم قتل ابوه ولم

تطل

تطل مدته بل قبض عليه السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة فى يوم الاثنين
عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة الحرام سنة خمسمائة وقتل باذين وجلسه وقتله
فى مجلسه فصل وولى الخلافة بعده عمه ابو محمد بن المستظهر بالله ولقبه المقتفى
بالله وبويع له بالخلافة يوم خلع ابن اخيه وكان عالما فاضلا حسن السيرة ذميث
الاخلاق شجاعا توفى يوم الاحد لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين
وخمسمائة وولى بعده ولده يوسف بن المقتفى ولقب المستنجد بالله وبويع له يوم
وفاة ابيه وامه ام ولد حبشية اسمها طاووس ويحكى انه قبل ان يصير خليفة رأى
رأى فى منامه ان مكانا نزل من السماء فلكت فى كعة خمس خانات فلما اصبح سأل بعض
المعبرين عن منامه فقال انك تلى الخلافة فدة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك
توفى فى يوم السبت لليلتين خلتا من ربيع الثانى سنة ست وستين وخمسمائة والله اعلم
فصل وولى الخلافة بعده ولده ابو محمد الحسن بن المقتفى بالله ولقب المستضى
بالله وبويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس اسقط المكوس فى
مملكته وكرم الثناء من اخلق عليه وتوفى فى شهر ذى القعدة سنة خمس وسبعين
وخمسمائة فصل وولى بعده الخلافة ابنه ابو العباس احمد ولقب الناصر لدين الله
وبويع له بالخلافة فى ثمان ليال مضين من ذى القعدة وما اليوم الثانى من وفاة والده
وفى ايامه كان ظهور السلطان يوسف صلاح الدين بن ايوب واستخلاص صلاح بيت
المقدس من ايدى الفرنج واستيلاؤه على مصر وازالة دولة الفاطميين عنها وخطب
لهذا الناصر العباسى على منابر مصر ووقع بينه وبين السلطان صلاح الدين ابن
ايوب مخالفة بسبب تلقبه بالناصر لدين الله فان صلاح الدين تلقب به والفاطميون
ويقال لهم العبيديون اربعة عشر خليفة اولهم عبيد الله المهدى واختلف المؤرخون
فى نسبهم وهم ينتسبون الى فاطمة الزهراء والكن ذلك كثير من المؤرخين وطعنوا
فيهم بانهم من اولاد الحسين بن محمد بن احمد بن القداح وقالوا كان القداح المذكور
مجوسيا وثانيهم المنصور وثالثهم القايم ورابعهم المعز وهو الذى انتقل من بلاد
الغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وبنى القاهرة المعزية واستقر هو ومن بعده
من العبيديين بمصر الى ان كان اخرهم العاضد وهو الرابع عشر منهم توفى يوم عاشورا

سنة سبع وخمسين وخمسمايه وذلك بعد استيلاء صلاح الدين عليه وعلى مملكة مصر
على منابر مصر الناصر لدين الله العباسي وانقرضت دولة العبيديين وكانوا اثنا عشر اماما
سبابين فيهم ملحدة كالحاكم بامر الله ويحكى عنه حكايات عجيبة وكان المؤرخين على نفي
شر فيهم والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة ذلك وطالت مدة خلافة الناصر لدين الله
فاحيى رسوم لكل فتوة واستولت القلوب من هيبته وكان ذا فكرة صايبة وكانت
ايامه من اعز ايام الزمان وكان له احسان الى اهل الحرمين الشريفين وكانت الكعبة الشريفة
تكسى الديباج الابيض في زمن المامون الى اواخر ايام الناصر فكساها الديباج الاسود
واستمرت الى زماننا هذا تكسى الديباج الاسود ثم كساه الحمام ثياب الكعبة وعزله
عن سرير مملكة وتخت سلطانه واودعه بطون المقابر وماله من قوة ولا ناصر وكانت
وفاته في سلخ شهر رمضان سنة اثنين وعشرين وستمايه

فصل وولي الخلافة
مكانه بعهد منه ولده ابو نصر محمد بن الناصر ولقب الظاهر باسه وبويع له بالخلافة في يوم
موت والده بعهد منه اليه فاظهر العدل والاحسان وابطل المكوس وقرب ذوي الارحام
وكان العمال تكيل للديوان بكيل زايد على ما يكيلون به للناس فابطل الناصر ذلك
وكتب الى وزيره ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب
العالمين فقال الوزير ان تعاونت الكيل ينوف على ثلاثين الف دينار فقال ابطله
ولو انه ثلثمايه الف دينار وفرق ليلة عيد النحر على الفقراء مايه الف دينار فلامه الوزير
على ذلك فقال اتركني افعل الخير فاني لا ادري كم اعيش فلم يلبث ان وافاه الاجل
بالكيل الاوفى وابقى له على عمله الصالح الزاكي فعاش حميدا ومات شهيدا وتوفي في
شهر رجب الحرام سنة ثلث وعشرين وستمايه

فصل وولي الخلافة بعده ولده
ابو جعفر منصور بن الظاهر ولقب المستنصر باسه وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده
فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب اهل العلم والدين وبنى المساجد والربط والمدارس
وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية ببغداد التي لم يبن مثلها في مدائن الاسلام ولم
يوجد في المدارس اكرم كتبا منها ولا اكثر اوقافا عليها وكان لهذه المدرسة اربع مدرسين
يدرسون فيها على المذاهب الاربع ويهيأ فيها الخبز واللحم والحلوى والفاكهة وكسوة

الشتاء

الشتاء والصيف وجعل لكل واحد من هؤلاء الاربعين تمما ووقف على ذلك ضياعا وقرى كثيرة سرية
الذهبي وعزه فرحم الله اهل الخير والاحسان ورفع الله درجاتهم في اعلا
الجنان والهم فعل الخير سبيل الطاعين الزمان ووفقهم لنشر العدل بالقسط والميزان
وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل في اتساع العماد واتقان النهاد وطيب
الماء ولطف الهواء ورفاهية الطلاب وسعة الطعام والشراب وغير ذلك
من الاسباب

فصل وقد حكى ان اول مدرسة بنيت في الدنيا مدرسة
نظام الملك في بغداد فبلغ علماء ما وراء النهر هذا الخبر فاتخذوا للعلم ايوانا وحزنوا على
سقوط حرمة العلم فسئلوا عن ذلك فقالوا ان العلم ملكة شريفة فاضلة لا تطلبها
الا النفوس الشريفة الفاضلة لجاذب الشرف الذاتي والمناسبة الطبيعية ولما
جعل عليه اجرة تطلبه النفوس الرذلة وتجعله مكسبا لحطام الدنيا وتزاحم عليه
لاتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدنيوية الفانية فيزداد العلم برذا التتميم
ولا يشرفون بشرفه الا ترى الى علم الطب فانه مع كونه علما شريفا لما تعاطته الارذال
اليهود نزل برذا التتميم ولم تشرف اليهود بشرف علم الطب وهذا حال اكثر طلبة
العلم في هذا الزمان الفاسد وهذا شان طلاب هذه العلوم المتداولة الآن في
هذا السوق الخاسر الكاسد فانك ترى اكثرهم موادبه في الطلب وكبابه على فنون
العلم والادب يزداد كل وقت عجبا وكبرا ويتعاظم على كل احد تيها وفخرا ولم
يتنبه من طوارق الاخلاق الرذيلة ولو اكتسب مهما اكتسب من الفضيلة وقلما
يتحلى احدهم بحلى الاخلاق الحسنة الجميلة والمزايا الفاضلة الكاملة الجليلة
وما ثمرة كسب العلوم غير التخلق الفاضلة بحسن الاخلاق والعمل بمقتضى
طيب الاصول والاعراق فاسئل الله سبحانه وتعالى ان يبصرنا بعيوبنا ويسر علينا
معايب ذنوبنا وينورن بصر بصايرنا ويزيل عوارض قلوبنا ويرينا الحق حقا ويرزقنا
اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويوفقنا لاجتنابه قلت وحيث انجر بنا الكلام الى
ذكر نظام الملك فاذكر لك حكاية لطيفة ذكرها صاحب كتاب فضل الخبيب
ونديم اللبيب قال ذكروا ان نظام الملك لما استوزره بالعراق للسلطان ابي
الفتح السلجوقي قام بالدولة احسن قيام فشيد اركانها واسس بنيانها

ووالى الاولياء واستمال الاعداء وعم احسانه العدو والصديق والقريب والبعيد وكان
اقبل واقبالا عظيما على العلماء والصلحاء والفقهاء وبنى المدارس العظيمة والخانقات
العالية واجرى الخيرات الكثيرة والكساوى الجليلة الفاخرة لطبقات طلبة العلم
والمشايخ الصوفية وغيرهم ممن يتوهم فيه الصلاح وعم بذلك سائر الاقطار من
بلاد العراقين الى الحرمين الشريفين بحيث كان يخرج من خاصة الخاصة السلطانية
والخزائن الديوانية في هذه الوجوه ما ينوف على ستمائة الف مثقال ذهب غير
الذي ينفقه من خاصة امواله ومحصلات غلاله وما يدخل عليه من الهدايا
وغيرها ولعله كان يقرب من القدر الذي كان يخرج من اموال السلطنة فطار صيته
في الافاق وكثر حساده ولا يخلو السعيد من حساد في كل زمان كما هو مشهود بالعيان
في كل اوان وما وجد واللطعن على نظام الملك طريقا غير اجحافه في الاخراج من الاموال
السلطانية في هذه الوجوه فنسبوا به الى سلطانة السلطان ابي الفتح من طرق شتى
وكرروا في سمعه ان نظام الملك اخرب بيت المال وان هذه المصاريف الزائدة
التي يخرجها في هذه الوجوه يمكن ان يصرف في جمع جيش كثير كثيف يركن اليه في
سور القسطنطينية وكانت يومئذ مدينة النصارى وهي الان بحمد الله سبحانه
وتعالى دار ملك الاسلام عمرها الله سبحانه وتعالى بعدله سلطان سلاطين
الانام ووعرها بالنصر والتاييد الى يوم القيام وانه يمكن ان يوخذ بذلك الجيش
الكثير من الممالك والاقاليم ويتسع بها المملكة وتكثر الخراج والاموال فلما تكرر ذلك
على سمع السلطان اثر كلامهم في قلبه واعتقد نصحهم وكل كلام تكرر على السمع
قبلته القلب بالطبع ولو واهنا واهيا في نفس الامر فطلب نظام الملك وقال
له يا ابتي وكان يخاطبه بالاب تعظيما له لكبر سنه وعقله بلغني انك تخرج من
بيت المال في كل سنة ستمائة الف دينار الى من لا ينفعنا ولا يضرنا فقال نظام
الملك وقال يا بني انا شيخ عجمي لو نودي علي في السوق ما سويت خمسة دنانير
وانت شاب تركي لو نودي عليك حساك تساوي ثلاثين دينارا وقد اختارك
الله تعالى وفوض امور عباده وبلاده الينا فلم نقابله بالشكر ولا عرفنا قدره نعم
الله سبحانه وتعالى فاستحييت انا في كتابتي وضبطي وانت في لذاتك منهمكا

ولهوك

ولهوك وكثر ما يصعد الى الله سبحانه وتعالى معاصينا دون طاعتنا وشكرنا وجيوشك
الذين اعددتهم للنوايب اذا احتشد والهوما كالخواعنك بسيف طوله ذراعان
وسهم لا يبعد مرماه وهم مع ذلك منهمكون في المعاصي والخمر والملاهي لهم احرى
بنزول القهر من نزول القطر والفتح والنصر فاغتنمت لك جيشا كثيفا وعسكرا
منيفا يسمى جيش الليل وعسكر السحر اذا نامت جيوشك ليلا قامت هذه الجيوش
على اقدامهم صفوفا بين يدي ربهم وارسلوا دموعهم واطلقوا بالدعاء السنتهم ومدوا
الى الله اكفهم فرجوا سهاما تخرق السماوات والارضين وسلوا سيوفا تعمل في كل
حين طول ابتهل الى الصين فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبركاتهم تمطرون
وبدعائهم تنصرون فبكى السلطان ابو الفتح بكاء شديدا وقال شاباش يا ابتاه
استكثر من هذه الجيوش فانها اموالك لا بد لنا منه ولما كان كل منهما لا بد له قابلية
الخير معجونا ما اثر عنده ملكة كلام الحساد مع تكراره الا تاثير ضعيف وزال في الحال
وعاد الى حب الخير الذي جبل عليه واستغفر الله تعالى على ما فرط من تقصيره فرحم الله
تلك الارواح الطاهرة ونعمها بالنظر الى وجهه الكريم فلقد الوا وما زالت اجادهم
تروى واحاديثهم الحسنة تنشر على السنة الرواة ولا تطوى عدنا الى ما كنا فيه ومن
جملة حذام المنتصر بالله الامير شرف الدين ابو القاسم الشرابي المنتصري العباسي نبي بمكة المشرفة
مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتبا كثيرة في سنة
احدى واربعين وستمايه وذهبت شدة هذه المدرسة والمدرسة باقية الى الان وقد صارت
رباطا وفيه محل للدرس وبه كتب ووقفها بعض فقهاء اهل الخير ممن ادركناه ومن رحمهم الله
وبلصق الكعبة الشريفة في وسط مقام جبريل عليه السلام حجر من الرخام الازرق
الصافي منقور فيه بالقلم الثلث ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم امر بعمارة هذا المطاف
الشريف مولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الامم ابو جعفر المنتصر
بالله امير المومنين بلغه الله امله وختم بالصالحات عمله وذلك في شهر كذا من شهور
سنة احدى وثلاثين وستمايه وهذا اللوح باق الى زماننا تاليف هذه الرسالة
وكانت وفاة المنتصر بالله لعشر بقين من جمادى الاخرة سنة اربعين وستمايه
وكتم موته وخطب له بعد موته الى ان جاء الامير ابو القاسم الشرابي الى ولده احمد بن المنتصر وسلم

عليه باكلاءة العشر بضياع من ربيع سنة اربعين وستمايه فبويع لذلك اليوم ولقب
المستعصم بالله وهو اخر الخلفاء العباسيين في بغداد وبزوالة زالت دولتهم كما سنشرحه
ان شاء الله تعالى وجت والدة المستعصم بالله في سنة احدى واربعين وستمايه وهي
ام ولد جشيه اسمها ماجرو وكان في خدمتها اقبال الشرابي الدواداري وبعد ستة اشهر
خلعه وتصدق بمخوتين الف دينار وعدة جمال ركب بغداد تلك السنة
وكانت مايه الف وعشرين الف جمل ثم عادت الى بغداد ولما جرت عاده الله تعالى
بانقراض الدول واختصاص العزة والبقاء بالله عز وجل آلت دولة ال العباس الى
الانقراض والزوال وعين تهم العين وباينهم النوايب وحالت بهم الاحوال ودالت
دولة غيرهم وتحول زمان دولة ورجال وقال لسان الحال

ما بين غمضة عين انت باهتها ... يغير الدهر من حال الى حال

ولكل شي سبب من الاسباب وعلة يدور عليها التقلب والانقلاب وكان سبب
ضعف خلفاء بني العباس استيلاء مماليكهم وامرايهم عليهم وتفويض جميع امور المملكة
اليهم وتلقبهم بالقاب السلطان وفرط ادلالهم على مواليهم واستهانتهم غايه
الامتهان الى ان صاروا اسماء بلا مسميات وصوراً هيولا نية يتصرف فيها
بالمحو والاثبات وصاروا امرايهم يعشونهم ويصل ارباب الغرض الى اغراضهم الفاسدة
لما يرشونهم فاول سبب زوال الملك ان المستعصم بالله كان له ولدان احدهما
يسمى بالخفاجي كان سديد الراي شجاعا صعب المراس والثاني المستعصم بالله
وكان هينا ليناً ضعيف الراي فاختاره الامرا فقال الشرابي على اخيه الخفاجي
ليستبد بالامور ويستقل باحوال الملك ولا يناله مكروه من المستعصم ولا
يخشاه كما يخشى من اخيه الخفاجي فلما توفي المنتصر اختفى الامرا قبال موته
بنحو عشرين يوما حتى دبر لولاية المستعصم وبويع له باكلاءة وفر اخوه الى
العربان وتلا شى امره ثم اعظم سبب الزوال ان مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الله
العلقمي صار وزير المستعصم وكان رافضيا سبابا استولى على المستعصم عدوا
له ولاهل السنة بدا ريهم في الظاهر وبما فقهم في الباطن وكان يدبر على ازالة
الكلاءة عن بني العباس واعادتها الى العلويين وطمس اثار اهل السنة والجماعة

نورهم وتقوية اهل البدعة وابقاء ديارهم فصار يكاتب هلاكو خان ويطمعه في مملكة بغداد
ويطالعه باخبار بغداد ويخبره عن صورة اخذها وضعف الخليفة واختلال العسكر
وصار يحبن للمستعصم توفير الخزينة وعدم التفرق على العسكر والاذن لهم في
التفرق والذهاب اين شاؤا ويقطع ارزاقهم وبثبت شملهم بحيث اذن مرة لعشرين
الف مقاتل اين شاؤا ووفر علوفاتهم في الخزينة واظهر للمستعصم انه وفر من علوفاتهم
خزاين اموال عظيمة في بيت المال فاعجب المستعصم رايه وتوفيره وكان يحب المال
ويجمعه وما علم انه يجمعه لعدوه وقد سيلت بنو امية بعد ذهاب ملكهم ما الذي
كان سببا قويا في ذهاب الملك عنهم قالوا قوامنا انا اعتمدنا على المال واستوطانا الرجال
فوفرنا المال وقللنا الرجال فاخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وانا بعدنا الصديق
اعتمادا على صداقته وقربنا العدو واستحلنا بالمجتلبة فصار الصديق عدوا بالاجاد
ولم يبق العدو صديقا بالاستحلاب وقيل

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك الف مره

فلربما انقلب الصديق ... فصار ادرى بالمضر

وكان من قضاء الله سبحانه وقدره ان هلاكو سلطان المغول وجنكزخان مزق
زحف على بلاد الاسلام وجاء بعسكر جرار لا يعلم عدده الا الله سبحانه وتعالى وكان
اقوى سلاطين الاسلام اذ ذاك السلطان علاء الدين خوارزم شاه وكان
يملك من العراق الى اقصى بلاد الشرق وكان له قوة وشوكة وعسكر وافر وجند
متكاثر فظهر هلاكو فقابله خوارزم شاه مرارا وهو ينكسر الى ان قتل هو واولاده
وجنوده واستباح كثيرا من بلاد الاسلام وقتل اسرافها بالقتل العام وصار يحول
هلاكو في الديار وناره في غاية الاشتعال والاستعار والمستعصم ومن بعده
في غفلة عند لاخفاء ابن العلقمي عنه سايرا لاخبار الى ان وصل هلاكو الى بلاد العراق
واستاصل من بها اسرا وقتلا وتوجه الى بغداد وارسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستفز
الخليفة من نوم الغرور وندم على غفلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه
وبرز الى قتاله وجمع من اهل بغداد وحاشية عبيده وخدمه ما يقارب اربعين
الف مقاتل لكنهم مرفهون بلين المهاد ساكنون على شط بغداد في ظل نخيل ومياه

معين وفاكهة وشراب واجتماع احباب واصحاب ماكابدوا حربا ولا ارتعوا طعنا ولا ضربا
وعساكرهلاكو ينوفون على ماية الف مقاتل مابين فارس وراجل وسالب وباسل
وفاتك وقاتل يبيتون ونوب القرده ويشكلون باشكال المرده يقطعون المسافة
الطويلة في ساعات قليلة يخوضون الاوحال ويتعلقون بالجبال ويصبرون على العطش
والجوع ويقهرون الغمض والهجوع ولا يبالون بالم البرد والحر والسهل والوعر والبر والبحر
طعامهم كف شعير وشرابهم من طرف البير يكاد احدهم يتقوت بطرف اذن فرسه
ويقطعها ويأكلها بينه ويصبر على ذلك اياما عديدة او يكتفي بدم فرسه بجنيش الارض
مدة مديده فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال ونزحف الخميس الى الخميس
في يوم الخميس عاشر محرم الحرام سنة ست وخمسين وستماية وصبر واصطبر بن على هجم
الحتوف واعطوا الدار حقها واستمطروا غمايم السهام ونبلها وقودها فاستقبلوا بحر وجوههم
حر صواعق الحرب وبرقها ونزلوا في تلك الكابدة الفوز بالشهاده وايثروا في الاخرة رتب
السعاده وجادوا بانفسهم في سبيل الله وجادوا احسن اجاده واستمر كذلك من اقبال الغر
الى ادبار الغماير فجروا عن الاصطبار وانكسروا اشد انكسار وولوا الادبار بالادبار
وانهزموا وما اغنى عنهم الفرار وما قتيل
وانهزم الطراد الى قتال احد سلم منهم من الفرار
مضوا مستبقي الاعناق فيه لارؤسهم بارجلهم عثار
يرون الموت قدامًا وخلفًا فيختارون والموت اضطرار

وعز قتيل منهم في دجلة وقتل اكثرهم اشر قتلة واعقبهم التتار ووضعوا السيف فيهم والنار
وقتلوا من المسلمين في ثلاثة ايام ما يزيد على الثماية الف وسبعين الف نفس وسبوا
النساء والاطفال ونهبوا الخزاين والاموال واخذ هلاكو جميع النقود وامر باحراق الباقي ورمي
كتب مدارس بغداد في الدجلة والفرات وكانت كثرتها تجسر الجاري عليها كما ناوسماتا وتغير
لون الماء بها وكانت هذه الفتنة من اعظم مصايب الاسلام فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
واستولى المستعصم بالله واولاده وجماعته واتوا به الى هلاكو اسيرا ذليلا فقيرا حقيرا
فسبحان المعز المذل السميع البصير القادر القاهر تعالى شانه الباهر وعلى سلطانه على كل ذي
سلطان قاهر فاستبقى هلاكو الخليفة اياما الى ان استصفى اموالهم وخزاينهم وذخايرهم وذفاينهم

ثم ان هلاكو قاب اولاده وذويه واتباعه وامر ان يوضع الخليفة في غرارة ويداس بالارجل الى ان يموت
ففعل به ذلك واستشهد في يوم الاربعاء رابع عشر ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين
وستماية وانقطعت خلافة بني العباس وهم سبع وثلاثون خليفة اولهم السفاح واخرهم
المستعصم وبعده صار المسلمون بلا خليفة ولم ينل ابن العلقمي مما اراده من نقل الخلافة
الى من اراد ولم يغن عنه سلاة اهل الحلة من النهب والقتل بمساعدته لهم فان محمد الدين
محمد بن الحسن بن فخار وسن الحلي وسديد الدين بن يوسف بن المطهر الحلي ارسلا كتابا الى
هلاكو على يد ابن العلقمي وفيه كلام يروونه عن علي بن ابي طالب رض وصورته اذا جاءت
العصابة التي للخلافة بها التحزين بام الظلمة ومسكن الجابرة وام البلاء ويل لك يا
بغداد ولدارك العامرة التي لها اجمة كالطواويس تمايس كما يمايس الملح في الماء وباقي
بنو اقطوراو مقدمهم حمورى الصوت لهم وجوه كالمجان المطرقة وحر اطيم كحر اطيم
الفيل لم يصل الى بلدة الا فتحها ولا راية الا نكسها فلما وصل الكتاب الى هلاكو امر ان
يترجم له فلما قراه امر بهم بسهم الامان وسلموا بسبب ذلك من القتل والنهب وبان العلقمي
بانه ظالم من ظلم بسببه وكان من اهل النار وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار قلت
واما هذه الكلمات فليس عليها طلاوة كلام علي رض ولا حلاوة وانا ارى الوضع عليها
ظاهرة وكانهم اخترعوها بعد وقوع الطامة وعند حصول هذه الفتنة العامة والا
لاشتهر ذلك قبل الوقوع وتنا قلته الرواة في كامجموع والله سبحانه وتعالى اعلم بالسراير
وما تحن الاحشاء والضماير وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله اعلم

فصل كان ممن حكم من بني العباس هلاكو من بني العباس ابو العباس احمد ويلقب
المستنصر بالله بن الظاهر بن المستضيء بن المستخدم بن المقتفي العباسي فوصل الى مصر
واقام على سلطانها اذ ذاك وهو الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البندقداري
في سنة ست وخمسين وستماية فخرج السلطان بيبرس الى ملاقاته واكرمه واثبت
نسبه في موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف واعاظم الظاهرية من جيش
ويوجه الى بغداد ووصل الى الفرات في ثالث ذي القعدة سنة تسع وخمسين وستماية
فقاتله وقرغايب هلاكو على بغداد فقتل المستنصر ومن معه ولم ينج منهم الا
القليل فلم يتم لهم امر ثم وصل بعد ذلك المخدم من بني العباس ابو العباس احمد ويلقب

بالحاكم بامر الله بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدي العباسي فاكرمه الملك الظاهر
ايضا وابنت نسبه من قضاة الشرع بحضرته وبايعه بالخلافة واجرى عليه نفقة وسكن
بمصر وليس له من الامر شئ وانما اسم الخليفة واولاده من بعده على هذا المنوال ليس
لهم الا اسم الخلافة ويأتون به الى السلطان الذي يريدون توليته فيبايعه ويقول له
وليتك السلطنة هكذا كانوا بالقاب الخلفا واحد بعد واحد فكانت سلاطين الاقاليم
يشركون بهم ويرسلون اليهم احيانا يطلبون منهم تفويض السلطنة باللسان فيكتبون له
تقليدا ويعهدون اليه بالسلطنة عهدا ويولونه سلطنة الجهة التي هو بطلبها فيتبرك
بهذا التقليد يتيمن به ولا يخفى ان هذا ليس لهم بخلافة وولاية الصورة كما كان للخلفاء
العباسيين ببغداد المحجور عليهم من جانب امرائهم صورة الخلافة فقط وهؤلاء ليس
لهم ولا لملك الصورة ايضا وانما لهم الاسم المجرد عن المعنى من كل وجه ولكن الشيخ جلال
الحافظ السيوطي عدهم من جملة الخلفاء العباسيين وكتب تاريخا للخلفاء وكان هؤلاء
من جملتهم وقام بشانهم واعتبارهم واخر من ذكر منهم في تاريخ الخلفا المتوكل على الله
ابو العز عبد العزيز بن يعقوب وانه بويع له بالخلافة في يوم الاثنين السادس
والعشرين من المحرم الحرام سنة اربع وثمانين وثمانمايه بحضرة السلطان الاشرف
قايتباي والقضاة والاعيان بالقلعة من مصر ثم ركب من القلعة الى منزله وكان
يوما مشهودا وبه ختم كتابه تاريخ الخلفا ورايت في تاريخ لطيف للسيوطي ايضا
سماه الوفيات له في سنة ثلاث وتسعين وثمانمايه مات في المحرم
فيها الخليفة المتوكل على الله ابو العز العباسي المصري قال وعهد لابنه يعقوب ولم
يلقبه فلقبه الناس المستمسك بالله انتهى قلت واستمر يعقوب المستمسك بالله
خليفة الى ان كبر سنه وضعف نظره ودخلت ايام الدولة الشريفة العثمانية وفتح
السلطان الاعظم والخاقان الافخم السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد
خان مصر القاهرة وقهرها وازال عنها مظالم الجراكسة وغيرها وعاد مع الفتح
والنشر الى دار السلطنة الكبرى قسطنطينية العظمى توفي الخليفة المذكور بمصر
لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وتسعمايه **فصل**
وولي الخلافة بعده ولده ابو عبد الله محمد بن يعقوب ولقب بالمتوكل على الله وكان

المرحوم

المرحوم السلطان سليم لما افتتح مصر اخذه معه كرها الى بلاده عوضا عن والده يعقوب المستمسك
بالله لكبر سنه وذهاب نظره فلما توفي السلطان سليم عاد المتوكل هذا الى مصر وصار
خليفة بها واستمر الى ان توفي لاثنى عشر ليلة خلت من شعبان سنة خمس وخمسين
وتسعمايه في ايام داود باشا الخادم صاحب مصر وبموته انقطعت الخلافة العباسية
الصورية بمصر ايضا وكان المتوكل هذا فاضلا اديبا شاعرا يبيا بالشعر حسن الملفظ
مستحسن منه قوله

لم يبق من يحسن يرجى ولا حسن ... ولا كريم اليه مشتكى الحزن
وانما سادقوم غير ذي حسب ... ماكنت اوثر ان يمتد بي زمني

ضمن قول الطغرائي

ماكنت اوثر ان يمتد بي زمني ... حتى اراني دولة الاوغاد والسفل

وقد اجتمعت به واخذت عنه في رحلتي الى مصر لطلب العلم في سنة ثلاث واربعين
وتسعمايه وكانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوة بالفضلاء الفخام
ميمونة بيمن بركات المشايخ الكرام كانها عروس تتهادى بين اترابها وشموس وقيل

ثم انقضت تلك السنون واهلها ... فكانها وكانهم احلام

الباب السادس في ذكر ما عرته ملوك الجراكسة لان بعضهم او اكثرهم عمر في

المسجد الحرام وسبق لهم فيه من الترميم والنظام لما صاروا من سلاطين الاسلام
واعلم ان الجراكسة جنس من الاتراك في جنوب الارض لهم مدائن عامرة ولهم جبال
ومراتع يرعون ويرعون الغنم وهم تابعون السلطان سراي قاعدة ملك
خوارزم شاه وملوك هذه الطوائف لملك سراي كالرعية يقاتلونهم ويسبون
منهم النساء والاولاد ويجلبونهم الى اطراف البلدان والاقاليم هذا ذكره المقريزي
في عقوده قال واستكثر الملك المنصور قلاوون صاحب مصر من ملوك الاكراد
بعد الايوبية ملوك الاكراد اصحاب مصر من شراء المماليك الجراكسة وكذلك
ولده وبنوه واد خلوهم في الخدم الخاصة فصاروا سلحدارية وجمدارية وجاشنكيرية
وامراء اكابر واعمايهم وسلكوا طريق استاذهم من ملوك الترك ودخلوا السلطنة
وغلبوا عليها واستقلوا بها واستكثروا من جنسهم وعملوا لها قوانين وقواعد تنتظم
بها دولتهم وولي منهم ومن اولادهم السلطنة بمصر اثنان وعشرون ملكا وكانت
مدة ملكهم ثمانية سنة وثمانية وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

فصل واول من ملك السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن انص العثماني الجركسي
كما ذكره المقريزي في عقوده وخطط قال الجمال يوسف بن تغري بردي ما وجركسي
الاصل قام بدولة الجراكسة طيلة عثمان بن مسافر ولذلك يقال له برقوق العثماني
فاشتراه الاتابك يلبغا العمري وما من جملة الاتراك الذين سهم البرقوق من مماليك
بني ايوب المتغلبين عليهم بمصر ومات يلبغا وما من صغار مماليكه وانما سمي برقوق
لحوظ في عينيه وتنقلت به الاحوال الى ان صار امير مايه مقدم الف وكان اتابك
الملك الصالح حاجي بن الاشرف شعبان بن الامجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون
وما ولي ابو العشرون من ملوك الاتراك من مماليك الايوبية الاكراد المتغلبين
عليهم غير الجراكسة وكان سن الملك الصالح حاجي لما ولي السلطنة عشرة اعوام
ليس له من السلطنة غير الاسم فالزم الامراء الاتابك برقوق ان يخلع الملك الصالح
ويتولى السلطنة بعده فخلعه بعد سنة ونصف وذلك في يوم الاربعاء تاسع عشر
شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمايه ومن اثاره مدرسة انشاها بمصر بين
القصرين كان مشد عمارتها جركس الخليلي فقيل في ذلك العمل

قد انشاء الظاهر السلطان مدرسة ... فاقت على ارم مع سرعة العمل
يكفي الخليلي ان جات لحدمته ... ضم الجبال بها تمشي على عجل

وجهز الى الحرم المكي مال العمارة ما تهدم من المسجد الحرام وسار كركب الرجبي من مصر
بعد انقطاعه واستكثر من المماليك الجراكسة فاستتر واستغلبين على مملكة مصر
الى ان كثر شرهم وظلمهم وزاد عسفهم فانه الله سبحانه وتعالى بالسيوف الصارمة
العثمانية وتشرفت بدولتهم القاهرة مصر والتخوت اليوسفية الكنعانية بملكهم
الله سبحانه وتعالى كافة البسيطة وجعل معدلتهم ورافتهم عامة لسائر اهل الارض
محيطة وكان الظاهر برقوق متمكنا من المملكة وجمع الاموال والخزاين واكثر من
شراء المماليك الجراكسة فتمكنوا من الملك وتلاعبت بعده المماليك الجراكسة
بملك مصر وصاروا ملوكها وسلطيها بالقوة والغلبة والاستيلاء وكانت
بينهم فتن وقتال وجدال وحل وعقد نفوس وحرب لسوس الى ان يستقر الامر
على واحد منهم فيركب في شعار السلطنة واصطحو على هيئة خاصة اخذوها من

الملوك

العرف يحسن ويقبح وان كانت صورة مضحكة عند من لا يألفها ولكل اقليم وضع خاص
وسلطانين ذلك الاقليم يكون مهابا مهولا في اعين اهل ذلك الاقليم لا يفهم تلك
الهيئة لسلطنة وكان من شعار سلاطين الجراكسة عمامة كبيرة ملفوفة بصنايع
مخلفة يجعلون في مقدمها ويمنتها ويسارها شكل قرون بارزة من نفس العمامة
ملفوفة من نفس الشاش بلبسها السلطان في موكبه وديوانه ويلبس قفطانا من
فاخر الثياب يكون على كتفه اليمين قطعة طراز مذهب بالذهب ولذلك على كتفه
اليسار الا ان ذلك ليس مخصوصا بالسلطان بل يلبس ذلك من الامراء ومن دونهم
ويخلع هذه الثوب المطرز على من اراد ويجعل على راس السلطان قبة صغيرة الطيفة
في وسطها صورة طير صغير يظل السلطان بتلك القبة والذي يحملها على راس السلطان
ما مير كبير وطيفته ان يصير سلطانا بعد ذلك وكان امراء مايه اربعة وعشرون امير
تضرب على ابوابهم صبحا وعصرا كل واحد منهم امير مايه مقدم الف بمنزلة البكلربكية عندهم ويلبس
كل منهم عمامة بهرمين ودونهم امير عشرة مقدم مايه بمنزلة الصنجق يلبس كل
منهم عمامة بقرنين ودونهم الخاصكية يكون له فرس وخدام وعلى راسه نزط على عمامة
بعذبة يديرها من تحت حنكه ودونهم الخاصكية يكون له فرس وخدام وعلى راسه نزط
عليه عمامة بعذبة يديرها من تحت حنكه ودونهم الطلبان وهم مشاة على راسهم
طوقي من جوخ احمر ضيق من موضع يدخل فيه راسه ويسع من اعلاه الى بلطا
براسه وملبوس كرنهم الملوطة البيضا المصقولة تكون على كتفه طرازين من مخمل
او طلس ومزركش وفي اوساطهم شد وبعض مصقولة يشدون بها اوساطهم ويسدلون
طرفها الى انصاف سوقهم وكانت التجار تجلب المماليك البيض من بلاد جركس
ويتعالون في اثمانهم الى ان كثروا بمصر وبلغوا من عشرين الف فارس الى ثلاثين الف
وكانت لهم اصطلاحات في تربيتهم وكانت لهم الطباق يوظفون فيها المتعلمون من
حفاظ القران وكان الجلب يدخل سيده اولا الى الطبقة للخط والاستخراج والصلاة
والقران بحسب قابليته فقد يفوق في الخط ومعرفة القران والفقه ولسوء دينه
لم يترق الى معرفة القفاف والصراع ورمي السهام ثم يترقى الى الفروسية الى

www.alukah.net

ان يفرس فى سائر انواع الحرب والخيل والخداع واللعب بالسيف والعود والسهام ثم يترقى الى
الخاصكية ثم الى الامرة ثم الى الدوادارية والمقدمية ثم الى السلطنة وكان حال السلطنة فى ماضى
كل واحد منهم من حين يطلب الى السوق ليباع الى ان يموت حتى ان واحدا من الطيبان جلب وهو
جعر فاحش القرعة فاحش القروح قال الدلال الذى يبيعه هل ولى الاقرع الاعرج سلطانا
فى مصر وبالجملة فقد كانوا الطوايف سواذج لهم سماحة وصداقة لمن صاهرهم وكانت
ارزاق مرتبيهم وكانت اهل مصر تتلعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانوا بيد فقهايهم
ومباشريهم فيقولون لهم مباشر من المصريين للصاحف فيقول الجندى فيقيد بجملة القراءات
وامام يصلى بهم ويكبر ومباشر يكبر دخلة وخرجة وخازن داره ومكبداره وجام دار وهمدار
وسراج وسايس وحلاق وغير ذلك فاذا ترقى الامير للامرة ترقى معه هذا ومير ينول
لهم سماطات حلوى وتفكهات وكانوا فى رفاهية وكان اهل مصر يعيشون فى ظلمهم بحيث
ان اسمطتهم تكفى لسائر جيرانهم وكانت هذه تبيع ما يفضل من طعام سماطهم للناس مثل
الدجاج والوز وسائر النفايس وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من الطعمة التى اخذتها
هذه من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والتربة
والرباط وكانت لهم حيرات زايده ومبرات عايده الى ان فشى فيهم الظلم والعدوان وكثر
منهم المصادرات وغلبت سياتهم على حسناتهم وزادت مظالمهم على احسانهم ومالوا الى العتوة
والمفسدين واخلوا شعاير الشرع والدين فاستجاب الله تعالى فيهم دعاء المظلومين وفرقهم
كل ممزق ودار الظالم خراب ولو بعد حين والملك يدوم بالكفر ولا يدوم بالظلم والله
لا يحب الظالمين وان الملك يوتيه من يشاء والعاقبة للمتقين وكانت مدة
سلطنتهم بمصر من سنة اربع وثمانين وسبعمايه الى سنة ثلث وعشرين وتسعمايه
وهذا الكلام وقع فى البين ولنرجع الى احوال الملك برقوق فنقول انه بعد سلطنته
استمر على حاله تحت سلطانا الى ان اختلفت عليه الامرا ووقعت حروب كثيرة ثم خلع
وحبس فى الكرك ثم خرج من الحبس وجمع الجيوش وقاتل وغلب على المملكة واعيد
الى السلطنة وصار يتتبع اعداه ومن خرج عليه وخالفه ويقدم من وافقه الى ان
استصفاهم وما صفى له الزمان وظن انه امن واين الامان فى يد الدهر الخوان
ومالت شمس سلطنته الى الزوال والمحق بدء حياته ولا بد من المحاق بعد الكمال وفرق

برق

برق برقوق وشاهد الانفصال فعهد بالسلطنة الى ولده الناصر فرج بن برقوق وطلب
الخليفة القضاة والامرا واشهد على نفسه انه ترك السلطنة لولده فرج وسنه عشرة
اعوام وعين الاتابك ايتمش البجاسى لتدبير المملكة وتوفى ليلة الجمعة وقت التسبيح
منتصف شوال سنة احدى وثمانمايه وفى ذلك يقول احمد المقرى

مضى الظاهر السلطان اكرم مالك ... الى جنة يرقى الى الخلد فى الدرج
وقالوا ستاتى سنة بعد موته ... فاكرمهم نهبا وما جاء سوى فرج

وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين الفى الف دينار وثلثمايه الف دينار ومن العقار
والغلال والاثاث مايقيمة الف الف دينار وثلثمايه الف دينار ومن الخيول المسومة والبغال
العايرة ستة الاف ومن الجمال البختية ستة الاف جمل وكان عليق دوابه فى كل سنة
احد عشر الف اردب شعير وفول وفى ايام الناصر فرج بن برقوق وقع حريق فى المسجد الحرام
فى ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وثمانمايه وسبب ذلك ظهور
نار من رباط راشد الملاصق لباب الحزوره من ابواب المسجد الحرام فى الجانب الغربى وذلك
ان شيخ ابو القاسم بن الحسين العارسى وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية اصحاب
المرقعات فى سنة تسع وخمسين وخمسمايه فترك بعض اصحاب الكهل وهى سراجا موقودا
فى خلوته وبرز عنها فاشتعلت القارة الفوسيقة فتيلة السراج منه الى الحاج فاحرق
ما فى الخلوة واشتعل اللهيب فى سقف الخلوة وخرج من شباكها المشرف على المسجد
الحرام واتصل بسقف المسجد الحرام لقربه منه فما كان باسرع من اشتعال سقف المسجد
والتهابه وعجز الناس عن طفيه لعلوه وعدم وصول الايدى اليه فعم الحريق الجانب الغربى
من المسجد الحرام واستمرت النار تاكل فى السقف وتسير لا يمكن الناس اطفاها لعدم
الوصول اليها بوجه من الوجوه الى ان وصل الحريق الى الجانب الشمالى واستمرت تاكل فى
سقف الجانب الشمالى الى ان انتهت الى باب العجلة وكان بهذا الجانب اسطوانتان هذه مما
يلى الفطيم المعروف بالدكة دخل المسجد الحرام فى اليوم الثامن من جمادى الاولى فى ذلك العام
يعنى عام حريق المسجد الحرام وخرب عمودين من اساطين المسجد الحرام عند باب العجلة
بما عليهما من العقود والسقوف وكان ذلك سببا لوقوف الحريق وعدم تجاوزه
عن ذلك المكان والا كان عم المسجد الحرام جميعه من الجوانب الاربعة فاقتصر الحريق

على باب العجلة وسلم الله سبحانه وتعالى باقي المسجد الحرام ، وهو المسلم والسلام ، وما قيل

، وكم به من لطف خفي ، يدق خفاه عن فهم الذكي ،

فصارها احترق من المسجد الحرام اكوام عظاما يمنع من رؤية الكعبة الشريفة ومن الصلاة
في ذلك الجانب من المسجد الحرام قال النجم بن فهد وتحدث اهل المعرفة بان هذا بتقدير
بحادث جليل يقع في الناس وكان كذلك فقد وقعت المحن العظام بقدوم تمرلنك الجاثم
الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبي ذراريهم ونهب اموالهم واحراق
مساكنهم ودورهم كما هو مذكور في التواريخ المفصلة قال الحافظ السخاوي في ذيله على
دول الاسلام للذهبي وفي اواخر شوال سنة عشرين وثمانمايه وقع بالحرم المكي حريق
اتى على بخوتات المسجد الحرام ولولا العمودان اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق
المسجد الحرام جميعه واحترق من العمد الرخام مايتة وثلاثون عمودا صارت كلها كلسا
ولم تبق فيما مضى مثله وكان وقوع السيل في جمادى الاولى من هذه السنة بعد مطر
عظيم الانسكاب كافواه القرب ثم عم المسجد فامتلأ المسجد الحرام حتى بلغ القناديل ودخل
الكعبة الشريفة من شق الباب فهدم من الرواق الذي يلي باب العجلة عدة اساطين
وخرب منازل كثيرة ومات في السيل جماعة قال التقي الفاسي ثم قدر الله سبحانه
وتعالى عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الامير بيبرس الظاهري وكان قد ورد الى مكة المشرفة
لذلك في موسم سنة ثلاث وعشرين وثمانمايه وكان هو امير الحاج المصري وتخلف بعد
الحج ليعمر المسجد الحرام فلما دخل الحاج الى مكة المشرفة شرع في تنظيف الحرم الشريف من
تلك الاكوام الرتاب وحفر الارض وكشف عن اساس المسجد الشريف وعن اساس
الاسطوانات في الجانب الغربي من الحرم الشريف وبعض الجانب الشمالي منه الى باب العجلة
فظهر اساس الاسطوانات مثل تقاطيع الصليب تحت كل اسطوانة فبناها واحكم تلك
الاساسات على هيئة بيوت السطرنج تحت الارض وبناها الى ان رفعها على وجه
الارض على الشمال زوايا قايمة وقطع من جبل الشبيكة عن يمين الداخل الى مكة المشرفة
احجار صوان صلبة منحوت على نصف دايرة تصير مع اخرى منحوتة دايرة تامة على
سمك ثلثي ذراع ووضعت على قاعدة مربعة منحوتة على محل التقاطيع الصليبي على
وجه الاساس لكي ترتفع عن الارض ووضع عليها دايرة اخرى مثل الاولى ووضع بينهما

عمودا

عمودا الطول احدهما اثنتان وثلاثون ذراعا بين المحجر المدور وبين وشك على جميع ذلك بالرصاص الى ان
ينتهي طوله الى طول اساطين المسجد الحرام فيوقع عليه محجر منحوت من المرمر وقاعدة ذلك
العمود من فوق وبنى له خشب مربع يوضع عليه وبنى من فوق طاق يعقد الى العمود
الاخر وبنى ما بين ذلك بالاجر والجص الى ان يصل الى السقف الى ان تم الجانب الغربي
من المسجد الحرام على هذا الحكم وبقيت القطعة التي من الجانب الشمالي الى باب العجلة
فاكملوها بالقطع من عمد الرخام الابيض موصولة بالصفايح من الحديد الى ان لاقوا بالعمد
التي بنوها بالمحجر الصوان المنحوتة لعدم القدرة على العمد الرخام فصارت الجوانب الثلاث
من المسجد الحرام بالمحجر الرخام والجانب الغربي بالمحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد
الرخام وكملت عمارة هذه العمد في اول شعبان سنة اربع وعشرين وثمانمايه
ولم يبق غير عمل السقف واخر عمله لعدم وجود خشب يصلح لذلك بمكة المشرفة اذ
لا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك طول ولا قوة ويحتاج الى
خشب الساج ولا يجلب الا من الهند وخشب الصنوبر والسرو وكذلك لا
يجلب الا من الروم فلزم تاخير كماله الى احضار القدر الذي يحتاج اليه من ذلك الخشب
وشكر الناس همة الامير بيبرس على سرعة اتمام هذا المقدار من العمل في هذه المدة
اليسيرة ومبادرته الى تنظيف المسجد الحرام الى ان صلح للصلاة فيه وكان ذا همة
عالية وحسن توجه وكان كثير الصدقة والاحسان وحج الامير بيبرس في ذلك العام
وعاد الى مصر ليجهز ما يحتاج اليه من خشب سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام ووصل
الى مصر في اوايل سنة خمس وعشرين وثمانمايه وكان صاحب مكة المشرفة يومئذ
جد سادتنا اشراف مكة الان السيد الشريف حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب
الرحمة والرضوان وكان ممن يحب الخير ويرغب فيه ويسابق الى فعل الجميل ويرغب اليه
ولاجله يقول فيه شرف الدين بن المقرى الشافعي صاحب الارشاد والروض وعنوان
الشرف وغيرها من قصيدة له يمدحه ويتعرض لصاحب اليمن يومئذ بقوله

، احسنت في تدبير ملكك يا حسن ، واخذت في تسكين اظلم اليمن ،
الى ان يقول ، موسى تعذر لا بطاقة اله ، في الحرب لكن ابن موسى من حسن ،
، هذا ثري يمن وما سلمت له ، يمن وذا في الشام لم يدع اليمن ،

ومن جملة خيره وآثاره انه لما رأى رباط رامشت وما آل اليه بعد الحريق الى ان صار رباطة بنى
المحل امرا عاد به رباطا للفقراء كما كان اولا وصرف من ماله عليه الى ان عاد احسن من الاول
وزالت الرباطات من ذلك المكان وانضاف للحرم الشريف وتضاعفت ادعية الناس
له بسبب ذلك وانه يجزى المتصدقين ويسمى الان رباط الخاص لانه رممه وعمره
بعد تهدمه في اوايل القرن التاسع وهو من طايفة المباشرين بديوان السلطنة بمصر
في خدمة السلطان جقمق العلائي ومن بعده وكان من اهل الخير وفي سنة تسع وثمانماية
قدم الى مكة المشرفة الامير بيبغا لعمارة سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام وغيره
مما تشعث من سقف المسجد الشريف من كل جانب فنهض الى هذه الخدمة واحضر الاخشاب
المناسبة لذلك وجلبها من بلاد الروم ونصبها عمل السقف ونقشها بالالوان وزوقها
واستعان بكثير من خشب العرعر الذي يوتى به من جبال الجحافة من جهة الطايف لعدم
وجود خشب الساج بوسيعة في مكة المشرفة وبذل همته واجتهاده الى ان سقف جميع
الجانب الغربي من المسجد الحرام واكمله بخشب العرعر المذكور وعمر معه بعض الجانب
الشمالي ايضا الى باب العجلة فتم عمارة المسجد الحرام على ثلاث اسطوانات المنحوتة من
الحجر الصوان وعلق في ثلاث السقوف سلسل من نحاس وحديد لتعليق القناديل من
الرواق الوسطاني من الاروقة الثلاثة على حكم سايرالمسجد الحرام عيزان الجانب الشرقي واليماني
واكثر الشامي الى باب العجلة كان في كل عقد من العقود التي تحمي المسجد الشريف ثلاث
سلاسل سلسلة واحدة في وسط العقد والثانية عن يمينه والثالثة عن شماله لتعليق القناديل
واما هذا الجانب الغربي فكان فيه السلاسل على هذا الحكم فلما احترق هذا الجانب واعيدت
عقوده لم يتركب فيها هذه السلاسل ولا ادري هل كانت هذه السلاسل التي هي خارجة
عن الاروقة تحت عقود البايكة مما تعلق فيها القناديل بل احيانا ام كانت لمجرد الزينة
ولم اطلع على ذكر قناديلها ولا كيف كانت ومتى بطلت واكمل عمارة سقف الجانب الغربي
وما احترق من الجانب الشامي الى باب العجلة في سنة سبع وثمانماية وعمر مع ذلك
في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة سقفها كان قد انكسر عوادها وما مال
بعضها وكان يسيل منها الماء الى المسجد الحرام فاصلح الامير بيبغا جميع ذلك بالطباق
والنورة في سطح السقف وذلكها وسواها واتقن عملها وعمر ملفى صحن المسجد من

المقامات

المقامات الاربعة التي وضعت لمذاهب الاربعة على الهيئة القديمة وبذل في مصارف
ذلك الاموال العظيمة وشكره الناس على ذلك وكان ذلك في ايام الملك
الناصر زين ابي السعادات فرج بن برقوق بن انص الجركسي ثاني ملوك الجراكسة
وكانت سلطنته بعهد ابيه عنده وفاته كما تقدم صبيحة يوم الجمعة منتصف
شوال سنة احدى وثمانماية وصار الامير الاتابك ايتمش مدبر المملكة
وكان الامير يشبك خاشقداره فوقع بينهما منافرة ادت الى مشاجرة ثم الى
مقاتلة فانكسر ايتمش وهرب الى باب الشام الامير تمر الظاهري فحيش جيوشا
الى مصر لقتال الناصر ويشبك فخرج الناصر لقتالهم فانهزموا منه واضطربت
احوال مصر لاختلاف الكلمة ثم وصل تمرلنك الى بلاد الشام واخذ ما من يد سودون
الظاهري فاسره وقتله ونهب الشام واخرب ديار الدواوار وخرج الناصر فرج
بجيوشه التي بمصر لقتال تمرلنك فوجده قد ترك البلاد وتوجه الى بلاد الروم
فاعطى الشام لتغزى بردى وعاد الى مصر وذلك في سنة ثلاث وثمانماية ثم كثر
القلق في مصر من الامراء الظاهرية مماليك الظاهر برقوق واختلف الاحوال
بسبب هذه القلق والاختلال فات الى ان خرج فرج بن ذلك وهرب من القلعة
سادس شهر ربيع الاول سنة ثمان وثمانماية واختفى عند سعد الدين بن غراب
احد رؤوس المباشرين فاخفاه عنده فلما اصبح الامراء وفقدوا السلطان
اقاموا في السلطنة اخاه الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق بن انص ثالث
ملوك الجراكسة فقام بامور المملكة في ايام لصغر سنه واختلف امراء دولته
وكيف يستقيم الملك مع الخلاف والحال انه لو كان فيها الهة الا الله لفسدتا وكانت مدة الملك
المنصور شهرين وعشرة ايام فظهر الملك الناصر فرج بعد هروبه واختفايه وركب معه
امراء من مماليك ابيه واخذ القلعة الحرب من اخيه الملك المنصور عبد العزيز وفرج
تسلطن ثانيا في يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الاخرة سنة ثمان وثمانماية ونفى اخوه
الملك المنصور عبد العزيز واخاه لامه ابراهيم الى الاسكندرية فتوفيا بها في ليلة
الاثنين ثالث شهر ربيع الاخر سنة تسع وثمانماية واتم الناصر بقتلهما وانتسجانه
وتعالى اعلم ثم صار الملك الناصر فرج الناصر يتبع اعداه من الامراء فصار يقتلهم واحد بعد واحد

فهجموا عليه وخرجوا عن طاعته وقاتلوه فهزمهم وخرجوا عنه الى الشام ويتعبونه في طلبهم مع غاية الاحتراز منه والهرب خداع ومخالفة لجم الغفير والجم الكثير لا تستطاع الا ان نزل به الحتم والاتباع وتفرقوا عنه وسيموا من الاتباع وهو يتعبهم بالجد في الطلب الى ان صادفوه في طلبهم بعد التعب والدأب وهو ومن معه تعبوا حيثما لهم في طلب العدو من العشاء الى الصبح واشتغلوا في الصبح على الامراء العصاة عليه وهم بطول الليل في الراحة والارتياح فحمل السلطان الناصر فرج ومن معه وهم نفر قليلون حيثون على امرائه العاصين له وهم متوفرون كثيرون فشغلهم اصحابه من بعض الحملة وعلو الله ومن معه في غاية التعب والقلة فلم يطعنهم واطاع غروره وجهله واغتر بشجاعته وحوله وظن انه لا يقابله احد لغربته وطوله ولا يقابله احد لهيبته ودولته فذلك حاله الفاسد بغروره وخاب ظنه كما يخيب ظن كل مغرور وخانه الزمان الجاير ودارت عليه الدوائر وانقلب اليه بصره وهو حسير وظفر به عدوه الحقير وقيده وهو حسير اسير كسير وقتل ما للناصر نصير وما جاء الفرج فرجا الا ببشرى والى الله المصير ولهفته المقاتلة بالسكاكين الى ان انقطع منه الوتين وسكن منه الانين فصار عبرة للناظرين وهو محبوس مقيد بايدي القاتلين في ليلة السبت منتصف شهر صفر سنة خمس عشر وثمانمايه ثم التي بعد هذه القتلة على سباطة مزبلة وهو عريان عن اللباس يمر به الناس وينظرون الى ذلك البدن المهتن والجسد القاهر الممتحن وذلك من اعظم العبر واكبر المحن الى ان حنن الله عليه بعض الانام بعد عدة ايام فحملوه وغسلوه وادرجوه في كفن ووارواه في التراب في مقبرة باب الفراديس ولعل الله سبحانه وتعالى ساكنه واسكنه الفراديس والرجا من الله سبحانه ان يكون قد غفر له فان الله يحب المذنب الله سبحانه وتعالى علام الغيوب ومن العبر الحريمة في ايامه تجديد عقد المروة بعد سقوطه في سنة احدى عشرة وثمانمايه ومنها ان تاجرا يسمى الخواجا حسين ابن محمد السروانى اوصى في مرض موته ان يصرف على عمارة عين مكة المشرفة من ماله عشرة الاف درهم وان يعمر الميضاة الصرغتمشية بخمسة الاف درهم فنفذت وصيته بعد ذلك في العام المذكور ووقع في ايام الناصر فرج ايضا ان السلطان بخاله من سلطين اقصى الهند يومئذ السلطان غياث الدين اعظم شاه من اسكندر شاه ارسل الى الحرمين الشريفين صدقة كثيرة مع حاجه ياقوت العيانى ليتصدق بها على اهل الحرمين

الشريفين

الشريفين وبعمله بمكة المشرفة مدرسة وربطا ويوقف على ذلك اوقافا ويصرف ريعها على افعال الخير كالمدرسين ونحوه وكان ذلك باشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت المذكور باوراق سلطانية الى الشريف السيد حسن بن عجلان شريف مكة للشرف يوميذ جاء شاه فانه الآن جمال اسمه بوجوههم الزمان وكان وصول ياقوت العيانى الى السيد الشريف حسن المذكور مع هدايا جليلة فقبلها وامره ان يفعل ما امر به السلطان غياث الدين لكنه اخذ تلك الصدقة على معتاده ومعتاد ابايه واجداده ووزع الباقى على الفقهاء والفقراء بالحرمين الشريفين فعمهم وتضاعف الدعا له بالخير والدال عليه واشترى ياقوت العيانى لعمارة المدرسة والرباط الذين مثل صقيين على باب ام ثانى هذين وبناهما في عامه رباطا ومدرسة واشترى اصلين وابراجا وجعلها وقفا على المدرسة وجعل لها اربع مدرسين من اهل المذاهب الاربعة وستين طالبا ووقف عليهم ما ذكرناه واشترى دارا مقابلة للمدرسة المذكورة بخمسماية مثقال ذهبا ووقفها على مصالح الرباط واخذ منه السيد حسن بن عجلان ان في الدارين اللتين بناهما رباطا ومدرسة وللاصيلين والابراج رجات في قرارة عين الدكانى اثنى عشر الف مثقال ذهبا واخذ منه قدرها لا يعلم قدره كان جهزه معه سلطانه لتعمير عين عرفة فذكر السيد حسن المذكور انه يصرف على عمارته ويقال ان قدره ثمانون الف مثقال ذهبا ولما قتل الناصر فرج بن الظاهر برقوق على الوجه الذى تقدم شرحه ما قدم احد من امرا الجراكسة على التلبس بالسلطنة فولى المستعين باسه العباسى وكان القايم بتدبير المملكة شيخ المحمودى ثم خلع المستعين باسه وتسلطن مكانه وتلقب بالملك المؤيد شيخ في شهر شعبان سنة خمس عشرة وثمانمايه وهو الرابع من ملوك الجراكسة وكان اصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر يسمى محمود التمرازى وكان يحب العلما والفضلا ويحل قدرهم وفي ايامه وقع الغلا العظيم بمكة بحيث بيعت الغرارة الحنطة وهي حمل جمل معتدل بعشرين دينارا ذهبا وكان عاما في جميع المأكولات وكان ذلك في سنة خمس عشرة وثمانمايه ومن عجايب ما وقع في ذلك ان جملا كان لجمال يقال له القار وفي حمله فوق طاقته فهرب منه في جمادى الاخرة في تلك السنة ودخل المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت الشريف والناس حوله يريدون امساكه وما يقدم ولا يمكن احدا من امساكه ومن نفسه فتركوه الى ان

ثم بلغ ثة اسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك
بجاه الميزاب الشريف فدرك عنده وبكى والقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس
مابين الصفا والمروة ودفنوه هناك وفى هذه السنة بل فى سنة ستة عشر
عمرت اماكن من سقف المسجد الحرام وعقدان من جانب الركن اليمانى المتصل بصحن المسجد وفى
سنة ست عشرة وثمانمايه عمر شريف مكة يوميذ وهو الشريف حسن بن عجلان ابن
رميثة جد سيدنا ومولانا شريف مكة الان السيد الشريف حسن بن ابى نمى بن بركات
ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بالجانب الشمالى من المسجد الحرام البيمارستان الذى
كان وقفا للمستنصر العباسى فخرب ودثر فاستاجره من قاضى القضاة يوميذ القاضى
جمال الدين حسن بن عجلان بن ظهيرة الشافعى اجارة طويلة مايه عام باربعين الف درهم
واذن القاضى جمال الدين المذكور ان تصرف الاجرة المذكورة فى عمارة ماخرب من
البيمارستان المذكور وهدم ما يحتاج الى الهدم ورمم ما يحتاج الى الترميم وان ينتفع به
مدة اجارته فشرع السيد الشريف حسن فى عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة
وجدد فيه ابوابا وكمر بجا ووقف جميع ذلك مما عمره ومما يستحق الانتفاع به على الفقراء
والمساكين والمرضى والمرضى والمتعلمين باوون فيه علوا وسفلا وينتفعون بالاقامة
والسكنى فيه لا يزعجهم احد ولا يخرجهم بل يسمرون الى ان يحصل الشفا والعافية فيخرجون
باختيارهم فاذا خلا البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب
وقف على الصورة المشروحة وجعل النظر فى ذلك لولده برکات واخيه ثم من بعدهما
للارشد فالارشد من ذرية المذكور من الذكور دون الاناث من ولد الظهر لا البطن
وثبت احمد ذلك وحكم بصحته القاضى السيد رضى الدين ابو حامد محمد بن عبد الرحمن
الفاسى الحنبلى المالكى فى يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ستة عشر وثمانمايه
وانما استحكم فيه المالكى لان متاخريهم اجازوا وقف المباشر وهو خلاف رای ابی حنیفة
والشافعى رحمهم واستمر الحال خرب ودثر فاستدل مرارا لاخر ذلك فى دولة المرحوم
المقدس السلطان سليمان خان بن سليم خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان
واستدل الى جانبه رباط سلطان الهند السلطان احمد شاه الكجراتى ورباط الخواجا
الظاهر واشتريت دور اخرى وعمر فى مكانها المدارس الاربعة السليمانية لاهل المذاهب

الاربعة

الاربعة وبيد مولفه مدرسة الحنفية ساكنا فيها فجزى الله خيرا من كان سببا فى انشائها
وسياتى بيان عمارتها ان شاء الله تعالى وفى مستهل ذى الحجة الحرام سنة ستة عشر وثمانمايه
قدم الى الحج الشريف احمد من خواص مماليك السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى فراى جانب
باب الكعبة الشريفة الايمن محتاجا الى التحلية فاخرج من ماله ما يقارب مايتى درهم فضة
خالصة فحلى بها مطلاه بالذهب وفرغ من عمل ذلك قبل الصعود الى عرفة وشكر الناس
صنيعه على ذلك وعرفوا تعظيمه لبيت الله الحرام واثنوا على فعله وليكن يذكر ولو بعد حين و
اواخر سنة ثمانمايه عشر وثمانمايه ارسل الملك المؤيد المذكور مبراحتا الى المسجد الحرام ودرجه
يصعد عليها الى الكعبة الشريفة ووصل ذلك الى مكة المشرفة فى الموسم وخطب الخطيب على
المبر الجديد خطبة الترويه فى سابع ذى الحجة الحرام وارسل الملك المؤيد ايضا صدقة كثيرة لتفرق
بالمسجد الحرام فتولى تفرقتها الامير تغرى برمش باش الدوادار المقيمين بمكة المشرفة وتسع
معتين من شهر ربيع الاول سنة اثنين وعشرين وثمانمايه هدمت ظلة المؤذنين التى فوق
زمزم لخراب خشبها وتاكلها وبنيت بالحجر المنحوت ووسعت احواض زمزم واتقن عملها وفرغ
منها فى شهر رجب من هذه السنة وفيها عمرت قناة عين بازان لان السيل كان قد اخربها
فانقطع ماء العين فجددت الى ان اجرى الماء واستلمت البرك التى فى المعلاه ورخص الماء بعد
غلوه وكانت وفاة المؤيد شيخ المحمودى فى يوم الاثنين التاسع خلون من المحرم الحرام سنة اربع
وعشرين وثمانمايه وقد ناف على الخمسين وكانت مدة سلطنته ثمان سنين وخمسة اشهر
واسبوعا ثم ملكه من بعده ابنه

فصل وتسلطن بعده ولده الملك الظفر ابو السعادات
احمد بن المؤيد شيخ بعهد منه فى يوم الاثنين تاسع المحرم الحرام يوم وفاة والده وعمره اذ
ذاك سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام وصار مدبر مملكته الامير ططر امير مجلس اتابك
العساكر وحالف عليه امراء الشام فتجهز اليهم ططر ومعه الملك المظفر احمد طفلا وقاتلهم
وقتل كثيرا منهم الى ان صفى له الملك فخلع الملك المظفر وتسلطن عوضه فى يوم الجمعة
لليلة بقيت من شعبان سنة اربع وعشرين وثمانمايه ورجع بالمظفر احمد بن المؤيد الى
الحصر واستمر بالقلعة الى ان نقل الى الاسكندرية فتوفى بها مطعونا فى سنة اربع
وعشرين وثمانمايه وكان مدة سلطنته سبعة اشهر وعشرين يوما ونقلت جارته
من الاسكندرية الى الحصر ودفن بالجامع المؤيد داخل باب زويلة

فصل

وتسلطن بعده السلطان ابو الفتح سيف الدين بن ططر الظاهري في يوم الجمعة لليلة بقيت
من شعبان سنة اربع وعشرين وثمانمايه وهو السادس من ملوك الجراكسة واولهم
بمصر وكان من مماليك الظاهر برقوق اعتقه وقدمه ولا زال يترقى الى ان صار عند
المويد رأس نوبة النوب ثم امير مجلس ثم تسلطن كما ذكر وتلقب بالظاهر لقب سادات
فهذه مملكة الشام وقتل بها وقبض على الامراء المخالفين له وقدم الطايعين له وله آثار
جميلة ومقاصد حسنة جليلة من اعظمها انه قرر لصاحب مكة المشرفة الشريف حسن
ابن عجلان الف دينار تحمل اليه من خزينة مصر في كل عام وجعل ذلك له في مقابلة
ترك المكس على الخضرة والفواكه وعيز ذلك بمكة وامر ان يكتب عهده واعترافه بذلك
على سواه المسجد الحرام من ناحية باب السلام ومن ناحية باب الصفا من اسقاط المكس
الذي كان يوخذ منها ومن غيرها من نوع المأكولات وان لا يكلف شريف مكة المشرفة
النجار على اخذ الفرض منهم والسواك المكتوب عليها بهذا والعهد موجودة الى الان في المسجد
الحرام ثم لما مات الملك الظاهر ططر المذكور مملكة الشام وطلب عاد الى مصر فمرض في اثناء
الطريق وصار يتعلل الى ان دخل مصر وجعل فيها موكبا ولزم الفراش ولم يتهن بالسلطنة
ولا كمل فرحته بالملك ولا تم املاه الدهر الى ان سلبه الملك واسلمه الى المهلك وتوفي
في يوم الاحد لاربع مضين من ذي الحجة الحرام سنة اربع وعشرين وثمانمايه وكانت مدة
خلافته وملكه اربعة وتسعون يوما **فصل** وتسلطن بعده السلطان
الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر في يوم موت والده وعمره نحو العشرة سنوات وهو السابع
من ملوك الجراكسة واول ولده وصار اتابكه ومدبر مملكة الاتابك جاني بك الاتابكي
الصوفي الى ان تغلب على الاتابك برسباي الدقماقي وقبض عليه وارسله الى الكرك
وصار هكذا اتابكا واستبد بامور المملكة والملك من غير مشارك فخلع الملك الصالح
وتسلطن عوضه في يوم الاربعا الثني عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاخر سنة خمس
وعشرين وثمانمايه وكانت مدة سلطنة الصالح ثلثة اشهر واربعة عشر يوما واستمر
الملك الصالح بعد الخلع عند والدته في القلعة الى ان توفي بالطاعون سنة خمس
وثلاثين وثمانمايه وعمره نحو العشرين عاما **فصل** وولي بعده برسباي السلطنة
وتلقب بالملك الاشرف سيف الدين ابي النصر برسباي الدقماقي وهو الثامن من ملوك

الجراكسة

الجراكسة بمصر اخذ من بلاد جركس وبيع في بلاد رقم فاشتراه تاجر وجلبه الى الشام فاشتراه
الامير دقماق الظاهري نايب السلطنة وقدمه الى الملك الظاهر برقوق فعتقه واعتقه
فصار يترقى الى ان ولاه الملك المويد شيخ مقام الف وحرت عليه نكبات وحبوس الى ان
ولي الملك الظاهر ططر فقربه وانعم عليه بتقدمة الف ثم جعله دوادارا واستمر على
ذلك الى ان تسلطن على الوجه الذي قدمناه واستمر هو في السلطنة مدة طالت وحسنت
ايامه ومن جملة مناقبه انه اخذ بلاد قرس واسر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانمايه
وهو في تخت مملكة بصر لم يتحرك وكان حاقل مدبر راسيوساذ الحافاره وسكينه متحملا في
ملبسه وموكبه مجالجم المال واشترى من ماله ثلثة الاف مملوك جركس وعمر بالقاهرة
المدرسة الاشرفية وهي من محاسن مدارس مصر ووقف عليها اوقافا كثيرة وعمر جامعا عظيما
ايضا بحاكفاة سريا قوس ووقف عليها اوقافا كثيرة وفي اول سني سلطنته ارسل الامير
مقبل القديري وامر بعمارة اماكن متعددة بالمسجد الحرام فكان استولى عليها الخراب
فاحسن بناءها وجدد كثيرا من سقف المسجد الحرام كان قد تاكلت اخشابها وكذلك جدد
سطح الكعبة الشريفة وكانت الاخشاب التي تربط فيها كسوة الكعبة الشريفة قد تاكلت
وذابت فقلعها ووضع عوضها اخشابا جديدة محكمة بمسامير كبيرة من الحديد واحكم ذلك
غاية الاحكام واتقنه نهاية الاتقان وفي سنة ست وعشرين وثمانمايه امر الملك
الاشرف برسباي امير الله بمكة المشرفة يقال له مقبل القديري الاشرفي ان يتلمس الرخام
الذي هو مفروش في باطن الكعبة المشرفة وجدرانها من داخل لتخربه وتعلقه وان يجدده
برخام جديد وان يعيد مكان جديد اغير مكسور وكذلك يصلح السواطين التي في جوف
الكعبة المشرفة ويحكمها وذكر شيخ الكعبة انه سمع صريرا في سقف الكعبة المشرفة فتتبعوا
ذلك فوجدوا احدى الاسطوانات التي تقابل باب البيت قد مال راسها عن محلها
فاعادها الى محلها واحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم سلطانه الملك الاشرف
برسباي في لوح رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه في جدار البيت الشريف وهو باق
فيه الى الان وكان مشد العمارة هو الامير مقبل القديري الاشرفي والناظر عليها الخواجا
علي الكيلاني تاجر السلطان وحضر في العمارة شيخ الكعبة الشريفة وناظر الحرم الشريف
والقضاة الاربعة والمعمار جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ من هذه العمارة

في صفر وفي اول هذا العام عمر الرخام الذي في ارض الحجر الشريف في باطنه وظاهره واعلاه
واسفله على يد الامير مقبل المذكور وفيها عمر باب الجنائز احد ابواب المسجد الحرام
الواقع امام رباط العباس وانما سمي باب الجنائز لانه كان مخصوصا بدخول الجنائز
منه الى المسجد الحرام للصلاة عليها فيه وجرت عادة اهل الحرمين الشريفين بان قال
جنائزهم المسجد الحرام والصلاة عليها عند باب الكعبة وكذلك اهل المدينة يدخلون جنائزهم
المسجد ويقفون بها امام وجه النبي صلى الله عليه وسلم ويصلون عليها في الروضة الشريفة
وهذا مذهب الامام الشافعي والامام مالك رضي الله عنهما والامام احمد بن حنبل واما السادة الحنفية
فيقلدون في ادخال الجنائز الى الحرمين الشريفين اولئك الائمة ليجوز هذا الفعل
العظيم لان مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه عدم ادخال الميت المسجد وطالما تصفحت
كتب الفتاوى وتصفحت عين الرواية عن ايمتنا بالجواز الى ان ظفرت بعون الله تعالى
برواية عن ابي يوسف في جواز ذلك وهي رواية عن ابي حنيفة ففرحت بها كثيرا
كاني ظفرت بكنز عظيم فلله تعالى عما فاتها من مهمات المسايل لاسيما اهل الحرمين
الشريفين فعض عليها بالنواجذ واعتمد على ما افتيت به في هذه المسيلة فقد ذكر
علما وناهيك ان كل قول قاله ابو يوسف والامام محمد والامام زفر فهو رواية عن ابي حنيفة
وحيث ثبت هذه الرواية عن الامام ابي حنيفة فهي قول له وان كانت غير ظاهر
الرواية فاخذنا بها تصحيحا لعمل جيران الله سبحانه وجيران رسوله صلى الله عليه وسلم
في الحرمين الشريفين في صدر الاسلام الى هذا العصر ولا نقول بتاثيم من سلف
مع وجود المسوغ الصحيح والمأثور رواية عن المجتهد الذي نقلده رضي الله عنه وقد رفع الى السؤال
في ذلك صورته ما قولك في مسيلة الصلاة على الميت في المسجد الحرام المكي ومسجد
النبي صلى الله عليه وسلم في الروضة الشريفة هل يجوز للحنفي ادخال الميت اليهما والصلاة
عليه فيهما كما هو عمل اهل الحرمين الشريفين قديما وحديثا وما وشان السلف
الصالح الى الآن ام لا يجوز ذلك لان الصحيح من مذهب ابي حنيفة كراهة الصلاة
على الميت في المسجد وعلى هذا فهل ياثم فاعل ذلك وهل ياثم السلف الصالح على
ادخالهم موتاهم الى مقابلة وجه النبي صلى الله عليه وسلم طلبا للبركة ويمين جهته ثم ادخاله
الى الروضة الشريفة التي هي بنص الحديث الشريف روضة من رياض الجنة فيحرم الميت

من دخولها ولا يدخل المسجد الحرام ولا يوضع على باب الكعبة الشريفة منظرا في باب مولاه
الكريم سبحانه وتعالى ويحرم من هذه البركات كلها وياثم من ادخله مواطن هذه الرحمة
والخير افتونا ماجورين انا لكم الله الكريم بمنه وكرمه فكتبت ما صورته اللهم وفقنا للصواب
اعلم رحمك الله وايانا ان شرف المسجد الحرام وروضة النبي صلى الله عليه وسلم ونزول الرحمة
فيهما على من حل بهما امر واضح لا شك فيه ولا مرية تعتريه ومما زاد المسلمون حسنا
فهو عند الله حسن وقد تواطأ اهل الحرمين الشريفين وتطابقت آراؤهم قديما وحديثا
من صدر الاسلام والى الآن على ادخال موتاهم الى المسجد طالبا لمزيد الغفران والترحم
ولم يعهد من علمائنا بالحرمين الشريفين النائبي عن ذلك اولا انكارهم على فاعله مع
انه سايغ في مذهب غير الامام ابي حنيفة رضي الله عنه من الائمة المجتهدين فلا نقدم على
تاثيم السلف الصالح فيما فعلوه طلبا لمزيد الرحمة والبركة واختلاف المذاهب رحمة
ويجوز للمقلد الاخذ بكلام مجتهد من المجتهدين في بعض المسايل وان خالف امامه ومع
ذلك فقد وجدت نقل صريحا في المحيط البرهاني عن الامام ابي حنيفة رضي الله عنه وعن
الائمة المجتهدين فلا نقدم على تاثيم السلف الصالح فيما فعلوه طلبا للرحمة وقد
وجدت نقل صريحا في المحيط البرهاني عن الامام الثاني ان في رواية عنه قوله
مثل قول الامام الشافعي وصورة ما نقل واما تكره الصلاة على الجنائز في المسجد الحرام
والمسجد الحي عندنا وقال الشافعي لا تكره وعن ابي يوسف روايتان في رواية
كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه وفي رواية اذا كانت الجنازة خارج المسجد والامام
والقوم في المسجد لا تكره انتهى وترجح عندي ان افتي بالجواز من غير كراهة واعتمد
على هذه الرواية واحسنت الظن بالسلف الصالح وكفى بابي يوسف قدوة في
هذه المسيلة فاعلم ذلك واحفظه فانه نفيس ولا تهتم بالجاهدين على ان الكراهة
كراهة تنزيه نص عليه الامام العقيلي فيما نقله عن الامام الزاهدي قاله الفقير قطب
الدين الحنفي غفر الله ذنوبه قال النجم عمر بن فهد في كتابه تحاف الورى باخبار ام
القرى في حوادث سنة ست وعشرين وتسعمايه وفيها عمر الامير مقبل الدويدي
باب الجنائز على صفته الان لانه كان قد سقط ما فوق واحد الباب الى منتهى جدر
المسجد الحرام المقابل للرباط المراغي وحرب حاجز هذا الباب والباب الاخر وازيل

للحاجز الذى كان بينهما وازيلت الاسطوانتين الرخام اللتين كانتا بليمان هذا الحاجز وعمره
بحجارة منحوتة حتى ارتفع وعمر المكان بهذا الموضع بين باب على وباب قباب العباس رضى
وموضع اخر يتصل بباب الافضلية انتهى قلت رباط المارستانى والان محل مدرسة السلطان
الاشرف قايتباى التى هى منزل امير الحاج المصرى فى هذا الزمان والمدرسة الافضلية
هى من اوقاف الخواجا محمد بن عباد اسه وبينهما بابان للمسجد الحرام احدهما باب واحد
يقال له باب النبى صلى اسه عليه وسلم لانه كان يدخل الى المسجد من هذا الباب لان دار
السيدة خديجة فى هذا الصعاب ويقال له الان باب الحريريين يباع خارج هذا
الباب قلت وعادة الناس فى زماننا ادخال الجنائز من ابواب العباس وتخرج من
باب السلام وانا ارجو ان تدخل الجنائز وتخرج من باب الحريريين مابين مدرسة قايتباى
ودار الخواجا محمد بن عباد اسه لان النبى صلى اسه عليه وسلم كان يدخل من هذا الباب
الى المسجد الحرام ويخرج منه ولا شك انه اكثر بركة وخيرا من سائر ابواب المسجد الحرام
وانما يقال له باب الفقص لان الصياغ بقرب هذا الباب يضعون الحلى فى قفاص
ليبيعه قال النجم عمر بن فهد وفيما عمله الامير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام فى
الجانب الثانى من الدكة المنسوبة الى القاضى ابى السعود بن ظهيرة الى باب الحجلة
مجاورة مقام الحنفية وزاد فى عرض العقود التى تلى الصحن من هذا الجانب ثلاث عقود
فى الصف الثالث واحكم الاساطين التى عليها هذه العقود وهى سبعة اساطين فى
الرواق الاول وثمانية فى الذى يليه وسبعة متصلة بجدار المسجد الحرام وجدد فى
ابواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة ابواب وباب على وهو ثلاثة ابواب
ايضا والباب الاوسط من ابواب الصفا وهى خمسة وباب الحجلة وهو باب واحد
واحدث بابى الزيادة وهو الواقع فى الركن الغربى من الزيادة وترك باقى ابواب المسجد
الحرام وبيض اعاليه واصلح سقفه وكل ذلك على يد الامير مقبل المذكور ومعمارة
المعلم جمال الدين يوسف المهندس وفى هذه السنة جدد الملك الاشرف برسباى
الكسوة الحرام داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وازال الكسوة القديمة وكانت
لناصر حسن بن قلاوون وجات الكسوة الجديدة على يد الزينى عبد الباسط ناظر
الجيش صاحب الباسطية التى تلى باب الحجلة على يسار الداخل الى المسجد الحرام وهى مدرسة

وخلاوى للفقراء فى غاية الاستحكام والاتقان وللمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد
الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الى الان بيد الخزانين امام مقام الحنفى يسكن
الاعيان الواردون الى الحج الشريف وكان عليها اوقاف بمصر درست الان وبنى عبد
الباسط سبيلا وحفر بئرا فى طريق العمرة على الشنية على يسار الذاهب الى العمرة
موجودة الى الان بقرب الموضع الذى يسمى فخ بالفاء والخاء المعجمة فيه مدفن الامام
ابى عبد اسه الحسين بن على بن حسن المثلث بن الحسن بن على بن ابى طالب رضى اسه عنهم وكان
احد الاجواد فى الاسلام وكان يقول ما اظن الى اجرا فيما اعطيه فقيل له وكيف ذلك
قال لان اسه سبحانه وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وواسه ما هذا
عندى وهذا الحصى الا بمنزلة واحدة وكان خرج على الهادى العباسى بمكة المشرفة
وقاتل خالد البرمكى ومن معه من جنود العباسيين وهزمهم ثم وصل سليمان بن محمد
بجنود اخرى من قبل الهادى ونزل الحسين بن على بفخ وقاتل قتالا شديدا الى ان
قتل هو وجماعة من شيعة اشراف بنى حسن وحملت رؤسهم وهى مائة رأس بقدمها
راس الحسين بن على بفخ البنفعى وروى ابو الفرج الاصبهانى فى مقاتل الطالبيين باسناده
الى النبى صلى اسه عليه وسلم قال انتهى النبى صلى اسه عليه وسلم الى فخ فصلى باصحابه
صلاة الجنائز ثم قال يقتل ههنا رجل من اهل بيتى فى عصابة من المسلمين ينزل
لهم باكفان وحنوط من لحدة تشق ارواحهم الى الجنة اجسادهم اوكما قال صلى اسه
عليه وسلم وعبد الباسط هذا هو ابن خليل بن ابراهيم الدمشقى ثم القاهرى ناظر
الجيش فى ايام الملك الظاهر ططر وفى من بعده كان عزيزا رئيسا كريما نافذ
الكلمة على الجاه واسع العطايا كبير الهمة له فى كل واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة
وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وبغزه وله على جميع هذه المدارس اوقاف
كثيرة كانت تغل غلا كثيرا واستولى عليها الخراب وكان للظفر الدمياطى نصب
لهم يستظلون تحتها وكانوا يحملون على جمال شقادف اعدها لهم وكانوا يسقون
المياه العذب كلما احتاجوا اليه ويطعمون الخبز الطرى والبسماط وكان يطبخ لهم فى المنازل
ويذبح لهم الغنم فى الذباب من مصر الى مكة المشرفة وفى مدة الاقامة بها والعود منها
الى مصر من الاحسان اليهم والى غيرهم واصلح كثيرا من درب الحجاز وكان متكلما على

وخلاوى

اوقاف كسوة البيت الشريف بمصر فعمرها وعاما الى ان فاضت وكرك في ايامه وقد
ذكر قاضي القضاة بمصر الشهاب احمد بن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري ان الصالح
ابن الناصر قلاوون اشترى ثلثي قرية يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ووقفها
وقفها على كسوة الكعبة الشريفة ولم تزل تكسى من ريع تلك القرية الى ان فوضها
الملك المؤيد شيخ المحمودي الى الزيني عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش فتمت وكملت
وبالغ في تحسينها بحيث يعجز الواصف عن حسنها جزاه الله خيرا على ذلك انتهى وكفاه
فخرا ذكر هذا الامام الجليل في مثل هذا التاليف العظيم ورايت في شرح ايضاح المناسك
للسيد علي نور الدين السمهودي الحسني عالم المدينة المنورة ما لفظه وكسوة
الكعبة الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة النبوية في هذه الاعصر
من وقف قرية يقال لها سفد بيس في ظرف القليوبية مما يلي القاهرة شراها
السلطان الصالح اسمعيل بن الناصر بن محمد بن قلاوون من وكيل بيت المال ووقفها
لان يكسى منها الكعبة الشريفة كل سنة وتكسى الحجرة الشريفة النبوية في كل خمس
سنين مرة على ما قاله الزين المراغي وذلك في عشر الستين وسبعمايه اقول
هذه القرية موجودة الى الان بمصر لكن ذكر لي في كتبة الديوان المصري الفاضل الكامل مولانا
مصطفى جلبي بن مسيح زاده لما كان مقيما بمكة المشرفة ناظرا على الحرم الشريف المكي
ذكره الله بالصالحات ان هذه الاوقاف ضعفت جدا وقل محصولها وصارت
لا تفي بكسوة الكعبة الشريفة فعرض ذلك على ابواب المرحوم السلطان سليمان خان
اسكنه الله فسيح الجنان فامر بالحاق قرى اخرى اشتريت من بيت المال واوقفها
والحقها باوقاف كسوة الكعبة الشريفة وهي باقية الى الان ومما كسوة
الكعبة الشريفة في كل عام انتهى ولنعد الى تكميل ترجمة ناظر الجيش عبد الباسط
كانت وفاته يوم السبت ثالث ربيع ليال مضين من شوال سنة اثنتين واربعين
وثمانمايه وتوفي الملك الاشرف برسباي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت
من ذي الحجة سنة اثنتين واربعين وثمانمايه وفي يوم وفاته تولى بعده ولده
الملك العزيز جمال الدين يوسف وعمره يومئذ اربعة عشر عاما وماولي التاسع
من ملوك الجراكسة بمصر وصار هو بر مملكة الاتابك جقمق العلائي ولا يزال

يقوى

يقوى امره ولا قدر تساعده الى ان خلع الملك العزيز يوسف بعد ان تسلطن نحو اثنين خمسة
اشهر لم يكن له فيها سوى مجرد الاسم اعني السلطنة وتسلطن مكانه في يوم الاربعا
لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة اثنين واربعين وثمانمايه ولقبوه الملك
الظاهر سيف الدين ابو سعيد جقمق العلائي الظاهري وجلس على سرير المملكة وتم
امره وماولي العاشر من ملوك الجراكسة وكان جلب من بلاد جركس الى مصر وباعه
جالبه فاشتراه علاء الدين علي بن الاتابك اينال اليوسفي فنسب اليه فقيل
له جقمق العلائي ثم انتقل الى الظاهر برقوق فقيل له الظاهري وكان عنده حاجبا
ثم صار الى دولة الناصر فرج فاقيم صاحب امير عشرة ثم صاحب وادار ثم في دولة المؤيد
خاصكي ثم صار من المقدمين الالوف ثم صار في دولة الاشرف حاجب الحجاب
ثم امير اخور كبير ثم امير سلاح ثم صار اتابكا الى ان تسلطن فخرج عن طاعة الامير
قرقماس فقاتله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم قتله ثم خرج عن طاعة
نايب حلب تغري برمش ثم اينال الحكمي نايب الشام فجهز عليهما العساكر فقاتلهما واحدا
بعد واحد فظفر بهما وقتلهما وبعد قتل هؤلاء صفى له الوقت فاخذ واعطى واقدم
وسطا وكان متواضعا محبا للفقهاء والعلماء والصالحين يميل الى تربية الايتام
ويحسن اليهم عفيفا عن المنكرات ظاهر الفرح والذل لا يعلم من ملوك الجراكسة
قبله ولا بعده اعف منه وكان على قاعدة الاتراك الدعوى عند من سبق
بذكر مذاهب فقهية ويتعصب لمذهب ابي حنيفة وملك مصر نحو اثنين
خمسة عشر عاما الى ان اورى له الدهر من ذلك نارا وبدل عيشه الاخضر بالموت
الاحمر ولم يجد له انصارا واتخذ تحت الارض بعد تخت الملك قرارا واصفرت
الارض منه في سابع صفر سنة سبع وخمسين وثمانمايه وكان الملك الظاهر
جقمق اول ما ولي السلطنة التفت الى مكة المشرفة وارسل خلعا ومراسيما للسيد
الشريف بركات بن السيد حسن بن عجلان بولاية مكة المشرفة وارسل اليه
سودون المحمدي ليكون اميرا على خمسين فارسا من الترك مقيما بمكة المشرفة وولاه
نظر الحرمين الشريفين ومشد العمائر فيهما وكان من عمارة الامير سودون بالمسجد
الحرام سنة ثلث واربعين وثمانمايه انه قلع الرخام الذي في سطح الكعبة الشريفة

لانه كان ينقط منه الماء في وقت المطر الى جوف الكعبة الشريفة ولان الجنب المرضع
في السطح الشريف الذي يربط فيه حبال الكسوة الشريفة قد تاكل وتاكل خشب الرواشن
الاربعة التي في سقف الكعبة التي كانت للضوء فغير ذلك جميعه وجرد الكعبة الشريفة
من حاجبها عن الكسوة ووضعت الكسوة الشريفة داخل البيت الشريف واستمرت
مجردة يومين وليلتين فصارت مكشوفة ليشاهد الناس احجارها الى ان كمل ترميمها
واصلحها واعيدت الكسوة عليها في ضحى يوم الاثنين لثمان بقين من صفر سنة
ثلاث واربعين وثمانمايه واصلح ايضا رخام داخل الكعبة من الجدار المقابل للباب الشريف
واصلح ايضا رخام الحجر الشريف وبيض ماذنة باب السلام واصلح ماذنة باب العمرة
وباب الحزورة وبيض ماذنة ورمم اساسا فاحا ماذنة باب علي واصلح سقف المسجد الحرام
وبيض علو مقام ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وعلو مقام الحنفية وقبلة
باب ابراهيم والاميال التي بلصق دار العباس في المسعى والميل الذي في ركن المسجد
الحرام بقرب باب باران والذي يقابله والذي هو علامة للمسعى بينهما وعتن في كل
ميل قنديل يوقد بالليل من قناديل الحرم الشريف في شهر رجب وشعبان وشهر
رمضان يضيء للمعتمرين وفي بعض ذي الحجة للاضاءة على الحاج اذا اراد والسعي
وجعل على الصفا قنديل وعلى المروة قنديل ثم عمر الامير سودون المذكور ما بقي
من المواضع المأثورة من منى وفي المشعر الحرام بمزدلفة ومسجد نمرة بعرفة وقطع
جميع اشجار السلم والسنوت الذي كان على المازمين في طريق عرفة وكانت تمزق
كسوة الشقادف والمحامل عند مزاحمة جمال الحاج في ذلك المحل وكانت الحرامية
تكمن تحت الاشجار وتنهب جميع ما تظفر به من الحاج وتخطف جميع ما تقدر
عليه منهم فقطع الامير سودون جميع تلك الاشجار وازال الصخور الكبار
ونظف الطريق ووسعها وشكره الحاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضر
بالطريق وتوذي في طريق المسلمين والله يشكر الحرم لا يعضد ولا يقطع فاما به
الله الحسنى ورحمه ورحم اموات المسلمين وكذلك الامير خوشكلدي نائب
جده في عصرنا في حدود سنة خمسين وتسعمايه قطع اشجار السلم بالمازمين
وكسر الاحجار الكبار ووضعها في سفح الجبلين ومهد ووسع الطريق للحاج ورفق

عنهم

عنهم بذلك شكر الله سعيهم الذين كانوا السبب لظفر تلك الاشجار والاحجار وشكره الناس
على ذلك الى ما شاء الله تعالى وسيأتي شيء من عمارته فيما بعد ان شاء الله تعالى وفي موسم
سنة ثمان واربعين وثمانمايه وصل مع الركب المصري رسول سلطان العجم شاه رخ
يزار بكسوة الكعبة الشريفة وصدقة لاهل مكة المشرفة فلبست الكعبة الشريفة
من داخلها بتلك الكسوة في يوم عيد الاضحى وفرقت الصدقة على اهل الحرم الشريف
وفي سنة خمسين وثمانمايه وصل برسم خواجا ناظر على المسجد الحرام وبنى بالمعلاه
سبيل وحوضا ينتفع بهما الناس والبهايم على يمين الصاعد الى العباده صار الان في
عمر بنات عمرة خواجا فتى محمد بن محمود افندي قاضي مكة المشرفة في سنة
سبع وستين وتسعمايه وقد سمى الخاتم سلطان بنت خاتكي سلطان زوجة
الوزير الاعظم رستم باشا واسمها والدة السلطين خاتكي سلطان وملوك الان في
تصرف ناظر عمارتها بمكة المشرفة وفي موسم سنة خمسين وثمانمايه ايضا وزير
من وزراء السلطان مراد الثاني جاء بصدقات جزيلة وجزات وافرة جليلة لاهل
الحرمين الشريفين ورمى في بركة قنة العباس الحرم الشريف ثلثمايه وستين راس ضان
وعدة قناطير من العسل وسقى للناس وملاء القرب وخرج بها السقايون الى المسعى
فسقت الناس وتصدق على الحجاج واهل الحرمين الشريفين اموالا جزيلة تقبل الله
منه صالح اعماله وفي سنة ثلاث وخمسين وثمانمايه عمر ناظر الحرم الشريف بن
خواجا في الجانب الشرقي قطعة من جدر المسجد الحرام تلي رباط السدرة التي هو الان
يعرف برباط الاشرف قايتباي وعمر سبابك وخلوة منسوبة للشيخ جمال الدين محمد
ابن ابراهيم المرشدي وجدد في الرواق القبلي من الجانب الشامي سبعة عقود حجر
وعمر ايضا عين حنين واصلح مجراها ورممها ترميما محكما ووصل في ذلك العام كسوة
الحجر اسمعيل على بنينا وعليه الصلاة والسلام مع كسوة البيت الشريف ولم يكتس
بها الحجر الشريف لانه لم يجر بذلك عادة قبل هذا ووضعت داخل البيت الشريف
ثم كسي بها الحجر الشريف من داخل في العشر الاخير من ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين
وثمانمايه بعد ان حفظت في جوف البيت الشريف سنة كاملة وعمر ناظر الحرم
الشريف يومئذ خواجا عدة برك في عرفة كانت دائرة مملوة بالتراب التي بقربها

لشرب الحاج وعمر مسجد نمرة بعرفة وعمر مسجد الخيف بمنى وصرف مالا عظيما في جهات الخير
ثم عزل ناظر الحرم الشريف المذكور بالتاجي الامير بردبك ووصل الى مكة المشرفة ليلة الاحد
السادس والعشرين من شعبان سنة اربع وخمسين وثمانمايه وطاف وسعى وعاد الى
الزاهر ودخل صبح ثالث الليلة من اعلى مكة المشرفة ولا قاه اكابر مكة المشرفة واعيانها
ولبس الخلع السلطانية وقرأ المرسوم بالحطيم الشريف وهو مورخ بثاني عشر جمادى الاخره
يتضمن انه ولى نظر الحرم الشريف والربط والاوقاف والصدقات وان يحاسب من كان
قبله وان يكون محتسبا بمكة المشرفة واستمر بهذه الوظايف وهو قايم الجاه نافذ الكلمة
وباشر هامع التمكين وعمر في اواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام وفي هذه السنة اجر
قاضي القضاة ابو السعادات بن ظهيرة الشافعي ربط رامشت لوكيل القاضي ناظر الخاص
ثم وصلت فتاوى بعدم صحة اجارة الوقف اجارة طويلة فاستبدل له وحكم بصحة الاستبدال
حاكم حنفي ثم امر بعمارة رباط فعمره له ناظر الحرم الشريف التاجي بردبك وفتح فيه عدة
شبابيك على الحرم الشريف على الوضع الذي هو باق عليه الآن وفي سنة ست وخمسين
وثمانمايه وصلت احكام من الملك الظاهر جقمق تتضمن الامر باخراج ما على الكعبة الشريفة
من داخلها من الكسوة المنسوبة الى السلطان رخ شاه مرزا والكسوة المنسوبة
الى الملك الاشرف برسباي وان تبقى كسوة الملك الظاهر جقمق وحدها ففعلوا
ذلك وفيها سافر امير الترك الراكن بمكة الامير جانبك النوروزي وولي عوضه
في منصبه ناظر الحرم الشريف التاجي بردبك وفي سنة سبع وخمسين
وثمانمايه وردت القضاة بمصر بخبر ان الملك الظاهر جقمق ترا دبه مرضه
فخلع نفسه من السلطنة في يوم الخميس لتسع بقين من المحرم الحرام من السنة
المذكورة لولده ابي السعادات محمد الدين عثمان ولقبه الملك المنصور وعقد
له البيعة ورضي الناس به واطمانوا وهو الحادي عشر من ملوك الجراكسة
واولادهم وتسلطن وسنه دون العشرين وركب بشعار السلطنة وحمل
الاتابك اينال العلاي امير كبير القبة والطير على راسه وجلس على تخت
السلطنة في قلعة الجبل وباشر الامور الى ان توفي والده بعد سلطنة
ولده المذكور باثني عشر يوما وقعت فتنة بين الامراء فخلع الملك المنصور

عثمان

عثمان في سنة سبع وخمسين وثمانمايه وتسلطن الملك الاشرف سيف الدين
ابو النصر اينال العلاي صبيحة يوم الاثنين الثمان مضين من شهر ربيع الاول
سنة تسع وخمسين وثمانمايه وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة واولادهم وهو جركسي
جلبه الخواجا علاء الدين الى مصر واشتراه الظاهر برقوق واعتقه الناصر فرج
ابن برقوق ونقل في الدولة الى ان صار في ايام الملك الاشرف برسباي
امير مايه مقدم الف وولاه الظاهر جقمق الدوادارية الكبرى الى ان جعله اتابكا
واستمر الى ان تسلطن وتم امره في الملك وطالت ايامه نحو ثمان سنين وشهرين
واياما وكان طويل خفيف اللحية بحيث اشتهر باينال الاجرود وكان قليل الظلم
قليل سفك الدماء محاورا عن الخطاء والتقصير الا ان مماليكه ساءت سيرتهم في
الناس وفي ابتداء السلطنة سافر اليه امير الترك الراكن بمكة الامير بردبك التاجي
وولي عوضه امير الترك الراكن بمكة المشرفة يشبك الصوفي وطوغان شيخ
الحرم الشريف ومحتسب مكة المشرفة وولي مشد على جدة جانبك وهو الذي بنى
البستان على يسار الذاهب الى مني المعروف به الى الان وحفر فيه عدة ابار وغرس
فيه ما قدر عليه من الاشجار ثم جر الثمر هندي وادركناه ووقف عليه مستفات
بمكة المشرفة ولم يقع في ايام السلطان اينال عمارة بالحرم الشريف واستمر الى ان
خلع نفسه من السلطنة وعقدها لولده الملك المويد شهاب الدين احمد ابو الفتح
ابن اينال العلاي في يوم الاربعا لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة
خمس وستين وثمانمايه وتوفي والده بعد ذلك بيوم واحد ثم خلعه اتابكه خوشقدم
بعد خمسة اشهر وخمسة ايام وولي السلطنة بعده الملك الظاهر سيف الدين
ابو سعيد خوشقدم الناصري في يوم الاحد لاحدى عشر ليلة بقيت من شهر رمضان
سنة خمس وستين وثمانمايه وهو رومي جلبه الخواجا صارم الدين وبه عرف واشتراه
المويد شيخ واعتقه فصار حاجبا عنده ثم تقلب في الدولة الى ان جعله الملك
الاشرف اينال اتابكا لولده فخلعه وتسلطن بمكانه وكان محبا للخير وكسا الكعبة
الشريفة في اول ولايته على العادة ولكن كانت كسوة الجانب الشرقي والجانب
الشامي بيضا بحامات سود وفي الحامات التي بالجانب الشرقي بعض ذهب وارسل

فى سنة ست وستين وثمانمايه منبرا وكان من خشب فركب فى يوم الاربعا والخميس
وخطب عليه الخطيب فى يوم الجمعة ثانى ذى الحجة الحرام وكانت مدة سلطنته ستين
ونصف تقريبا ومرض فطال مرضه وتوفى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول
سنة اثنين وسبعين وثمانمايه وتسلطن بعده فى ذلك اليوم خشقدم
الاتابك بلباى وهو الملك الظاهر ابو النصر لباى المويد وخلع على الامير تمربغا الظاهرى
بالاتابكية عوضا عن نفسه وهو الرابع عشر من ملوك الجركسة واول ادوارهم وكان ضعيفا
عن تدبير الملك وتنفيذ الامور فخلعه الامرا من السلطنة فى يوم السبت تاسع عشرين
من جمادى الاولى سنة اثنين وسبعين وثمانمايه وكانت مدة سلطنته شهرين
الا اربعة ايام والملك لله الواحد القهار وتسلطن بعد خلعه عوضا عنه الملك الظاهر
ابو سعيد تمربغا الظاهرى وهو الخامس عشر من ملوك الجركسة واول ادوارهم بمصر ولكن
يقال انه رومى الاصل من مماليك الظاهر جقمق اعتقه وربّاه صغيرا الى ان جعله
خاصكيا ثم دوبدارا ثانيا ثم صار فى دولة الملك المنصور دوادار كبيرا ثم اخرج الى
مكة المشرفة ثم عاد الى القاهرة فى دولة الملك الظاهر خوشقدم وباشر صغيرا الى ان جعله
ثم صار فى دولة الظاهر لباى اتابك العسكر ثم تسلطن وكان له فضل وصلاح
وتودد للناس وحذق ببعض الصنايع بحيث صار يعمل القسى الفايقة بيده ويعمل السهام
عملا وايقافيها ويرمى بها احسن رمى يفوق غيره فيها مع الفروسية التامة مع ذلك
ما صفا له دهره يوما واحدا وهماه عن كبد قوسه بعد مرمى وما زال به الامرا الى
ان خلعوه ونفوه الى الاسكندرية وولى بعده اتابك العسكر يومئذ السلطان الملك
الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى فى ظهر يوم الاثنين وهو سادس شهر ربيع سنة
اثنين وسبعين وثمانمايه وهو السادس عشر من ملوك الجركسة واول ادوارهم بمصر مولده
ببلاد جركس تقريبا فى بضع وعشرين وثمانمايه جلبه الخواجا محمود الى مصر فنسب اليه
واشتراه الاشرف برسباى وعتقه الظاهر جقمق واليه انتسب وتنقل فى المراتب الى ان
صار فى دولة الملك الظاهر خوشقدم امير مايه مقدم الف ثم صار فى دولة السلطان
لباى رأس نوبة النوب ثم صار فى دولة الظاهر تمربغا اتابكا ثم صار بعد خلعه سلطانا
بعد تعزز وتمنع وصلت له البشارة بالسلطنة من عدة اولياء الله الصالحين قبل ان

يبلغها وكان شخصا يلقى معتقدا فى الصلحا

فصل يحكى عنه انه كان يحكى عن نفسه انه
لما جلب الى مصر للبيع وهو امام راهق او بالغ كان معه رفيقه احد المماليك الجلب
فتحادثوا مع الجمال فى ليلة من ليالى شهر رمضان فقال لو العلم هل ليلة القدر والدعا
فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعا يجيبه فقال قايتباى اما انا فاطلب سلطنة
مصر من الله سبحانه وتعالى فقال الثانى وانا اطلب ان اكون امير كبيرا والتفت الى الجمال
وقال له اى شى تطلب انت فقال انا اطلب من الله سبحانه وتعالى خاتمة الخير فصار قايتباى
سلطانا وصار صاحبه امير كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا وكان
ملكا جليل وسلطانا نبيل له اليد الطولى فى الخيرات والطول الكامل فى اسدات
المبرات بنى المدارس الثلاثة وعدة ربط ومدارس وجوامع عظيمة الاثار باهرة الانوار
وله بمصر والشام وغزه وغيرها اثار جليلة وخيرات جميلة اكثرها باق الى الان
وجميع عمايره يلوح عليها لوايح النورانية والانس وفى اول ولايته ارسل الى مكة
المشرفة قنديل الرخام والخلع للسيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بولاية
الحرمين الشريفين والى قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن على بن ظهيرة الشافعى
بقضاء مكة المشرفة ومراسيم تتضمن الامر بابطال جميع المكوسات والمراسيم وان يقرر ذلك
على اسطوانة من اساطين الحرم الشريف فى باب السلام وفى سنة اربع وسبعين وثمانمايه
فى اواخرها والتى قبلها بنى تسجد الخيف بمنى بناء عظيما محكما وجعل فى وسط المسجد
قبة عظيمة بنى محل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيف منى وبنيت جدرانه
المحيطة به وهى اربعة بوايك من جهة القبلة فصارت قبة عالية فيما محراب النبى
صلى الله عليه وسلم وبلصق القبلة مأذنة غير المأذنة التى على عقد باب المسجد ارمى
مهندسها فيما الصناعة العظيمة حيث جعلها على باب المسجد ثلاثة ادوار صنعة
الاستادين وبنى دار المصحف الباب كانت مسكن امير الحاج وعلى الباب فى الدار المذكور
سبيل يملأ من صهريج كبير جعل فى صحن المسجد يمتلى من المطر وجعل للمسجد بابا اخر الى
جهة عرفة وخوخة صغيرة الى الجبل الذى فى سفح عارم المرسلات وهذا الموضع الذى
انزلت فيه سورة المرسلات على النبى صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذه المسجد اثر عظيم
باق الى الان من اثار المرحوم السلطان قايتباى وقد غلب عليه الدثور فعمره من

عمره اوتب فى تعميره وعمرات السلطان المذكور مسجد نمرة فى عرفة وما حوله جدد لذ
يجمع فيه الامام بين الظهر والعصر جمع تقديم فى يوم عرفة للحاج المحرمين فى ذلك الوا
الجمع عند ابى حنيفة رض فى غير ذلك المحل جمع تقديم الا فى ذلك المسجد ول جمع
تاخير الا فى المزدلفة بين المغرب والعشاء للحاج وجعل فى صدر ذلك المسجد والعين
عظيمين يتظلل بهما الحاج وقت الصلاة من الشمس وجدد العلمين الموضوعين بحد عرفة
وبيض المسجد الذى بمزدلفة على جبل قزح وما حوله المشعر الحرام على ما راى وجدد عين عرفات
وابتداء المعمارة العمل فيها من سفح جبل الرحمة الى وادى نعمان فوجد الماء بكرة فاقتصر على
ذلك ولم يصل الى ام العين وكانت قد انقطعت مدة مائة وخمس سنة وكان
الحاج يقاسون فى يوم عرفة من قلة الماء ما لا يصبر عليه ثم اصلح البرك وملاها بالماء
ثم اصلح عين خليص واجراها واصلح بركتها وبنى فتحتها واتصلت البرك وعم النفع
بها وبعين عرفات وكان ذلك من اعظم الخيرات بالنسبة الى الحاج والزوار وذلك
فى سنة تسع وسبعين وثمانمايه ووصل منه ميزخشب للمسجد الحرام فى الحادى
والعشرين من ذى القعدة الى مكة المشرفة فى الترفرتب من جهة باب السلام وجرت
الى المطاف وخطب على الخطيب فى اول ذى الحجة وفى سنة احدى وثمانين وثمانمايه
اصلح خشب سقف المسجد الشريف بالرواق الشرقى وغيره حام البحر الشريف من داخله
وخارجه ورصعت السقوف التى بين اجار المطاف ورخم داخل البيت الشريف
وفى سنة اثنين وثمانين وثمانمايه امر السلطان قايتباى وكيله وتاجره الخواجا
شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن ومشد عمايره الامير سنقر الجمالى ان يحصل له
موضعا مشرفا على الحرم الشريف ليبنى له فيه مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب
الاربعة ورباطا يسكنه الفقراء ويعمل له ربوعا ومستفات يحصل له منها ريع كثير
يصرف منه على المدرسين وعلى القراء وان يقرا المدرسة فى كل يوم يحضرها القضاة
الاربعة والمتصرفون ويقرر لهم فى كل يوم وظايف ويعمل مكتبا للايتام وغير ذلك
من جهات الخير فاستبدل له رباط السدرة ورباط المراغى وكانا متصلين وكان الى
جانب رباط المراغى دار للشريفة شمسيه من اشراف بنى حسن اشتراها منها وهدم
ذلك جميعه وجعل فيها اثنين وسبعين خطوة ومجمعا كبيرا مشرفا على المسجد الحرام وعلى

المسعى

المسعى الشريف ومكتبا وماذنة وصير المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون والسقف
المذهب وقرر فيه اربعة مدرسين على المذاهب الاربعة واربعين طالبا وارسل
خزانة كتب وفقها على طلبة العلم وجعل مقرها المدرسة المذكورة وجعل لها خازنا عين له
مبلغا وقد استولت عليها ايدى المستعيرين وضيعوا منها جانبا كبيرا وبقى منها قليل
مجلد وهى تحت تحكم مولف هذا الكتاب ضنتها وكملت ما فات منها وجلدت منها ما يحتاج
الى التجليد واستخلصت منها ما وجدته واعدته الى الوقف صانه الله تعالى وجعل الواقف
فى ذلك المجمع للقضاة الاربعة حضور ايعد العصر مع جماعة من الفقهاء يقرون
ثم ايامين حزبا من القران العظيم وجعل فقيها يعلم اربعين صبيا من الايتام ومرتب
لكل واحد من الايتام واهل الكل وما يكفيهم من القمح فى كل سنة وللمدرسين وللمؤذنين
وقراء الاجزاء مبالغ من الذهب يصرف لهم كل سنة وبنى عدة ربوع ودورا تغل
فى كل عام نحو الفى ذهب ووقف عليهم بمصر قرى وضياعا كثيرة وحبوبا كثيرة تحمل
فى كل عام الى مكة المشرفة وعمل من الخيرات العظيمة ما لم يعمل ذلك سلطانا قبله وزاد
باقى الى الان الا ان الكلفة استولت على تلك الاوقاف فضعفت جدا وهى ايلة الى
الخراب وصارت المدرسة سكنا لامراء الحاج ايام موسم الحاج وسكنا لغيرهم من الامراء اذا
وصلوا الى مكة المشرفة وسط السنة وصارت اوقافها كلا للنظار عماس عمرها
واحيى من احيائها وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين احدهما من ناحية
باب السلام والثانية من ناحية باب الحزوريين فى سنة اربع وثمانين وثمانمايه على
يد الامير سنقر الجمالى وفى هذه السنة وردت احكام من السلطان قايتباى الى صاحب
مكة المشرفة يومية السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن بن عجلان
تتضمن انه راى مناما وان بعض المعبرين عبر له ذلك المنام بغسل البيت الشريف
من جوانبه وداخله وخارجه وغسل المطاف وانه امره ان يفعل ذلك فخص
السيد الشريف محمد بن بركات وقاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن على ابن
ظهيره وباشر الترك الركن بمكة المشرفة الامير قانى باى الستوف والامير سنقر
الجمالى والد واداره الكبير والامير جانى بك نايب جده وبقية القضاة بمكة المشرفة
والاعيان وفاح بيت الله الحرام عمر بن ابى بكر باجا الشيبى والشيبيون والخدام وغسلوا

الكعبة الشريفة من داخلها قدر قامة ومن خارجها قدر قامة وغسلوا الرخام الذي تحته
المشرفة وسائر المطاف الشريف وطيبوها بالطيب وكان ذلك يوم الخميس لثمان بقين
من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة **فصل** ومن اعظم ما وقع في ايام السلطان
قايتباي من الامور الهائلة حريق المسجد الشريف النبوي على مشرفه افضل الصلاة والسلام
ذكر ياه استطرادا لانه امر هائل عظيم الهول وتحرير ذلك ان في ثلث الليل الاخير من
ليلة الاثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة طلع ريس
المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الى المأذنة الشرقية اليمانية من ركني المسجد الشريف
المعروفة بالرئيسة وهو يذكر ويمجد وكانت السماء متراكمة الغيوم متواترة النجوم
اذ سمع رعدها هائلا وسقطت صاعقة لها لهيب كالنار اصاب بعضها هلال المأذنة
فانشق رأسها ومات المؤذن وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المأذنة
فعلقت النار فيه ففتحت ابواب المسجد ونودي بالحريق في المسجد فحضر امير المدينة
المنورة يومئذ السيد قسطل بن رافع الحسني وشيخ الحرم الشريف والقضاة وسائر
الناس وصعد اهل النجدة والقوة الى سطح الحرم الشريف بالمياه في القرب وعجزوا
عن اطفائها وصعد واقرب الماء اليها يكبونها على النار لتطفى فالتهبت واخذت
في جهة الشمال والغرب فعجزوا عن اطفائها فهزموا واستولت النار عليهم فمات منهم
فوق عشرة انفس وعظمت النار جدا واحاطت بساير سقف المسجد الشريف واحرقت
ما في المسجد الشريف من المصاحف وخزائن الكتب والربعات وكانت كثيرة نفيسة
ومصاحف عظيمة وصار المسجد الشريف كبحر لجي من نار ترمي بشرر كالقصر الى ان استوعب
الحريق جميع المسجد الشريف والقبة العليا التي فوق قبة النبي صلى الله عليه وسلم وباب
رصاهد ولم يفصل اثر النار للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها افضل الصلاة واتم التسليم
لسلامة القبة السفلى وعدم التاثير فيها مع ما سقط عليها مما ذكر من اشعال الجمال واحرقت
حتى مجارة الاساطين وسقط منها نحو مائة وعشرين اسطوانة واحرق المنبر الشريف
النبوي والصندوق الذي في المصلى الشريف والمقصورة الشريفة التي حول الحجرة الشريفة
وسلم ما حول المسجد الشريف من البيوت وشوهد اشكال طيور بيض يطيرون
ويحومون حول النار حتى كادت تلفحها عن بيوت جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وقوع

بعض

بعض شرر النار فيها وعدم تاثيرة قال مورخ المدينة وعالمها ومفتيها مولانا السيد نور الدين
علي بن عبد الله السمهودي بعد سوق هذه الحكاية ببسط من هذا في كتاب خلاصة الوفا
باخبار المصطفى عليه الصلاة والسلام وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة ابرزها
الله تعالى للانذار فخص بها حضرة النذير الاعظم عليه افضل الصلاة واتم السلام
وقد ثبت ان اعمال امته صلى الله عليه وسلم تعرض عليه صلى الله عليه وسلم فلما ساءت الاعمال
المفروضة ناسب ذلك الانذار باظهار النار المجازي بها في يوم العرض قال الله سبحانه
وتعالى وما نرسل بالايات الا تخويفا وقال سبحانه وتعالى ذلك يخوف الله به عباده فاتقوا
قال وشرعوا في تنظيف المسجد الشريف ونقلوا نقضه من مقدم المسجد الى مؤخره
للصلاة فيه وعمل في ذلك امير المدينة المنورة وقضاتها وعامة اهلها حتى النساء
والصبيان تقربا الى الله سبحانه وتعالى وبادروا بارسال قاصد الى مصر وعرضوا ذلك
على السلطان قايتباي فهول من هذا الحادث العظيم وتوجه الى عمارة المسجد الشريف
وعرف نعمة الله سبحانه وتعالى عليه بتاهيله لهذا الشرف العظيم ورسم بابطال جميع
العمائر المكية وغيرها وان يتوجد شاده الشيخ سنقر الجمالي بادارة الى المدينة الشريفة
وارسل الى المدينة المنورة على سكنها افضل الصلاة واتم السلام نحو من ثلثمائة من
ارباب الصنايع وكثيرا من البغال والمحمل والجمال وساير مونتهم ومبلغا من مال الخزينة
نحو مائة الف دينار فاكمل وجهز المؤن الكثيرة الى ان امتلات البنادر بها كالطور وينبع
ونقلت الى المدينة الشريفة على سكنها افضل الصلاة واتم السلام واستقبلوا
العمارة بجد واجتهاد الى ان كملت عمارة المسجد الشريف والقبة الشريفة على ساكنها
افضل الصلاة واتم السلام والمؤذن وفرغوا منها على هذه الوجه الذي هو عليه الان في
هذه الزمان وذكر السيد السمهودي تفصيله في كتاب خلاصة الوفا باخبار المصطفى
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم فراجعه ان اردت احاطة العلم به وذكره
ببسط من ذلك في تاريخه الكبير الذي سماه وفا الوفا باخبار المصطفى صلى الله عليه
وسلم وامر السلطان قايتباي ان يبنى له رباطا ومدرسة ومأذنة حول المسجد
الشريف النبوي على صاحبه افضل الصلاة واتم السلام فبنوا له مدرسة عظيمة ورباطا
شرقا على المسجد الشريف النبوي بين باب السلام وباب الرحمة وارسل الى المدينة المنورة

خزانة كتب جليلة جعل مقرها المدرسة المذكورة موقوفة على طلبة العلم الشريف وقرر لها
كفاية وكتب الخزانة المسجد الشريف عوض ما احترق منها ووقف قرى كثيرة بمصر تحمل
غلتها الى حيران برسول الله صلى الله عليه وسلم يفرق عليهم لكل شخص ما يكفيه من الخمطة
بطول السنة وكان حصة كل نفر سبعة اراديب في العام ساوى في ذلك بين الصغير
والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار الى الآن وزاد عليه الان سلطين آل عثمان كثيرا مما
وقفه السلطان قايتباى بمكة والمدينة جزى الله المحسنين خيرا وضاعف لهم ثوابا واجرا

فصل في حج السلطان قايتباى اعلم ان ملوك الجراكسة ماحج منهم احد غير السلطان
قايتباى لتملكه من الملك وكثرة ما فعله من الآثار الحميدة في الحرمين الشريفين فاقام
الامير الكبير يشبك الدوادار نايبا عنه بمصر وخرج الى الحج في سنة اربع وثمانين وثمانمايه
قبل وقوع حريق المسجد الشريف بعامين وكان امير الحاج في عام حجه الامير جوشن قدم
خرج المحمل الشريف وركب الحاج المكرم فخرج السلطان قايتباى بقصد الحج والزيارة
بعد خروج ركب الحاج بثلاثة ايام ووصلت القصاد الى شريف مكة المشرفة يومين
السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن بن عجلان عليه الرحمة والرضوان
وكان من اخص المخصوصين به وصاحب الحل والعقد عنده قاضي القضاة شيخ الاسلام
القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي يومين بمكة المشرفة فتهيأ لهم والسيد
الشريف محمد بن السيد بركات لملاقات السلطان قايتباى فان القصاد اخبروا انهم فارقوه
من عقبة ايلبا وهي نهاية الربع الاول من طريق الحج واهل السيد الشريف احمد قواد اليسبقه
الى ملاقاة السلطان بسماط حلوى فوصل الى الحوراء اولا فى السلطان قايتباى ومد له
السماط الحلو هناك فحصل على السلطان بنفسه واظهر له اللطف والمبارة واكرمه وقدمه
على امرايه وعسكره وكان سماطا كثيرا جميلا **فصل** وحكى عن لطافة السلطان قايتباى
انه لما جلس على السماط تناول شيأ من الحلوى يقال له كل واشكر فاكل منه وسال من الذي
جاء بالسماط ايش اسم هذا عندكم فقال له القايد اسمه كل واشكر فقال للقايد سلم على سيدك
وقل له اكلنا وشكرنا فلما وصل السلطان الى اينبع عدل منه الى المدينة المنورة على منورها
الصلاة والسلام لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه اليها وكان قد خرج لملاقاة السيد
الشريف محمد بن بركات وولده السيد هيزع بن محمد والقاضي ابراهيم بن ظهيرة ان فتح

وابنه

وابنه القاضي ابو السعود واخوه القاضي ابو البركات بن ظهيرة قاضي جده فبلغهم في اثناء
الطريق ان السلطان عدل الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجهوا الى منزلة بدر واقاموا
بها منتظرين عود السلطان من المدينة المنورة على منورها الصلاة والسلام قال
السيد على السمهودي في تاريخه الكبير حج السلطان الملك الاشرف قايتباى في سنة
اربع وثمانين وثمانمايه وبدا بالمدينة المنورة لزيارة التربة المصطفوية على الكمال بما
افضل الصلاة واتم السلام فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي
القعدة الحرام فلبس بدهليزها حلل التواضع والخشوع وتحلى بما يجب للملك الحضرة النبوية
من الهيبة والخضوع فترجل عن فرسه عند باب سوريها ومشى على اقدامه بين يديها
ودورها حتى وقف بين يدي الجناب الرفيع الحبيب الشفيع عليه افضل الصلاة
واتم التسليم وناجاه بالتحية والتكريم وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ثم اتى بضجيعيه
رضه بعد ان صلى بالروضة الشريفة التحية وعفر وجهه في ساحتها السنية وعرض
عليه الدخول الى الحجرة الشريفة فتعاظم ذلك وقال لو امكنني ان اقف ابعد من هذا
الموضع وقفت فالجناب عظيم ومن انا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم ثم صلى صبح الجمعة في
الروضة الشريفة في الصف الاول بين فقراء الزوار والى جانبه امامه العلامة برهان الدين
ابن الكركي ثم توجه الى زيارة حمزة رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله من الصحابة
الذين استشهدوا يوم احد رضي الله عنهم حتى خرج من باب المدينة المنورة على منورها
الصلاة والسلام وركب راكبا بالمدينة المشرفة نادبا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاد
من الزيارة وحضر صلاة الجمعة قال السيد السمهودي فبدا لي السلطان بالملاطفة
وسالني عن بعض المباحث فرايت من تواضعه وحلمه وتثبته فهمه ما يعرف وصف
الواصف فيه فانشدت بيتي التلخيص وهما

" كانت مسايلة الركبان تخبرني " عن احمد بن سعيد اطيب الخبر "
" حتى التقينا فلا واللہ ما سمعت " اذني باطيب مما قد راى بصري "

فطرب بهما جدا واجتمعت به قرب صلاة المغرب في الروضة الشريفة ففاتحني في الكلام ورآى
في الحجاب النبوي مكتوبا قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها
فول وجهك شطر المسجد الحرام فسالني عن هذه الاية هل نزلت قبل المعراج ام بعده

وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت له في الجواب فاقيمت الصلاة في اثناء ذلك فصلى
فلما فرغ من هذه الصلاة صلى ست ركعات بسكون وتوده فلما انقضت تلك الصلاة اقبل
على طالبا للجواب فذكرت له ان نزولها بالمدينة المنورة وان فرض الصلاة كان بمكة المشرفة
ليلة المعراج وذكرت ما حكى في تعدد نسخ القبلة وصلاته عليه الصلاة والسلام بمكة
المشرفة بين الركنين اليمانيين جاعل الكعبة الشريفة بينه وبين بيت المقدس الى غير
ذلك من الفوايد وما هو مصنع اليها مستلذ بسماعها واستريا على ذلك حتى اقيمت
صلاة العشا فصليناها ثم عرضت عليه رقع بعض البدع من المدينة المنورة فامر برفعها
وطلبت منه رفع المكوس من المدينة المنورة فامر بابطالها وجعل امير المدينة المنورة في مقابلة
ذلك الف اردب قمح له في كل عام وفرق بالمدينة المنورة على فقرايها وفقهايها وعلمايها
خمسة الاف ذهب وحصل لي منه حبر كبير واحسان جزيل ثم سرت في اليوم الثاني من
المدينة الشريفة قاصدا بيت الله الحرام انتهى كلام السيد السمهودي ملخصا قال العز ابن
فهد فلما وصل الخبر الى بدر بعود السلطان وبروزه من المدينة الشريفة الى السيد الشريف
محمد بن بركات ومن معه ركبوا من بدر للملاقاة السلطان فاجتمعوا به في منزلة الصفرا
وتلاقيا على ظهور الخيل وتصافحا ومشى السيد الشريف عن يمين السلطان والقاضي
برهان الدين بن ظهيرة عن يساره وباقي من معهما سلموا على السلطان على بعد ومشوا
امامه وصار السلطان يلاطفهم ويسال عن احوالهم ويشكر مسعاهم ويطمن خواطرهم
ويجاسرهم بالكلمة وينصت لهم اذا تكلموا واستمر كذلك الى ان وصل السلطان الى الطاقة
فرجعوا عنه الى مخيمهم ثم صاروا يسايرونه في الطريق وما ونظهر لهم كمال النشاط ويبدي
لهم وافر الانبساط والبشر السلطان خلعا فاخرة مرارا عديدة وفارقوه من بدر
وتقدموا على السلطان الى وادي مر الظهران ورتبوا هناك سماطا حافلا جميلا للسلطان
ولمن معه فلما كان صبح يوم الاحد مستهل ذي الحجة الحرام وصل السلطان المخيمة بالوادي
ووجد السماط ممدودا فجلس السلطان ومن معه على السماط واكل منه واطعم وفرق على
من معه من عساكره وانخرط وخلع على من معه خلعا فاخرة متعددة جميلة ووصل
بقية القضاة والخطباء والاعيان من مكة المشرفة للسلام على السلطان فسلموا عليه
وانصرفوا امامه وركبوا وركب السلطان هو وشيخ الاسلام القاضي ابراهيم بن ظهيرة

وولده

وصل القاضي ابو السعود واخوه القاضي ابو البركات وامام السلطان الشيخ برهان الدين
الكركي الحنفي واستمروا الى ان دخلوا مكة المشرفة من اعلاها وكان القاضي ابراهيم هو
الذي تقدم لتطويف السلطان وصار يلقنه الادعية والتلبية الى ان دخل
السلطان من باب السلام اليماني وطلع بقربه منه فجعل به جواده فسقطت
عمامته واستمر مكشوف الراس الى ان تقدم لمهتار رمضان وتناول العمامة
من الارض وسحبها وناولها للسلطان فلبسها وكان ذلك تاديا له من اسه
سبحانه وتعالى حيث كان يتعين عليه ان يترجل ويدخل محرما مكشوف الراس
تواضعا له سبحانه وتعالى لما وصل الى العتبة الداخلة من باب السلام ترجل
ونزل وقرا بين يديه الهيبس بصوت جهوري قوله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين
لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ثم انه رفع
يديه بالدعا للسلطان وامن من حوله من اهل الاصوات ودخل من باب السلام
والقاضي ابراهيم يلقنه الدعا الى ان دخل الطواف وقبل الحجر الاسود وهو الذي
يطوفه ويلقنه الادعية والهيبس ينادي بالدعا له من اعلا قبة زمزم
والناس يحيطون بالمطاف الشريف يشاهدونه ويدعون له الى ان تم طوافه
وصلى خلف مقام ابراهيم عليه بينا وعليه الصلاة والسلام ثم خرج من باب
الصفا الى الصفا وسعى راكبا ومعه القاضي ابراهيم يلقنه الدعا فلما فرغ من
سعيه ركب فعاد الى الزاهر وبات في مخيمه وركب في الصبح في موكبه ولاقاه
السيد الشريف محمد بن بركات واولاده وقاضي القضاة ابراهيم بن ظهيرة وابنه
الجمال ابو السعود واخوه القاضي فخر الدين وابن عمه والخطباء واعيان الناس
واكابر التجار فخلع السلطان قاطبتهم على الجميع ومشوا امامه في موكب عظيم وبهجة
عظيمة ولم يتخلف احد بمكة المشرفة من النساء والرجال حتى المخدرات ودخل مكة المشرفة
بهذا العنوان الى ان وصل الى مدرسته فترجل الناس له وسلموا عليه وسلم عليهم ودخل
الى مدرسته ومد له بها الشريف السيد محمد بن بركات سماطا جليلا واستمر

على ذلك بمدرسته صباحا ومساء الاسمطة الجميلة ومدله فى ثانى يوم قاضى القضاة ابراهيم
جميلا واستمر السلطان بمدرسته ماظهر لاحد عذرا ان يتصدق بالليل كثيرا وركب مرة
الى دهب اليمن ليشاهد ما قد مدله السيد الشريف من الابل والخيل والتشكر من فضل السيد
الشريف واستمر بمدرسته الى ان ظعن الى عرفات ومعه امامه ركاب الى جنبه وهو يسخ
الشيوخ ابراهيم الكركى والامير يشبك الجمالى واولاد القاضى يحيى بن الجيعان وهم ثلاثة
المهتار ووقف بجبل الرحمة متضرعا الى الله تعالى سائلا من رحمته القبول وكانت الوقفة
يوم الاثنين فاضر ع الناس وابتهج وقرب للاضاحى غنما كثيرة واهدى شيأ كثيرا
وكان يناسب ان يجر شيأ من البدن فما اشار اليه احد بذلك وعاد بعد ايام التشريق
الى مكة المشرفة ونوجه الركب المصرى وتاخر هو بمكة المشرفة اياما وقرر وظايف مدرسته
لاهلها من المدرسين والطلبة وقراء صحيح البخارى وقراء الربعة وخادمها وخادم المصحف
والفراشين والبوابين والوقادين والجمازين والسقايين والسبيل والايتام والعريف
والفقيه والمؤذنين وناظر المدرسة والوقف والجابى والصيرفى واصحاب الكل وغير
ذلك وجعل الكل واحد كفاية من القمح والدراهم والذهب وكتب بذلك وقفية اشهد
على نفسه بذلك فيها وعلم من الجزات ما لم يتسق اليه وخص بنفسه يوم الجمعة لثلاثة
عشر ليلة خلت من ذى الحجة بظرف الايوان الشمالى وقاضى القضاة ابراهيم بن ظهيرة
بصدر الايوان وقد امد المصحف على كرسى وفرق على الحاضرين اجزاء الربعة الشريفة وناول
السلطان جزأ منها كما حد القراء وقرأوا الى ان ختم القاضى ابراهيم ولم يوخذ من السلطان
الجزا حتى وضعه بنفسه وجمعت الاجزا فى صندوق الربعة الشريفة ودعى الداعى
للسلطان ومد للحاضرين سماط حلوى بدوالمدرسة ونزل السلطان وجلس الى
جنب القاضى ابراهيم واكلوا ثم سقاهم سكرا وسوبيذ وفرق عليهم فتوحا وانصرفوا
وكان بنى السلطان سبيل على يمين الداخل الى خان الزازى بالمسعى الشريف يقال له
العلقمية وكان امامه الى جهة القبلة بالمسعى الشريف سبيل قديم للقاضى شهاب الدين
الطبرى على يمين الذاهب الى المروة فاشار الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندس ان
يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان وسبيله فهدم وعمار المسعى مكشوفا
وعمارة الخان والسبيل ظاهرة وسافر السلطان فى ظهر يوم السبت لاربع عشرة

ليلة

ليلة خلت من ذى الحجة بعد ان طاف للوداع والهيئ يده عوله على قبلة زمزم ومشى القهقرى الى
ان خرج من باب الحزورة وركب بعد السيد الشريف محمد بن بركات واولاده وقاضى القضاة
ابراهيم بن ظهيرة الى ان اوصلهم ردهم ووادعهم وسار الى مصر وعاد الى مملكته ولم يخل عليه
شى من امر مملكه فى غيبته عن تخت مقره مدة سفره الى الحج وهى نحو ثلاثة اشهر وذلك
لاتقان امر المملكة وتدبيره وتدبره وضبطه وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة واقربهم
الى قلوب الرعية فى اللطف والمواساة واجمل جملة واجمالا واحسنهم احسانا وافضلهم
افضالا واكملهم عقلا ونبلا واعتدالا واكرمهم فى جهات الخيرات ايثارا واياثارا واكرمهم
عمارا وقافا وادرارا والطولهم طولا ونهانا والمكنهم مكنا وقوة وامكانا وكانت ايامه
كالطراز المذهب ودولته تتجلى كالعروس فى حلل الجوهر والذهب وعاشت الرعية فى
ايامه عيشا رغدا وظهرت العلما فى ايامه ونموا فصارا نجوم الهدى الى ان تبنه له
الزمان الجاير واستيقظت له عيون صروف الليالى العوابر ودارت عليه كما دارت
على من قبله الدوابر وهذا شان الدنيا الدنية فى اتيانها الاصاغر والاكابر ودوابها
فى السلاطين والملوك العوابر والبقاء والدوام لله سبحانه وتعالى القدير القاهر فقدم
على السلطان قايتباى ببريه اجله وما اغنى عنه ما جمعه من خيله وخوله ولا منع
عنه شى من خوله وحوله فاقدم على ما قدم من صالح عمله وترك ما خوله من متاع الدنيا
وزهرتها وادبج فى الكفان اعماله بعد ما غسل بدموع فقره وانزل من سرير الملك على
التابوت الى قبره وقدم على باب كريم ووقف بين يدى ملك غفور رحيم وانشد لسان
حاله وهو بين يدى ملك الملوك الحليم الكريم يقول

اذا مسنى فراشى من تراب ... وصرت بجاور الرسم الرميم
فهنونى اصحابى وقولوا ... لك البشرى قدمت على كريم

وكان انتقاله رحمه فى اخر يوم الاحد لثلاث بقين من ذى القعده الحرام سنة احدى وتسعماية
وصلى عليه يوم الاثنين ودفن بتربته فى الصحرا بانا فى حياته فى غاية الحسن والزينة
وبها مساكن للفقرا واوقاف دارة عليهم الى الان ليس بمصر احسن تربة منها وصلى
عليه بعد ذلك صلاة الغايب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد عظيم لم يعهد لملك
قبله وكانت مدة سلطنته ثلاثين سنة الا ثمانية اشهر ولم يملك احد من الملوك

الجركسية قدس سره ملكه رحمه **فصل** وولى بعده الملك ولده الناصر ابو السعادات محمد وكان شابا يغلب عليه الجنون والسفه وما كان له التفات الى الملك ولا الى السلطنة بل غلب عليه اللهو واللعب والحركات المستشنعة يحكى عنه امور قبيحة منها انه كان اذا سمع بامراة حسنة يهجم عليها وقطع دابر فرجها ونظمه فى خيط اعده لذلك ثم فرج النساء وسمى ان والدته كانت من اعقل النساء واجمل من هيأت له جارية جميلة جدا وجمعتها به فى بيت مزين اعدته لهما فدخلها وقفل الباب على نفسه وعليها وربطها وشرع يسلخ جلدها كالجلد وهى حية وهى تصرخ فلما سمعوا صراخها اراد والهجوم عليه فما امكنهم لانه قفل الباب من داخل محكما واستمر كذلك الى ان سلخها وحشى جلدها بالانواب التبنية وخرج يظهر لهم استاذيته فى السلخ وان الجلادين يعجزون عن كماله فى صنعته ومنها انه مر وهو فى موكبه بدكان حلوى بيبع الحلوى وبسطته قدامه فاقامه من دكانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة وداروا حوله امراه يشترون منه الحلوى فاخذ بيده الميزان وصار يزن لهم الى ان جرت الحلاوة وكانت له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكى الى ان سقط من اعين عسكره وسطوا عليه كما سطوا على الحسام لاتر وسلخوه من الملك كما سلخ تلك الضعيفة بالخنجر ومزقوه كل ممزق ولعذاب الاخرة اكبر فمن عزوه انه خرج مختفيا منفردا عن عبيده وخدمه متباعدا عن خوله وحشمه فتوجه يمشى وحده فى بر الجيزة فالمكن له عشرة انفس من مماليك ابيه فى خيمة على ممره فلما وصل اليهم وكان وحده منفردا اخرجوا اليه من الخيمة ومسكوا لجام فرسه وضربوه بالسيوف الى ان قطعوه وجاوا به منقولا الى القاهرة ودفنوه فى تربة ابيه فى سنة اربع وتسعماية والله اعلم

فصل وولى بعده السلطنة الملك الظاهر قانصوه وهو كان الملك الناصر محمد بن قايتباى كان سادجا اميا لا يعرف الا لسان الجركس قريب العهد ببلده جلب الى السلطان قايتباى جلبه من بلاده وهو كبير وخطه الشيب وصار يقيد بواسطة زوجته خوند ام الناصر لانه اخوها وهى التى اقامته مقام ولدها الناصر وبذلت له الاموال والخزائن وارادت تقويته واقامته واصلا حده وهل يصلح العطار ما افسد الدهر فما استحمل الجند للاياله وما اهلوه للسلطنة وكيف له بهم والى له بالمخلوع بعد ان ساسهم ستة وسبعة اشهر واخرجوه من الملك فى اواخر سنة خمس وتسعماية

فصل وولى مكانه الملك العادل جان بلاط وتلقب بالملك الاشرف جان بلاط فى سنة ست وتسعماية ولا تهنى بالسلطنة ولا اوافقه احد عليها وخلع بعد ستة اشهر

فصل وولى بعده الملك العادل طومان باى وكانت الامراء متفقون فما استحمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه فما قدم احد على السلطنة وكلهم يشير بعضهم الى بعض فى الجلوس على تخت الملك فما تفقوا على ان يولوا قانصوه الغورى لانهم راوه لين العريكة سهل الانزال اى وقت ارادوا انزاله لانه كان اقلهم مالا واضعفهم حالا واوهنهم قوة فاشاروا اليه ان يتقدم فابى فالزموه بذلك فقال اقبل ذلك بشرط ان لا تقتلونى فاذا اردتم خلعى من السلطنة فاجرونى بما تريدونه وانا اوافقكم عليه واترك لكم الملك وامضى حيث اريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم

فصل وولوه السلطنة ولقبوه الملك الاشرف قانصوه الغورى فى سنة ست وتسعماية وفرح العسكر بولايته لانهم سيموا تعدد السلاطين وسرعة تقضى ملكهم بل فرح العامة واسفوا على انفسهم واموالهم فى الجملة وكان قانصوه الغورى كثير الدهاء ذا راى وفطنة ويقظة الا انه كان شديد الظلم كثير الظلم والعسف بخيل محبا للعمارة ومن جملة عمارته الجامع والتربة بالقرب من بين القصرين بمصر وكان فى نيته ان يدفن بها ووقف عليها اوقافا كثيرة وما قدر له دفن فيها بل ذهب تحت سنابك الخيل وما عرف وما تدرى نفس باى ارض تموت ولله الامر جملة فى طريق الحج فى عقبة ايلة وماتر بمكة المشرفة وعزها وكان يحفظ حرمته على الامراء بالهيبة والتنزل معهم من عز السيد عليهم ولا اظهار عظمة او امر او نهى وذلك فى ابتداء امره الى ان تمكن من قوته وباشر واشتغلوا عنه بحروبات اخرى وطال به العهد بحيل الى ان صار ياخذهم واحدا بعد واحد ويتغافل ثم يحصل حيلة اخرى وعلة اخرى لاحدهم وياخذهم بها ويوقع بين الاثنين وياخذهما بذلك وذاك ويدس لهم الدسائس من الطعام والسم ونحوه حتى افنى قرانصتهم ودهاتهم الا قليل منهم واتخذ مماليك لنفسه جددا واستحدث طباقا واعد عددا وعددا وصار يظلمون الناس ظلما ويعاملون اخلق عسفا وغشما وصار يغضى عنهم ويتغافل لهم فاظهروا الفساد واهلكوا العباد وكثروا الفساد وطغوا فى البلاد وصار هو يصادر الناس ويأخذ اموالهم بالقهر والباس وكثرت العوانية فى ايامه

كثرة ما يصفى اليهم وصار واحدا توسع فى دنياه واظهر التجمل فى ملبسه واثاثه
وشواره الى ان السلطان قرنسل اليه الاعوان وبطالبه بالقرض ويستصفى امواله ويسلمه الى
الصوباشى ليأخذ ماله ومملوكه اهله وعياله ويعذبه بانواع العذاب الى ان يصير فقيرا
بعد غناه ومعدما بعد ثروته واستغناه وجمع من هذا المال اموالا عظيمة جزيلة جسيمة
ولكن ذهبت فى اخر الامر هدرا وتفرقت بيد الهدر وتمزقت بددا وتفكك اكل مال يؤخذ
على هذا الاسلوب وكيف ينفع هذا الطريق المنكوب لا ينفع من جمعه بل يضر صاحبه ويهلكه
معه وهيهات ان ينفع مال حصل من مال كل كئيب حزين وسلب بالقهر والقسر من كل
مظلوم مسكين وكيف ينفع سالبه وما نفع صاحبه وتهنى به من اكتسبه على هذا الوجه
واكلى كاسبه وقيل الا ان مال كان من حيث حله سيخرب يوما اهله واقاربه
واما الميراث ينطل فى ايامه وصار اذا مات احد يوخذ ماله جميعه للسلطنة ويترك اولاده
فقرا الى ان اغتنى اغتناء كبيرا فضل له من ذلك نذر اليسير من مال ابيه واخذ لنفسه
باقيه واشتد طمعه وكثر ظلمه فى اخر ايامه فاستجاب الله تعالى فيه دعاء المظلومين
وقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين **فصل** ولما توفى رحمه الله واموات المسلمين
عن شخص يجاب الدعوة من اولياء الله تعالى انه راى بمصر فى اخر ايام السلطان الغورى جنديا
من الجراكسة الجلبان اخذ متاعا من دلال ولم يرضه فى قيمته فتعلق الدلال بطلب منه
حقه وهو يمتنع فقال له الدلال بينى وبينك شرع الله فضربه بالدبوس على راسه
فشج راسه وقال هذا شرع الله فسقط الدلال ومضى الجندى بالمتاع وما قدر احد
من المسلمين على منعه مما فعل قال الرجل فصعب على مشاهدة هذا الحال فرفعت يدى
الى الله تعالى ودعوت على الجندى المذكور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من اعوانه فصادف
الدعاء ساعة الاجابة وبت تلك الليلة على طهارة وانا افكر فى امرهم واحدث نفسى
بذلك واقول كيف يزول ملك هذا السلطان العظيم وقد ملأ جنوده الارض والى
المسلمين بسلطان يترقى بالرعايا وتطمئن فى دولته البرايا واخذنى النوم فنمت فرايت
فيما يرى النايم ملائكة تنزل من السما وبايديهم مكانس وهم يكنسون الجراكسة من ارض
مصر ويلقونهم فى بحر النيل واستيقظت من النوم واذا القارى يقرا القران الحكيم فانصت
له فاذا هو يقرا قوله تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بايانا وكانوا عنها
غافلين

خاطبين فعلمت ان الله سبحانه وتعالى اخذهم اخذ وبيلا فما مضى قليل الا وبرز الغورى بجنوده
واموالهم وخزائنه من مصر يقاتل السلطان سليم خان الحطب فجاء الخبر بعد قليل بانه كسر وقتل
اكثر جنوده وفقد تحت سنابك الخيل فى برج دابق وهرب بقيد عسكره من الجراكسة
الى مصر وصار واطومان باى سلطان وان السلطان سليم فى اثرهم يفتح البلاد ويضبطها
الى ان الى وصل الى الريدانية خارج مصر فخرج طومان باى ومن معه الى قتاله فما تحمل المومن
معه ساعة وانكسروا ودخل السلطان سليم الى مصر وضرب اوطاقه فى الخرتة الخضرا
على ساحل النيل وهرب طومان باى الجايرو مسكه شيخ عرب وجاء به الى اوطاق السلطان
سليم فامر بصلبه فى باب زويله ليراه الناس ويصدقون بقتله فان الناس صاروا لا يصدقون
بانه مسك وصاروا يزعمون بانه اختفى ليحصل له فرصة فيخرج وكثر كلام الناس وصار
فتنة الفساد وكثر القيل والقال فامر السلطان سليم بصلبه تسكينا للفتنة وكان
صلبه فى باب زويله فى حادى عشر شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعماية وبصلبه
انقطعت الجراكسة كما انقطعت دولة من قبلهم من ارباب الدول من الاتراك والاكراد
والعبيديين من الدول وهكذا شان الدنيا فى ايرابها تتقلب بهم وتحول عنهم اى تقلب
واى تحول والملك يومينذ كما قيل

ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السما فى فلك
الا لنقل السلطان من ملك ... فذاك سلطانه الى ملك
وملك ذو العرش دايما ابدا ... ليس بعان ولا بمشترك

وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا اولهم الملك الظاهر برقوق واخرهم طومان باى ومدة
ملكهم ماية وثمانية واربعون عاما وليس لطومان باى اثر لقصر ايامه سلطانا ثلاثة اشر
فانضوه الغورى ما ثر جميلة وعما ير حسنة جليلة **فصل** ومما عمره الغورى
بمكة المشرفة باب ابراهيم بعقد كبير جعل علوه قصرا وفى جانبه مسكنين لطيفين وبيوتا
متعددة للكرى حول باب ابراهيم وقف الجميع على جهات الخير ولا يصح وقف ذلك القصر
فى المسعى الحرام وما امكن العلماء ان ينكروا ذلك عليه فى ايام سلطنته لعدم اصغاية الى
كلام اهل الشرع والدين وعدم اقدام العلماء على الملوك والسلاطين للطمع فى الدنيا الدنية
والخوف على ما هم الا عتبارية فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبنى ايضا

ميضاة خارج باب ابراهيم على يمين الخارج من المسجد الحرام هي بطالة الآن انه راج
عفونا تها قد تصل الى المسجد الحرام فيتاذى بها المصلون فابطلت وغلقت
قريبا في سنة ثمانين وتسعمايه بالامر الشريف السلطاني ومن اثاره الغوري
ايضا الترخيم الواقع في حجر البيت الشريف عمل بامره في ايامه واسمه مكتوب فيه
وفرغ من عمله سنة سبع عشرة وتسعمايه ومن انشايه بني سورجه فانها كانت غير
سورة وكانت العربان في ايام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها واسرت عربان زبيد في
ايام الفتن الخواجا محمد الفاسي وكان من اعيان التجار من اهل الاعتبار فهجموا على بيته
وانزلوه من السطح واركبوه معهم على ظهر فرس ارتد فه واحد من اهل زبيد واخذوه
الى اماكنهم وهو قريب عقبة السويس في درب المدينة الشريفة ومكث عندهم اياما
الى ان اشترى نفسه منهم بثلاثين الف دينار ذهبا فردوه الى مكة المشرفة بعد ان
استوفوا هذا القدر منه وبهت جدة مرارا في الفتن التي وقعت بارض اليمن بعد
وفاة السيد الشريف محمد بن بركات بين اولاده وجرت احوال يطول تفصيلها
فارسل الغوري احد امرايه المقدمين وهو الامير حسين الكردي وجهز معه عسكرا
من الترك والمغاربة واللاوند في حدود ستين غرابا لدفع ضرر البرتقال في بحر الهند
وكان مبادي ظهورهم وامره به دفع الفتن الواقعة لاذ ذاك في جدة وجعل له اقطاعا
فلما وصل الامير حسين الكردي المذكور الى جدة بنى عليها سورا في سنة سبعة عشر
وتسعمايه وهو الباقي الى الان وكان ظلوما غشوما يسفك الدماء ولا يرحم من
في الارض ليرحمه من في السما فاذا نصب اطاقه بمكان في سفر او حضر ونصب
اعواد الصلب والشنق والشنكلة واقام الجلادين للقتل والتوسيط والضرب
والهدلة فاي مسكين وقع في يده قتله بادنى سبب او جلده بالمقارع او صلب
اظفاره بالناموس اقر عوني للهيب واخافة للخلق بالشماسة والترهيب والله اعلم

فصل كما يحكى ان الحجاج دخل بلدة فصادف انسانا عند دخوله فمسكه وامر
بضربه فقال له اي ذنب لي تضربني بسببه فقال لا ذنب لك ولكني اريد ارهاب
اهل البلد فجلدني بقيت ساعة فضربه جسمايه سوط واطلقه وكانت للامير
حسين الكردي المذكور اسمطة ممدودة في سايرالايام وكان اكولا نهما والطعام

سحا لحي الموكلة والاطعام يستوفى الخروف وحده مع عدة ارغفة ونفايس لعدة
معدة لذلك وكان كرديا دخيلا في طايفة الجركسية لا عيال اعينهم ولا يعتريه فيما
بينهم فاراد السلطان الغوري ابعاده عنهم حمايه له منهم وكان معتنيا به فاعطاه
بندر جده على وجه الايتمار له وجهز معه عمارة ليقاتل الفرنج الذين ظهروا في بادية
ارض الهند واستطرقوا اليها من بحر الظلمات من وراء جبال القمر التي هي منبع النيل
وعاثوا في ارض الهند ووصل اذاهم وافسادهم الى جزيرة العرب وبادية اليمن وقصد
الغوري رفع اذاهم عن المسلمين بارسال الامير حسين الكردي المذكور الى جده فلما اتى الى
جده بنى سورها وبنى ابراجها واحكمها وهدم كثيرا من بيوت الناس مما يقارب موضع
السور لوضع الاساس واخذ حجارتها وبنى بها السور في شدة باس واستخدم عامة
الناس في حمل الحجر والطين حتى التجار المعتبرين وسايرالمتسببين وضيق على البنايين
بحيث يحكى ان احدهم تاخر قليلا عن المجيء فلما جاء امر ان يبنى عليه فبني عليه واستمر فوه
جوف البنا الى يوم البعث والجزا الى ذلك من الظلم الشديد والجور العتيد وبنى السور
المذكور جميعه في دون عام من شدته وغشمه واقدامه وظلمه واستر حاكما يجده الى
ان قوي بالمال وتامل وجمع خزاين من كل صنف فتوجه الى الهند في حدود سنة احدى
وعشرين وتسعمايه ودخل واختم سلطان كجرات يومينذ واسمه سلطان خليل شاه
ابن مظفر بن السلطان محمود شاه الكجراتي فاكرمه وعظمه وانعم عليه بنعمة طايلة جزيلة
ولما سمع الفرنج به انهم تغوا عن بادية كجرات الى بادية الهند وتحصنوا بقلعة متقنة محكمة
لهم هناك في بحث ملكهم الى الان يقال لها كوه بالكاف العجمية المضمومة والواو
المشددة المفتوحة بعدها هاء ساكنة بلسانهم سجانه وتعالى فتحها السلطان الاسلام
وقطع بسيفه دابر الفرنج اللييام وكافة عباد الصليب الاصنام ولقد احسن من قال

اعباد المسيح خاف فحيى ونحن عبيد من خلق المسيحا

ولم يستقر الامير حسين في كجرات بل عاد الى اليمن وافتتح في طريقه على عوده مملكة اليمن
من بني طاهر ملوك اليمن ظلما وعدوانا في سنة اثنين وعشرين وتسعمايه بعد امور
يطول شرحها وترك بها نايبا له في زبيد اسمه برسباي جركسي من مماليكه وقتل
السلطان بن عبد الوهاب عام مع اخيه عبد الملك بن عبد الوهاب وكانوا ملوكا

من اهل السنة والجماعة ظاهرين من فساد الاعتقاد ظاهرين على اهل البدع والالحاد
فانفرضت بدولتهم اى دولة بني طاهر من اليمن وعاد الامير حسين الكردي المذكور
وحفظه كما يأتي عنها بظلفه وقدم الى مكة المشرفة وكانت دولة الجراكسة قد انقرضت
بمصر وملكها السلطان سليم بن بايزيد بن محمد رحمهم وتوجه السيد الشريف جمال الدين
محمد ابو نمي وكان ارسله والده السيد الشريف بركات ليدوس البساط السلطاني
بمصر وعمره يومئذ اثنى عشر عاما ففعل له غاية التعظيم والاكرام وبلغ جميع ما امل وزاد
وعاد الى والده السيد الشريف معززا مكرما ومعه احكام شريفة بكل ما طلبه واراده
وارسل حكام عرابر بن مجلي الى السيد الشريف بركات يقتل الامير حسين الكردي
المذكور وهو الذي استخرج هذه الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الامير حسين فاخذه
مقيدا الى جدة وربط في حجر كبير وغرق في بحر جدة في موضع يقال له السمك فاكلته
الاسماك بعد ان كان يعد من الاملاك وصار طعاما للحيتان بعد اطعامه الصيفان
وغرق مقيدا بالاصفاد بعد ان قتل ما شاء الله من العباد وتفرق في البلاد جنوده
واعوانه بددا ولا ظلم الا على الظالمين احدا والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الباب السابع في ظهور ملوك آل عثمان ملوك العصر والزمان

خلد الله سلطنتهم القائمة الى اخر الاوان وذكر نبذة من اصل هذا السلطان العظام
وذكر ما عمروه في بلاد الله الحرام وفعلوا فيه من الخيرات الجسام العظام وذكر ما بناه
المسجد الحرام على الوضع الذي هو عليه الان

الفصل الاول في ذكر الفتح الحاقاني ودخول ممالك العرب والعجم في سلك الملك العثماني

وبنذة من ذكر اسلافهم الكرام بطريق الاختصار خلد الله ملكهم مدة الزمان وابقى ملك الارض فيهم وفي عقبهم الى انتهاء الدوران لما اراد الله سبحانه وتعالى باهل الارض احسانا وافضالا وقد ظهر العدل والفضل فيهم كرما لهم واجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الظلم والمحن وتاييد دين الاسلام وتقوية اهل السنة والجماعة المتمسكين بسنن محمد عليه افضل الصلاة واتم السلام واقامة الشرع الشريف على رغم انف الملحدة اللئام اطلع في افق الخلافة العظمى شموس الهداية العثمانية واسطع من اوج سماء السلطنة الكبرى كمال المعدلة الحاقانية واجلس على سرير الملك من ملكه

الله اعظم ممالك الاسلام وفتح على يديه اكبر الامصار والبلاد بالسيف الصارم والصمصام
والحسام الحاسم مواد الظلم من كل ظالم وظلام ونشر به جناح الامن والامان على اهل الايمان
من الانام فاخذ احاسن محاسن الرمم المسكون وكان نظم القول من يقول للشيء كن فيكون
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون واستولى بتاييد
الله ونصره على شام البلاد ومصره وملأ نطع الدنيا بما آت سيف قهره كما ملأها
بافاضة عدله وفيض بره وشرفت بذكره في الحرمين الشريفين المنابر في رؤس
المنابر وعمر مساجدها وتلى فيها ما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الملة
الحنيفية واحيى ما لها من مآثر الممالك الملك الهمام والليث الباسل الضرغام السلطان
الاعظم والخاقان الافخم الاكرم خير خلف لخلفاء الرحمان اشرف سلف لآل عثمان
السلطان سليم خان بن بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان بلدرم بايزيد بن السلطان
مراد بن السلطان اورخان بن السلطان عثمان الغازي رحمهم وحشرهم بالرحمة والرضوان
وابدلهم عما انتقلوا عنه من الملك الفاني بالملك الباقي في اعلى غرف الجنان وابقى
السلطنة في عقبهم خالدة تالدة الى يوم الحشر والميزان امين وقال الشاعر

لهم معشر كلهم عابر ... وكلهم خير الملوك صناديد الصناديد
اولئك الناس ان عدوا وان ذكروا ... ومن سواهم فلغو غير معدود
لو خلد الدهر ذو عز لعزته ... كانوا احق بتاييد وتخليد

وجده الاعلى السلطان عثمان الغازي اصله من الاتراك كان الرحالة التركماني من طائفة التتار
وهو اول من ولي منهم السلطنة في بلاد الروم في سنة تسع وتسعين وستمايه وهو
ابن ارطغول بن سليمان شاه ويتصل نسبه الى يافث بن نوح على نبينا وعليه
الصلاة والسلام وهو الجد الاربعون لحضرة السلطان سليم بن بايزيد ولما كانت
اسماؤهم بلغة الترك القديم لم نذكرها لعسر ضبطها وهي مذكورة في التواريخ التركية
وكان سليمان شاه سلطانا في الشرق في بلاد ماهان قرب بلخ فلما ظهر جنكز خان
اغرب بلاد بلخ واخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه وتفرقت اهل الممالك
وخرج سليمان شاه من بلاد ماهان بخمسين الف بيت من الترکمان الى ارض الروم
وعبر بجاب وعبر في الفراة فغرق بفرسه في الفراة واخرج منه الى بحر الرحمة في غرفات

الجنان ودفن امام قلعة جعبر وتفرق من معه من التركمان في اطراف تلك البلاد والبلدان
وذراريهم موجودون هنالك نزالون الى الان وكان سليمان شاه اربعة اولاد
عاد منهم اثنان الى بلاد البحر وهما سنقر ودينار وتوجه الى بلاد الروم اثنان وهما
ارطغول وكون دوغدى وقدما على السلطان علاء الدين السلجوقي وكان سلطان
بلاد قونيا وتخت مملكته قونيه فاكرمهما واذن لهما في الاقامة في ارضه فاستوطنا
في جهاد الكفار واجتمع عليهما من التركمان طائفة من الغزاة وصارا يهتمان بالجهاد في
سبيل الله تعالى وكان مقرهما مابين قره حصار وبلجك في محل يقال له سكوتجك
صيروه قشلا لهم وجعل الايل يجيء بيلاقهم فسكنوا هما مع مواصلة الغزاة والجهاد
وقهر الكفرة حول تلك البلاد الى ان توفي ارطغول في سنة تسع وثمانين
وستمايه وخلف اولادا اجلادا انجبا اشدهم باسا واقواهم جاشا وانامهم غرسا
السلطان عثمان وكان مولده سنة ست وخمسين وستمايه وداب في خدمة
والده في الجهاد وتمرس في الغزاة في سبيل الله تعالى منذ نشأ مع الاولاد واستمر بعد والده
مع الكفار في القتال والجلاد فراى السلطان علاء الدين جده وجهده في الجهاد وعلم
قابليته ونجابته في فتح اطراف تلك البلاد فاكرمه واعزه وامده بانواع المعونة
والامداد وارسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر وسماه باسم السلطنة
تقوية ليده وشد العضده فلما وصل الطبل والزمر اليه وعملوا نوبة بين يديه
فعند سماعه صوت الطبل والزمر قام على قدميه تعظيما لذلك فصار ذلك قانونا
لال عثمان باقيا مستمرا الى الان فانهم يقومون على اقدامهم عند ضرب النوبة على ابوابهم
وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة سنة تسع وتسعين وستمايه
وافتتح فيها قره حصار وامر بصلاة الجمعة وخطب باسمه فعقيب من
اهل العلم حوله اسمه طورسن فعقيبه ثم افتتح قلعة كوترى حصاري ثم قلعة
ثم قلعة اين اولى ثم قلعة ابنك كول ثم قلعة يكى شهر ثم زوج ولده اورخان على
نوفر خاتون بنت ملكور خاجب بارحصار فعمل ابوها سماطا عظيما فلما حضره
الغزاة انتهزوا الفرصة وقتلوا ملكور وافتتحوا قلعة بارحصار ثم قلعة بلجك
فدخلها السلطان عثمان وصارت من جملة مملكته واستمر في الغزاة والجهاد وافتتح

البلاد

البلاد وقتل الكفار اهل العناد الى ان دعاه الله سبحانه وتعالى الى جنته وابله سلطنة
جزاء من سلطنته فاجاب داعي الحق لما دعاه وبادر الى اجابته ولبى نداه فعاش
سعيدا ومات شهيدا حميدا عن ست وستين عاما في سنة خمس وعشرين
وسبعمايه وكانت مدة سلطنته ستا وعشرين سنة

فصل

ثم ولي بعده السلطان اورخان الغازي مولده سنة ثمان وسبعين وستمايه وجلوسه
على تخت السلطنة بعد والده في سنة ست وعشرين وسبعمايه ومدة سلطنته خمسة
وثلاثون سنة وعمره ثلاث وثمانين سنة وهو الذي افتتح بروسا وجعلها مقر
وفتح قلاعا كثيرة وله حروب مع الكفار مشهورة تسمى بيلوم صوى وكان السلطان
اورخان فاتح والده في الجهاد وفتح البلاد وبذل الاجتهاد ففتح بروسا في ايام والده
ثم قيون حصار وقلعة ازنيق في سنة احدى وثلاثين وستمايه ثم افتتح قلعة
كونيك وقلعة بالي كسري وولاية قرسي وقلعة كرماستي وقلعة اولوباد في سنة
خمس وثلاثين وستمايه وقلعة قرجلجه طرله في سنة ست وثلاثين وستمايه وافتتح
عدة قلاع وحصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته واجتمعت ملوك النصارى
وجمعهم الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ورفع طرس المسلمين من بلادهم فاتفق قرال
الكروس يعني سلطانهم وسلطان اللان والسرف واجمعوا ان يتعدوا الى بلاد رملي
الى جهة اناضولي ويقاتلوا السلطان اورخان في محله وكان له ولد نجيب اسمه
سليمان بيك استاذن من والده ان يتوجه من على ره ملي ويقاتل الكفار الذين اجتمعوا
حوله لقتاله قبل ان يصلوا الى اناضولي فاجازه والده لما راى نجابته وسخاءته
فتوجه مع خدامه فسمع به الغزاة فتبعه من الشجعان فوارس مجبورون وابطال
مشهورون فعدوا الى روملي فصادفوا الكفار في غفلة وهم يريدون العبور الى ناحية
اناضولي فوقع حرب عظيم قتل فيه من الكفار مالا يعد ولا يحصى وانهزم الباقون
الى القلاع والحصون وتبعهم المسلمون ياسرون منهم ويقتلون فتطهرت البلاد
النصارى الليام وافتتح المسلمون عدة قلاع وحصون والكفار الى الخسار والبوار
ثم الى عذاب النار وتوجه سليمان بيك الى والده مظفرا منصورا مويدا مسرورا وكان
السلطان اورخان كوالده كثير الجهاد ظاهر الاعتقاد سليم الفؤاد عدو الاهل الكفر

والالحاد عاش سعيدا ومات شهيدا في احدى وستين وسبعمايه **فصل** ثم ولي بعده السلطان مراد خان الغازي مولده سنة سبع وعشرين وسبعمايه وجلوسه على التخت في رمضان سنة احدى وستين وسبعمايه ومدة سلطنته احد وثلاثون سنة وافتتح كثيرا من البلاد منها ادرنه في احدى وستين وسبعمايه وهو اول من اتخذ المماليك وسماهم يكجري بمعنى العسكر الجديد والبسهم اللباد الابيض المثنى الى خلف وسماه برقابضم الباء الموحدة وسكون الراء آخره كاف وكانت له صولة عظيمة على الكفار واجتمعت النصارى على سلطانهم اسبوت فقاتلهم السلطان مراد قتالا عظيما فقتل سلطان الكفرة وانهزم الكفار فاظهر واحد منهم اي من ملوكهم الطاعة اسمه بلواس وتقدم ليقتل بدات السلطان مراد فلما قرب منه اخرج خنجرا كان اعده في كمه فضرب بدات السلطان مراد واستشهد الى رحمة الله تعالى في سنة اثنين وتسعين وسبعمايه فصار القانون العثماني من يوميذ ان لا يدخل على السلطان الا ملحي او عزه بسلاح وان تفتش ثيابه وان لا يدخل على السلطان الا بين رجلين يكتنفانه **فصل** فولي السلطنة بعده ولده السعيد السلطان يلدرم بايزيد مولده سنة ثمان وخمسين وسبعمايه وولي السلطنة وعمره اثنان واربعون سنة ومدة سلطنته ستة عشر عاما ولما استولى على كثير من قلاع النصارى صارت النصارى تمشي الى بعض بلاد الطوايف في بلاد الروم فلزم ان استولى السلطان يلدرم بايزيد خان على مملوك الطوايف وضيق على جماعتهم مثل ابن كرميان اخذه وجلسه مع احد وزرايه فهرب منه ووزيره من الحبس ومضى الى تيمورلنك وهرب ايضا ابن منتشا منه وخلق لحيته وحواجبه وصار في صورة قلندري وذهب الى تيمورلنك وكذلك ابن ايدين هرب في صورة سقطي يبيع الخرزات وكذلك ابن اسفنديار وغيرهم من امرا تلك الديار وملوكها فوصلوا الى تيمورلنك وشكوا من السلطان بايزيد وحثوه ان يصل الى بلاد الروم فوصل الى بلاد الشاميه والحلبيه وقتل فيها وسفك وفتك الدما وعاث فيها واخذ تلك البلاد واخذ اهلها ونهب الملون الى ان وصل الى ادرنه بجان وخرج السلطان يلدرم بايزيد الى قتاله وجمع عسكر الروم ولما التقى

الفتان قرب الكورية هرب من عسكره طايفة التتار بكتابة تيمورلنك لهم وتخيفهم عنه وكذلك عسكر منتشا وعسكر كرميان وتركوا السلطان بايزيد وذهبوا الى تيمورلنك ووقع الحرب الشديد وقتل من اولاد السلطان بايزيد مصطفى فرع عسكره في الانهزام وثبت هو وقليل ممن معه واستمر يقاتل الى ان وصل الى تيمورلنك بسيفه المشهور يقاتل بنفسه وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا واسكوه وحملوه في الحبس فحصل له حمى عظيمة فتوفي في سنة ثمان مايه وتسلطن بعده اولاده وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم ومحمد وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنى عشر سنة الى ان استقل بالسلطنة السلطان محمد بن السلطان يلدرم بايزيد في سنة ستة عشر وثمانمايه ومولده سنة سبع وتسعين وسبعمايه ومدة سلطنته تسع سنين وعاش ثمانية وخمسين عاما وكان شجاعا مقداما محاهدا افتتح عدة قلاع وبلاد وبذل نفسه في الغزاة والجهاد ومهد البلاد ومما افتتحه قلعة قسطمونيه وقلعة اسكب وقلعة صامصون وقلعة افسنه وغيرها ثم خرج عليه محمد بن قرمان واحرق برصا فجاء السلطان محمد من بلاد الروم يلي ووصل الى قونيه ووقع بينه وبين محمد بيك بن قرمان حرب عظيم مشهور انهزم منه عسكر ابن قرمان ومسك محمد بيك بن قرمان وولده مصطفى واتى بهما اسيرين الى عند السلطان محمد فعفا عنهما وعفا عنهم وتصدق عليهما بمملكتهما ولسلطان محمد مدارس ومعابر وافعال خير وما زال من عمل الرجال اهل الخير مين الشريفين من الاعمال فلما تم اجله المحتوم في ام الكتاب ارادة سبحانه وتعالى نقله الى جنة المآب ودعا من ملك الفنا الى ملك البقاء المستطاب فعاش سعيدا ومات شهيدا حميدا وتحول من دار البلى الى دار النعيم وان الى ربك الرجعى وكانت وفاته بمرض الاسهال وذلك سنة خمس وعشرين وثمانمايه **فصل** ثم ولي بعده السلطنة مراد الثاني بن محمد بن يلدرم بايزيد مولده في سنة ست وثمانمايه وجلس على تخت السلطنة وعمره ثمانية عشر سنة ومدة سلطنته احد وثلاثون سنة وعمره تسع وخمسون سنة وكان ملكا مطاعا مقداما فاتكا شجاعا باذلا واسع العطا عين للحرمين الشريفين من حاصة صدقاته في كل عام ثلثمايه الاف وخمسمايه

ذنب وللسادة الاشراف من خزينته مثل ذلك فتح الفتوحات ولين جموحات الجموع
ومهد الممالك وامن المسالك واقام الشرع والدين واذل الكفار الملحدين واعز
الاسلام والمسلمين ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة موره وغيرهما وقاتل
قرال نكروس وقهرهم واسر منهم خلقا كثيرا واستر بحاهد الكفار ويفتح الديار الى
ان انتشى ولده السلطان محمد فراى بحابته ولمح فى غرته سعادته وعرف اقباله
وشهامته فاجلسه على سرير السلطنة واختاره لنفسه التقاعد والفراغ فى
مدينة مغنيسا بحسن رهاه والله يرث الارض فصل فولى السلطنة
السلطان محمد بن مراد فى سنة ست وخمسين وثمانمايه وجلس على تخت السلطنة
وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وكان من
اعاظم سلاطين ال عثمان وملوك الملوك الاصيل الفاضل النبيل العظيم الجليل اعظم
الملوك جهادا واقواهم اقداما واجتهادا وابثهم جاشا وفؤادا واكرمهم توكلا على
الله تعالى واعتمادا وهو الذى اسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين صارت كالطوق
فى اجياد الزمان ولها مناقب جميلة ومزايا جليلة وآثارها باقية فى صفحات الليالى
والايام ومآثرها يحويها تعاقب السنين والاعوام وغزواته كسرها اصلا الصلبان
والاصنام من اعظمها انه فتح القسطنطينية الكبرى وساق السفن تجرى اليها رحاها
برا وبحرا وهم عليها بخنوده وابطاله واقدم اليها بخيله ورجاله وحاصرها خمسين
يوما اشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار الفجار وسل على اهلها سيف
الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول وذاق باب النصر والتاييد وفتح
ومن قرع بابا ولج وتمكن على مر الصبر الى ان اتاه الله بالفرج ونزلت عليه ملائكة
الله القريب الرحيم بالنصر العزيز والفتح القريب ففتح اسلام بول فى اليوم الحادى والخمسين
من ايام محاصرته وهو يوم الاربعا العشرون من جمادى الاخره سنة تسع وخمسين
وثمانمايه وصلى فى اكبر كنايس النصارى صلاة الجمعة وهى ايا صوفيه وهى قبلة تستسمى
قبلة السما وتحاكى فى الاستحكام قبلة الاهرام ولا وهت ولا وهنت كما ولا لهما
كان ابراجها الافلاك ومسابرا بوابها نجوم السماك وابدلها الله سبحانه عن الظلمات
نورا وكسانها بنور الاسلام شرفا وعزا وحبورا الان استحال للصلاة والعبادة

والاعتكاف مقر الاستقرار قلوب العلماء والاصفياء والزهاد والعراف مستقر السلاطين
آل عثمان اهل العدالة والانصاف ابد الابدين ودهر الداهرين الى ان يرث الله الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين وقد اسس فى اسلام بول للعلم اساسا راسخا لا يخشى على
شمسه الافول وبنى بها مدارس كالجنان لها ثمانية ابواب سهلة الدخول وقنن قوانين
تطابق المعقول والمنقول ورغب فى طلب العلم الشريف وكسى الطالبين حلل القبول
بعد الخمول فجزاه الله سبحانه خيرا عن الطلاب ومحله بها اجرا وكرما له الثواب فانه
جعل لهم ايام الطلب ما يسد به فاقتهم ويكون بدا من حمام الفقرا فاقتهم وجعل لهم بعد ذلك
مراتب يرتقون اليها ويصعدون بالتمكن والان عنانها عليها الى ان يصلوا الى سعادة
الدنيا ويتوسلون بها ايضا الى سعادة الاخرى وانه استحلت العلماء الكبار من قاضى
الديار ونعم عليهم ونظر بالسان احسانه الغامر اليهم كمولانا على القوشجى والعالم
الطوسى والعالم الكورانى وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام فصارت اسلام
بول بهم ام الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمعوا فيها اهل الكمال من كل فن فعلما وها
الى الان اعظم واعلم علماء الاسلام واهل حرمها ادنى فطنة فى الانام وآثارها دول تهم
اهل السعادة العظام ولله ايضا قلم يدمن لا تحصى فى اعناق المسلمين لا سيما
العلماء الاكرمين قلدها اجيادهم فهى باقية الى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه وعدت
لسحبت بها مجلدات غفرا له ورحمه على قبره سحايب الرحمة والبركات وكانت
وفاته فى سنة ست وثمانين وثمانمايه فصل ثم ولى بعده السلطان
بايزيد خان بن السلطان محمد الغازى مولده سنة ست وخمسين وثمانمايه وجلس
على تخت السلطنة نا من عشر شهر ربيع الاخر سنة ست وثمانين وثمانمايه
وعمره اذ ذاك ثلاثون عاما وعمر انتان وستون سنة وهو من اعيان السلاطين
العظام تفرع من شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السما وتحدر من سلالة
الملوك الاكابر ووارث سرير السلطنة كابرا عن كابر زينت باسمه رؤس المنابر
وتوسمت بذكره صدور المنابر واستلت بمدايحه اولاده بطون الصحف والدفاتر
وافتتح الفتوحات وغزا فى سبيل الله اعظم الغزوات فمما افتتحه قلعة مروان
وقلعة كوكلك وقلعة اقاكرمان فى سنة ثمان وثمانين وثمانمايه وقاتله اخوه

والاعتكاف

السلطان جم بن زنا السلطان بايزيد لقتاله وتقاتلا فانهزم السلطان جم وفر الى
مصر وجى فى زمن السلطان قايتباى وعاد وكرمه السلطان قايتباى كرما
عظيما فذهب الى دمشق وجمع طايفة من الغواه ونازع اخاه على الملك فقاتله
السلطان بايزيد فانكسر جم ثانيا وفر الى بلاد النصارى سنة سبع وثمانين
وثمانمايه فارسل اليه السلطان بايزيد احد عبيده فى صورة حلاق فحمل فلما راه
السلطان جم تانس به وساله عن صنعته فقال حلاق فاتخذه وامران
يحلق راسه فحلق راسه بموسى مسموم وهرب فى الحال واثر السم فى راسه وسرى
الى بدنه فمات وله اشعار لطيفة بلسان التركى ومما فتح السلطان بايزيد من القلاع
العظيمة والحصون المحكمة القديمة قلعة متون وقلعة فرون وغير ذلك من
القلاع والحصون وظهر من بلاد العجم فى ايام شاه اسماعيل بن الشيخ حيدر ابن
الشيخ جنيد الصوفى فى سنة خمس وتسعمايه وكان له ظهور عجيب واستيلاء على
ملوك الاعاجم يعد من الاعاجيب وفتك فى البلاد وسفك دماء العباد واظهر
مذهب الرفض والالحاد وغير الاعتقاد من اهل العجم وصيره الى الاخلال والفساد
بعد الصلاح والعباد والسداد واخرب ممالك العجم وازال من اهلها حسن الاعتقاد
والله سبحانه وتعالى يفعل فى ملكه ما يراد وتلك الفتنة باقية الى الان فى تلك
البلاد وشرح ذلك يحتاج الى تاريخ مستقل ولا اعلم احدا تعرض لذكر من العلماء
الاعلام والاخيار فى نعت من اعيان كتبة الديوان الشريف ان السلطان بايزيد حذره
منجم حاذق من اهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما ولد له عدة اولاد
وكان تحذيره له قبل ان يولد السلطان سليم فطلب امراة معتمدة عنده وبيده
جواريه الموطوات وهى قابلة لمن تضع حملها منه وكانت من الصالحات الخيرات
الديانات فقال لها اذا وضعت احدى الجوارى بعد الان صبيا فاقتليه ولا تبقيه
حيا واذا ولدت انثى اتركيها تعيش مع بناتى واكد عليها غاية التاكيد فاستمرت على
ذلك الى ان ولدت السلطان سليم والدته فرات صبيا فحزنت عليه وتناولته القابلة
لتخفقه فرات صورة جميلة فرقت له وقالت فى نفسها باى وجه القى الله تعالى فى قتل
هذا الطفل المعصوم واسلا اقدم على قتله واقول لبايزيد بان حصل لبنت جميلة

حسنة

حسنة الصورة فلما اخبرت بذلك سماها سليمة واستمر على ذلك والحال ملكتوم لا يعلم غير
القابلة وصارت كلما كبرت وانتشا ظهر عليها سيماء الغلبة والقهر واذا اجتمعوا البنات وجلس
يمنهن لطم من الجانبة وضرب وتهب ما وجد بايديهن من ملعوبات الاطفال وكانوا
يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد فى يوم عيد الى داخل السراى وامر بالمكان فرش واستدعى
بنانة واجلسهن بين يديه وامران يوضع بين يدى كل واحدة منهن انواع الحلوى
والفواكه وحضرهن السلطان سليم واسمه سليمة فشرع فى غارتهن على عادتهن
وخطف ما بين ايديهن من الحلاوة والفواكه ووضع الكل بين يدى نفسه وكل خائف
منه ما بيات له فتجلى السلطان بايزيد لذلك وصار يتامله جدا وفى اثناء ذلك دار
حولهم يعسوب كبير اراد امسكه فجروا عنده وما يليق من يريد مسكه يتهابون منه فمد
السلطان سليم يده وما طار حوله فصاده بكفه ومزقه وخنقه وبهاه من يده
فازداد تعجى السلطان بايزيد منه وقال للنسا الواقفات هذا لا يكون بنتا اكشفوا لى
عنه فادارت القابلة وقالت نعم هذا صبى وليس ببنت فقال لها كيف خالفت امرى
وما قتليه فقالت خفت من الله تعالى رب العالمين وخلصت ذمتك وذمتى من
قتل معصوم لا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدر فهو كاين لا مفر عنه وامر بالكف
عنه وتربيته الى ان كان ما كان بتقدير الله تعالى والله اعلم وكان السلطان بايزيد من
المجاهدين الذين لا يزالون يقاتلون فى سبيل الله وعلى الحق ظاهرين وعلى من ناوئهم
منصورون ولمن شق العصا وعاداهم مجاهدون لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة
الذين كفروا هى السفلى فما زال غازيا فى سبيل الله مظفرا باعداء الله الى ان صارت
بيضة الاسلام بتيسوفر حمية محفوظة وحرمته وسكناه بعين عناية الله واعانته
منظورة بلحظه فكانت ايامه من احسن الايام واكرمها امنا وراحة لجميع قبلوات الانام
وكانت به كلمة الاسلام مجموعة وكلمة اهل الضلال والحاسدة ممنوعة وتولى الله سبحانه
على يديه اعزاز دينه واذلال طواغيت الشرك وشياطينه وكان محبا للخير وفعل
الخيرات ومثابرا على بذل الانعام والصدقات محبا للعلماء والمشايخ والاولياء
من اهل الكرامات بحيث دخل الخلوة وجلس الاربعين واتاه من مثل العلماء الناكلين
ودخل الخلوة معه والدمولانا ابو السعود افندى المفتى المفسر وهو الشيخ ياوى محى الدين

افندى وبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكيات والزوايا والخانات
ودار الشفا للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتى الاعظم ومن فى رتبته من العلماء
العظام فى زمنه فى كل عام عشرة الاف عثمانى ولكل واحد من مدرسى الثمانية من مدارس
والده السلطان محمد فى كل عام سبعة الاف عثمانى ولمدرسى شرح المفتاح لكل
واحد اربعة الاف عثمانى ولكل واحد من مدرسى شرح التجريد الفى عثمانى ولذلك
رتب لمشايخ الطريق ومريديهم واهل الزوايا لكل واحد على قدر مرتبته واستحقاقه
هذا غير كسوة الصيف من الاصواف ونحوها وغير كسوة الشتا من الفرو
والجوخ لكل واحد على قدر مرتبته وصار ذلك قانونا جاريا بعده مستمرا وكان
يحب اهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كثيرا ورتب لهم الصرر فى كل عام
وكان يحمل الى فقراء الحرمين الشريفين فى كل سنة اربعة عشر الف دينار ذهبا
يصرف بعضها على فقراء مكة وفقهائها وبعضها على فقراء المدينة المنورة وكانوا
يتوسعون بها ويرتفقون بها ويدعون له واذا ورد عليه احد من اهل الحرمين الشريفين
ينعم عليه ويحسن اليه ويرجع من عنده بصلة عظيمة ومرتب جزيلة ومن ورد عليه
فى شبابه خطيب مكة المشرفة الشيخ محى الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمن العراقى والشيخ
شهاب الدين احمد بن الحسين العليف شاعرا بليغا وفاضلا ونالا منه جزا كثيرا وصنف
العليف باسمه تاريخا سماه الدر المنظوم فى مناقب السلطان بايزيد ملك الروم ان يجلو
من فوايده لطيفة ومما نظم الشهاب العليف فى مدحه من قصيدة مطلعها

خذوا من ثنائى موجب الحمد والشكر ... ومن درر لفظى طيب النظم والنثر
منا فيا راكبا يسرى على ناقة ضامر ... الى الروم يهدى نحوها طيب النشر
لك الخير ان وافيت بروسا فبشرها ... بويد ان سطنبول سامية الذكر
لدى ملك لا يبلغ الوصف كنهه ... شريف المساعى بافق النهى والامر
الى بايزيد الخير والملك الذى ... حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
وجرد للدين الحنيفى صارما ... اباد به جمع الطواغيت والكفر
وجاهد فيهم فى الله حق جهاده ... رجاء لما يبغى من الفوز والاجر
له هيبة ملأ الصدور وصولة ... مقسمة بين المخافة والذعر

اطاع

اطاع له ما بين روم وفارس ... ودان له ما بين بصرى الى مصر
هو البحر الا انه دايم العطا ... وذاك لا يخلو من المد والجزر
هو البدر الا انه كامل الضيا ... وذاك طريف النقص فى معظم الشهر
هو الغيث الا ان للغيث مسكة ... وذا لا يزال الدهر ينهل بالقطر
هو السيف الا ان للسيف نبوة ... وقل وذا ما فى العزيمة فى الامر
سليل بنى عثمان والسادة الالى ... على مجدهم فوق السماكين والنشر
ملوك كرام الاصل طابت فروعهم ... وهل ينسب الدر يا را الى التبر
محوا الكفر بالسيف فاعتدت ... بهم حوزة الاسلام سامية القدر
فيا حبذا فاة الملوك مكارما ... فكل الى الحادى مكارمه بحرى
لئن فقتم فى رتبة الملك والعلى ... فان الليالى بعضها ليلة القدر
فدتك ملوك الارض ظرا لانها ... سراج وانت البدر فى غرة الشهر
تسامت عليهم رفعة ومكانة ... وذا تاوها وصافا بجل عن الحصر
لك العزة القعساء والهيبة التى ... قواعدها تسمو على منكب النسر
سموت علوا اذ دنوت تواضعا ... وقمت بحق الله فى السر والجهر
عدلت بك ارض الروم تزهو بهجة ... وترفل فى ثوب الجلالة والفخر
الست ابن عثمان الذى سار ذكره ... مسير ضياء الشمس فى البر والبحر
يمينك يروى عن عطاء ونايل ... ووجهك يروى فى البشاشة عن بشر
واتى لصوان لذرة قل يدى ... عن البذل الا فيك يا ملك العصر
فقائل يرعاك الله شكرى بمثله ... فانك للمعروف من اكرم الذخر
فلا زلت محروس الجناب مويدا ... من الله بالتوفيق والعز والنصر

ويحكى ان القصيدة لما وصلت اليه فرح بها فرحا شديدا وامر لصاحبها احمد العليف المذكور
بالف دينار ذهبا ورتب له فى دفتر الصرف فى كل عام ماية دينار ذهبا كانت تصل اليه فى
كل عام فصارت بعده الى اولاده وكان السلطان بايزيد عدة اولاد صار واملوكا وصار
لاولادهم اولاد امنهم السلطان جهان شاه والسلطان احمد والسلطان قورقود والسلطان
سليم والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه وكان اكبرهم واجدهم

واحمدهم واكملهم وارشدهم السلطان سليم شاه وكلهم اعلام الهدى ومصابيح الدجى ونجوما
لرجوم شياطين العدى نشأ واتى في عهد السلطنة وجرها ونموا بين سحرها ونحرها
من شجرة طاب عودها واعتدل عمودها فلان عرق ان يجود الجواد كاصله وتلوح مخايل
الليث على شبله والولد سر ابيه في شكله وفضله وكل شئ في الحقيقة يرجع الى اصله
وقيل ملوك بني عثمان منذ كان اصلهم كرام لهم في الكرمات مفاخر
اذا ولد المولود منهم تهللت لدالارض واهتزت اليه المنابر

ولما ترعرعوا وتبرعوا اخرجهم والدهم الى الصاجق العالية في بلاد الروم وانعم عليهم بالولايات
العظام وحفظهم ملك الاسلام وقلدهم الامور الجسام فحصل للاكبر اولاده السلطان
احمد مملكة اماسيا وما والاها وكان يتوقع منه ان يكون ولي عهده من بعده ويابى
الله الا ما اراد وانعم على ولده السلطان جهان شاه بمملكة قرمان واعمالها وولى السلطان
قورقد منشا وتوابعها وجعل لولده السلطان سليم مملكة دربازون وهو الذي جرى في
حلبة السعادة فنبى ما سبق في علم الله سلطنته فكان اولى من الجميع واحق واعطى
السلطان محمود معنيسا وعين لولده السلطان عبد الله مملكة الكفا وما يليها من بلاد
التتار وكلهم ملوك ابرار وسلاطين كبار وقيل

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يهدي بها الساري

واسعد به سبحانه وتعالى السلطان جهان شاه ومحمود واحمد بالوفاة في حياة والدهم
وكفاهم القتل والقتال وصار حال ما عدا السلطان سليم الى ما حال فرخ اسد اوليث
السادة الابطال وعوضهم عن سلطنة هذه الدار جنات تجري من تحتها الانهار
وكان والده السلطان بايزيد استولى عليه مرض النقرس وهو كبر مرضي الاعضاء وضعف
عن الحركة وترك السفر سنين متعددة فصار العسكر لبطرهم وكثرة راحتهم وسكونهم
يتطلبون سلطانا شابا قوي الحركة كثير الاسفار ليجاهد بهم في سبيل الله ويغنمون
من الكفار غنايم ويظفرون بانواع المغانم وراوا ان السلطان سليم اقوى على ذلك
لقوة جنانه وعلو شانه فمالوا اليه ومال اليهم وتوجه بالعطف والحنو عليهم
وخرج عليه والده محاربا وركب عليه مقاتلا ومحاربا فقاتله ابوه وهزمه
فولى فحاربه ثم عطف على والده ثانيا فلما راى ميل العسكر اليه واختيارهم له على

والده

والده واجتماعهم عليه ورای السلطان بايزيد توجه اركان الدولة الى السلطان سليم واشاروا
عليه ورزاوه ان يفرغ عن السلطنة لابنه سليم بقلب سليم ويختار التقاعد في ادنه
في عزة وتعظيم وبر حموا في ذلك عليه فلما راى بدا من اجابتهم الى ما سالوا وموافقتهم الى
ما طلبوا منه واملوا فطلبه الى حضوره وعهد اليه بالسلطنة ويوجه اليه التخت
ثم توجه هو مع خواص خدامه الى ادرنه فلما وصل الى قرية جورلو انكسر زجاج مزاجه
وعجز الاطباء عن علاجه وسقاه ساقي الحمام كاس اجله المحتوم فسلم الى قابض
الارواح روح المرحوم واقدم على اسكى العقوم فرزق مرتبة الشهادة ونال بها
اعلى مرتبة السعادة وانتقل من الملك الذليل الفاني الى الملك العزيز الباقي
وذلك في سنة ثمانية عشر وتسعمايه **فصل** ثم ولي بعده ولده السلطان
سليم الاعظم كاسر ملوك الكاسرة البعم وفاتح اقليم مصر وساير ممالك العرب طيب
الله ثراه وجعل الجنة ماواه كان مولده في اماسيه سنة ثلاث وسبعين وثمانمايه
وجلس على تخت السلطنة وعمره ست واربعون سنة وكانت مدة سلطنته
تسع سنين وثمانية اشهر وكان جميع عمره اربعا وخمسين سنة لم يعمر اكثر من
ذلك ولم تطل مدة سلطنته لانه كان سفاكا كثير القتل ولهذه عادة الله سبحانه
وتعالى في السلاطين والامراء والحكام اذا اكثروا من السفك للدما وكان سلطانا قاهرا
متكبرا جبارا قوي البطش عظيم القتل كثير السفك كثير التفحص عن اخبار الناس شديد
التوجه الى اهل النجدة والباس عظيم التجسس عن احوال الممالك عارفا بمسالك
الطرق وسلوك المسالك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس في الليل والنهار
ويطلع على الاخبار ويستكشف الاخبار والاسرار وله عدة مصاحبين يدورون
تحت القلعة وفي الاسواق والجمعيات والمحافل وممن سمعوا به ذكروه له في
مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما يسمعه بعد الوثوق بهم وقد ادركت جماعة من
مصاحبيه المذكورين وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم معهم ولطف
معاشرته لهم وتغزله في اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية
بحيث فاق فيه فصحاء الطايفتين ورايت بالعربي بخطه بيتين كتبهما في علو المقياس
في الكشك الذي امر ببنايه لما افتتح مصر وسكن الروضة قد تمحى لطول الزمان مدادهما

ومال الى اللون البياض سوادها وكان هذا الكشك محرما مقفلا لا يدخل اليه احد لعظم بانيه
ولا يبتذل بالدخول اليه تعظيما لما عيه فدخلت الى مصر فى سنة ثلاث واربعين
وتسعمايه وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكشك لصاحب مصر يومئذ خسرو باشا
وكنت مصاحبا لمعلمى مولانا عبد الكريم العجمى فطلع اليه واطلعنى معه فى صحبة خسرو
باشا المذكور فرايتهما مكتوبين على الرخام الابيض وهما

الملك لله من يظفر بنيل منى ... يردده قسرا ويضمن عنده الدركا
لو كان لى او لغيرى قدر انملة ... فوق التراب لكان الارض تشتركا

وتحتهما ما صورته وكتبه سليم بذلك الخط وذلك القلم ولعمرى ان كان هذان
البيتان من نظمهما غاية فى البراعة ونهاية فى التمكن من الصناعة فيدل على تمكنه
فى لسان العرب ايضا لانهما من اعلى طبقات الشعر العربى الفصيح البليغ المنسجم وان
كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه مرتبة عالية فى حسن التمثيل ولطف الاستشهاد
وفهم الاشعار العربية وشدة ذوقه بها وهذا القدر يتعظم ويستكثر على علماء
الروم وعظماء العجم الكليين على الاشتغال بعلوم العربية فضلا عن سلاطينهم
المشغولين بضبط الممالك وفتحها والغايتون فى ذوق الشعر العربى وحسن ادابه
من العلماء والموالى فى غاية القلة معدودون منهم ولا يعد هذا نقصا فيهم لان فهم
الشعر العربى على وجهه وذوقه كما ينبغى قليل ايضا فى علماء العرب الا من توغل منهم
فى علم الادب وتعب فى تحصيله ودأب وقيل

وقد كانوا اذ عدوا قليل ... وقد صاروا اقل من القليل

ثم لما استولى السلطان سليم على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده عزم الى قتال
اخيه السلطان احمد ففر لهيبة السلطان سليم عسكره وبقى فى عدد قليل فاخذ
اسيرا واتى به الى السلطان سليم فامر بخنقه فى تاسع صفر سنة تسعة عشر
وتسعمايه **فصل** ثم ولى فرقة الى كهف جبل واراد الهروب منه الى
بلاد سيحتى فعرف مكانه ومسك وجئ به اليه فخنقه ايضا وكذلك فعل بجميع
ابن السلطان جهان شاه وعثمان بن السلطان غلام شاه ومصطفى واورخان
وسليمان اولاد السلطان محمود وسبعة من الاولاد كلهم رضع فى المهد خنقهم

ليلة

ليلة واحدة فى بروسا فكانت ليلة سلات الدنيا بكاء وعويلا وصراخا ومأتما طويلا
بكت فيها حتى الحجارة يتفجر منها مدامع الانهار وتشقق بكاؤها حتى كاد ان يكون بكاء
ولطم الخدود حتى تشقق الى ان احمر ثم اسود ولبس حتى الديل ثياب الحداد
وتعمم بالاسود وكان امرا قدريا مقدورا وسيف الفنا بيد القضا ماضيا
شهورا وقيل فلا المغزى بيا قا بعد ميتة ... ولا المغزى وان عاشا الى حين
ولما استقر السلطان سليم على سرير الملك وهيمات بين الاستقرار واتى له
ذلك والملك له الواحد القهار وجلس على الكرسى وزال الدمار وبث على
تخت السلطنة والى له الثبات والقرار شرع فى قهر المملوك واخذ الممالك
والاستيلاء على الاقاليم والبلدان والمسالك فبدا بقتال شاه اسمعيل ابن
حيدر الصوفى فانى لم اظفر بكتاب فيه تفصيل ذلك وانما ملقتطة من افواه
الرجال **الفصل الاول** فى قتاله وانكساره لما وصلت اخبار شاه اسمعيل
الكريه وما هو فيه من الالحاد وقتل اهل السنة وحرق مصاحفهم ونبش قبور اقمم
وحرق عظامهم لسلطان سليم تحركت فيه قوة العصبية واقدم على نصر
السنة السنية وعد هذا القتال من اعظم الجهاد وقصد ان يمحو من العالم
هذه الفتنة وهذا الفساد وينصر مذهب اهل السنة والجماعة على مذهب
اهل البدع والالحاد ويابى الله الا ما اراد فتهيا السلطان سليم بخيله وعسكره
المنصور ورجاله وسافر لقتال الشاه واقدم على جلاده وجداله وماتوا بحر
الخميس العرمرم ويصول بسيف عزمه ويقدم ويتقدم الى ان نزل فى العراق
بقرب تبريز وفرت السلطان سليم عسكره وطلب من الله سبحانه ونعالى الفتح
القريب والنصر العزيز فتحالد الفريقان وتحادل الجيشان وتطاير الفرسان
ولهم يهدرون كالبحاتى العوالج فوق البحور المواليج وتصادمت فرسان الزحف
والصيال وتقادم اطواد الجبال وصارت بحوم الابطال رجوم البطل
والقتال فزلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وخيلت المعركة
سماء غمامها القسطل وضواعقها بروق البيض من بريق الصيقل ورعودها
صليل السيوف فى اعناق المحفل وغيومها صبيب الدم من اوداج رؤس

بخز وتفصل واجار المدافع كجلود صخر حطه السيل من عل الى ان طارت قلوب العدى هوا
وذهبت قواهم هبا وولوا على ادبارهم اديارا وانهزم شاه اسمعيل فرارا وولى
ولم يجد له من دون الفرار انصارا وقتل
وضاقت الارض حتى كادت بهم ان لو راى غير شئ ظنه رجلا
وقتل غالب جنوده وامرايه وساقت العساكر الغنائم من ورايه وكادوا
ان يقبضوا عليه ففر من بين ايديهم وهم ينظرون اليه وترك ما تحوله من
الاثاث يحمله وتحمله وكان شيا كثيرا فاغتنمه عسكر السلطان سليم ووطيت
حوافر خيله ارض تبريز وبنى فيها وامر وقتل من شاء واسر واعطى الرعية تمام الامن
والامان ونشر فيها اعلام اهل الايمان واخذ من اراد منها من الفضلاء الا افاضل
والمتميزين في الصنايع والفضايل والشعراء الاماثل وساقهم سركنا الى اسلامبول
على القانون واراد ان يقيم في تبريز للاستيلاء على اقليم العجم والتمكن من تلك
البلاد على الوجه الاتم فما امكنه ذلك لكثرة الخطط واستيلاء الغلا بحيث بيعت
العليقة بما يتي درهم ورغيف بمايتي درهم وسبب ان القوافل التي كان اعدها
السلطان سليم لان تتبعه بالميرة والعليق والمون تخلفت عنه في مكان
الاحتياج اليها وما وجد وا في تبريز شيا من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل
لما هرب وانكسر امر باحراق اجران الحب والشعير وغير ذلك فاضطر السلطان
سليم الى العود من تبريز الى بلاد الروم ويتركها خالية خاوية على عروشها ثم تفحص عن
سبب انقطاع القوافل فاخبر انه من الغوري فانصوه سلطان مصر فانه كان
بينه وبين شاه اسمعيل محبة ومودة ومراسلات بحيث انه كان يتهم بالرفض
بسبب ذلك فلما ظهرت للسلطان سليم ان الغوري هو الذي امر بقطع القوافل
عنه صمم على قتال الغوري اولا وبعد الاستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجه الى
قتال الشاه ثانيا فلما استقر ركاب السلطان سليم في تخت مملكة تهيأ لاخذ
مصر وازالة دولة الجراكسة عنها فتوجه بعسكره الجرار الى ناحية حلب سنة
اثنين وعشرين وتسعمايه فخرج الى قتاله الغوري بجميع عساكره من الجراكسة
وغيرهم وتلاقى العسكران بقرب حلب بمرج دابق وكان الغوري يتوهم ويجال

على نفسه من خيربك ومن جان بردي الغزالي وكانا يكرهانه في الباطن ويكرههما كذلك
فامرهما ان يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما حجابا امامه ووقف
الغوري بخواص عسكره الذي يعتمد عليهم من الجلبان الذين ازداد ان يقدمهم خلف
خيربك والغزالي وقصد بذلك ان يقتل البنادق والزربزانات في اول رمية ثم يسلم
هو ومن بعده من الجلبان وتغطس خيربك والغزالي لذلك وكانا ارسل الى السلطان
سليم وطلبا منه الامان وتوثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل
السلطان سليم لهما بالامان وعهد لهما بما يطيب خاطرهما وان يوليهما مملكتي مصر
والشام فقبل ذلك منه ووافقاه عليه قبل القتال فلما تلاقى في العسكران
واضطربت الميزان من البنادق في مرج دابق فر خيربك بمن معه من خواصه
وجلبانه في القلب واطلقت نيران البنادق والزربزانات فهلك من هلك
وهرب من هرب لا يدري اية سلك وانقلب النهار ليلا مظلما بالدخان وامتلا
وجه تلك الارض بشعل النيران وعار الغوري تحت سنابك الخيل ومحانون
العدل ظلام الظلم كما يحول النهار الليل وذهبت ظلمات الجراكسة كانهم هباء منثورا
واكلت اسلحة قتلاهم الوحوش والطيور كان لم يكونوا شيا مذكورا واقتدت رايات
السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء وقد احرجت من اسالة الدما فطلب اهلها منه
الامان والتسليم فاجابهم الى المعقول لطفا وكرما فخرجوا الى لقايه بالمصاحف والاعلام
وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقراون قوله تعالى وما هيت اذ هيت ولكن اسرى
فقابلهم بالاجلال والاكرام وافاض على كواهلهم خلع اللطف والانعام وتصدق
بالصدقات الجليلة على الخاص والعام وحضرت صلاة الجمعة فخطب الخطيب
باسمه الشريف ودعا له ولابايه وبالغ في المدح والتعريف وما قيل
وما زاده الالقاب فخرا او سودد الا باطناب ذي مدح واكثار مادح
وعند ما سمع السلطان سليم الخطيب يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين
سجد سجدة شكر وقال الحمد لله الذي يسر لي ان صرت خادم الحرمين الشريفين وانعم
جزا جميلا واحسانا جليلا لاهل الحرمين الشريفين واظهر الفرح والسرور والبشر
والحبور بتلقبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو

اليمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقي الغوري بمن معه من

على المنبر واحسن اليه احسانا كثيرا بعد ذلك واقام بحلب اياما يسيرة وهو يمهد الملك
ويجرى احكام العدلة والسياسة ويحس الى العرب ثم ارتحل بالجيش المنصور الى ان
فرغ اهل الشام الى لقايه وطلبوا منه الامان واللطف والاطمينان فاجابهم الى ما
سالوه وبسط لهم ما طلبوه واملوه فقبلوا الارض بين يديه وباتوا في الدعاء
والثناء عليه فخلع على من يستحق التشريف خلع الرضا والاكرام والبسهم الشعار
الفاخرة كل بحسب حاله واستحقاقه للانعام ودخل الى الشام بموكب الكريم واقام
به لتمهيد امور المملكة برايه الشريف القويم وخطب له الخطباء فخلع عليهم واكرمهم
واحسن اليهم وقابل الناس بوجه ضاحك ووجه متهلل سرورا وجبر بخاطر العزيز
الارجاء صيانة ونورا ثم امر بعمارة تربة الشيخ محى الدين بن عربى رحمه وربت عليه
اوقافا كثيرة وعمل له مطبخا يطبخ فيه الطعام للفقراء وجعل عليها متوليا وناظرا يجمع
الريع ويصرفه على جهات الخير وتكره من اعظم الانظار في بلاد الشام الى الان وما
يسر الله اجرا مثل هذا الخير العظيم لاحد من ملوك الجراكسة ولا من كان قبلهم ولا
شك ان روحانية الشيخ رحمه الله التي جلبت السلطان سليم الى السلطنة بلاد العرب
وحصل له الامداد العظيم والبركة والنصر والتاييد في حصول ما اراده وطلبه وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم واستقر السلطان سليم بارض
الشام الى ان مهد امورها وضبط حصونها وقصورها ثم توجه الى افتتاح اقليم
مصر ودفع البوس عنها والاضرار فلما وصل الى خان يونس قتل به الوزير المعظم
حسام باشا وكان من اهل الخير وله عمارة في اي شهر يخرج منها الطعام للمسافرين
دايما واستقر السلطان سليم متوجها الى مصر فوصل الى غزة ثم عدل عنها لمعرفته
الى زيارة القدس والخليل في نفر قليل بقصد الزيارة فاحسن الى اهل القدس والخليل
وعاد الى عسكره وسار فصار كلما مر ببلدة او قرية او قصبة في طريقه احسن الى
الرعايا ونظر بعين العدلة والاحسان الى البرايا وازال عن الضعفاء ظلم الظالمين
ونشر العدل في العالمين وفر بقية الشوف من الجراكسة الى مصر وولوا عليهم
الدوادار الكبير مقدم الف طومان باى ولقبوه بالملك الاشرف واجتمعوا عليه
والقوا مقاليد سلطنتهم اليه وساروا بوكبهم بين يديه وجندوا الجنود وعقدوا

الالوية

الالوية والبنود وبرزوا الى المرجانية خارج مصر ونصبوا المدافع الكبار وملوها بالبارود
والاحجار وهيأوا ما يطلقوها اذا اقبلت العساكر العثمانية فلما اجرهم الجواسيس
بذلك عدلوا عن مسيرهم وجاوا من خلف جبل المقطم من وراء عسكر الجراكسة ويرموا
بالمدافع والكحاحل والزربزانات واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن ياتي من امام
المرجانية بلا نفع ولا دفع وقال الاشرف طومان باى ومن بيت معه من امراء
الجراكسة قتالا قويا واظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وسهد له المصاف وهو
يغوص في العسكر ويحمل ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم في ذلك اليوم
سنان باشا واسف السلطان عليه ومن جملة نكاته انه قال عند ما اخبر بهروب
عسكر الاعدا واخذ مصر وقتل سنان باشا اني فايقة في مصر بل يوسف ووجده
النكتة ان يوسف يلقب سنان في عرفهم وبعد ان ثبتوا ساعة انكسروا فهربوا وتفرقوا
وتشتتوا وتمزقوا وهرب طومان باى الى البر ونزل على شيوخ عربان بني حرام عبد الدايم ابن
بقر ودخل السلطان سليم الى مصر ونزل في ساطها في الجزيرة الوسطانية وطاف عساكره
بالبلدان وامنوا الناس وازالوا عنهم الخوف والباس ما عدا الجراكسة فانهم اذا ظهروا بهم زرطوهم
واتوا بهم الى السلطان سليم فيامر بضرب رقابهم وترمى جثثهم في بحر النيل وتجمع رؤوسهم اكواما
الى ان عفنت الجزيرة بروايح القتلى وعفونة رؤوسهم فانتقل السلطان سليم الى العباسية وامر
ان يبنى له في علوة كشكا عاليا سكنه مدة مقامه بمصر هربا من العفونة من اشلاء القتلى
ثم ان شيخ العرب عبد الدايم بن بقر تقرب الى خاطر السلطان سليم وسلم اليه الاشرف طومان باى
اسيرا فانعم عليه بالخلع والتشاريف وان نعامات السلطانية وجلس طومان باى عنده واراد
ان يكرمه ويجلسه عنده بصدر ايوان عمها الى الهروم وصار يحضره معه في مجلس الصحبة ويتحدث
عن الامور والاحوال فارجف اهل مصر عن طومان باى انه لم يقع في الاسر وانه اختفى وانه
يجمع عسكرا وينتهز الفرصة وانه شجاع لا يطاق ولا يقدر احد على مسكه فبلغ السلطان
سليم الرجيف وراى ان الفتنة لا تسكن ما دام طومان باى محبوسا فامر ان يركب على بغلة
ويحف بالعسكر من الينكجارية ويمضى به الى باب زويله ويصلب فيه ليراه الناس باعينهم
ويعتقدوا بانه مسك فصلب على باب زويله لاحد عشر ليلة خلت من شهر ربيع
الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمايه ثم ولى القضاة الاربعة بمصر وهم قاضي القضاة

كمال الدين الطويل قاضي قضاة الشافعية وقاضي القضاة نور الدين علي بن ياسين الطرابلسي
قاضي قضاة الحنفية وقاضي القضاة الديري المالكي قاضي قضاة المالكية وقاضي القضاة
احمد البجائي قاضي قضاة الحنابلة **فصل** وولى خير بك على مصر وولى الغزالي على
الشام كما وعدهما بذلك ومهد الامور وسار الى الاسكندرية وعاد من مصر الى تخت مملكته
القسطنطينية العظمى في يوم الخميس لخمس يقين من شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعماية
واخذ معه كثيرا من اعيان مصر كما الى الروم كما مر وقانونهم ووصل الى تخت ملكه ومقر سلطنته
مظفرا منصورا وشكر استجابته وحمده على نصرته وتاييده وكان عبد اشكور قد فقد
خزانيته فوجدها قد انصرف غالبها في سفر قزلباش وسفر مصر ولعن الخزاين مما جمعه
اسلافه فلما اراد سفرا تالنا الى بلاد العجم لقطع جادة طايفة الرافضة راى ان باقي من
خزاينه لا يفي بتلك المصارف فتاخر ليجمع من خراج البلاد قدر ما يفي بالمراد وبابى الا
اراد وقيل ما كمل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
وظهر في الثانية ظهره جراحه منفتقة الراحة وحرمته الاستراحة وعجزت عن علاجه
حذاق الاطباء وتحيرت في ذاته عقول الالباء وعظم الجرح وكبر القرح واتسع الخرق
والتهب الحرق وكانت توضع الدجاجة في جرحه فتذوب بحر قوحه وشوكت مقاتل
اكباده في جوفه من خلف ظهره وانشبت المنية اظفارها فيه فما نفعته العمايم
والرقى وفدى بالاموال والارواح فما قبل الفداء وقيل

ولو قبل الفداء لكان نفدى ... وان حل المصاب عن الفداء
ولكن المنون لها عيون ... تكل لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر انت اصبت قاتل ... برغم بنيك انواب الحداد

فقضى نحبه ولقي ربه ومضى سليم بقلب سليم قادما على الله الكريم الغفور الرحيم
وتوا مقعده من سرير الملك نخلة الوارث السعيد كذلك يوتي الله الملك من يشاء
وينزع الملك ممن يشاء وما الفعال لما يريد وكانت وفاته في سنة ست وعشرين
وتسعماية **الفصل الثالث** في بيان ما عمره السلطان سليم في الحرم الشريف وبعض
احسانه الى اهل الحرمين الشريفين في ايام سلطنته كان كوالده كثير المحبة لاهل الحرمين
الشريفين حسن الالتفات اليهم كثير الاحسان والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية

التي كان يعزمها لهم والده ويكرم من قدم عليه منهم اتم اكرام ويحسن اليهم اعظم احسان واسعا
فوصلت صدقاته الرومية ووصل معها دفتر الصرة على حكم ما قدره والده لاهل الحرمين
الشريفين في اول سنة ثماني عشر وتسعماية وتضاعف له الدعاء بالحرمين
الشريفين وسافر اليه جماعة منهم من اهل مكة المشرفة الخطيب محي الدين العراقي فحصل منه
انعام جزيل وحبر جميل ورتبه له في دفتر الصرة دينارا ذهبا وفرح بمن قدم عليه من
المجاورين وانعم على كل واحد على حسب حاله وكان يرسل الصدقات الرومية كل سنة فلما
افتتح مصر وجدها من قضاة مكة المشرفة قاضي القضاة صلاح الدين بن محمد بن ابي السعود
ابراهيم بن ظهيرة وكان الغوري حبسه بمصر من غير ذنب بل لكظم فيه وما خرج بعساكره
من مصر الى حرب دابق اطلق كل من في حبسه من ارباب الجرايم الا القاضي صلاح الدين
فانه ابقاه في الحبس فلما انكسر وقتل في حرب دابق توجه طومان باي الى الحبس واطلقه
فلما وصل السلطان سليم الى مصر جاء اليه القاضي صلاح الدين فاكرمه وعظمه وخلع
عليه وجهزه الى مكة المشرفة معززا مكرما ومامع الاحسان اليه وكان بمصر جماعة
من المجاورين احسن اليهم كلهم واكرمهم وولى اماثة بندر جده لتاج اسمه الخواجا قاسم
الشرواني وكان مقيما بمكة المشرفة ثم سافر الى مصر فصادف دخول السلطان سليم
الى مصر فخدمه وتقرب الى خاطره فارسله الى مكة المشرفة اميناً في بندر جده امينا
عليها واميرا فوصل اليها وتمكن من البندر وارسل السلطان سليم من امراء الى مكة
المشرفة الامير مصلح الدين بيك بالصدقات الرومية وبكسوة الكعبة الشريفة
ومحمل شريف رومي فوصل في صحبة امير الحاج المصري المقر الغلاي بالمحمل الشريف
المصري على العتاد وبرز السيد الشريف شريف مكة المشرفة يومين السيد بركات
بملاقاة المحملين الشريفين الى سبيل الجوحي هو وولده السيد الشريف جمال الدين
محمد ابو نمي ولبس الخلع الشريفة السلطانية وسار امام المحملين الشريفين المصري
والرومي باعلام مهما وطبولهما واستمر في ذلك الموكب الى ان فارقا المحملين وامير
الحاج والامير مصلح الدين من عند باب السلام وادخل المحملان الى الحرم الشريف وضعا
على يمين مدرسة الاشرف قايتباي ونزل الامير مصلح الدين في مدرسة الاشرف
قايتباي ونزل امير الحاج المصري في مجمع البرقيه على يمين الخارج من باب الصفا

وهو باب رباط صاحب جبه كلبرك من ملوك الدكن وقد هدمت الان مع باقي ذلك الجانب
من البيوت والمدارس المحاذية لجدار الحرم الشريف توسيعا لطريق السيل ودفعا لضرر
دخوله الى المسجد الحرام من ذلك الجانب اذا اركم السيل وكان هدمها بامر السلطان
سنة اربع وثمانين وتسعمايه ووفرت الصدقة الرومية في يوم الجمعة لاربع
مضين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وتسعمايه في الحرم الشريف على الفقهاء وقراء
الجماعة من المجاورين لكل شيخ حمسمايه دينار ذهب منهم القاضي نور الدين حمزه بن القاضي
مصطفى القرماني والقاضي زين الدين علي القرماني وقرر باسم السيد الشريف ابي نمي
حمسمايه دينار في اول دفتر الصدقات باقية الى الان باسم السيد الشريف يقبض
له في كل عام ويفرق بعد ذلك الى اجراه وهي صدقات كانت تجهز من خزينة مصر من
قبل ملوك الجراكسة ابقاها السلطان سليم على حالها واجراها في كل عام من خزينة مصر
تفرق على فقراء الحرمين الشريفين وعلى مشايخ العرب ارباب الدهك في طريق الحج
وهي باقية مستمرة الى الان وفرقت الصدقات المصرية التي تحمل من اوقاف الحرمين
الشريفين بمصر وتحمل الى الحرمين الشريفين ويقال لها الصرة الحكمي وهو ايضا باق الى الان
ولكنه تفرقه وضعف وصار يصرف على حكم الربع والخمس لضعف الاوقاف المصرية
واستيلاء الاكلة عليها ودخول الظلمة فيما اجيي آسه من احيا ما واني حياة من عمرها وثمانها
وبعد الفراغ من توزيع الصدقات قريت ختمة شريفة في الخطيم الشريف حضرها الامام
والقضاة والفقهاء والاعيان باسم السلطان سليم واهديت الى ضحايعه ثوابها وقرر
للامام مصلح الدين ثلاثين نفرا يقرا كل واحد منهم جزءا في كل يوم ختمة كاملة يهدي
ثواب ذلك الى السلطان سليم وقرر لهم مفرق الاجزاء داعيا وحافظا للاجزاء وجعل
لكل واحد منهم اثني عشر دينارا ذهبا في دفتر الصدقات الرومية تصل اليهم في كل عام
جمع طايفة من الفقراء واعطى لكل نفر ثلاثة دنانير ذهبا سماها المتفرقة وكتب اسماهم
في الدفتر ثم كتب بيوت فقهاء مكة المشرفة وكتب اسامي من في البيت وعين لكل نفر
منهم ثلاثة دنانير ذهبا والحق ذلك في دفتر الرومي وسماها البيوت وهي باقية الى الان
ثم كتبت على الفقراء المجمعهم في حوش كبير واعطى لكل واحد ديناريين ذهبا وسماهم العامة وكتب
اسماهم والحقهم بالدفتر وبعد الترتيب كل باق الى الان ونوابه لمن اسس بعده الخيرات

جاريا

جاريا في صحايف حسانة الى يوم القيمة ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى النويري خطبة الروية
في سابع ذي الحجة وفي ظهر اليوم الثامن توجه الناس الى عرفات وتوجه الامير مصلح الدين
بالمحمل الروي وتوجه امير الحاج المصري بالمحمل المصري الى عرفات وصلوا في اليوم التاسع صلاة
الظهر والعصر جمعا بينهما بعد الزوال بعد ان خطب الخطيب في مسجد نمرة ثم سرعوا في
الوقوف في ذيل جبل الرحمة وخطب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهيرة امام الموقف
الشريف خطبة عرفة ووقف بين يديه الامير مصلح الدين بالمحمل الروي وامير الحاج
المصري بالمحمل المصري ولم يصل في ذلك العام المحمل الشامي ودعى الخطيب للسلطان سليم
وكذلك سائر الحجاج وافاض الامام وافاض الناس معه وكانت الوقفة يوم الاربعاء
وباتوا بالمزدلفة ثم افاضوا بعد فجر يوم النحر الى منى ونزل شيخ الكعبة الشريفة من منى
في يوم النحر ونزل معه الامير مصلح الدين وكسى البيت الشريف باسم السلطان سليم
ورمى الناس جمرة وتوجه امير الحاج المصري بالمحمل الشريف وتاخر عنه الامير مصلح الدين
لاتمام بعض الامور السلطانية وانفاذها ولايصال الخيول والاحسان الى الفقراء واستخلف
الدعاء من الصلحاء بنصرة السلطان سليم ودوام سلطنته وفي ليلة الجمعة في اواخر ذي
الحجة الحرام طلب بعض الاولياء الصالحين والعلماء العاملين منهم الشيخ عبد الكريم بن الشيخ
ياسين الخضري والشيخ عبد الله بن احمد باكير الخضري وشيخنا الشيخ محمد بن عبد الرحمن
الخطاب المالكي وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي والشيخ ايوب
الازهري وجماعة من الصلحاء واحضر لهم دوابا يركبونها الى التنعيم عند مسجد السيدة
عايشة رضي الله عنها وركب معهم واشار عليهم ان يعتمروا عن والده السلطان سليم فاحرم
كل واحد منهم بالعمرة عن الرحومة ولبى عنها وعاد الى الكعبة الشريفة فطافوا وسعوا
وحلقوا ثم اهدوا ثواب تلك العمرة الى ضحايعهم ثم احتسى السلطان سليم اليهم وربت لهم
الصرة في دفتر الصدقات فذهبوا لمحالهم ثم وصل من بندر السويس الى بندر جده سفاين
سمارية فيها حبوب للصدقات السلطانية لاهل الحرمين الشريفين حمدا لله
الامر اخيرا بتاب السلطنة الشريفة بمصر بامر السلطان سليم وفي سبعة الاف
اردب حب منها الف اردب حب لاهل المدينة الشريفة وخمسة الاف لاهل مكة المشرفة
ووصل الامر الشريف السلطاني ان يوزع ذلك الامير مصلح الدين فجلس في الحرم الشريف

وطلب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي والقضاة الثلاثة الحنفي
والمالكي والحنبلي ونايب جده الامير قاسم الشرواني وبقية الفقهاء والاعيان
وقرا عليهم المرسوم السلطاني واستشارهم في توزيع ذلك فذكروا انه لابد من عرض
ذلك على شريف مكة المشرفة السيد بركات واخذ رايه في ذلك فارسلوا اليه
ساعيا وكتبوا له صورة الامر الشريف نستدعوا رايه العالي في ذلك فكتب
اليهم الجواب بالمبادرة الى امتثال الامر الشريف السلطاني وان يوزع ما وصل
من حب الصدقات الشريفة على المستحقين بحسب اتفاق الاراء من اعيان اهل
المجلس واجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب واتفقوا رايهم على بيع شئ من ذلك
الحب ليصرف في اجرة نقله من جده الى مكة المشرفة وبان يكتب اسامي الناس على
العموم ويصرف الى كل واحد ما يخصه من الحب وما يخصه من ثمن ما باعوه بعد
استيفاء المصالح وامر شيخ الاسلام الصالحي ان يباشر كتابة دفتر ذلك ورتم اسامي
الناس الشيخ زين الدين الحاوي الشاهد العدل كبير الشهود العدول في باب
السلام المكي فكتب بيوت كل محلة من الانفار رجال ونساء واطفال وخداما ما
عدا التجار والسوقة والعسكرية فكانوا اذ ذاك اثنا عشر الفا فخص كل نفر
ستة ارباع بمكيال الربع الكبير الذي هو ربع كيل عن اربعة وعشرين قدحا بالكيل المصري
المستعمل الان وان يدفع مع ذلك لكل نفر دينارا ذهبا فوزع ذلك جميعه على
هذا الوجه ثم جعل كل واحد من القضاة الاربعة ثلاث اراديب فزيد في اسماء
بعض اهل البيوت بحسب الاعتناء بشان كبير البيت وبهذه الصدقة اول
صدقات الحب السلطاني واستمرت الى الان وتزايدت على ما كانت بحيث صار
فقهاء مكة المشرفة والمجاورون يعتمدون بوصول ذلك الحب اليهم اما في جميع
السنة او اكثرها فلو فقد واذ ذاك والعياذ بالله هلكوا وكذلك يترقبون مجئ
الصدقات الرومية وغيرها مما كان سبب الانعام بهم سلطان آل عثمان خصهم
الله تعالى وخلد ملكهم السديد وطوق قلائد احسانهم العتيد اعناق خدام الدعاء
لهم من الاحرار والعبيد الى اخر الزمان وانقضاء الدوران وقيل

اقامت في الرقاب لهم ايادٍ ... هي الاطواق والناس الحمام

فجر

فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى اهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة
آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدى الزمان فان دولتهم هي عماد الاسلام واحسانهم
متواصل الى كافة الانام سيما جيران بلد الله الحرام وجيران بيته الاطهر على افضل
الصلاة واتم السلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة في ايام هذه الدولة الزاهرة
وحازوا من الصدقات المتكاثرة في هذه السلطنة القاهرة مالم يتصوروه من
الدول الماضية الغابرة فالله سبحانه وتعالى يديم علينا سلطانهم كما دام علينا معشر
المسلمين بركاتهم وبرهم واحسانهم امين

فصل ومما حمده الامير مصلح الدين
المذكور بناء مقام السادة الحنفية فانه كان مستقفا على اربعة اعمدة في صدره
محراب عمل في سنة احدى وثمانماية فاراد ان يوسعه ويجعله قبة فامر بعقد
مجلس حضره قضاة الاربعة والائمة والعلماء والاعيان وقال لهم ان الامام الاعظم
ابا حنيفة النعمان رضي الله عنه جدير بان يكون له في هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه اهل
مذهبه ومقلدوه يكون اوسع من هذا المقام فذكر بعضهم انه لا شك في عظم كل
واحد من الائمة الاربعة رضي الله عنهم غير ان تعدد المقامات في مسجد واحد باستقلال اهل
كل مذهب بامام ما اجاره كثير من العلماء وان تعدد هذه المقامات في وقت واحد ربما
انكره العلماء غاية الانكار في ذلك العهد ولهم في ذلك العصر رسالات متعددة باقية
بايدي الناس الى الان وان علماء مصر افتوا بعدم جواز ذلك وخطوا من قال بجوازه
ثم انفض المجلس على غير اتفاق ثم ذكر القاضي بديع الزمان بن الصيا الحنفي ان جده
القاضي ابا البقاء بن الصيا افتى بجواز ذلك فشرع الامير مصلح الدين في اتمام ما قصده
وهدم تلك البقعة ووسع المكان وعمل قبة قبالة قبلة من الحجر الاصفر والاحمر
الشيسي واحرف على ذلك ذهبا كثيرا واستقر مقاما يصلي فيه امام الحنفية بالحنفيين
الى ان عزله الامير خوش قلدي امير جده وهدم القبة وبنى المقام مربعا واطمئن
جعل الطبقة العليا للملكين ليتصل ازعاجهم الى سائر المسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو
باق الى الان على هذا الحكم ثم بعد الفراغ من بناء البقعة المذكورة توجه الامير مصلح
الدين الى المدينة الشريفة بما معه من الصدقات الرومية وتصدق بها على
جيران النبي صلى الله عليه وسلم وكتب دفترا باسمائهم واحسن اليهم احسانا وافرا

الاخلاق صافي الفؤاد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب في كمال دياناته ولا يشك في صلاحه وولايته وقيل ولا تناهيت في وصفي كما سنه الا واكثر مما قلت ما ادع الطيف وقد اطلعني اسبحانه لان قبلت يده الشريفه وتشرفت بطلعته وبيته المنورة وشاهدت ذاته العلية المنيفة فرايت نورا تيلالا وهيبة البسها الله تعالى مهابة وجلالا وجمالا يسطع ضياء والبسني تشريفه الشريف وشملني باحسانه الوافر المنيف فها انا اتعلب الى الان في جزيل انعامه واعيش في فايض تفضلاته واكرامه واترحم على ذاته الطاهرة الجميلة كلما تذكرت احسانه وجميله واخلد ذكره الحسن في الحاق اوراق الليل والنهار واثبته في صحايف دفاتر الايام حيث لا تمحوه كر الدهور والاعوام لا تزيده الايام الا جدة ونضارة ولا يزال غضا طريا جديد البراعة والعبارة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

فصل

في ذكر اولاده الابجاد الكرام واحفاده النجباء العظام كان اكرمهم واجدهم واعزهم واسعدهم وابخيهم وارشدهم ولي عهده وخلصة عقله ورئيس حجره ومهده مشيد اساس الملك العثماني السلطان سليم الثاني اجلسه الله على سرير القرب والتداني وعوضه ملك الفردوس الباقي عن هذا الملك الفاني مولده سنة تسع وعشرين وتسعماية كما ياتي في محله ومنهم السلطان السعيد الشهيد السلطان مصطفى وهو اكبر اولاده مولده سنة احدى وعشرين وتسعماية استدعاه والده من المحل الذي ولاه وهو معنيسا وهو متوجه الى بكر يز لاخذ بلد العجم فوصل اليه ممتثل امره باذلا نفسه وكان والده يتوهم منه خروجه عليه فلما حضر بين يديه امر طايفة من البكمان بخنقه فخنق صبرا وختل قهرا في اواخر شوال سنة ست وعشرين وتسعماية والطف ما قيل في تاريخه ظلم لي جدد الزاهر شوال ثم ارسل ابراهيم باشا الخادم الى بروسا لقتل ولده طغل اسمه مراد فمضى اليه وخنقه والحقه بابيه ولم يرتكب السلطان سليم هذا الامر الفضيع الذي قطع القلوب اي تقطيع الا لتكين الفتن والطفا نيران المحن ما ظهر منها وما بطن صونا لدماء المسلمين وحفظا لنظام التامين والتمكين

واستجاب الدعاء منهم للسلطان سليم ثم توجه الى ينبع وركب البحر الى مصر ثم الى الروم وبقي ذكره جميلا وحصل ثوابا جزيلا فرحم الله سبحانه وتعالى اموات المسلمين امين رب

الباب الثامن في دولة السلطان سليمان

وبعض ما فعله من المآثر والاحسان والصدقات الجارية للحسان والخيرات الباقية على صفحات الزمان سقى عهده سحاب الغفران وكان سلطانا سعيد ايده الله سبحانه لنصرة الاسلام تاييدا ولي السلطنة بعد وفاة والده السلطان سليم سنة ست وعشرين وتسعماية وجلس على تخت السلطنة ولا ارتياب في ذلك تجمة من دم مولده سنة تسعماية كما ذكره مولانا محمد بن خطيب قاسم الرومي في حاشية كتاب مختصر من ربيع الابرار للعلامة الزمخشري سماه الروضة ورايت ذلك بخط طايفة من الفضلاء المعتبرين فيكون سنه حين ولي السلطنة ستا وعشرين سنة واستمر في السلطنة ستا واربعين سنة وكان عمره اربعة وسبعون سنة وشهران وهو مجاهد في سبيل الله لنصرة دين الله مرغم انوف اعدآء الله وعداه بلسان سيفه وسنان قناه كان مويدا في حروبه ومغازيه مسددا في ارايه ومعازيه مسعودا في معايشه ومعايشه مشهورا في وقايعه ومراميه ايان سلك ملك والى توجه فتح وملك وقتك واين سافر سفر وسفك وصلت سراياه الى اقصى الشرق والغرب وافتتح البلدان الشاسعة الواسعة بالقهر والحرب واخذ الكفار والملاحدة بقوة الطعن والضرب وايد الدين الحنيفي بحد سيفه الباتر واقام الملة الحنيفية واحيى بها من مآثر ونصر مذهب اهل السنة السنية واظهر شرايع الشعاير ودفع اهل الالحاد وقمعهم فما لهم من قوة ولا ناصر وكان مجدد هذه الملة المحمدية في هذا القرن العاشر مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والادب الغض الذي يقصر عن ساوه كل اديب وشاعر ان نظم نقد عقود الجواهر او نثر اثر منثوره الازاهر او نطق قلد الاعناق نفايس قلايد الدر الفاخر له ديوان فايق بالتركي واخر عديم النظير بالفارسي يتيما ولهما بلغاء الزمان ويعجزان ينتج على منوالهما فصحاء الاوان تتنافس قلمهما الركبان بحلل لسان وتتسلى بمعانيهما العقول والاذهان وكان رؤفا شفوقا قاصدا قاصدوقا اذا قال صدق واذا قيل له صدقت لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع وينكل المنكر والنفاق ولا يالف مساوي

ومن اولاده السعيد السلطان محمد مولده سنة ثمان وعشرين وتسعمايه توفى على فراشه باجله سنة خمسين وتسعمايه ومنهم السلطان السعيد الشهيد الغريب الشهيد السلطان بايزيد مولده سنة ثلث وثلثين وتسعمايه وقد اشتد عانى وانا ما رعليه بقرب كما ههيه فى قريه يقال لها قوتا نوث وكان الامر منتحما بعد بينه وبين والده فوقعت اليه وحضرت بين يديه واقبل على بكليته واقبلت عليه فعظمنى وعظم امرى وكرمنى فوق قدرى وباسطنى وخاطبنى بدون واسطة واطلى بجلسائى وحدى ولم يترك فرعا من الفروع التى اراد كشفها وتحقيقها الا سالنى عنها بلطف ومودة واجبته عن ذلك باد ب وسكون وملء حطة وادرجت فى اثناء ذلك نصايح تصلح للملوك وما يصغى اليها ويحسن فى الاصغاء الى استماعها وتيفكه وتلذذ بسماعها وسالنى فى الاقامة عنده لمصاحبته فاعتذرت اليه وكرهت ذلك فابيت وكان يكرر فى ذلك وكلما طال المجلس استاذنت للقيام فيابى على ويقول لما اسرع ما مالت حديثنا ونحن نستطيب حديثك وكان اول المجلس من صلاة الظهر واستمر الى بعد العصر فالبسنى تشريفه واحسن الى باثواب صوف ودراهم لها صورة وفارقته ودخلت بلاد اسلام بول وتوفيت والدة السلطان ام السلطانين الخاصكية بعد دخولى اسلام بول وحضرت جنازتها وما اجرى عليها من الصدقات وكانت هى الطلسم للسلطان بايزيد فلما توفيت حال الشان بينه وبين اخيه السلطان سليم ادى الى فتن اعظمها ومحاربات قتل فيها نحو خمسين الف نفس وقاعدته لما عجز عن مقاومة والده واخيه هرب الى عند شاه طهماس فرحب به واقام ناموسه وعجز عن حفظه فنزع طهماس فى الملك والخداع وتفرق عسكره لما اعتذار بضعف بلاده عن ان تسعهم فغدر بهم واستولى عليه وجسده هو واولاده وقتل عسكره واحدا بعد واحد واغنم منهم مالا كثيرا وتردد الرسل بينه وبين السلطان سليمان فى تسليمه لولده فلما تاكد طلبه من طهماس ذكر انه اخرف عليه خزينة مال وانه لا يسلم بايزيد الا بان يعطى له المال فقبل عن كميته ذلك فذكر مقدارا عظيما يكون قد خراج مصر سنة فامر السلطان سليمان بدفع ذلك القدر اليه فلما تسلمه احضر السلطان بايزيد واولاده الاربع وكل واحد كالبدر الطالع والنجم الساطع فخنقوا هم والدهم باذارة الوحق حتى لم يبق فيهم رمق

واحمزوا

واحمدوا انفاسهم باوتار واطواق الانوار وبرزقوا الشهادة بالاضطرار وهم السلطان اورخان والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان عثمان وحملت اجسادهم فى توابيت من قزوين الى سيواس ودفنوا فى سيواس واسكن الله الغفلة والوسواس وذلك فى سنة تسعين وتسعمايه وكان للسلطان بايزيد ولد صغير فى بروسا فامر بخنقه ايضا فخنق بل استر بهم بوابل الغفران والروح والريحان ومنهم السلطان جهانكير مولده سنة سبع وثلثين وتسعمايه وكان احب الطريقا لطيف الروح خفيفا يحبه والده ولا يفارقه الى ان توفى باجله فى حلب بمرض الخناق فى سنة ستين وتسعمايه ونقل الى اسلام بول ودفن فى تربة اجداده السلطان محمد شاه زاده ومنهم الشاه زاده السلطان محمود توفى باجله فى سنة ثمان وعشرين وتسعمايه وهذا والذى قبله مدفونان فى تربة السلطان سليم الكبير جدهما ومنهم الشاه زاده السلطان مراد توفى باجله فى سنة تسع وعشرين وتسعمايه ومنهم الشاه زاده السلطان عبد الله توفى باجله فى سنة اثنين وثلثين وتسعمايه وتوفيت والدة السلطان سليمان فى سنة اربعين وتسعمايه وكانت صالحة زاهدة تحب فعل الخيرات كثيرة الصدقات

فصل فى ذكر وزراء العظام

كان اول وزرايه اصف زمانه بزرجمهر اوانه معدل الراى والدها موضع العقل والنهى يسرى محمد الجمالى الصديقى المعروف بيسرى باشا صادفه وزير المولده فاتفاه على وزارته مدة وكان السلطان سليم يتبع فى اول سلطنته طوايف العلما المتميزين بكمال العقل والراى فلم يجد اكمل عقلا منه وكان قاضيا فى بعض القصبات فقربه وولاه وزارته العظمى واستمر فى سلطنته ووزيرا عنده لم يغيره وسلم من قتله لكمال ذربته مع كثرة من قتل من الوزرا وكان فاضل كامل متين الراى عاقلا يضرب المثل بغزارة علمه وعقله وحلمه فلما ووزر للسلطان سليمان راى فى خدمته من نسباء مماليكه من هو مشابر على الوزارة طاير اليها بجناحه وراى سلطانا شابا يميل الى اقرابه وذوى اسنانه وهو بينهم شيخ خنده وكبر سنه لا يناسبهم فاستعفى من الوزارة فاجيب الى سواله فانجم للنظر فى حاله وماله وراى بعين كماله عدم ثبات الدهر فى احواله واخذ فى زاد ترحاله وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة له اخرته من الباقيات الصالحات فمن انشايه وعمارته فى ادنه وفى دربنه وكان محل قطاع الطريق ينهب فيه قوافل

المسلمين فعمل هناك تكية عظيمة ومحلا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدم اليهم
ومسجدا جامعا ورتب لذلك كلما يحتاج اليه ووقف اوقافا عظيمة عليه فصار اثرا
باقيا على صفحات الزمان وجميلا يتكرر به ويديم له الى انقضاء الدوران ولد حزات
اخرى عن ذلك يلوح عليها علامات القبول وكان عزله في سنة تسع وعشرين
وتسعمايه وولي مكانه في وزارة العظمى من المماليك الذين عنده داخل السراية اوده
باشي حرمه الخاص ابراهيم باشا كان شابا وقاريا قوي عضين نضارة بماء الشباب
ولازهته السعادة من جملة خدام الركاب وكان اقدم منه في الخدمة احمد باشا فظن
ان الوزارة لاتعداه الى غيره لانه من خواص مماليك والده وابراهيم باشا من مماليك
السلطان سليمان نفسه فراحمه في صدر دست الوزاره وجلس بقوة دالته
بخدم السلطنة في محل الصدارة فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان فنبزني انه له
من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ايالة مصر واعطاه له تمارا واقطاعا
يستجلب خاطره بها فمضى الى مصر واليا عليها وصار يتعقبه ابراهيم باشا للعداوة السابقة
ويوميه بما يوجب قتله فرزا الامر الجماعة من الامرآء المستحفظين بمصر ان يجتمعوا عنده
ويقتلوه في محله بالامر الشريف السلطاني ويولي احدهم مكانه الى ان يرد الامر
الشريف باقامة بكلربكي مصر وارسلت هذه الاحكام الى الامرآء المذكورين فوقعت
تلك الاحكام بيد احمد باشا قبل ان تصل الى الامرآء المذكورين فجمعهم في ديوانه وذكر لهم
ان الامر الشريف السلطاني ورد اليه بقتلهم فاخذ عنوة الامر الشريف فقتلهم ثم سولت
له نفسه العصيان وظن انه يأوي الى جبل يعصمه من السلطان وانه يقاتل ويقاتل
بجيش يلفقه من مصر فابدى الطغيان وادعى السلطنة لنفسه وامر ان يخطب
باسمه على المنابر في ايام الجمع وربت عسكرا من العوانية وجمع وضرب السكة باسمه
على الدراهم والدنانير وصار الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه اهل قلعة الجبل فجمع
عليه السلطان فاخذوها بالحيل وقتل من يومئذ من عسكر السلطان واوقد نيران
الفتنة والعصيان وكان ممن جلسه للمصادرة جانم الخمراوي ومحمد بيك وازاد
قتلهما وقد اخرا جلهما فسمعا انه دخل الحمام فكسر الجلس وبرزا ونصبا صيخانا
سلطانيا وناديا من اطاع السلطان فليدخل تحت لوايه فاجتمع تحت الصيخان السلطاني

خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمد بيك وجانم الخمراوي بمثابة الوزير وتوجها بالعسكر
الى الشام فكبسا احمد باشا وقد حلق نصف راسه واجلد النصف الثاني لهجوم العسكر
السلطاني عليه فهرب الى السطوح وتسلق من مكان الى مكان وخلص الى البر والتجا الى
شيخ العرب بناحية الشرقية عبد الدايم بن بقر وقوي العسكر السلطاني ونهبوا باجمعهم
من الاموال بالظلم والمصادرة وحرجوا اليه يطلبونه وخوفوا عبد الدايم وحذروه من
عصيان السلطنة فاتاهم به ممسوكا فقطعوا راسه وطافوا به في مصر وعلقوه
في باب زويله ثم جهزوا الى الاعتاب السلطانية وذلك في سنة ثلاثين وتسعمايه وضبط
محمد بيك وجانم الخمراوي مصر الخان وزاد مصطفى باشا وضبط مصر بكلربكيا واستمر
ابراهيم باشا في وزارته معظما عند السلطان نافذ الامر والنهي الى ان فرط في الدلال وزاد
في الادلال فاستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور فانفت الغيرة السلطانية
من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة عجبه وادلاله فطلبه السلطان من اواخر شهر رمضان
في ليلة الى عنده وانعم عليه على جاري عادته بنفايس انعامه الوافره ووهب له جميع
ما في محله من اواني الذهب المرصعة بالجواهر الغالية وطيب خاطره وطيبه بالعز والمجد
والغالبه وامره ان يبات عنده في مجلس خاص به كان عادته ان يبات فيه وصبر عليه
الى ان غلب سلطان المنام على مقلته واما قد وامر بذبحه فذبح واخطا الذابح نحره
فصاح مستجيرا والسلطان قد نبهاه منه وقد صمم في امره فامر بان يكمل ذبحه فقطع
راسه واطفا نيران راسه واخمدت انفاسه وما كانت نار الغضب على ابراهيم بردا
وسلاما بل زادته حرا واضطراما ولعل كرة احسانه الى الناس ونشر مكارمه التي زادت
على الحد والقياس تفعقد عند ربه سبحانه في الدار الاخرى ولعله صدقت نيته في
بعضها فصادفت قبولا وصار عند الله كريم ذخرا فلم من عمل صالح يكون سببا للنجاة
من النار ويدخل به صاحبه الى الجنة مع الشهداء الابرار وما ربك بظلام للعبيد وكان
قتله في الليلة السادسة والعشرين من شهر رمضان سنة احدى واربعين وتسعمايه

فصل ثم ولي الوزارة العظمى الوزير الثاني اياس باشا وكان من الاربعين من مماليك
السلطان سليم وكان مجالدا مصلحا معتقدا في طايفة العلما معتقدا في احواله صادقا في
اقواله عطوفا في ارايه وافعاله اجتمعت به اول رحلة الى اسلام بول سنة ثلاث

واربعين وتسعمايه وكان يكاتبه والدي ويلتمس دعاءه فاكرمني واقبل علي واحسن الي
وربانى عند السلطان واخرته عن والده وكرسند وانفراده بعلم الحديث وعلم السنة
في عصره ففصل لي منه انعام كبير واكرام كبير جزاه الله عني خير الجزا وجهد واسكنه الجنة
العلى واستمر وزيرا الى ان توفي في سنة اربع واربعين وتسعمايه **فصل**
ثم ولي بعده الوزارة العظمى لطفي باشا وحفد من الارنوت وهو من مماليك السلطان
سليم وكان له فضل واشتغال ومشاركة في بعض المسايل ولد رسالة بالتركية شرح
فيها الفقه الاكبر امامنا الامام اعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه وله اثار حسنة في وزارته
منها ابطال الاولاق فانه كان في تلك الايام وعظم ازدهم المسافرين وكانت الطرقات
لا تخلو منهم فيأتي احد الاولاق قرية الى المسافر ويريد عن دابته ويركبها الى ان تنقطع
فيرميها ويأخذ دابة مسافر اخر وهلم جرا لا يسلم منهم احد فلما ولي الوزارة ابطل
كل ذلك وعين ان لا يرسل الاولاق الا في المهمات العظمى السلطانية المتعلقة بظهور
عدو على المملكة يخشى عليها منه وامثال ذلك من الامور العظيمة جدا فقل شرهم
بعد ذلك على المسافرين وصارت الناس يدعون له بسبب ازالته هذه المظلمة
وكانت الخلفا تعد خيل تربطهم في كل بلد دوقرية تحت حكومتهم وكانت تسمى خيل
البريد فاذا حدث امر مهم ركبوا من اراد وا على خيل البريد فيركبها الى ان يصل الى قرية
اخرى فيجد فيها ايضا خيل البريد فيركبها ويترك الاول وهكذا الى ان يصل الى بغداد
ويرجع عما بالامر الذي يومر به وكان لهم خدام لمثل هذه الخيول بعلوفات ومرتبات
رحمهم الله ورحم من ازال بقية الظلم من الاولاق ورفعه عن المسلمين بالكلية
وعين لهذه المهمات خيل البريد كما كان يفعله الخلفا واستمر لطفي باشا وزيرا الى ان وقع
بينه وبين زوجته مخاشنة وهي اخت السلطان سليمان وبسبب كراهة ميله الى
الجواري فشكته الى اخيها فطلبه الى عندها وضربه بالقوس على راسه وامر بعفارقتها
واكرهه على طلاقها ففارقها مكرها وطلب الاذن في الحج فاذن له فحج في سنة تسع
واربعين وتسعمايه فاجتمعت به فاراني تاليفه وامرني بتعريبه فعربته ثم امرني
ان اترجمه له بالفارسية فترجمته له على حسب ما اراد واحسن الي بسبب ذلك ثم عاد
من الحج الشريف الى الباب السلطاني واستاذن ان يكون في قرية من اقطاعه فاذن له

فاستمر

فاستمر فيها الى ان توفي في سنة خمسين وتسعمايه **فصل** ثم ولي مكانه الوزارة
العظمى سليمان باشا الخادم هو من الارنوت ايضا من مماليك السلطان سليمان وكان
ولي ايالة مصر قبيا من عشرة سنين ثم عزل عنها ثم اعيد اليها وجعل سردار العسكر
المجهز الى الهند لدفع ضرر البرتقال عن المسلمين واستيلايهم على بنادر الهند ثم
توجه اليهم ووصل الى بنادر اليمن ووصولهم الى بندر جدة والى السويس على مرحلتين من
مصر وعاثوا في البحر واخذ واسفين الحاج والتجار غصبا ونهبوا اموال المسلمين
وانفسهم اسرا وقتلا ونهبا وقتلوا سلطان تجرات السعيد الشهيد السلطان بهادر
شاه وقتلوه عندها فتحركت الحمية العلية السلطانية واضطرمت نار العصبية
الاسلامية السليمانية فامر سليمان باشا ان يعود الى مصر وان يجهز سفاين
بركبها مع عسكر جرار الى بحر الهند ويقطع دابر الكفار وينظف تلك الاقطار
من الكفرة الفجار فعمل سبعين غرابا وسفاين مسماريه كبار الحمل الاثقال وزاد
العسكر وقتل عند سفره جماعة لاذنب لهم عن صدقة منهم وحسن الوفا بعهدهم
حسدا لهم على ما اتاهم الله من فضله فمنهم الامير جانم الخمراوي وولده الامير يوسف
وكان من الصالحين وقتل ايضا الامير داود بن عم امير الصعيد وكان كريما نبيلا ولا
حافظ البلد الصعيد بعيد ذنب اتاه وتوجه الى الهند وصلب صاحب عدن
في طريقه مع انه فتح له باب عدن وزين الاسواق بوصول العسكر السلطاني
فبمجرد وصوله اليه صلبه على صاري السفينة وجعل ضحكا في عدن وتوجه الى
الهند وعاد منها الى اليمن من عنان بيال الهند منه ضرر وكان الامير احمد صاحب
زبيد اذ ذاك من جملة الخراج الذين استولوا على تلك الديار فاعطاه الامان
وطلبه الى عنده وقتله وولى مكانه اميرا ممن كان معه وعاد الى مكة المشرفة فحج وعاد
الى محروسه الى الباب السلطاني واسفرت سفرته على اخذ زبيد وعدن وكان ظالما
غاشما كثير السفك للدما لا يعتمد له على عهد ولا يوثق منه بامان ولا له شجاعة
ولا اقدام وانما يغتنك بمن يقع في يده ماسورا مغلولا ورعى له السلطان سليمان
خدمة والده السلطان سليم وصداقته في الخدمة فولاه الوزارة العظمى عوضا
عن لطفي باشا واستمر وزيرا مدة يسيرة الى ان عزله الله والله يوتي ملكه من يشا

فصل وولى مكانه الوزارة العظمى رستم باشا سنة احدى وخمسين وتسعمايه وكان السلطان قد تزوج كريمته صاحبة الخيرات حاكم سلطان بنت السلطان سليمان فلما عين الوزارة وزين صدر الصدارة وهو ايضا من جنس الارنوت من مماليك السلطان سليم وكان ذكي المعنى صادق الفطنة ذا بال وسيع وفكر دقيق بديع جيد الحافظة حسن القريحة ثاقب الراى حليما صبورا رزينا وقورا كامل العقل كبير الادب اجتمع فيه من خصال الكمال مما لم يجتمع في غيره من الرجال ولم يكن فيه خصلة تشينه غير انه احب الدنيا والميل الشديد الى جمعها بكرة وعشيا وتلك خصلة عمت اكثر الطبايع والسجايا وغلبت على اكثر اعالي الهمم ولا يملاء عين ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب واستمر في الوزارة الى ان قتل السلطان مصطفى وكان ذلك كما يقال بتاسيسه وتخيله ومكره وتدسيسه حتى ان بعض الظرفا جعلها تاريخا على ما ذكرناه عند الله المبرم به وهو مكر رستم وتوهم من العسكر ان قد تم عليه بالقتل فعزله السلطان صوانا له وخوفا عليه من العسكر والله سبحانه ونعالى اعلم بالصواب

فصل وولى مكانه الوزارة العظمى احمد باشا الذي كان وزيرا ثانيا وكانت وزارته تحلة القسم وتعلة لما اضمرات السلطان في خاطره الاثم الى ان قدر الله سبحانه وتعالى ما قدره في الازل ولي بدله وقت حلول الاجل فعند بروزه من عرض الامور عليه وانصرافه من بين يديه امر بقتله عند الباب الداخل من السراى فخنق هناك واخرج ملفوفا في البساط وتفرقت عند الاحباب والاتباع والاسباط ومضى الى الله الكريم واقدم الى الغفور الرحيم فصل واعيد موضعه في الوزارة العظمى رستم باشا استمر وزيرا كبيرا معتبرا اعتبارا كبيرا يعمل بارايه وينفرد بانفاذ الامر وامضايه لا يعارضه احد من الاركان بل يطيعونه ويذعنون لرعاية الاذعان وصار لا تتصرف قضاة العساكر والدفتردارية والبكلربكية وساير الحكام والنظار في منصب قليل او جليل او كبير الا بامره واشارته وارادته بحيث لم يعهد ان وزيرا غير احاط بالامور كاحاطته وحفظ جزييات المناصب وكلياتها ويتيقظ لحفظه ويتفقده وكان لا يخلو من الاحسان والصدقات والميل الى العلماء والصلحاء واستمر على عظمته وجلاله لم يختل منه شيء الى ان في فتنة السلطان بايزيد وكل شيء عند محمود واحد من المقدور بمحمود فان السلطان

اتهم

اتهم مع بايزيد ونزلت به بسبب ذلك عنده البون البعيد وكلما كانت تهمة واهية لا اصل لها وكان خايفا من ذلك اشد الخوف ولم يشاور السلطان في شيء من احوال بايزيد وكان يشاور علي باشا فادى الحال الى ما ادى ولو استشار رستم باشا واطاعه في راية لم يتفاقم امره الى ما نال اليه لحسن سياسته ودقة تدبيره والامر الى الله من قبل ومن بعد وما قدره الله فهو كاين واحظاه به وحول اولى الاحظار وكم اريق بسبب هذه الفتنة من دم لاذنب لصاحبه وكم قتلت بالتوهم نفس مظلومة لا جرم لها في هذا البلد ونوابيه وقيل في ذلك

لا يسلم الشرف المنيع من الردى حتى يراق على جوانبه الدم

واستمر رستم باشا خايفا يترقب الى ان ارضه الوهم واخلد قضاه في فراشه يتقلب الى ان وافاه اجله المحتوم فمات واقدم على الحي القيوم واسلم بما تخفي الصدور والعلوم الى الرحيم الكريم الغفور وكانت وفاته سنة ثمان وستين وتسعمايه ودفن في تربة قرب تربة الشاه زاده السلطان محمد فصل وولى الوزارة العظمى علي باشا وكان من جنس البوسنة جسيما فظا طويلا فهما بنيلا على خلق فما يروى من عظم هيكله وسمن بدنه فانها مظنة البلادة في الاكثر فاذا اخطاء فند مقتضاه نزادت الفطانة غاية منتهاه كما ينقل هذه الهيئة عن محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة النعمان رضي فانه كان في غاية الفطنة والذكا يضرب به المثل في ذلك وكان علي باشا المذكور له فضيلة في الانشا ونظم في التاريخ اجتمعت به في رحلتي الى اسلام بول في سنة خمس وستين فراية لطيف المحاورة حسن المعاشرة لذيذ المصاحبة ذكر لي بعض غزواته الدالة على قوة شجاعته وانه باشر قتال الكفار بنفسه وانه افتتح قلعة عظيمة لهم اقتلعها منهم فقلت له ان لم تقيد ما ذكرته بالتدوين يذهب من الخواطر ولا يعلم تفصيله بعد مضي سنوات قليله واذا فني من كان حاضرا في هذه الغزاة فني خبره ايضا ولم يتذكره احد بعد ذلك مطلقا وينمحي علمه من صفحات الوجود بعد قليل وذكرت له اعتناء علماء العرب بذلك اي بعلم التاريخ وان من جملة كتب التاريخ اللطيفة كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامة ذكر فيها دولة نورالدين الشهيد وصلاح الدين بن ايوب وغزواتهما مع الفرنج وافتتاح البلاد ومداومتهما على الجهاد وهو كتاب في غاية

اللطف وحسن الوضع باق على صفحات الزمان معلوم عند القاصي والدان ولهما في الحقيقة
اميران من امرائكم احدهما نايب مصر والثاني نايب الشام فلاي معنى لا تكون اخبارهم واثارهم
مدونة في الكتب مخلدة في صفحات الاعصار والحقب فاعجب كل ما كبيرا وامر فاضل ذلك
الوقت في الانشاء وما وصاحبنا على جلبي الحميدي المعروف بنالوزاده افندي احد افراد الدهر
كمالا وفضلا وواحد علماء العصر كمالا وبذل طيب اسرّاه وجعل الفردوس مثواه ان تلبث
ليسيرا من ذلك فشرع وانا هناك في شيء من ذلك المعنى فايق في بابه لطافة وحسنا
ثم تقلبت الليالي والايام ومنعت الموانع من حصول ذلك المرام وقيل

ثم انقضت تلك السنون واهلها ... فكانها وكانهم احلام

واستمر على باشا على وزارة العظمى في صدر صدارة الاجل الاسمى نافذ الامر على القدر
صاحب الصدر الى ان تقلقل الدهر عن صدارته ورماه الزمان عن قوس وزارته ودعاه
داعي الفنا الى حضرته وسقاه الحمام كاس منيته فعاش سعيدا ومضى الحامد فريدا
وحيدا وانتقل من دار الفنا الى دار البقا وحيدا ولا عجب مما تحوله الى ما قدم من اعماله
واقدم على الله الكريم بما كسب من افعاله وهو اكرم الاكرمين وارحم الراحمين رب العالمين

فصل ثم ولي الوزارة العظمى في ذلك المقام الرفيع الاسمى اصف الوزراء
العظام اسعد السعداء الكرام محمد باشا ابقاه الله تعالى على اعيان ذلك المقام
وصدر الصدارة على الثبات والدوام وصانه عن آفات الدهر وحرسه من نوايب الليالي
والايام ونا هيك به عقلا وفهما وصراحة وعزما واقداما وحزما ودقة وحلما
وفكرا صافيا وراياً صايبا وحذقا وفطانة وصدقا وامانة وكمالا ورزانة وجمالا
ومهابة وجلالا وسعادة واقبالا ونظرا في عواقب الامور واعانة لصالح الجمهور
ومحبة للعلم والعلما واعتقادا في الصلحاء والاولياء واحسانا الى الفقرا والضعفا فرحم
الله اموات المسلمين وقيل وما بلغت كف امرء مبلغا ولا ... من المجد الا والذي نال طول
وما بلغ المهدون للناس مدحة ... وان اطنبوا الا الذي فيه اكمل

وكانت وزارته في سنة اثنين وسبعين وتسعمايه واستمر على وزارته وعظمته وصدارته
الى ان اظهر اليد البيضا وكمال التدبير والمصابيح يحير العقول في ثبات جاشه وعدم
تفره واستحاشه وضبط الجيش الاعظم وحفظ الخميس العرمرم وهم في ارض العدو

وفي

وفي حومة القتال وقوة الحرب وشدة الصيال وحلة الجلاد والجدال وقد توفي
السلطان سليمان في ذلك الحال فلم يقع شيء من الاختلال وانتظمت بسببه
الاحوال واخذت قلعة سكتوار من الكفرال وهي محشوة بالعدد والعدد
من الفرنج والابطال والسلطان في السكرات والغرات فكتم ذلك عن جميع
من حوله من الاخوات وارسل الى ولده السلطان سليم من مسافة
ستين يوما واجلسه على التخت وما وضعت الحرب اوزارها بل اضرمت المحاهد
نارها وغنمت المسلمون واخذت النصارى وانصارها ثم عاد العسكر وقد
استقر السلام وانهدم ركن عباد الصلبان والاصنام واخذ الله في هذه الحالة
الكفار اللئام وكان ذلك الاحتيال والتدبير براي هذا الوزير الحاذق الفطن
اللبيب وتدبيره ورايه الثاقب المصيب وتداركه بما يجب تداركه بالقلب
الرحيم وكل ذلك بالهام الرب العليم وامداد الرب القريب المجيب هذا مع كثرة
احسانه وتواتر الطافه وتوالي انعامه واسعافه وتتابع اكرامه واسعطافه
سيما لاهل الحرمين الشريفين والتصدق عليهم والنظر بعين اللطف والرافة
اليهم والانعام في كل عام على عموم الفقرا والصلحا بالف دينار فاكل الصدقات
كانت من عين ماله واعماله الخيرات في الحرمين الشريفين اجرى عيونا وحفر انهارا
وبنى ربطة وابنية ذلك للفقرا وغير ذلك من المآثر الجميلة والخيرات الوافرة
الجزيلة التي يحتمل ان تفرد بتاليف وتورد في تصنيف لطيف ولها ثر في اكرم
بلد السلام وقد اجرى عين الزرقا بالمدينة الشريفة على الحال بها افضل الصلاة
والسلام بعد ضعفها واضاف اليها انهارا منها بئر اريس وهي بفتح الهمزة وكسر
الراء وسكون الياء المثناة التحتية والهال اخرها معروفة بقباء من اعذب انهار
المدينة المنورة على منورها افضل الصلاة والسلام **فصل** ذكر المجد الفيروز
ابادي صاحب القاموس ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل في بئر اريس ووقع فيها
خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو جالس على حافة البئر
وقد نزع الخاتم الشريف من يده فسقط في البئر فانزل رجل ليخرجه فلم يظفر به
وركب عليها اثنى عشر نهرا حالين نهرها فعظم الماء ولم يوجد الخاتم وكان في عصر اجعل

الوزير الاعظم رجلا من مياهها الى مصب عين الزرقا واصرف على ذلك اموالا جزيلة فقويت
العين واضاف اليها اماه اخرى حلوة قوى بها جريان عين الزرقا الى ان اجرى رجلا
منها الى باب الرحمة وجعل فيه موضعا يتوضؤ منه الناس حول المسجد الشريف واجرى
رجلا منها الى حمام عظيم محكم بناه بالمدينة الشريفة انتفع بها اهل المدينة الى فتحت
والزوار وعوالة على فعل ذلك وصار نوابا جاريا ومن غرائبه انه وسع بقرب المسجد
ويقال لها بئر علي وهو ميقاة اهل المدينة واهل الشام للاحرام لدخول مكة المشرفة
فحفرها ونزل في الارض الى ان جعل وجد الماء عشرا في عشر ليلا تنخبر بوقوع البحاسة
فيها وجعل امدجوانبها الاربعة درجا ينزل من اعلاه الى اسفله حيث كان محل الماء فصار
كل احد يرد اليه بسهولة بلا تكليف ولا احتياج الى دلو وحبل وغير ذلك وما هو خير
جزيل عزيز وثواب جميل كثير لا ينقطع خيره ولا يفنى جزه ومنها انه امر ان يبنى
بمكة المشرفة بقرب الحرم الشريف موضع يكون ماوى للفقراء ضيوفا للمسجد الحرام عنهم وان
يبنى فيه مساطب وبياسط تفصل للمرضى فتكون كدار الشفا لهم وان يبنى من خارج
دكاكين وبيوت تكرى وتصرف في مصالح هذا المكان وامر ببناء حمام في وسط السوق
عظيم الشان طيب الهواء والماء وله رباط ايضا وحزانات اخرى كلها منشوبات عظمى وورد
صدقاته في سنة اربع وسبعين وتسعمايه مضاعفة فرقت في الحرم الشريف على
الفقراء والضعفا وتضاعف الدعاء منهم لحضرته الشريفة ولخلده السعيد بلغه الله تعالى
مراتب الكمال ومرتبة السعادة والاقبال والله سبحانه وتعالى يطيل بقاه ويديم عزه
وعلاه ويثبت وزارته العليا ويبقيه في صدر الصدارة الكبرى ما دامت الدنيا
محفوظا بالملائكة الكرام محروسا بعين الله الحي الذي لا ينام مصونا من نوايب
الليالي والايام بجاه سيد الانام عليه افضل الصلاة واتم السلام وقيل
وهذا دعاء شامل للورى فيارب قابل بالقبول دعائي

فصل في ذكر غزوات السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان وكان السلطان
سليمان مجاهدا في سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه لاعلاء كلمة الله يوثر
التعب في ذلك على الراحة ويحب الغزو ويرغب اليه عن الاستراحة بحيث لم
ترتفع راية الاسلام على راس احد من السلاطين العظام اكثر جهادا وانصرة للدين

واكمل عدة وآلة لقطع زاغر المشركين وكبر بكما وسلطانا وكبر جيوشا واعوانا واقطع
سيفا وسنانا واحمى للاسلام وذويه واوفى له من اهل الشرك وشكايه واعدى
لجنس الفرنج اللعين واقمع للكفرة والملحدين واقوى لنصرة الاسلام والمسلمين
من السلطان سليمان فلم يدع بلاد الكفر واسيتاعها وداس ارض الاعداء بحافر فرسه
واتاعها وجاس خلال معاقلها وربا عها وافتتح صياصيها وقلاعها واخرب معاهد
الاصنام وبنى مساجد الاسلام فلو نشرت صحايف الدول لكانت دولته غرة ثلث
الدول ولو عددت فتوحات السلاطين لكانت فتوحاته طرازا ثلث الحلل وان
غزواته يجب افرادها بالتاليف ليبقى في صحات الدهر ذكرها الشريف واما هذا التصنيف
اللطيف فلا يسع مما ال الطفيف فلنذكرها اجمالا في هذه الحالة ونعدد اسماها
في عقود هذه الرسالة وان فسح الله سبحانه في الاجل وساعد العمر على ذلك الامل
حررنا ال عثمان تاليفا جليلا وكتابا فاخرا طويلا تستفيد منه علماء العرب والعجم
ما لا يجدونه في كتب تواريخ الامم ان شاء الله تعالى فاقول اول غزواته عند
ما ولي السلطنة غزوة الكروس برزا اليها من القسطنطينية الكبرى لاحد عشر ليلة
مضت من جمادى الاخرة سنة تسع وعشرين وتسعمايه بعسكر جرار وجيش كرار عظيم
المقدار يبدك الارض دكا ويصك الجبال الراسيات صكا فلما وصلوا الى ديار الكفار
جاسوا خلالها وقتلوا رجالها وسبوا اطفالها ونهبوا اموالها وفتحوا حصونها وقلاعها
وملكوا الارض وبقاعها ومن اعظم ما افتتح من القلاع قلعة بلغراد وهي قلعة منيعة
محكمة باقية الى الان بيد المسلمين واخذ واعزها من بلاد المشركين وغنموا الغنايم الكثيرة
واثروا الاثارات الاثيرة وعاد السلطان سليمان الى دار مملكته سالما غانما ظفرا منصورا
مويدا بنصر الله سبحانه ظافرا مسرورا وزينت البلاد لانتصاره وفرح المسلمون وكان الله
من انصاره وذلك اول فتوحاته وغرة اسفاره وغزواته وكان عوده الى سرير
ملكه في ذي القعدة الحرام سنة سبع وعشرين وتسعمايه وفي هذا العام عصى جان بردي
الغزالي الجركسي باب الشام وجمع طايفة من عصاة العرب وبعض اشقياء الجراكسة وادعى
السلطنة وخطب لنفسه فجهز عليه فرهاد باشا فقاتله في قرب الصالحية واسكره
وقطع راسه وارسل به الى الباب العالي وكفى الله امره ودفع عن المسلمين فتنته وشره

وذلك في تسع مئين من صفر سنة سبع وعشرين وتسعمايه والله اعلم

فصل

الغزوة الثانية غزوة رودس وهي جزيرة في وسط البحر مابين اسلامبول ومصر بنى بها الكفار حصنا حصينا وحصارا في غاية الاستحكام يكنا اتخذه الكفار ملكان حد المسلمين واتقنوه غاية الاتقان والتمكين بحيث رسخ اساسه في تخوم الراسيات وارتفع راسه الى نجوم السراطين والبطين ينظرون من اعلى القلعة الحصينة التي تمر في البحر من مسافة بعيده فيتهيبون للتحصين ان كان ذلك عسكر من المسلمين ويأخذون منهم ان كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يحجون اموالهم اليه لاستحكام بنايه واتقانه وجعلوا من اعلاه الى اسفله من جميع جوانبه ثقوبا ووضعوا فيها المدافع الكثيرة ترمي على من يقصدها من الخارج فيخيب كل من قصدها من جميع الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب ويهيئون اعزة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا احسوا بسفينة في البحر من الحجاج او التجار اخرجوا اليها تلك الاعزة واخذوها ونهبوا ما فيها من الاموال واسروا ما فيها من المسلمين فيقطعون الطريق على هذا الاسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتليهم وكان هذا دابهم وعجزت ملوك الاسلام عن دفع هذا الضرر وعلم الله جميع المسلمين فجهز السلطان سليمان بعسكره الى ان اخذ هذه الجزيرة وكان سفره البحر ونزول مخيمه في اسكدار متوجها الى هذه الغزاة لعشر بقين من شهر رجب سنة ثمان وعشرين وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المزبورة فاحاط بها برا وبحرا وما امكن من في البران يقرب من حصار رودس للخندق الذي حولها لمنعته وصونه بالمدافع العظيمة من اعلى الحصار ولا امكن من في البحر القرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد في البحر والرمي على من يقربها بالمدافع الكبار فحاصروها وبضيق المسلمين بالمدافع ولا تضييع مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصار وعدم تاثير المدافع فيه وتاخرت عسكر البر قليل وامروا بسوق الرمل والتراب امثال الجبال وترسوا بها وصاروا يقدمونها قليل قليل الى ان وصل التراب الى الخندق واتصل به وقرب من جدار الحصار وارتفع عليه وصار الكفار الجبار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا عليهم النار واحرقوا لهم بنار الدنيا قبل نار الاخرة الى ان عجزوا ووهنوا وتحققوا

انهم

انهم ماخوذون فطلبوا من السلطان سليمان الامان وشرطوا ان يحملوا انسابهم واطفالهم واولادهم ونقودهم ويعزموا الى اين ارادوا ولا يتعرض لهم احد من الجند فاجابهم السلطان الى ذلك بعد ان نهاه الوزراء عن امانهم فانهم لم يبق لهم منعة ولا قوة وان الاموال التي ارادوا حملها خزينة كبيرة وان نفقة الكفرة اذا نجوا بهذه الخزينة المكنهم التقوي بها وجمع العسكر من النصارى والعود الى اذى المسلمين فلم يصغ السلطان سليمان الى قول الوزراء وعلم من قولهم ومنعهم واعطاهم الامان وخرج اليهم باموالهم الى المغرب وعمروا قلعة في مملكة اصبانيا من جزيرة الاندلس وهي في غاية الحصار والمتانة ويقال لها مالطه وصاروا يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحجاج والسفار وهم الان وان بعدوا عن المسلمين اذاهم كبير وافسادهم عظيم وقد ندم السلطان سليمان على اعطاء الامان لهم وارسل اليهم عمارة عظيمة بعسكر كبير لاخذهم واستيصالهم في اخر عمره وجعل عليهم سردارا مصطفى باشا الاسفنديارى فوقع بينه وبين القابودان مخالفة ادت الى انكسار المسلمين وكان في ضمير المرحوم تدارك هذا الامر وارسال عسكر اخر لاخذ مالطه وقهرها فما امهله الاجل رحمه وكان فتح رودس لست مضين من صفر سنة تسع وعشرين وتسعمايه وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ الطفها يفرح المومنون بنصر الله وفتح عدة قلاع في ذلك العام منها استان كوى وقلعة بودرم وقلعة اندوس وغير ذلك من القلاع اخذت من الكفار الفجار وصارت في ضبط العساكر السلطانية وارسل السلطان سليمان من وزرايه فرهاد باشا مع عسكر الى علي بيك ابن شاه سوار امرا دلغادر فانه كان يظهر الطاعة ويبطن العصيان فاستدعاه الى عنده واظهر انه وصل اليه بخلع سلطانية وتشاريف فاخرة فاقاينة له ولاولاده فوصل اليه علي بيك ابن شاه سوار مع اولاده الخمسة فادخلهم فرهاد باشا الى محل خلوته وامر بقتلهم فقطعت رووسهم وجهزت الى الديوان الشريف وضبطت بلاده وكفى الله تعالى شره وذهب فساده من البلاد وذلك في سنة تسع وعشرين وفي هذا العام خرج كاشف الشرقية الامير جانم الجركسي عن الطاعة وخرج كاشف البحيرة اينال بك واجتمع عليهما طايفة من الجراكسة وجماعة من عصاة العربان الاباسة وظهر العصيان وابدوا الكلام

والطغيان فارسل عليهم نايب مصر يومئذ مصطفى باشا عسكرا فقاتلوا فقتل وقطعت
رؤسهما وعلقت بباب زويلة ثم ارسلت الى الابواب العالية وكانت فتنة رداها
سبحانه شرها وكفى المسلمين امرها وذلك فى محرم الحرام من سنة تسع وعشرين وتسعمايه

فصل الغزوة الثالثة عود السلطان سليمان الى كفار الكرواس ثانيا قال ملك
الكرواس المسيحى قد ظهر منذ اكلاف واجيال فتوجه اليه لقطع جاذبته وحسوته
وعاديته فعاد السلطان باجيش الاعظم والجمع الجسيم العرمرم وقرب اوطاقه فى حلقة
لوبكار الى حدود عشر ميلة مضت من شهر رجب سنة اثنين وثلاثين وتسعمايه ثم رحل
بالعسكر المنصورة الى ان وصل الى نهر طراوه وبنى عليه جسرا من السفاين وعدى بعسكره
المنصور على الجسر واسرع الى ان وصل الى بودون وقاتل القرال الملعون لعشر بقين من ذى
القعدة سنة اثنين وثلاثين وتسعمايه وفى ذلك الحرب الشديد انكسر القرال الكافر
العنيد وانتصرت جيوش المسلمين وعسكر الاسلام وتفرقت جماعات الصليب والاصنام
وافتتح فى هذه الغزوة عدة من القلاع المشهوره والحصون المنيعة المعموره
وصارت من جملة المضافات السلطانيه والاقاليم الخاقانيه من جملتها قلعة اونك
وقلعة تراوردين وقلعة ايلوب وقلعة راجله وقلعة برقاص وقلعة بوكاى وقلعة
اكتورا وغيرها من قلاع الكفار وحصون اوليك الفجار واعظمها قلعة بودون محل
تخت الكرواسى الملعون فانها قلعة راسخة البنا عالية الفضا سامية الى عنان السما
تناطح الرايا وتسامى السماك وتطاول الجوزا فى غاية الثبات والاتقان واستحكام
الوضع والبنيان وهى تحت سلطانين الكرواسى ومقر سلطنتهم وملكهم المنحوس وعندما
احاطها السلطان وجنوده اهل الايمان علم من كان فيها من جنود الشيطان فخرجوا
منها وهربوا وطلبت الرعايا الامان فامنهم السلطان وضبطت البلاد ووضع فيها
عساكر تحفظها من اهل العدوان وغنم كثيرا من الاموال والانفس والارواح
وفك باعدة الاسلام وسفك دمهم المطلول المباح وعاد الى مقر سلطنته وداره
مملكته مظفرا سعيدا مؤيدا حميدا منصورا رشيدا فوصل الى سرير السعاده
وتخت الملك والسياده فى اواخر ذى القعدة الحرام سنة اثنين وثلاثين وتسعمايه
والله يؤيد بنصره من يشاء وما النصر الا من عند الله **فصل** الغزوة الرابعة

غزوة

خمس وثلاثين

غزوة بيج اجتمعت كفار المان وبخمة قرال وفرندوس واغاروا على قلعة بودون
واخذوها
من المسلمين على حين غفلة فتوجه السلطان سليمان الى دفعهم وقلعهم وتفريق
جمعهم وبرز من اسطنبول الى حلقة لوبكار لليلتين مضتا من شهر رمضان سنة
ثلاث وخمسين وتسعمايه واستمر راحل الى ان وصل الى المخيم العالى فاذا المراة من ملوك
الكرواس اسمها ارول باتوا داست البساط الشريف السلطانى والتربة بادان خراج
بلاد الكرواس كل عام فقتلت من الحضرة السلطانية بالقتول وخلع عليها الخلع الفاخرة
وكتب لها الاحكام بالامان وعادت الى بلادها فى اواسط ذى القعدة الحرام سنة
خمس وثلاثين واستمر الى ان وطاق السلطانى الى ان وصل العسكر المنصور الخاقانى الى بودون
واحاطوا بقلعتها احاطة الاطواق بالاعناق وبياض العين بسواد الحداق فى اواسط
ذى الحجة الحرام من السنة المذكورة الى ان فتح الله بودون وساير البلاد واخذ اهل
والعباد وولوا مدبرين وماسورين ومقتولين بعد الحرب الشديد اربع مضين
من محرم الحرام سنة ست وثلاثين وتسعمايه ثم افتتح قلعة بشاق حصارى
ثم توجه الجند المذكور الى قلعة بيج وهى محل تخت بخمة القرال الخايب الامال واحاط
بها مخيم سرادق الفتح والنصر القريب بالعسكر المنصور المظفر من عنده الله القريب المجيب
وضرب سور بخمة قرال المزبور مدمرا مكسورا وطلب اهل القلعة من السلطان الامان
واتوا بمفاتيحها فاعطاهم الامان واخذ قلعة بيج وهى من اعظم قلاع الكفار المحكمة
الراسخة القرار المرفيعة المنار وذلك لليلتين بقيتا من محرم الحرام سنة ست
وثلاثين وتسعمايه ولما كانت القلعة المزبورة بعيدة من حدود ممالك الاسلام
عزما مونة من هجوم الكفار للايام امر السلطان بهدمها فهدمت وخربت وذهب
اطراف تلك القلعة وسبيت اولاد النصارى ونسائهم وتركت خرابا وعاد السلطان
الى تخت الملك بالنصر والتاييد والعز والشديد السديد والفتح الرشيد الحديد
فوصل الى اسلامبول فى اوايل شهر ربيع الاخر سنة ست وثلاثين وتسعمايه والله
يؤيد بنصره من يشاء **فصل** الحرب الخامسة والغزوة الخامسة غزاة المان
لما ان وصلت الاخبار الى السلطان ان بخمة قرال جمع طايفة من كفار المان واراد
الافساد والطغيان توجه السلطان سليمان العاكرى فى سبيل الله الى قتال هذا الكافر

اللعين وكشط اسمه من صحيفة الوجود بعون الملك المعين وبرز من اسلام بول الى خليفة
لوبكمار لعشر بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وتسعمايه وارسل في البحر
لحفظ وجه البحر من النصارى وحفظ الاساكل والسواحل احمد باشا القبودان معه
ثمانين غراباً مستخونة بالابطال لاهل الصفاح والكفاح تطير اليهم بأجنحة الرياح من
غير جناح في اوايل شعبان من السنة المزبورة وافتتح عدة قلاع من بلاد الكفار
وارعبوا الكفار واستجلوا بهم الى عذاب النار وبرز المخيم السلطاني مع الجيش
الخاقاني الى مملكة المان فحاربوا وسبوا من ذراري الكفار اولاداً كالنجوم الدراري
ومن البنات والنساء حزايد كالكثيب الجواري ونهبوا الاموال وقتلوا الابطال
واهلكوا الرجال وهم بوا املوكهم وتركوا رعيتهم وصعلوكهم وبذلوا ما بقي معهم
من الاموال والذخاير على بذل الامان لهم لثلاثة اعوام فاجيبوا من جانب السلطان
الى سوالهم وكتب لهم بذلك توقيع الامان لترفيع حالهم وعاد السلطان الى داري
ملكه المسعود مظفر الجنود سعيد الحدود في اواخر ربيع الاخر سنة تسع
وثلاثين وتسعمايه **فصل** الغزوة السادسة سفر البحر ارسل قبل سفره المجلل
الوزير الاعظم ابراهيم باشا بعسكر معظم وجيش لهو كالبحر الخضم وفيه كبيرة
كالخميس العرمرم لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين وتسعمايه
ووصل الى حلب وشتى بها هو ومن معه من العساكر المنصورة السليمانية والجيوش
المويدة الخاقانية وبرز بعده الاوطاق الشريف السلطاني والمخيم الكريم العثماني
الى اسكدار اخر شهر ذي القعده سنة احدى واربعين وتسعمايه واستمر شتوهما بقية
السنة الشريفة السنيه وقطع طوايف الرفضة المديده الى ان وصل مخيمه الشريف
الى بيلان قاوجان قريب تبريز وجاء الى استقباله الوزير المعظم ابراهيم باشا بمن معه من
العساكر المنصوره وتوجها بجميع العساكر الى اخذ ملك المجم فلما وصل الركاب السلطاني
الى قصبة ابهر هرب من طايفة قزلباش محمد خان بن ذو القادر ووصل الى بساط
الشريف العثماني فحصل له التشريف الشريف والانعام وقوبل بالتكريم والاكرام وان خدام
وصاره من جملة عبيد الباب واستولى البرد الشديد على العسكر ونزل الثلج كالله
الجبال وهرب العدو ولم يقابل وصار يخادع ويحامل فلزم التوجه الى بغداد لقصد

الرجال والابطال فلما سمع بوصول العسكر السلطاني فحافظ بغداد من جانب قزلباش
هو محمد خان هرب وترك بغداد ومن بها من الرعية فجاءوا بمفاتيحها الى الاوطاق
السلطاني فنزل السلطان بعسكره المنصور في بغداد واعطى اهلها الامان
وسكنوا في كنها وصارت من مضافات الممالك العثمانيه وكذلك جميع ما حولها من
البلاد والبقاع وساير الحصون والقلاع وكذلك بلد المشعشع والجزاير وواسط
وامر السلطان بتحصين قلعة بغداد وحفظها وصونها من اهل الالحاد وزار مشهد
الحسين بن علي رضه وزار موسى الكاظم رضه وامر بتعمير المشهدين وتكريم مزارهما وزار
الامام الاعظم ابا حنيفة النعمان بن ثابت رضه وبنى على قبره قبة وعمارة ومدرسة
وضرب في بغداد دفتر اره اسكندر جلبي تهمة الخيانة في المال السلطاني برمي اعدايه
وحساده وبراءته من ذلك عند الله سبحانه وعند الناس وكان كريماً بذولاً حسن
الخلق محتشماً ما عاب من قصده ولا حرم من امله مع الفضل التام والكرم العام رحمه
واسكنه الفردوس الاعلى وبواه من الجنان الدرجات العلى واتهم الوزير ابراهيم باشا
بريبة بما رمي به وما حال عليه الحول حتى الحق به واجتمعا في دار الحق بين يدي الحكم
العدل اللطيف الخبير ثم توجه الركاب السلطاني بعد مضي شدة الشتا لليلتين
مضتا من شهر رمضان الى ناحية تبريز لانه بلغه ان الشاه شتى في تبريز وانه مقيم
به فقصده للقتال ومحواره من صحايف الايام والليال فلما وصل الى عزاصار و
قاشي وصل من الشاه ومن تاجلو خانم ايلچيا يطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجه
الى تبريز فخرج الشاه وطايفة قزلباش من تبريز الى اطراف الجهات وتركوا تبريز خاوية
على عروشها وتعلم العسكر المنصور فاظفر وابهم فصار الشاه ينتقل من مكان الى مكان
وتكررت رسله الى الابواب العالية بالصلح وتحقق السلطان ان الصلح خير فقبل الصلح
وكتب الاجوبة بقبول ما طلبه وانطوى بساط الحرب وتوجه المخيم السلطاني الى العود
من بلد النجم وغنم السلطان في تلك السفرة اخذ البلد وفتح عراق العرب والطف
تاريخ قيل فيه فتحنا العراق وكان وصول الركاب السلطاني مع العسكر العثماني
الى محل التخت الخاقاني مع النصر والتاييد الرباني والفتح السبحاني لاربع عشر
ليلة مضت من شهر رجب سنة احدى واربعين وتسعمايه **فصل**

الغزوة السابعة غزوة الوتيه المعروفة بكورفس وهي بلاد الكفار الفجار من ابناء اسباس
القرال توجه السلطان اليها بركابه في البر وارسل في البحر الطغي باشا القبودان وخير الدين
باشا بخوخمسماية غراب مشحونة بعساكر البحر الى ان نزل بمحمية المنصور على اوتونيه
سنة ثلث واربعين وتسعمايه فاستباحها قتلا واسرا ونهبا وافتتحت من جزاير
ذلك البحر اربعة وثلاثين حصنا حصينا هدمت الى الاساس وقتل من فيها من الناس
وغنمت جيوش المسلمين من طايفة الكفار مالا يحصى واخذ وا من الاموال والسبايا ما
لا يحصر وعاد السلطان مع سايرعساكره المجهزة براوبحرا الى محمية الملك سالمين غانمين

فصل الغزوة الثامنة غزوة بغداد توجه السلطان بنفسه لافتتاح تلك
البلدان وبرز بعساكره الجرارة لقتال الفجار الكفار بالسيف والنار ووصل ركابه الشريفه
الى تلك البلاد وقتل فيها وقتك واباح الدماء وسفك وافتتح القلاع واخذ
البقاع وغنم اموالا ومغانم كثيره واسر نفوسا عديدة عن محصوره وعاد الى
تحت ملكه الشريف مويدا من عنداسه بالنصر والتاييد والفتح الجديد فوصل
الى بلاد السلام القسطنطينية العظمى لست ليال يقين من شهر ربيع الاول سنة
اربع واربعين وتسعمايه فصل الغزوة التاسعة غزوة اسطبور
من بلاد انكروس وذلك ان السلطان سليمان كان قد انعم على ابدال بانو
بتلك البلاد وبلغه انها توفيت وان نجخة قرال ومن معه من الكفرة الفجار اراد
الاستيلاء على بلاده ما بعد موتها فتوجه السلطان الى دفع اوليك الكفار الفجار
سنة ثمان واربعين وتسعمايه وصمم على قتال نجخة قرال لانه اراد اخذ بودون
ووسوست له نفسه ما تحتمله المفسدون فلما احس بوصول العسكر المنصور
السلطاني فرهارا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتتبعته الابطال فلفر منهم
في اطراف تلك الجبال فحالت العساكر السلطانية في تلك البلدان وقتلوا اهل
البغي والعدوان وقتلوا بجيوش الكفر والطغيان وسبوا الاولاد والاطفال
والنسوان وتركوا ديار الكفر قاعا صفصفا وغنموا مغانم كثيرة ودخائر تحار
وتصطفى وفتحت قلعة اسطبور بقرب بودون بعد الحرب الشديد الذي
ما عليه من مزيد واضيفت الى الممالك السلطانيه وضبطت وحفظت وفتحت

ايضا

ايضا قلعة وسوه وقتل من الكفار ما لا يعد ولا يحصى وعادات السلطان بمن معه من العساكر
السلطانية الى مقر تخته الشريف منصورين مويدين بتاييد ربهم لهذا الدين الحنيف

فصل الغزوة العاشرة غزوة بيج واستر غون توجه الركاب الشريف السلطاني
والمخيم المنيف السليماني الى افتتاح عدة قلاع من بلاد بيج لتنظيف اطراف البلاد
من اهل الكفر والعناد وقطع دابر الفجار بالغزو والجهاد في سنة خمسين وتسعمايه
وبرز من دار الملك اسلامبول بالجيش المتواتر المنصور والجند الاعظم المهول
الى ان احاط بقلعة ايلوه وقلعة سقول ولاش وهما من احكم القلاع الساميه
واعظم الحصون المرتفعة العاليه تناطح السحب وتسامك السماك وتوارن الكيوان
فافتتحها في غرة شهر ربيع الاول من ذلك العام وصارتا من مصافات ممالك
الاسلام ثم افتتحت قلعة استر غون وهي قلعة في غاية الاتقان وان ستحكام اشد
واحكم من بنيان الاهرام كان قنديل سقفها نجوم الزيا وحارس بابها كواكب العوا
ونطاق سطحها وشاح الجوزا مشحونة بالاموال والذخاير مملوة بالعدد والعدد
الوافر فالقى الله في قلوب اهلها رهب عساكر الاسلام واخذ لهم بحسن امانه وتعالى فما
عصمهم ذلك الحصن المنيع وما وجدوا الا عتصام فاخذ واخذ واسبيل واسروا
وقتلوا تقتيل ونهبت الاموال وسبيت النساء والاطفال واخذ وا ما حولها
من البلد والبقاع وما بقربها من الحصون والقلاع وكذلك فتحت قلعة استوين
بلغراد وهي قلعة سامية العماد راسخة الاوتاد لم يخلق مثلها في البلاد كانها
من بناء شداد اخذت وضبطت وعين لها ولغيرها من القلاع الحفاظ النبلا
الايقاظ ونصب بكل منها دزدارا وحفارا وقاضيا يجري الاحكام الشرعيه
وضبطها للاستحفاظ وصارت من مصافات الممالك السلطانيه وصارت الكنايس
مساجد للصلاة والعبادات والبيع مشاهد للخيرات والطاعات وعاد الركب
السلطاني الى سرير ملكه الحاقاني مظفرا منصورا غانما سالما مسرورا وبه يويد
بنصره من يشا فصل الغزوة الحادية عشر سفر القاس وهي تحتمل تفصيل
طويل لهذه الحالة لا تحتمله فنعدل عن هذه الاطالات ولملخصها ان القاس
اخو الشاه لابيه وكان واليا على شروان فوقعت بينهما مشاحنة في الباطن ات

الى ان توجه القاسم الى الابواب السلطانية وقبل اليد الكريمة الخاقانية السليمانية فحصل
له من السلطان سليمان اقبال عظيم ومرتبة عليه وانعم عليه بالانعامات الجليلة
السنية ووعده بان ينصره على اخيه ويباينه ويعلى كلمته ويواليه واما
الوزراء العظام وارکان دولة الاسلام ان يعقدوا له الهدايا الجزيلة والتحف
الجميلة ففعلوا ذلك وجاروه واظهروه وعظموه وناصروه وكان ذلك في
سنة اربع وخمسين وتسعمايه واستمر ملجئا الى الظل الشريف الوريف الممدود
على القوى والضعيف وصار يصاحبه ويلازمه ويقربه ويستدنيه ويواظبه
الى ان صمم العزم والحزم وشد نطاق الصرامة والحزم وبرز بعساكره المظفرة
ونصب اوطاقه المنصورة في اسكودار ليلة الثمان ليال مضين من صفر سنة خمس
وخمسين وتسعمايه ومعه القاسم ميرزا مكرما معززا معظما وتوجه
السلطان سليمان الى اخذ تبريز وامر القاسم ان يشتي ببغداد الى ان ينقضي الشتا
ثم يهم بالعساكر المنصورة متوجها الى بلاد العجم واستمر الركاب الشريف السلطاني
ساير ايام العون السبحاني والنصر الرباني الى ان اخذ قلعة وان وحصنت بعساكر
اهل الايمان وجعل فيها نايبا وعسكرا قويا وافتها فعل ديار العجم وحصنها بالات
الحصار والحزم واستمر القاسم ميرزا متوجها الى بغداد ثم توجه ببعض العساكر
السلطانية الى دركزين ووصل الى همدان وتعدى منها الى اذربيجان وذهب تلك
البلاد واستلب اوطاق اخيه شاه ميرزا وعاد الى المخيم الشريف السلطاني والاوطاق
المنصورة الخاقانية بما نهبه من الاموال وحصل له غاية الاعتبار والاقبال وغلب
برد الشتا فشتى السلطان سليمان بالمخيم الشريف السلطاني في حلب وجهز جيشا
كثيفا مع احمد باشا لحفظ حدود البلاد وغزى طايفة الكرج وغنم منهم غنايم وعاد الى
الاوطاق السلطاني بغنايمه واما القاسم ميرزا فانه بعض الوزراء اخرج من بغداد
عاصيا واظهر الفجور من جانب السلطنة الشريفة ولم يرع الايادي الجميلة السابقة
واللاحقة وعزم الى عند اميرمن امراء الاكراد فعلم به اخوه الشاه ميرزا فارسل
اليه وخادعه واستدعاه الى عنده فلما اتاه دلاه في بير وطم اثره ومحا ذكره وخبره
فزاد السعادة والى المصير

فصل

ولما وصل علم ذلك الى السلطان سليمان

تاسف

تاسف على ذهابه وعزل ذلك الوزير عزلا مؤبدا وعادت العساكر السلطانية في ركاب
السلطان سليمان الى داره ملكه السعيد بالنصر والتاييد والسعد المجدد والعز السرمد
في اواخر سنة همس وخمسين وتسعمايه

فصل

الغزوة الثانية عشر
مسفره الى بلاد الشرق لما بلغ الحضرة السلطانية تحرك طايفة القزلباشيه على
بعض حدود الخاقانيه من جانب الشرق بادرت الحضرة السليمانيه بجيوشها
المنصورة العثمانيه الى ان تشتى في مدينة حلب وبعد انقضاء الشتا توجه
الى اخذ بلاد قزلباش وبرز الاوطاق السلطاني من القسطنطينية الى اسكدار في
اوايل شهر رمضان سنة ستين وتسعمايه واستمر الى ان وصل الى اركلي يقطع المراحل
والمنازل فاستقر اوطاقه خارج اركلي واستدعى السلطان سليمان ولده السلطان
مصطفى فامتثل امره الشريف ووصل اليه ودخل الى اخر دركاهه العالي فامر بزوال
في تابوت حمل على الاعناق الى بروسا ودفن بها واتبع به ولده ودفن معه في
بروسا ايضا وذلك في اواخر شوال سنة ستين وتسعمايه وقد قدمنا شرح
ذلك وتوجهت الركاب الشريفة السلطانية الى بلاد حلب واستمر بها ايام الشتا
وتوفي بها السلطان جمجاه لكي قرة عين السلطنة الشريفة وثمرة فوادها العشر
ليال بقين من ذي الحجة سنة ستين وتسعمايه وجهز تابوته الى اسلامبول في ذي
الحجة من السنة المذكورة ولما انقضى الشتا توجه الركاب الشريف السلطاني الى الجوان
من بلاد العجم فاحتلها الشاه وتركها خالية ومضى الى بعض الاطراف والجوانب
ولم يقاتل ولم يحارب ولم يقابل فعادت الحضرة السلطانية الى اماسيه واقام بها
على بلاد العجم ثانيا فجاءت رسل الشاه من باب الصلح فرات الاراء الشريفة السلطانية
اجابة الشاه الى سوالة ترويحا للعساكر السلطانية وصونا لدماء الرعيه فانعمت
على الشاه بقبول ما تمناه واجرت بارسال اجوبة حسب ارادته ومناه وعادت
حضرتها الشريفة الى تخت مملكتها الشريف ممدودا ظل سلطانها الوريف واستقر
ذاتها العليه قريرة العين بالسعادة الباهرة السنيه على تخت الخلافة البهيه
بدار السلام قسطنطينيه لازالت بسيوف السلطنة العثمانيه محروسة
محميه وذلك في سنة احدى وستين وتسعمايه

فصل

الغزوة الثالثة

عشر سكتوار وهي اخر غزواته الكبار لملكان دام لهذا السلطان الاعظم المجاهد في
سبيل الله لنصرة دين الاسلام كذاب ابائه الكرام واسلافه العظام كل امرء من دهم
ما تعودا وعادة الجهاد في سبيل الله سبحانه اعظم ذخرا عند الله واعود تاقت نفسه
النفيسة الى الجهاد واشتاقت الى قتال الكفار الفجار وصمم على السفر الى سيج ودسشوار
وكان مزاجه الشريف متوعكا لاستيلاء مرض النقرس عليه وتيالم لذلك الم شديدا
ويتصبر تصبر الرجال ويظهر للناس غاية التجلد والاحتمال فتعذر عليه من السفر بسبب
الالم حاجبا الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القوصوني المصري وكان من احذق الحذاق
وافضل الفضلاء في سائر العلوم على الاطلاق اديبا اريبا كاملا لبيبا طبيبا
بيني وبينه ملاطفات ومراسلات ادبية ومطارحات يجتني ثمار الادب
العض من رياضها ويقتطف ازهار المكارم من كمام اغصان حياضها برد سه
سبحانه مضجعه وانزل عليه من زلال رحمته سلسبيلا وسقاه من الجنة كاسا
كان مزاجها زنجبيلا فلم يمتنع السلطان فيما امر ولم يطع الطبيب فيما ذكر وقال له
اريد ان اموت غازيا وابذل روحي في سبيل الله مجاهدا ساعيا فسار بجيوشه
المنصورة وجنوده وراياته المعونة بالنصر وبنوده والظفر يقوده والسعد
يخدمه وانقض كالشهاب الثاقب والحسام القاطع القاضب حتى طرق الكفار
كالاحلام الطوارق وخفقت اعلامه بالنصر كالرياح الخوافق وحفظت ابصارهم
اللمعان الصواعق البوارق وكان بروزه من القسطنطينية المحمية يوم الاثنين
لتسع ليال من شوال المقرون بالظفر والسعادة والاقبال سنة اربع وسبعين
وتسعمايه واستمر بموج بجيوشه كالبحر الطوام ويفيض احسانه على كل فقير محتاج
كالغيث الثجاج وتهوي قطع المراحل والمنازل ويسلك بجاج المسالك والمناهل
وينزل في السواحل الى ان قطع الانهار الكبار العزار والمياه العظيمة الكبار
بجنود مملكة بغيت عليها وسفاين كالاطواد غرقت فيها لقد عم الجسور اليما الى ان
امكن تعدية ذلك الجيش العرمرم ومرور ذلك الجحفل الجرار والسواد الاعظم
ونزلوا بعد الخط والترحال ومقاساة الاهوال على قلعة سكتوار من اعظم
قلاع دسشوار فاحاطوا بها كاحاطة الطوق بالعنق ودار واعليها دوران الفلك

على الافق وهي مدينة حصينة واسعة شاسعة مكينة راسخة البنا في حضيض
شامخة الذرى في تمهى عنان السما في غاية العلو والتحصين واعلا درجات الاستحكام
والتمكين واقوى ما يبيد الكفار من امكان الحصين كائنا في الارتفاع والشهوق
تتاطح النطح وتعاوق العيوق وكان بريق بارقها لمعان البروق عند الخفوق مشحونة
بآلات الحرب والمدافع مملوة بالذخاير الكثيرة والمقانع موسوقة بجيوش النصارى
وابطالهم موسومة بفتيانهم الشجعان من رجالهم فحضرهم جيوش الاسلام وحاصروهم
وضيقوا عليهم مسالكهم وصابروهم وساوروهم القتال وناوشوهم وصالوا عليهم
وجاوشوهم فتحصن في قلعتكم تتوار الكفار ورموا على المسلمين بقاع النار
فتارس المسلمون بالمتارس وهجموا على الكفرة المتاحيس وحمى الوطيس وتحمس
الجيش الخميس واقدم من الابطال المشهورين والفرسان والشجعان المذكورين
ممن اظهر شجاعة اليد البيضاء اية الناظرين وطلب من الله سبحانه وتعالى النصر وهو
خير الناصرين وعند اشتداد الحرب والقتال وتصادم الابطال وتصادم الجواد الجواد
اذ غلب على السلطان سليمان توعكه وسقمه واشتد عليه مرضه والمه وعمرته
غمرات الموت ولاحت عليه امارات الفوت وهو يلهج باسه المجيب ويتضرع الى
جنابه الرحيب ويطلب منه الفتح القريب ويسال من الله الظفر والتاييد على اخذ
الكافر العنيد فاستجاب الله سبحانه دعاه وحقق بحصول المراد مناه ورجاه
واضرمت النار في خزينة بارود الكفار وهي مخزونة بقلعة سكتوار وكانوا
اعدوها لقتال المسلمين وكان واسمها لتكون موفورة عندهم واصابها شرر من
النار بتقدير الله القدير القهار فاخذت جانبا كبيرا من القلعة ودفعته الى
عنان السما وزلزلت الارض زلزالها بالقوة الى تحوم الماء وتطايرت جلاميد
الصخور الى الهوا وربت شررا ولهبا ودخانا الى ان امتلا الفضا فضعفت
بذلك طايفة الكفار وعدتهم الله سبحانه بالنار قبل عذاب النار وتراجع الجيش
في سبيل الله معتمدين على نصر الله حامدين لوجه الله وحملت على الكفار حملة
واحدة بغاية التيقظ والانتباه غير مبالين بموت ولا حياه موقنين بان
لا مفر مما قدره الله وتعلقوا باطراف القلعة وافتلعوها من ايدي الكفار

وهجموا عليها ودخلوها من فوق الاسوار وقتل منهم من قتل وجا من جا بمساعدة الاقدار
وانفتحت قلعة سكتوار ورفعت الراية السلطانية السليمانية على اعلى مناره
ووضع السيف في جميع الكفار الجبارة وقتلوهم وساقوهم الى جهنم وبيس القرار
وعند وصول خبر الفتح الى السلطان سليمان فرح وحمد الله سبحانه وتعالى على هذه
النعمة والاحسان واستسلم لربه وقال الحمد لله الان وانتقل من مرحلات
الدنيا الى سرير موضوعة في اعلى الجنان واخفى الوزير الاعظم محمد باشا وفاة السلطان
سليمان وخرج من عنده وفرق الجوايز السنية والانعامات واعطى الامراء الباشوات
الترقيات وامر بارسال البشاير الى سايرالاطراف والجهات وارسل مراسيم تدعى
السلطان سليم الثاني ويستعجله في سرعة الوصول الى التخت الشريف السلطاني
العثماني وكتم ذلك عن جميع الخواص والخدام وعن العسكر والامراء والوزراء وسايرالانام واحسن التدبير في هذا الكتم وهو من اللوازم المحتمة في الامور العظام واستقرت امور المملكة في غاية الانتظام واحوال العسكر السليماني في اعلى درجات الاحترام
وهم في ديار الكفر بعيدون عن ديارهم سالمون وذلك من كمال العقل التام ومن الرأي
الثاقب الصايب التام الى ان وصل السلطان سليم الى مقر تخت الكرام واذن
للعساكر المنصورة بالرجوع الى اوطانها وعادوا بركان دولته ووزراء سلطنته
وبقية عسكره العالي الى القسطنطينية العظمى كما سياتي تفصيله ان شاء الله تعالى
وغسل المرحوم السلطان سليمان وحنط وكفن وصبر وانشد لسان حال الاعتبار والى
الصواب اشار انظر لمن ملك الدنيا باجمعها هل راح منها سوى القطن والكفن
ووضع في تابوت على المحفة وسار به بسرعة وعجلة وهو ممن يليق ان ينشد
فيه ويقال كم قلت للرجل الولي غسله هل اطعت وكنت من نصحايه
لجنبك ما تم حفظه بما ذرفت عيون المجد عند بكايه
وازل اقاويه الخطوط وفحمها عند وحنطه بمآء سحايبه
ومراثي الملايكة الكرام بجملها فلطالما حملت من نعمايه

واستمر محمولا الى ان اتوا به الى اسلام بول وخرج الى استقباله جميع العلماء والولاة العظام
والمشايخ الاتقياء الكرام وسايراصناف الانام وبكوا عليه بكاء طويل وكثروا

يحيا وعويلا وصلوا عليه وامهم في صلاة الجنازة المفتي الاعظم ابو السعود افندي
عالم بلا دالسلام ودفن في تربة اعدها لنفسه رحمه الله تعالى ورثاه
الشعراء بكل لسان بقصايد سارت بها الركبان اعظمها واحسنها قصيدة مولانا
المفتي المذكور والعالم العامل المشهور وهي طويلة حذفت بعضها رومالا ختصار
واثبت مختارها بحسن الاختيار وهو قوله

اصوت صاعقة ام نخة الصور فالارض قد ميلت من نقرنا قور
اصاب منا الورى دهيا وداهية وذاق منها البرايا صعقة الطور
تهدمت بقعة الدنيا لفقتها وانهد ما كان من دور ومن سور
امست معالمها بتما مقفرة ما في المنازل من دار ولا ديور
تصدعت قلل الاطواد واندكت كانها قلب مرعوب ومذعور
واغبرت صبغة الخضرا وانكدرت وكاد تمثلي العرآء بالمسور
فمن كيئيب وملهوف ومن دنف عان بسلسلة الاحزان ماسور
فيالله من حدث موحش نكد يعافه السمع مكروه ومنفور
تاهت عقول الورى من هول وحشته فاصبحوا مثل مجنون ومسحور
تقطعت قطعا منه القلوب فلا يكاد يوجد قلب غير مكسور
اجفانهم سفن مشحونة بدم تجري بحر من العبرات مسجور
التي بوجه نهار لا ضيآء له كانه غارة شنت بدجور
ام ذاك نعي سليمان الزمان ومن قضت اوامره في كل ما مور
مدار سلطنة الدنيا ومركزها خليفة الله في الافاق مذكور
معلي معالم دين الله مظهرها في العالمين بسعي منه مشكور
وحسن راي الى الخيرات منصرف وصدق عزم على الاطلاق مقصور
باية العدل والاحسان ممتثل بغاية القسط والانصاف موقور
بلهذمي الى الاعداء منعطف ومشرفي على الكفار مشهور
وراية نصرت للمجد خافقة تحوي على علم بالنصر منشور
وعسكر ملاء الافاق محتشد من كل قطر من الاقطار محشور

له وقايع فى الاكناف شايعة ٭ اخبارها نبرت فى كل طامور
يا نفس مالك فى الدنيا مخلفة ٭ من بعد رحلتك عن هذه الدور
وكيف تمشين فوق الارض غافلة ٭ التى خبايا فيها بعض مستور
فلعلها بالموافقت مقدرة ٭ تاتى على قدر فى اللوح مسطور
وليس فى شانها للناس من قدر ٭ ومدخل ما بتقديم وتاخير
يا نفس فابتدرى لا تهملى اسفا ٭ فانت منظومة فى سلك معذور
الا لست مامورة بالمستحيل ولا ٭ بما سوى بذل مجهود ومبسور
ولا تظنيه ميت بل هو ذا ٭ حى بنص من القران مزبور
مرابط فى سبيل الله مقتحم ٭ معارك الحتف بالرضوان ماجور
له غنيم وارزاق مقدرة ٭ بجرى عليه بوجه غير مشعور
ان المنايا وان عمت بحرمة ٭ على شهيد جميل الحال جبار
ما مات بل نال عيشا باقيا رغدا ٭ عن عيش فان بكل الشر معمور
ابتاع سلطنة الدنيا بسلطنة ٭ العقبى فاعظم بربح غير محسور
بل جاز كلتيهما اذ حل منزلة ٭ من لم يغاير فى امر وما مور
اما ترى ملك المحمى آل الى ٭ بر سرى سرى فى الدهر مشهور
ولى سلطنة الافاق ماكلها ٭ براو بحرا بعين اللطف منظور
ظل الالهى اذ اكلى قاطبة ٭ وبلجها كل مشهور ومدهور
فانه عينه فى كل مائرة ٭ وكل امر عظيم الشان مانور
ولا امتياز ولا فرقان بينهما ٭ وهل يميز بين الشمس والنور
سميدع ماجد زادت مهابته ٭ تحت الخلافة فى عز وتوقير
جد مجدبدان فى ايام دولته ٭ كان اركانها مسك بكافور
اضحى بقبضته الدنيا برمتها ٭ ما كان منهدم منها ومعمور
بدا بطاعته والناس فى كرب ٭ وسوء حال من الاهوال منكور
فاصبحت صفحات الارض مشرقة ٭ وعاد اكنافها نورا على نور
سبحان من ملك جلت مفاخره ٭ عن البيان بمنطوق ومنثور

كانها ويراع الواضعون لها ٭ بحر خميس الى منقاره عصفور
لا زال احكامه بالعدل جارية ٭ بين البرية حتى نخلة الصور

فصل فى ذكر بعض مآثر السلطان سليمان وخزانته وصدقاته الجارية الحسان فى جميع البلدان سيما بلد الله الحرام وبلد خاتم الانبياء والمرسل الكرام عليه وعليهم افضل الصلاة واتم السلام اعلم ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقاهات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من انواع الخيرات فى كل الجهات التى انشاها السلطان سليمان كثيرة جدا لا تمكن حصرها ولا يدخل تحت العد ذكرها ولا يسع هذا الكتاب سردها وسبرها لكنا نذكر مجملا من ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ونذكر خيراته فى الحرمين الشريفين وتخيل ما عدها على السماع والمشاهدة يراى العين من ذلك الصدقة الرومية التى هى الان مادة حياة اهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيامهم ودوامهم وسبب بقايهم ومددهم فانها وان كانت قديمة متواصلة من زمن ابائه السلاطين العظام واجداده الملوك الكرام الا ان السلطان سليمان هو الذى صاعفها وزادها وبما ما وكررها وقررها واضاف اليها من خزائنه الخاصة مبلغا كبيرا فلله الحمد تردى فى كل عام بيد فرد محفوظ وامين وكاتب يقسمها فى الحرم الشريف بحاه بيت الله تعالى المعظم المنيف ويفرقها بالداخل حتى ويكرر الضجيج من الفقهاء والفقراء والعلماء والصلحاء بالدعاء بدوام دولة سلطان الزمان والرحمة والرضوان على اباءه واجداده من آل عثمان ويفرق عليهم حسب الدفتر السلطانى المرسوم بالينيشات العثمانى وينصرفون ذلك فى قضاء ديونهم وان فضل احرفوها فى جهتهم ولساويهم وانفقوها على عيالهم واولادهم ولم يقع الاحسان على هذه الصورة لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك وغيرهم على اهل الحرمين الشريفين والصدقات وان كانت ترد من السلاطين وغيرهم ولكن ليست بهذا الضبط والاستمرار والوصول فى محلها وتعميم الناس بها وكانت للخلفاء العباسيين وغيرهم صدقات كثيرة واسعة الا انها كانت ترد مرة فى العمر او عند وصول خليفة منهم الى الحج الشريف وما تحققت مواظبة وصولها على هذا الوجه الا لاحد فقط من ملوك آل عثمان

خلد الله ملكهم وهذه بركة جليلة ونعمة كثيرة جميلة يتمتعون بها على غيرهم فما سبحانه وتعالى يديم ذلك على جيران بيته الحرام وجيران بيد علية افضل الصلاة واتم السلام به وام سلطنة ال عثمان الملوك العظام المخلد ذكرهم وجميلهم في صحائف الايام ابقاهم الله سبحانه وتعالى الى يوم القيمة وساعة القيام ومما صدقة الحب وقد تقدم ان السلطان سليم الاول اول من تصدق بارسال صدقة الحب الى اهل الحرمين الشريفين عند افتتاح بلاد العرب واخذه لاقليم مصر والشام وحلب واستمرت متواصلة الى زمن السلطان سليمان وكانت ترسل من انبار الخاص السلطاني فاوزلها السلطان سليمان سليمان قرى بمصر واشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل عليها وريعها لاهل الحرمين الشريفين وكتب بذلك كتاب وقف حكم بصحته قضاة العساكر بالديوان الشريف العالي وجعل من ريعها العاوحسمايه اردب بالكيل المكي لاهل مكة المشرفة وخمسة الاف اردب لاهل المدينة الشريفة يجهز بها في كل عام من مصر الناظر المتولي على ذلك ثم صاعفها وجعل في كل عام لاهل مكة المشرفة ثلثمائة الاف اردب ولاهل المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة واتم السلام الفي اردب واستمرت ترد في كل عام وتوزع على اهل الحرمين الشريفين حسب دور مقرر باحكام شريفة سلطانية ودساكر باشوية وتقريرات من القضاة ونظار الحرمين الشريفين واستقر الحال على ذلك واستمرت الى اثناء هذا الزمان والى ما بعده ان شاء الله تعالى وهذا ايضا احسان جميل وخير عظيم عميم عام سبب لمعاش اهل الحرمين الشريفين وتقويتهم ومادة حياتهم وتعليمهم وقيام اودهم وقوتهم فلو عدموه والعياذ بالله تعالى هلكوا والدعاء من هيم قلوبهم مبذول في المسجد الشريف المكي والمسجد المنيف النبوي بدوام دولة سلطان الاسلام والترحم على اباءه الكرام واسلافه العظام وهذا احسان لم يعهد في زمن السلاطين السابقة ولا ايام الخلفاء السالفة بل هو مخصوص بسلاطين آل عثمان الا ما فعله السلطان قايتباى رحمه بعد ماج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة واتم السلام فانه وقف على اهل المدينة المنورة ومكة المشرفة ضياعا وقرى جعل ريعها الان لاهل الحرمين الشريفين وللسلطان حمص ايضا اوقاف جليل

سماشي دون ذلك الى الحرمين الشريفين وقد لت اوقافهما الى الخراب وضعف ريعها جدا واما الاوقاف الشريفة العثمانية فعامرة اهلها يفيض منها الزوايد ويحصل فيها النمو وعليها مدار معيشة اهل الحرمين الشريفين عمرها الله تعالى وايماما وعمر همر من عمرها وزيد في عمل من زكاها ومما صدقات تحول الى وهي جمع جالبة وهي ما يوخذ من اهل الذمة في مقابلة استمرارهم في بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلاييهم عنها وهي من اجل الاموال اذا اخذت على وجهها المشروع ولاجل جلها جعلت وظايف العلماء والصلحاء والمتقاعدين من الكبراء وكان يخرج منها شيء قليل جدا في ايام الخراكسة لبعض المشايخ فلما كانت ايام سلطنة السلطان سليمان زحم اخرجها من خزاينه العامرة بالتدريج الى العلماء والمشايخ من اهل الحرمين الشريفين ومن اهل مصر ومن المتقاعدين بمصر وفي الحرمين الشريفين واستوعب صرف جميعها وزاد عليها قدر اكثر الاخراجه من خزاينه العامرة وذلك من جوالي مصر وحدها عيز جوالي الشام وحلب وغيرها من الممالك العثمانية وعيز ما يصرف على الفقراء والعلماء والمشايخ من محصول الملحة في سايرما لكهم وعيز ما يصرف ملوك آل عثمان من ريع اوقافهم وزوايدها وعيز ما يخرجونه من خزاينهم العامرة في وجوه الخيرات والصدقات والمبرات والطعمة العامرات بحيث لا يحصى مقدارها ولا يستقصى اخصارها وناهيك بكرامة هذه المصارف في وجوه الخيرات والعوارف ولم يعهد مثل كرة هذه الخيرات واستمرار هذه الادرات لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك العظام تكرام الخلفاء في زمن من الازمان في دولة ملك اودولة سلطان فانه سبحانه وتعالى يبقي هذه الدولة الشريفة القاهرة والسلطنة المنيفة الزاهرة الفاخرة الى ان تنقضي الدنيا وتقوم الاخرة امين ومن خيراته الدارة الفاخرة اجراء العيون ومن اعظمها اجراء عين عرفات الى مكة المشرفة وسبب ذلك ان العين التي كانت جارية بمكة المشرفة لهي عين حنين وهي من عمل ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هرون الرشيد واسمها امة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهي طفلة ويقول لها انت زبيدة واشتهرت بذلك وكانت من اهل الخيرات ولها ماثر عظيمة الى الان ومما اجراء عين حنين

الى مكة المشرفة واصرفت عليها خزائن اموال الى ان جرت ولهى واد قليل الامطار بين جبال
سود عاليات خاليات من المياه والنبات وضعها الله سبحانه وتعالى بها واد غير ذى
زرع فنفقت زبيدة بالجبال الى ان سلك الماء من ارض الحل الى ارض الحرم وانفقت
على عملها الف الف وسبعماية الف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرين
والعمال لديها واخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما اصرفوه ليخرجوا من عهدة ما
استلموه من خزائن الاموال وكانت فى قفر عال مشرف على الدجلة فاخذت الدفاتر
فاحرقتها فى القراة وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن فضل عنده شى من المال فهو
له ومن بقى له عندنا شى اعطيناه وليستعم الخلع والتشاريف فخرجوا من عندها
حامدين شاكرين وبقى لها هذا الاثر العظيم فى العالمين رحمها الله واسكنها الفردوس
فى اعلا عليين وكانت هذه العين ترد الى مكة المشرفة وينتفع الناس بها وينبع
هذه العين فى جبل شامخ يقال له طاد بالطاء المهملة والالف بعدها دال مهملة من
جبال الشيبة من طريق الطايف وكان يجرى الماء الى ارض يقال لها حنين يسقى بها
نخيل ومزارع مملوكة للناس واليها ينتهى جريان هذا الماء وكان يسمى حايط حنين يعنى
بساتين حنين وهو موضع غزا فيه النبى صلى الله عليه وسلم المشركين ويقال لتلك
الغزوة غزوة حنين خبرها مكتوب فى كتب سير النبى صلى الله عليه وسلم فاشترت
زبيدة هذا الحايط وابدلت تلك المزارع والنخيل وشقت له القناة فى الجبال
وجعلت له السحاجيد فى كل جبل يكون ذلك مظنة لاجتماع الماء عند الامطار وجعلت
فيه قناة متصلة الى مجرى هذه العين فى محاذاتها يحصل منه المدد لهذه العين فصار
كل سحاذ عينا يساعد عين حنين منها عين سماس وعين ميمون وعين ام عمران
وعين البرود وعين الطارفى وعين بقعة والجريات وكل مياه هذه العيون
تنصب فى ذيل حنين وتبطل بعضها ويزاد بعض وينقص بحسب الامطار الواقعة
على ام احدى هذه العيون او على جميعها الى ان وصلت على هذه الصورة الى مكة
المشرفة ثم انها امرت باجراء عين وادى نعمان الى عرفة وهى عين منبعها ذيل جبل كدا
وهو جبل شامخ جدا اعلاه ارض الطايف مسيرة نصف نهار من اسفله الى اعلاه
من صعد فيه ونزل منه مرة لا يعود اليه لوعورة مرقاه وصعوبته وينصب من

ذيل

ذيل جبل كدا فى قناة الى موضع له الا وجر من وادى نعمان ويجرى منه الى موضع بين جبلين
شاهقين فى علو ارض عرفات فيما نزاع ولشعراء العرب تشوقات وتغزلات فى
وادى نعمان ، وفيه يقول القايل

، ياجبلى نعمان باسخليا ، فيتم الصبا تخلص الى نسيمها ،

فعملت القنوات الى ان جرى ماء عين نعمان الى ارض عرفة ثم ادارت القناة بجبل
الرحمة محل الوقوف الشريف الاعظم فى الحج وجعل منها الطرق الى البرك التى فى ارض عرفات
فتمتلى ما يشرب منه الحجاج فى يوم عرفة ثم استمر عمل القناة الى ان خرجت من ارض عرفات
الى خلف جبل من وراء المازمين على يسار العايد من عرفات ويقال له طريق صاحب
بالصاد المهملة المفتوحة والالف بعدها باء موحدة مشددة وتسمى الان عند اهل مكة
المشرفة المظلمة بضم الميم ثم طاء مهملة ساكنة فلام مكسورة ثم ميم مفتوحة ثم ماء التاء تحت
ثم يسيل منها الى مزدلفة ثم يسير الى جبل خلف منى فى قبليها ثم ينصب الى بئر عظيمة مطوية
بالاحجار كبيرة جدا تسمى بئر زبيدة اليها ينتهى عمل هذه القناة ومما من الابنية المؤبدة
مما يتوهم انه من بناء الجن ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطع لقلة الامطار
وتهدم قناتها وتجريها السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين اذا بلغهم
ذلك ارسلوا وعمروها عند انتظام سلطنتهم وقوة تمكنهم فتجرى ماءها وتنقطع اخرى وسمع
الحال على هذا المنوال فممن عمرها صاحب اربل وهو الملك الجليل مظفر الدين كوكبرى
ابن على فى سنة ستماية وثلاث واربعين وكان كثير الخير والاحسان جدا وله
ترجمة واسعة فى وفيات الاعيان لقاضى القضاة احمد بن خلكان ذكر له اوصافا كريمة
ومكارم عظيمة ذكر منها عمارة عين عرفات وغيرها من جزيل الخيرات ثم عمرها صاحب
اربل مظفر الدين المذكور فى سنة خمسين وستماية ايضا ثم عمرها بعد ذلك ابو الموسى
المستنصر بالله فى سنة خمس وعشرين وستماية ثم فى سنة ثلاث وثلاثين وستماية
ثم فى سنة اربع وثلاثين وستماية كما وجدت ذلك مكتوبا فى قضى مجارة مبنية فى قرب
الموقف الشريف بعرفات ثم بعد مايتة عام تقريبا عمر عين حنين الامير جوبان نايب
السلطنة الشريفة بالعراقين فى ايام السلطان السعيد خدابنده فى سنة ست
وعشرين وسبعماية فاجرى عين حنين الى مكة المشرفة وعم نفعها لاهل مكة المشرفة

فانهم كانوا في جهد عظيم لقلة الماء فرحمهم الله تعالى ورحم اهل الخير ثم عمرها شريف مكة المشرفة
يومئذ السيد حسن بن عجلان جد سادتنا الاشراف لمكة المشرفة الان ابقاهم الله تعالى
وادام عزهم مدى الزمان وكان من اهل الخير والاحسان اجرل الله سبحانه وتعالى ثوابه
في الجنان وكان تعميره لها في سنة احد عشر وثمانمايه فجرت وانبعثت ونفعت وانتفعت
وكثر الدعاء له من اهل البلد والحجاج والعباد تقبل الله سبحانه منا ومنه صالح الاعمال
ثم انقطعت ولقي الناس لذلك شدة عظيمة شديدة الى ان عمرها صاحب مصر
من ملوك الجراكسة الملك المويد ابو النصر شيخ المحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانمايه
هكذا ذكره التقي الفاسي ثم عمرها وعمر عين عرفات ايضا بعد ذلك من ملوك الجراكسة
الملك الاشرف قايتباي وعمر عين عرفات واجراها الى ارض عرفات وعمر عين حنين
الى ان جرت الى مكة المشرفة وعمر عين خليص وحصل بها الرفق للحاج واهل البلد
ودعوا له واثنوا عليه بذلك بمباشرة الامير يوسف الجمالي واخيه الامير سنقر
الجمالي في سنة خمس وسبعين وثمانمايه ثم عمر عين حنين اخر ملوك الجراكسة السلطان
قانصوه الغوري في سنة ستة عشر وتسعمايه على يد الامير خير بك المعمار الى ان عرفت
وليت بها البرك في المعلاه ثم جرت الى عين بازان ثم الى بركة ماجن في درب اليمن من
اسفل مكة المشرفة وارتفق الناس بذلك ثم انقطعت في اوايل الدولة العثمانية بهذه
الاقطار الحجازية وبطلت العيون لقلة الامطار وتهدمت قنواتها وانقطعت عين
حنين عن مكة المشرفة وصار اهل البلد يستقون من الابار حول مكة المشرفة من ابار
يقال لها العسيلات في علو مكة المشرفة قريبة من المنحنى ومن ابار في اسفل مكة
المشرفة يقال لها الزاهر وتسمى الان بالجوخي في طريق التنعيم وكان الماء عاليا قليل
الوجود وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها وكان الحجاج يحملون
الماء الى عرفات من الاماكن البعيدة وصار فقراء الحجاج في يوم عرفة لا يطلبون
شيئا غير الماء العزة ولا يطلبون الزاد وربما جلبه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة
للبيع فيحصلون اموالا من ذلك لغلو ثمنه والى ذكرنا في سنة ثلاثين وتسعمايه
قل الماء في الابار البعيدة ايضا فارتفع سعر الماء جدا في يوم عرفة وكنت يومئذ اهقا
في خدمة والدي رحمه وفرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة المشرفة الى عرفات وعطش

اهلنا

اهلنا فطلبت قليلا من الماء للشرب فاشتريت قربة ماء صغيرة جدا يحملها الانسان باصبعه
بدينار ذهبا والفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك
اليوم الشريف فشرب اهلنا بعض تلك القربة وتصدقوا بباقيه على بعض من
كان عطشانا من الفقراء وعطشت عقيبه وجاء وقت الوقوف الشريف والناس
عطاش ملتهبون فامطرت السماء وسالت السيول من فضل الله سبحانه وتعالى ورحمته
والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت ارجلهم ويسقون
دوابهم وحصل البهاء والضجيج الكثير من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى
ولطفه سبحانه بهم واحسانه اليهم وتكريمه عليهم ولا زال الله تعالى يكرمهم تلك الساعة وما حصل
بها من اللطف العظيم من كرم الله العميم وارجو به كرمه وهو اكرم الاكرمين واتيقن
ان الغفور الرحيم الذي ينزل على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا يرزق الاواه الطايعة
التسليمانية باصلاح عين حنين واصلاح عين عرفات وعين لها ناظرا اسمه مصلح الدين
ابن مصطفى من الحجاز بمكة المشرفة فنزل نفسه في عمارتها واصلاح قناتها الى
ان جرت عين مكة المشرفة ودخلتها وخرجت من اسفلها من بركة ماجن واصلح عين
عرفات واجراها الى ان صارت تملأ البرك بعرفات وذلك في سنة احدى
وثلاثين وتسعمايه وصار الحجاج يرون من ذلك الماء العذب الفراة بعد ذلك والعطش
الشديد في يوم عرفات ويدعون لمن كان سببا في اجراء هذه الجرات ثم اشترى
ناظر العين عبيدا سودا من مال السلطنة وجعل لهم جرايات وجعل لهم علوفات من
خزاين السلطنة الشريفة برسم خدمة العين ولاخراج ترتها من الذبول والفتوات
وهذه خدمتهم دايما وصاروا يتوالدون وهم باقون الى الان طبقة بعد طبقة لهذه
الخدمة ثم توجه مصطفى ناظر العين الى ابواب السلطنة السليمانية وعرض في امر العين
احوالا يجب عرضها فاجيب الى كل ما سال فيه وعاد مجبورا الى معارفه ركب في السفوس
الى مكة المشرفة فغرق في القلزم شهيدا وما عرف الا في بحر رحمة الله تعالى ومات
بل هو حي عند الله سبحانه وتعالى وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين وتسعمايه
واستمرت عين حنين جارية الى مكة المشرفة كلها تعطل مرة وتكرى اخرى بحسب
قلة الامطار وكثرتها وعين عرفات تجري من نعمان الى عرفات الى الان الى ان صارت

عرفات بساباين وغرس بها الغروس وصارت مرجة خضرا تجلى كالعروس الى ان قلت
الامطار ويبست الاشجار وغاضت العيون ونزحت الابار في سنتين متعودة
من سنة خمس وستين وتسعمايه وما بعدها وكانت سنون تقارب سني يوسف
على نبينا وعليه الصلاة والسلام شداد اجحافا وانقطعت العيون الا عين عرفات
فانها لم تنقطع الا انها قل جريانها في تلك السنون ولما عرضت احوال العيون
الى الابواب الشريفة السلطانية العثمانية التفت الخاطر العاطر السلطاني ونوجه
العطف الشريف العثماني السليماني الى تدارك ذلك باي وجه يكون وامر بالتفحص
عن احوال العيون وكيف يمكن اجراوها من بلد الله الحرام المامون فاجتمع الرجوم
عبد الباقي بن علي العزلي قاضي مكة المشرفة يومية والامير خير الدين خضر صيخي
جده حينية وعزلها من الاعيان وتفحصوا وداروا وتاملوا واستشاروا فاجمع
رايهم على ان اقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة وذيولها مبنية الى بئر
زبيدة خلف مني وان الذي يغلب على الظن ان ذيولها من بئر زبيدة الى مكة المشرفة
مبنية ايضا وانها تحتاج الى التفحص عنها والكشف الى ان تظهر لان زبيدة لما بنت
الذيول من عرفة الى بئرها المشهور خلف مني التي جميعها ظاهر على وجه الارض فالباقي
ايضا من ذلك المحل الى مكة المشرفة مبني ايضا الا انه من تحت الارض واستغنى عنها
بعين حنين وتركت لهذه ونسيت وطمت وغفل عنها لهكذا اظنوا وظنوا انهم اذا
تتبعوا عين عرفات من اولها ومن الاواخر الى نعمان ثم الى عرفة ثم الى المزدلفة ثم الى
بئر زبيدة واصلحوا هذه الذيول الظاهرة وكشفوا عن الباقي وبنوا ما وجدوا منها
مندما ورمموا الباقي احتاجوا الى ثلاثين الف دينار ذهبا وذرعوه وقاسوه
وكان من الارض الى بطن مكة المشرفة خمسة واربعون الف ذراع بذراع البنائين
الان وهو اكبر من الذراع الشرعي بقدر ربعه وهو الذي يتحيلوه في بقية الذيل
تحت الارض لم يوجد في كتب التواريخ وانما اداهم الى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن
وعرضوا ذلك الى الباب الشريف السلطاني في اوايل سنة تسع وستين وتسعمايه
فلما وصل علم ذلك للمسامع الشريفة السلطانية التمست صاحبة الخيرات الكلية
المخدرات تاج المحصنات ملكة الملكات قدسية الملكات عالية الذات

صيغة

صيغة الصفات ذات العلى والسعادات حضرة خانم سلطان كريمة السلطان سليمان
رحمه ان ياذن لها في عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة الخير اولا ام جعفر زبيدة العباسية
فناسب ان تكون هي صاحبة هذا الخير فاذن لها في ذلك فاستشارت الحضرة
السلطانية وزراء ديوانها الشريف فيمن يصلح لهذه الخدمة فاتفقت اراوهم الشريفة
على ان هذه الخدمة لا يقوم بها الا فقيد ديوان حضرة الامير المعظم فايض الجود والفضل
والكرم صاحب السيف والقلم والعلم الامير ابراهيم بن تغري بردي المهمندار بواسه
سبحانه وتعالى جنات تجري من تحتها الانهار وسقاه من الكوثر زلالا بارد ابطفي كل
اوام واوار وكان يومية قد عزل عن منصب الدفتر اريته وامر بالتفتيش عليه عن ايام
دفتر اريته فعفي من التفتيش واعطته السلطانة خمسين الف دينار ذهبا زيادة
عشرين الف ذهب على ما تحمله لتشرفها في عمل هذه العين فتوجه في البحر الى مكة المشرفة
بتجمل عظيم وبرق كبير وترتيب يحير عنه كبار البحار بكية وكان ذا نعمة غالية ونعمة
عالية واقدام عظيم واهتمام تام وكرم نفس وشهامة وحسن تدبير ومعرفة ودراية
وفطنة وكان بيني وبينه سابقة اجتماع وما رايت احدا من الامراء والوزراء
والبكلربكية مع كثرة من اجتمعت بهم اجمل نظاما ولا احسن ترتيبا وانتظاما
ولا ادق فكرا ولا اعلى همة ولا اصدق وفاء منه رحمه الله رحمة واسعة وغفر
له مغفرة جامعة وبواه الفردوس الاعلى وارضى عنه خصماه يوم القيمة وكان وصوله
الى جده يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمايه
فتوجهت الى ملاقاته لسابق احسانه الي فرايته نزل بوطاقه من خارج جده من الجهة
الشامية فعاملني بالاجلال والاكرام وركب من جده الى سيدنا المقام العالي فخم الدين
والدنيا الشريف محمد ابي نمي خلد الله سيادته وكان يومية نازلا في حمر الظهران فقابله
بالاجلال والتعظيم والترحيب والتكريم وبسلم سماطا عظيما ولاطفه واكرمه
واكرمه وباسطه وجابره فعرض على حضرة الشريفة ما جاء بصدده فقوبل باستاذ
الامر الشريف السلطاني وبذل الهمة والجهد في اتمام المهم المسيف الخافاني وانه
يقوم لذلك بنفسه وولده واتباعه وخدمه ثم ركب من عنده مجبور الخاطر
مسرور الفواد وتوجه الى مكة المشرفة فلما قاه عند دخوله الى مكة سيدنا ومولانا

المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن بن ابي نمي صاحب مكة المشرفة
ادام الله تعالى سيادته وضاعف سعادته وامد له الاجلال والاكرام فقابله
بالترحيب والاحترام وجابره ولاطفه وباسطه ووالفه واقبل كل منهما على
الاخر كمال الاقبال وتعاهدا بغاية الادب والاجلال واستمر معه الى ان فارق
من باب السلام ودخل المسجد الحرام فطاف طواف القدوم وكان محرما بالحج وسعى
ما بين الصفا والمروة وعاد الى مجمع قاياتاى وهو المحل الذى عين لنزوله ومد
له من قبل سيدنا ومولانا السيد الشريف حسن سماطا جميلا كثيرا فجلس عليه
واكل منه هو وخواصه واذن لاهل الرباط والفقهاء والقراء وعامة الناس
فاكلوا وحملوا وفضل شئ كثير وامر بتفريقه على الفقراء والناس الذى مد السماط
قفطانا من الصراصر العالى واعطاه ذهبا كثيرا ثم جاء السلام عليه سيدنا
رئيس الحرمين الشريفين كبير البلدين المنيفين شيخ الاسلام مرجع العلماء
الاعلام سيد السادات ببلد الله الحرام بدر الدنيا والدين مولانا السيد
القاضى حسين الحسينى ادام الله سبحانه عزه واقباله وخلد دولته واجلاله
ففرح به الامير ابراهيم وقابله بالاجلال والتعظيم وعرض عليه اموره واحواله
واستشاره فى سائر ما به نهضته فاشار عليه بالاراء الصايبة واعلمه بما ينبغى رعايته
ويرعى جانبه وما يجب عليه ملاحظته من الامور اللازمة فاول ما بدا به الامير
ابراهيم تنظيف بعض الابار التى يستقى الناس منها فاخرج اتربها وزيادة حفرها
ليكثر ماؤها وحصل للناس بذلك رفق كبير وشرع فى جمع ما يحتاج اليه من عملة
وتوجه للكشف عنه الى على عرفات وكرر تردده اليها وتفقدها مرارا وناقشها
ومشاربها ومسارحها والمحص عن احوالها الى ان وصل الركب المصرى وكان امير الحاج
يومئذ عثمان بك ابن نايب اليمن بن نايب الحبشة ازدمر باشا وصار بعد
ذلك عثمان بك هذا نايب الحبشة بعد وفاة والده ثم ترقى وصار نايب
اليمن واظهر اليد البيضا فى افتتاح مدينة تعز ثم صار نايب الحبشة ثم البصرة
ثم عزه آمد وهو من البكلربكية الكرام العظام وهو من المتجملين المشهورين
بالكرم والشجاعة بقاه الله امين **فصل** ووصل الى مكة المشرفة قاضيها

فى ذلك الموسم مع الركب الشامى وهو اعلم العلماء الموالى افضل الفضلاء الاتقياء
مولانا فضيل الكندى بن مولانا على جلبى المفتى الحمالى وهو من اصل العلماء العظام
وله التصانيف الحسنة المقبولة وهو الان اوراق فى الباب العالى مد الله تعالى
ظلال افضاله وادام مواد عظمته واجلاله واقاض على الطلاب سحايب فضله
وكماله وحج الناس حجة هذه وحج الامير ابراهيم فرضا حجه وعاد الحجيج الى
اوطانهم فايزين بالظفران والقبول حايزين كل مطلب ومامول وشرع الامير
ابراهيم فى الكشف عن ذيول عين عرفات وضرب اوطاقه فى الاوجر من وادى
نعمان فى علو عرفات وشرع فى حفر قعرها وتنظيف ذيولها بهمة عالية جدا
وكانت مما يكل القايمين فى هذه المهمة نحو اربعماية مملوك فى غاية الجمال والرشاقة
والحذاقة واللباقة اقامهم فى هذا العمل من الاوجر الى المزدلفة وكلت نحو الف نفس
من العمال والبنايين والمهندسين والحدادين وجلب من مصر وبلاد الصعيد وبلاد
الشام وحلب واسطنبول ومن بلاد اليمن طوايف بعد طوايف من المهندسين
وحدام العيون والابار والحدادين والبنايين والنجارين والقطاعين والبحارين
وغيرهم ممن يحتاج اليهم والى بالات العمارة صحبتهم معه من مصر من مكاييل ومساحى
ومجاريف وبولاد وحديد ونحاس ورصاص وغير ذلك مع الهمة القوية والاقدام التام
مع الاهتمام التام وعين لكل طايفة قطعة من الارض لحفرها وتنظيف ما فيها من الذيول
ليظهر فيها سعيه واجتهاده وكان يظن انه يفرغ منها ومن هذا العمل الذى جاء بعده
فيما دون عام ويرجع الى الابواب العالية السلطانية لينال المناصب العالية
ويظفر بالمراتب السنية وبابى الله الا ما اراد وما كمل يتمنى المرء بركه من المراد
والسنة الاقدار تبادره من وراء الحجاب كيف اكمل صولى اين الذهاب واستمر على
هذا الجد والاجتهاد الى ان اتصل عمله بعمل زبيدة الى البير التى انتهى عملها اليها ولم
يوجد بعده ذيل ولا اثر عمل وضاق ذرعه بذلك وعلم ان الخطب كبير وانه عمل
كبير وتحقق ان القدر الباقى انما تركته زبيدة اضطرارا بغير اختيارها وعدلت عنه
الى عين حنين وتركت العمل من عند البير لتصل به الحجر وصعوبة امكان قطعه
وطول مسافة ما يجب قطعه فانه يحتاج من بير زبيدة الى ذيل منقور تحت الارض

في الجر الصوان طوله الف ذراع بذراع البنائين حتى يتصل بذيل عين حنين وينصب فيه
ويصل الى مكة المشرفة فلا يمكن نقب ذلك لتحرجه تحت الارض فانه يحتاج في النزول الى
خمسين ذراعا في العمق وصار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظا لناموس
السلطنة الشريفة فما وجد الامير ابراهيم حيلة غير ان يحفر وجه الارض الى ان يصل
الى الجر الصوان ثم يوقد عليه النار مقدار نهاية حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة في
مقدار سبعة اذرع في عرض خمسة اذرع من وجه الارض والنار ما تعمل الا في
العلو كلما تعمل عملا يسيرا في جانب السفل فيلين الجر من جانب السفل مقدار قيد طين
من اربعة وعشرين قيراطا من ذراع فيكسر بحديد الى ان يصل الى الجر الصلب الشديد
فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة اخرى وهلم جرا الى ان ينزل في ذلك الجر مقدار
خمسين ذراعا في العمق في عرض خمسة اذرع الى ان يستوي الى ذراع يقطع على
هذا الحكم وذلك يحتاج الى عمر نوح ومال قارون وصبر ايوب وما رأى من ذلك
محيصا فاقدم عليه الى ان فرغ الحطب من جميع جبال مكة المشرفة فصار يجلب
من المسافات البعيدة وغلا سعره وضاق الناس بذلك وتعب الامير ابراهيم
لذلك وذهبت امواله وخدامه واولاده ومماليكه وهو يتحمل على ذلك الى ان
قطع من المسافة الف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل وصار كما فرغ المعروف ارسل
وطلب مصروفا اخر الى ان صرف اكثر من خمسمائة الف دينار من الخزينة السلطانية
العامرة وغرق له مع كما كان فيه باقي يحمل ته وخزاينه ونقوده وفيه جملة
من عبيده واسبابه فكان يتوف على نهاية الف ذهب في ابتداء امره ثم مات
له ولد طفل نجيب كان ظفه بمصر احترق عليه كثيرا ثم مات له ولدان مراهقان
نجيبان فاضلان اخذ بحماهم قليلة وفقدهم كبيرة ثم مات كبيرهم وكان بمنزلة امراة
الصالح ثم مات اكبر مماليكه وهو يتحمل لتلك المصايب العظيمة ويظهر الجلد
عليها الى ان ذهبت قواه وظهر بلاه واثر فيه الامهال وربته الاهوال
وجاء الاجل الذي لا يتقدم ولا يتاخر ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر فمات عن بنيه شهيدا
وقضى الى رحمة الله وحميد فرديدا في ليلة ثاني شهر رجب المرجب ليلة الاثنين
سنة اربع وسبعين وتسعمايه وصلى عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته

حافلة

حافلة جدا واسف الناس عليه لكثرة احسانه ودفن بالمعلاه على يمين الصاعد الى الابطح
في تربة كان اعدها لنفسه ودفن فيها ولديه قبله وخلف طفلا وحملا وبنتا من العمل
الخير كثيرة الصلاح والعبادة كان ذكر لي ان مولده سنة ثلث وعشرين وتسعمايه
بحكم وارخ خصماه واسمه يوم الفزع الاكبر وسقاه من حوض الكوثر بمنه وكرمه وفضله

فصل ثم اقيم جده في هذه الخدمة صنجق جده الامير قاسم بك باقامة السيد
الشريف بدر الدين بدر الدين السيد حسن صاحب مكة المشرفة يوميذ ادام الله سبحانه وتعالى
دولته وسعادته وسيد عزه وسيادته وعرض ذلك على الباب العالي وامر ان
يباشر هذه الخدمة الى ان يصل من العتبة الشريفة السلطانية لان هذه الخدمة
وكانت السلطنة الشريفة العظمى والخلافة العلية الكبرى قد انتقلت من السلطان
سليمان الى ولده السعيد السلطان سليم سقى الله عهدها صوب الرحمة والرضوان
فعين لها من الباب العالي دفتردار مصر يوميذ محمد بك الكلكجي زاده وكان متحملا
مرارا من اعيان الصاحبي الكبار وله عقل تام ذو راي ثاقب واحسان وانعام
وتعطف واكرام وصل الى هذه الخدمة الشاقة وبذل فيها نفسه وماله واظهر تحمله
واحتماله وقطع مسافته وبالغ التمام الى ان وافاه الحمام وانتقل الى رحمة الله شهيدا
سعيدا بمرض الاسهال واقدم على ربه الكبير المتعال في ليلة الثلثا وقت السحر
لاربع ليال بقين من جمادى الاولى سنة ست وسبعين وتسعمايه وصلى عليه
عند باب الكعبة الشريفة ودفن بالمعلاه فسالت تربة الامير ابراهيم الدفتردار على
يسار الذاهب الى الابطح وتاسف الناس على فقده واثنوا عليه خيرا رحمه وخلف
ولدا صغيرا اسمه بيرام محمد وبنتا اسمها خديجه وجعل وصيه عليهما عتيقه فرهاد
كتخدا بيه وفقه الله سبحانه وتعالى **فصل** ثم اقيم في خدمة عمل العين الامير قاسم المذكور
سابقا صنجق جده اقام فيها السيد الشريف حسن صاحب مكة المشرفة وامره بمباشرة
العمل وعرض ذلك على الابواب الشريفة السليمانية فرزال الامر الشريف السلطاني
باستمرار قاسم بك المذكور في خدمة العين امينا على مصارفها وان يكون سيدنا ومولانا
شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام بدر الدنيا والدين القاضي حسين الحسيني
خلد الله تعالى ظل سيادته والد فيام سعادته ناظرا على ما بقي من عمل عين عرفات

الى ان يصل الى مكة المشرفة واستمر الامير قاسم مباشر التعاطى بهذه الخدمة وكان لا يخلوا
من قصور الفهم وحب الاستقلال وبعض العناد وما اراد مولانا شيخ الاسلام
معارضته فتركه على رايه وما اراد الله سبحانه ان يتم العمل الشريف على يد قاسم
بيك فكان ثالث الامراء السابقين فنزله الاجل وادركه الحين وصار جنينة
برتبة الشهاده وصار من شهداء العين وانتقل من دار الدنيا الفانيه الى دار الاخرة
الباقيه قرير العين ليلة خلت من شهر رجب سنة تسعماية وتسع وسبعين
وصلى عليه عند باب الكعبة المشرفة ودفن بالمعلاه الى جانب الامير محمد بك الدفتر دار
المتوفى بقتله امير العين المذكور واستوفت العين به ثلاثة من الامراء الصالحين
سقاهم الله شرابا طهورا وكان بهم برا رحيما غفورا ثم توجه سيدنا ومولانا شيخ
الاسلام لسيد الشريف القاضى حسين تحسبنى امداد الله سبحانه ظل افضاله وقام
خيام عزه وعظمته واجلاله توجها تاما الى تحميل ما بقى من عين عرفات باعتبار
ما بيده من النظر عليها حسب الاحكام الشريفة السلطانية النافذة فى الاقطار
اوامرها ونواهيها وتوجه فى الاهتمام وبذل الجهد التام وعرض الى الابواب
السلطانية وفاة قاسم بيك المرحوم وعدم تعطيل العمل الى ان ياتى امين لاكمال
العمل من الباب العالى فبرزت الاوامر الشريفة السلطانية بان يكمل ذلك العمل
سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضى حسين الحسينى المشار اليه حضرة الشريفة
انفا فاقدم بهمته العلية اتم اقدام الى اكمال هذا العمل بالاهتمام فساعدته
السعادة والاقبال على الاتمام والاكمال فكمل العمل فيما دون خمسة اشهر بعد
ان عجز واعن اتمامه الامراء المذكورون قريبا من عشرة اعوام وهلكت
نفوسهم واموالهم وخدامهم وماطهم وابهة المرام وذلك فضل الله يوتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم فجرت عين عرفات وانجرت ينابيعها الجاريات
وصل الماء وما يجرى فى تلك الدبول والقنوات الى ان دخل مكة المشرفة لعشر
بقين من ذى القعدة الحرام سنة تسعماية وتسع وسبعين وكان ذلك
اليوم عيد الكبير عند الناس وزال بوصول ذلك الماء الى البلد الحرام كل هم وياس
وعمل فى ذلك اليوم مولانا المشار اليه اسمطة عظيمة فى الابطح بستانه الواسع

الافيح

الافيح وجمع جميع الاكابر والاعيان فى ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصيوانات
وذبح اكثر من مايه من الغنم وخر عدة من الابل والنعم ومد للناس على اختلاف
طبقاتهم انواع الموايد والنعم وخلع على اكثر من عشرة انفس الخلع الفاخرة من المعلمين
والبنايين وعلى المهندسين خلعا فاخره واحسن الى باقيهم بالاحسانات الوافره
وتصدق على الفقراء والمساكين وانعم على الكبراء والاساطين كل ذلك شكرا لله سبحانه
وتعالى على هذه النعمة الجزيله والمنة الجليله حيث انعم سبحانه وتعالى بها على عباده
واخصب منها جزيلا ده وكان يوما مشهودا ووقتا سعيدا وزمانا مشهودا
ثم جهز اخبار هذه البشاير العظمى وحصول هذه النعمة الجزيلة الكبرى الى
الباب الشريف العالى السلطانى ولهو السلطان الاعظم والخاقان الافخم
السلطان سليم سقاه الله كووس الرحمة والرضوان ومن حوض الكوثر فى اعلا
غرفات الجنان والى سرادقات الحجاب الرفيع والستر السابل المسبوغ البديع
صاحبة الخيرات مكة الملكات بلقيس الزمان حضرة خانم سلطان ادام الله
سبحانه ظلال عفتها وعصمتها واسبغ استار رفعتها وعظمتها فانعم الصدقات
الشريفة السلطانيه بالانعامات الجزيله والترقيات الكثيرة الجميلة على سايير
المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجليلة وحصل لمولانا شيخ الاسلام
المشار اليه حضرة الشريفة ترقيات عظيمة وصارت مدرسته السلطانيه السليمانيه
بماية عثمانى وما عهد لاحد من الموالى العظام مثل ذلك فى مدارسهم وجهزت
اليه انواع الخلع الشريفة الفاخرة وخولب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانيه
بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمنة لشكر الجميل منه وانه داخل فى جملة
خواص السلطنة المشمولين بنظر عواطفها الشريفة واتمامها الجزيلة الوريفة
المنيفة وصارت هذه العين من جملة الاثار الباقية على صفحات الليالى والايام
والاعمال الصالحات الباقيات التى لا يحوم كاتبين والاعوام وما عند الله
من تضاعف الاجر والثواب فهو خير وابقى عند اولى الالباب

فصل

ومن اثار السلطان سليمان بمكة المشرفة المدارس الاربع السليمانيه وسبب ذلك
ان الامير ابراهيم امين اجرا عين عرفات اسكنه الله سبحانه من الجنان الغرفات

عرض الى الابواب الشريفة السلطانية السليمانية وانهى الى الاعتاب العلية الخاقانية
ان المناسب للشان الرفيع الشريف السلطاني والقدر العلي السامي السليماني ان
يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة اربع مدارس على المذاهب الاربع يدرس فيها
علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سببا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين ويرتفقون
بوظايفها ويكون سببا لاحياء علم الشريعة ويسطر ثواب ذلك في حسنات السلطنة
الشريفة فاجابه المرحوم السلطان سليمان الى عمل ذلك في احسن الاماكن اللايقة
لبناء هذه المدارس وبرزت الاوامر الشريفة بعمل ذلك وعين لهذه الكذة الامير
قاسم امير جدة المذكور وان يبادر الى ذلك العمل فاجمع راى الامير ابراهيم وقاسم بك
وغيرهما من اكابر الاعيان ان اللايق لبناء هذه المدارس الجانب الجنوبي من المسجد
الحرام المتصل به من اركان المسجد الشريف الى باب الزيادة وكان به البيمارستان المنصوري
ومدرسة لصاحب كسايه السلطان احمد شاه وهو سلطان بكرات من اقليم الهند
وكان من اصحاب الخير الكثير شديد المحبة للعلماء كثير البر والصدقات وكانت المدرسة
بيد مولف هذا الكتاب في ذلك التاريخ والبيمارستان المنصوري اوقاف السلطان
الملك المويد شيخ سلطان مصر من ملوك الجراكسة وعدة دور متعلقة بالسيد الشريف
العالي السيد حسن صاحب مكة المشرفة ادام الله سبحانه وتعالى عزه واقباله ورباط
يقال له رباط الظاهر فاستبدل البيمارستان واستبدل المدرسة برباط كان بناه
يخشي القرماني ولم يثبت وقفيته فباعه ورثته فاشترى لجهة السلطنة الشريفة
وجعل بدلا عن مدرسة الكيناينة واستبدل رباط الظاهر برباط اخر في سويقة
احسن وامكن منه ووقف موضعه بدلا عنه واما الدور المتعلقة بالسيد الشريف
والمقام العالي المنيف بدر الدنيا والدين السيد حسن فقد مها جميعها للسلطنة الشريفة
واستبدل اوقاف المويد بضاع وقرى في اتساع اختارها ذرية المويد الموقوف عليهم
وكتب مستنداتها وحجها وشرع الامير قاسم في هدمها وطلب العلماء والصلحاء والاشراف
ووضعوا الاساس فتقدم قاضي مكة المشرفة يوميذ قدوة العلماء الاهالي
وصفوة العظماء الموالي مولانا شمس الدنيا والدين احمد افندي بن محمد باك البلخي
عظم الله شانه ورفع قدره ووضع بيده الشريفة الاساس وتبعه من حضر من العلماء

والسادات

والسادات والامراء واعيان الناس ووضع كل واحد حجرا في ذلك الاساس وكان يوما مشهودا
مباركا مسعودا وذلك ليلتين خلتا من شهر رجب سنة تسعماية وثلاث وسبعين
وكان عمق الاساس عشرة اذرع وعرضه اربعة اذرع بذراع العمل ووضع فيه صخرا
كبارا جدا واحكموا الاساس احكاما قويا واستمر قاسم بك في بذل الجهد والاجتهاد
مشدود الوسط كانه بعض العمال يجري بعصاة من اول العمل الى اخره بقوة
وجلادة من غير فتور فهم ولا لطف طبع مع اكل فته والعلوفة واستبد بالراي وعدم
المشاورة والاصغاء الى راي احد فاتم بناء المدارس الاربع في غاية الاحكام وزاد
في بعض عرض الجدران من غير تعميق وعمل بها ما دانة عالية احسن فيها ولغى لسقوف
المدرسة وابوابها خشبات عتيقات ذابيات تكسرت وسقطت بعد وفاة واجده
مولانا شيخ الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وكتب قاسم بك بعض طرازها
بخطه هدى وبعضه بخط راية فايق لكونه اميا لا يعرف الكتابة ولا يصغى الى كلام
احد وصارت الاحكام الشريفة تتوارد اليه بالاستعجال والاهتمام وعين المرحوم
السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان وظايف المدرسين والطلبة وعين ذلك
من اوقاف بالشام وعين لكل مدرس خمسين عثمانيا في كل يوم وللمعيد اربع عثمانيه
ولكل مدرس خمسة عشر طالبا ولكل طالب عثمانين وللفراش كذلك وللبواب
نصف ذلك يجمعها كل عام ناظر الاوقاف السليمانية بالشام مع الركب الشريف
الشامي الى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين والطلبة وظايفهم ولم تكمل المدارس
الاربع الا في ايام السلطان الاعظم مالك ممالك البر والروم والعرب والعجم
السلطان سليم بن السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان فانعم بالمدرسة المالكية
السليمانية وولى رئاسة المدارس الاربع على سيدنا ومولانا شيخ الاسلام سيد
العلماء والموالي العظام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام القاضي حسين الكستي
ادام الله سبحانه عوايده على الدوام بخمسين عثمانيا ثم رقاه الى ان صارت مايه عثمانيا
وانعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مولف هذا الكتاب بخمسين عثمانيا في
اواسط جمادى الاولى سنة تسعماية وخمس وسبعين فاقرات فيها قطعة من
الكشاف وقطعة من الهداية وقطعة من تفسير المفتي الى عظم مولانا الى السعود

العماد بواه الله غرف الجنان وانزل عليه شآبيب الرحمة والرضوان واقرات فيه درسا
في الطب ودرسا في الحديث في اصوله والى ادرس الان فيها تكميل شرح الهداية
للعلامة الكمال بن الهمام الذى كمله الان علامة علماء الاسلام فهامة فضلاء الانام
والموالى العظام مالك ناصية العلوم وفارس ميدانها وحايز قصبات السبق في
حلبة رهانها فريد دهره في التحقيق والاتقان وحيد عصره في التدقيق والاتقان
صاحب التصانيف الفايقة التي سارت بها الركبان وتداولتها الفضلآء في سايير
البلدان الكريم المحتد الى مجيد غاية الاحسان مولانا شمس الملة والدين احمد المعروف
بقاضي زاده افندى قاضي العسكر بولاية اناضولى اظهر الله على لسان قلمه مابرق
وخفى عن الاذهان والافهام واقاض من زلال الفاظه العذبة مايروى عطش
اكباد العلمآء الاعلام ذكر فيه من التحقيقات مافات ابن الهمام وقله علمآء مذهب
النعمان قلايدر منتسق النظام ومد لطلاب العلم الشريف موايد فوايد وضعها
لهم على طرف الثمام واورد فيه من خاصة طبعه الشريف ثلاثة الاف تصرف
من بنات افكاره وذلك فضل الله يوتيه من يشآء والله ذو الفضل العظيم ولا شك
ان ذلك فيض من الله الكريم افاض به من خزاين جوده العميم فسئل الله على صنعه الجميل
ونفع بتاليفه سايرطلبة العلم الشريف وابقى في صفحات العالم كتابه المفيد اللطيف ما
الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ولقد احسن الى في ايام جدارتي
وريعان لدى الحضرة الشريفة السلطانية فرقاني السلطان الاعظم والخاقان الاكرم
الافخم السلطان مراد خان خلد الله مدته الزاهرة مدى الزمان فصارت مدرستي
بهمته العلية بين علمآء بني عثمان جزاه الله عني افضل الجزاء واسبغ عليه من خزاين
فضله وكرمه واسع الخير والعطاء وانعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة
العثمانية الشريفة التسليمية الشافعية لاقرا مذهب الامام الشافعي فعينت
بمكة المشرفة على بعض علمآء الشافعية بها كما شرط الواقف المرحوم السلطان
سليمان اسكنه الله فسيح الجنان وعمره في بحار الرحمة والاحسان واما المدرسة
الرابعة فقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام احمد بن حنبل رضي
فلم يوجد يومينذ من يكون قايما بملكة في مذهب الامام احمد فعدل عنه الى علم

الحديث

الحديث الشريف لاحياء السنة الشريفة فرحم الله السلطان سليمان واثابه على مقاصده
الجميلة في اسد الخيرات واقتنآء المثوبات باحياء العلوم الشريفة وساير الباقيات
الصالحات بلغه الله من الجنان الغرفات ونظر اليه بالنظر الى وجهه الكريم في
اعلى مراتب السعادات الاخروية الباقيات وهذا الذى ذكرناه بعض ما
فعله من الحسنات ولو اردنا استقصآء ما فعل من الخيرات لاحتجنا الى عدة
مجلدات فعدلنا عن ذلك الى ما اثبتناه في فهرس الوريقات ووكلنا ما عداه
الى المشاهدات فليس الخبر كالمعاينات والله سبحانه وتعالى مدبر الكاينات

الباب التاسع في دولة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم والملك

الافخم العثماني السلطان سليم الثاني صاحب الخيرات والجوامع والمباني تغمده
الله تعالى بالرحمة والرضوان وسقى ضريحه زلال الكرم والعفو والغفران وحفه
بروايح الروح والريحان كان مولده الشريف سنة تسعماية وتسع وعشرين وجلوسه
الكريم على تخت ملكه الشريف بالقسطنطينية العظمى في يوم الاثنين لتسع مضين
من شهر ربيع الاخر سنة تسعماية واربع وسبعين ومدة سلطنته الشريفة
تسع سنين وسنة حين تسلطن ست واربعون سنة وعمره كملك ثلاث وخمسون
وبعد ثلاثة ايام من جلوسه على التخت توجه الى سكتوار لحفظ عسكر الاسلام
المجاهدين في سبيل الله سبحانه وتعالى في خاق بلاد الكفرة مشغولين بفريضة
الجهاد بغاية الجد والاجتهاد وسار سيرا حثيثا الى ان وصل بركابه الشريف
السلطاني الى سهد ويقال سرم فلما قدم عرض حضرة الوزير الاعظم اصف
الزمان محمد باشا ما نعش الله بوجوده الاسلام انتعاشا يتضمن هجوم اشتاه
وتيسير فتح قلعة سكتوار وقمع مردة الكفار والفجار والتماس الاذن الشريف
السلطاني للعسكر المنصور الخاقاني بالعود الى الاوطان واستمرار الركاب
الشريف السلطاني بذلك المكان الى ان يصل الى ركابه السلطاني والاكتحال
بتراب الباب الشريف الخاقاني وبعد ذلك يعودون في الخدمة الشريفة السلطانية
الى مقر التخت الشريف السلطاني بالقسطنطينية العظمى فاجيب حضرة الوزير
الاعظم الى ما اشار اليه واستقر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل والقرار

ان ولى السلطنة لم يقطع عادة احسانه واستمر يصل ذلك اليهم فى كل سنة بحيث
اضيف ذلك الى دفتر الصرة الرومية ويقسم كل سنة على الحكم السابق الى الان
فهو الملك الهمام المحسن المنعام الفايض الاحسان والانعام اطال ما طافت
بكعبته الامال واعتمرت وصدع باوامره الليالى والايام فاينعت وعرس
فى رياض السعادة عرائس اشجار السيادة فتسقت واثمرت وعمر
بظواهر البلاد فتمدنت بعد الخراب وعمرت ودمر بسياسته ارباب الظلم
فخربت ديار الظالمين ودمرت وكم اظهرت لسواد الكفر بيضا بيضاء
للناظرين وكم مهر جيوشا للجهاد فى سبيل الله فقطع دابر الكافرين فمن اكبر
غزواته فتح جزيرة قبرس بسيف الجهاد ومما فتح تونس الغرب وحلق الوادى
ومما فتح ممالك اليمن واستراحها من العصاة البغاة اهل الالحاد والعناد
ومن جزاته تضعيف صدقة الحب وارسال مدة سلطنته للحرمين الشريفين ومما
الامر ببناء المسجد الحرام وكل ذلك من الاثار العظيمة والمزايا الفاضلة التى سيد
فلنذكرها بطريق الاجمال لضيق المجال فاما قبرس فهو باب من المهملة لا باء العاطلة
كما يغلط فيه العوام جزيرة فى البحر قال الفقيه العدل المفتى ابو عبد الله محمد
ابن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميدى فى كتاب الروض المعطار
فى اخبار الاقطار قبرس جزيرة فى البحر الشامى كبيرة القطر وبها معدن النحاس
القبرسى ومنها يجلب الى سايرالاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى
طرابلس الشام مجريان فى البحر وقبرس على ممر الايام رخاء وما شامل وجزايرها
كاملة وكان معاوية رضى الله عنه غزاها وصالح اهلها على جزية سبعة الاف دينار
فنقضوا عليه فغزاهم ثانية فقتل وسبى شيا كثيرا وورد انه لما افتتح مدينة
قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبى فيما بينهم بكى ابو الدرداء رضى الله عنه ثم
احتبى بحمايل سيفه ودموعه على خديه فقيل له انبكى فى يوم اعز الله فيه الاسلام
واهله واذل الكفر واهله فقرب على منكبيه اى منكبى القايل وقال ويحك
ما اهون الخلق على الله اذا تركوا امره فبينما هى قوة ظاهرة وقدرة قاهرة
لهم على الناس اذ تركوا امره فصاروا الى ذلة وصار حالهم الى ما ترى من السبى والاهانة وبين

الى السلطنة

عليه الى ان ورد الوزير الاعظم المشار اليه وبا قى الوزرا واركان الدولة الشريفة
وقبلوا الركاب الشريف السلطانى ونطقوا بالملك الشريف الخاقانى وعادوا فى
خدمة السلطنة الشريفة الى اسلام بول بغاية اليسر واليمن والقبول وعند الوصول
الى باب السرايا الشريف السلطانى طلبوا عادتهم عند تجدد السلطان ادت الى سوء
ادب من بعضهم فجاء المرحوم المفتى الاعظم شيخ الاسلام رييس العلما الاعلام
كبير الكبرا المولى العظام مولانا ابو السعود افندى العمادى جعل الله سبحانه ونعالى
ثوابه الجنة وافاض عليه سحايب الاجر والثواب والفضل والمنة فوعظ العسكر
والزمهم الكلام والتزم لهم بعوايدهم وترقياتهم وعطاياهم العظام فلما توا
بعد القسوة واستغفروا من تلك الهفوة وطلبوا من سكرة الجهالة وافاقوا
بعد الطل له ودخل السلطان الى سراياه الشريفة وجلس على سرير ملكه المنيف
فوفى للعسكر بما التزم لهم بحضرة المفتى الاعظم وافاض احسانه عليهم وانعم
واصاف فى ذلك خزاين كثيرة لا تحصى ودر عليهم من الورق والعسجد مال لا يحصر
ولا يستقصى وامر بقتل من كان سببا فى فعله الفوضا من السفهاء وسكنت
الفتنة ولله الحمد على جزيل النعما ولله الشكر على جميل الالا ولله الحمد فى الاخرة
والاولى فهنيت بجاه ذلك الاوحد بذلك واولى ودخل على السلطان العلما العظام
للتهنية بالملك والتحية والسلام ثم ان ركاب الدولة على قوائمهم وحصل لهم
بحسب مرامهم الاجلال والاكرام وقرت عيون الانام بكمال الامن والاطمينان
وتمام حسن الانتظام ثم جهزت البشاير السلطانية الى الممالك الشريفة العثمانية
بالمنح الوافرة الخاقانية فحصل لنواب السلطنة الشريفة كمال الفرح والسرور
وتمام البشر والحبور بانتظام الامور ووصلت التهنية من ملوك الاطراف
بالتحف والهدايا اللطيفة الظراف وقرت العيون وزالت الغيون
واستقرت الخواطر والظنون فكان سلطانا كريما رءوفا بالرعية رحيما عفوا عن
الجرايم حليما محبا للعلما والصلحا محسنا الى المشايخ والفقرا وكان احسانه يصل
الى فقرا الحرمين الشريفين وماوشاه ارادة ويصل كشاريفه وكساوته
فى كل عام الى الفقها والصلحا وكان يصل الى احسانه وكسوته فى كل سنة وبعد

ان

جزيرة قبرس وساحل معرة خمسة ايام وبينها وبين جزيرة رودس مسيرة يوم
واحد وانما سميت جزيرة قبرس بوثن هناك كان يسمى قابرس كان
يعظمه الكفار ويعظمون لاجله جزيرة قبرس واهل جزيرة قبرس موصوفون
باليسار والغنى وبها معادن الصفر ويجمع منها اللادن الحسن الرائحة الذى
يغلب العود فى طيبه وماؤه الذى يجمع منه على الشجر خاصة وكان يحمل الى
ملك القسطنطينية لانه افضل منه وما يجمع منه مما ساقط على وجه الارض
يبيعونه للناس وكانت ام حرام بنت ملحان الصحابية رضى الله عنها شهدت غزوة
قبرس فتوفيت بها واهل قبرس يتبركون ببقرها ويقولون لهى قبر المراة
الصالحة وكانت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعلها من الذين
يركبون سبح البحر مجاهدين فى سبيل الله ففعل صلى الله عليه وسلم وماؤه حديث
معروف صحيح وكان الاوزاعى رحمه الله يقول انا نرى هولاء يعنى اهل قبرس
اهل عهد وان صلحهم وقع على شئ فيه شرط لهم وشرط عليهم وانهم لا يسعهم
نقضه الا بما يعرف به غدرهم ورأى عبد الملك بن صالح فى حديث احدثوه
وان ذلك نقض لعهدهم فكتب الى عدة من الفقهاء يسئلهم ورأيهم فى امرهم منهم
الليث بن سعد وسفيان بن عيينة وابو اسحق الشيرازى ومحمد بن الحسن
فاختلفوا عليه واجاب كل واحد بما ظهر له فقالوا وانتمى خراج قبرس الذى يودونه
الى المسلمين بعد المايتين من الهجرة الى اربعة الاف الف وسبعماية الف واربعين
الفا انتهى ما ذكره صاحب الروض المعطار قلت وقد تقدم ما نقلناه انها
افتتحت فى ايام الدولة الجركسية فى سلطنة السلطان الملك الاشرف برسباى
الدقماقى واسر ملكها فى سنة ثمان مايه وتسع وعشرين وكان اهل قبرس فى ايام
الدولة الشريفة السلطانية العثمانية مهادنين يدفعون الى الخزينة العامرة
السلطانية ما كان مقررا عليهم عن انهم اخذوا فى المكر والخداع واظهار الطاعة
والوفاق واخفاء الغدر والشقاق فصاروا يقطعون الطريق فى البحر على
المسلمين واذا اخذوا سفينة من سفاين المسلمين قتلوا جميع من ظفروا به فى
تلك السفينة وعرقوهم فى البحر لاخفاء ما فعلوه وصاروا يأوون قطاع

الطريق

الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين الى ان كثر اذاهم وعم ضررهم فاستفتى
المرحوم السلطان سليم مفتى الانام مولانا ابى السعود افندى العمادى فافتاه
بانهم غدروا ونقضوا العهد وان قتالهم جايز بسبب ارتكاب ما ارتكبوه من
الغدر والخيانة فجهز عليهم حضرة السلطان سليم جيشا كثيفا وعسكرا منصورا
مسيفا ارسله من جانب البر وعمارة عامرة من جانب البحر وجعل سردار الجميع
الوزير المعظم والمشير المفخم نظام العالم مدبر مصالح جماهير الامم قايد جيوش
الموحدين قاهر جنود الكفار والملحدين اعتضاد الملوك والسلاطين اعتماد
الغزاة والمجاهدين المخصوص بعناية رب العالمين مصطفى باشا لا زالت ارادة الله سبحانه
عز اوجل لا وسعادة وسيادة واقبال وايده بالنصر المبين والفتح القريب اسفارا
واجلالا فامتثل الامر الشريف السلطانى وبرز محفوفا بالنصر الصمدانى والعون
الربانى ومعه عسكر جرار ملا وجه الارض برا وبحرا كانهم قطعة ناره مضرمة واشتد
حراجهم المحاصرون فى سبيل الله وضيق عليهم جنود الاسلام الغزاة ورموا
بالمدافع الكبار السلطانية عليهم فحطمت دورهم وهدمت قصورهم وصارت
بيوتهم قبورهم وكثرت ظهورهم فافتتحت ببركة النبى صلى الله عليه وسلم قلعتان
وبقيت القلعة الثالثة وبها ما عوسا وفيها سلطانهم محصورا وكل محصور
ماخوذ وماسور فاظهر الجلد وثبت وكابد فى محاصرته انواع الكمد الى ان وهى
قواه وذهب كيده وحشاه واضطر الى طلب الامان والذل لحضرة الوزير المعظم
الرفيع الشان فشملته عناية الوزير المعظم واعطاه الامان وشرط عليه ان
يخلى من عنده من اساري المسلمين ويدوس البساط الشريف السلطانى
ليتم له التامين ويحصل له التطمين فوافق على ذلك واطلق الاسرى وحضر
لان يقابل الوزير المعظم جهرا وقهرا فاجزوه الاسرى الدخان بعد انعقاد
الامان وقتل جماعة من اساري المسلمين بالسيف جهرا واخفى ذلك عن المسلمين
وفعل هذه الخيانة سرا فلما علم الوزير ان ملكهم قد خان طلبه الى بين يديه واهانه
غاية الهوان وركب وحمله غاشية البرج وامره ان يمشى قدامه كساير الغلمان
ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده واخذ امواله وذخايره وقتل من اراد

واستأسر واسترق من اراد وصارت جزيرة قرس دار الاسلام واضيفت الى ساير
الممالك الاسلامية العثمانية باجتهاد هذا الوزير العظيم واصابة رايه وتدبيره
الصايب الاتم وما بلغني تفصيل ما وقع في هذه الغزوة وما امكنني تحقيقها
واجهدت كثيرا افرادها بالتاليف وذكر ما وقع فيها فلم اظفر بذلك قال اظفر الى
الله تعالى بالاطلاع اجعله تاريخا مستقلا واسع المجال لطيف المحاكمة بليغ
المثال ان شاء الله تعالى واما فتح بلاد اليمن فان اقليم اليمن من صنعا الى عدن
كان داخل في الممالك الشريفة السلطانية العثمانية في ايام دولة السلطان
سليمان اسكنه الله الجنان وحف روضته الطيبة الطاهرة بالروح والريحان
وكان اول فتحها الخاقاني على يد الوزير العظيم سليمان باشا الخادم نايب مصر لما توجه
الى المهند لغزو الفرنج في البر تقال سنة تسعماية وخمس واربعين اقام نايبا
واستمر كذلك في تصرف النايب الذي تولى من الباب الشريف السلطاني يتولاها
واحد بعد واحد الى ان وزعت مملكة اليمن بين نايبين بعرض محمود باشا ان
مملكة اليمن واسعة يمكن ان يولى في اعلى الجبال من صنعا الى تعز نايبا ويولى
على تهامة وما يزبيد وساير السواحل والبنادر نايبا اخر وكان هذا عين الخطا
فان ذلك مظنة الاختلاف والجدال كما قال الله تعالى الكبير المتعال لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا فقبل عرضه في الباب العالي فصدر الامر الشريف بتعديد
اسكله بكية فولي بلاد اليمن اعلاها وجبالها مراد باشا وكان يقال له كور مراد
لخلل كان باحدى عينيه وكان خرج من سرايا السلطان وكان من امراء الصناجق
وصار امير الحاج الشامي ثم ولي صنجق غزه ثم اعطي نصف مملكة اليمن وولي
جهة التهايم الحسن باشا وما والاها من الممالك السلطانية برز من السرايا السلطاني
فانقسمت عساكرها واموالها ومحصولها الى نصفين وضعف امر كل واحد
منهما وكان مظهر بن شرف الدين يحي الزيدي لعب الشيطان بعقله وسولت
له نفسه العصيان وكانت داعية العصيان مضمرة في خاطره طمعا في الملك وفساد
انقسام المملكة وصول جزوفاة السلطان سليمان هو ولفيفه من العربان
وجهز امير امن امرايه يقال له علي بن شيوع وجمع عليه العربان فقطعوا الطريق

على مراد باشا في محط رهاده وما وغافل عن عصيانهم وكان قاصدا من تعز الى
صنعا وهي محصورة بالعربان الزيديين وسلبوا كثيرا من الصناجق
وحبسوهم فمات منهم من مات وهرب من هرب فلما احاطت العلوم الشريفة
السلطانية بما وقع من هذا الاختلال في اليمن برزت الاوامر الشريفة
الى نايب مصر يومييذ الوزير الكرم المفخم نظام العالم صاحب السيف والقلم
مدبر مصالح جمهور الامم فاتح ممالك اليمن من كوكبان الى عدن وقلع
جذور الاوباش وتونس العرب ودافع الكفر عنها والمحن ليث عرين الوطيس
افراسا وشدة جاش وباس الوزير العظيم ستنان باشا فانه اسد ضرغام
وليث لهام وحسام صمصام وكريم محسن فايض الجود والانعام جوادا لو
لم يحي الهلال لما كان يعلم في حاتم جوادا ولامدت الثريا كف الخضيب
الا للتمسك بذيل فضاله وامداده ولافتحت المحابر افواهها الا لتنطق بمدحه
السنة الاقلام ولاجرى الحبر بياض الطروس بسواد السطور الا ليتشرف
الليالي والايام له من جملة الخدام طالما طوق الاعناق الطوقا من الافضال
والانعام فكانها اطواق الحمام وكثيرا ما احتفى الى العلماء والصلحاء من جيران
بيت الله الحرام وجيران سيد الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم افضل الصلاة
واتم السلام وكنت ممن شملني بره وانعامه ووصل الي في كل الايام احسانه
واكرامه فانطلق لساني بشكره ونطق بالثناء عليه لكثرة بره فخلدت ذكره
محاسنه في صحايف الكتب والدفاتر وهرعت كرايم صفاته في صحاف اوراق
بالسنة الاقلام وافواه المحابر لا يخلقها الجديدان ولا يبليها الدهر الغابر
وكتبت باسمه الشريف تاريخا مستقلا سميته البرق اليماني ذكرت فيه احوال
اليمن من سنة تسعماية واستيلاء حسين الكردي وطايفة الجراكسة ثم اللوند
الى زمن الفتح العثماني اولا على يد الوزير سليمان باشا ثم استيلاء الزيديين
بدعوة مطهر بن شرف الدين ثم الفتح العثماني ثانيا على يد الوزير المعظم
ستنان باشا ادام الله سبحانه وتعالى ذكره واجل له وخلد سعادته واقباله
على سبيل التفصيل واكتفيت بما ذكرته في هذا التاريخ عن اعادته هنا فانه

يروى الغليل ويفصل تلك الاحوال غاية التفصيل وكنت صدرت ذلك الفاتح
بقصيدة طنانة من نظمي سارت بها الركبان وتلقتها بالقبول اذنا على
وفتحا اللسان تسابق بطيء الفاظها ومعانيها الى الاذان والاذهان وتسجع
كل كلمة منها اذيال البلبل غنة على سبحان وهي هذه

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر ... على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح الزمان اذا سعت ... له الهمم العليا الى شرف الذكر
جنود درت فى كوكبان جبالها ... واخرها بالنيل من شاطى مصر
يجر من الابطال كل غضنفر ... بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا ... خليفة هذا العصر فى البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا ... وبيض المواضى والمثقفة السمر
له فى سرير الملك اصل موثل ... تلقاه عن اسلافه السادة الغر
ملوك تسامو للعلى وحثل يف ... اولوا العزم فى ازمانهم واولوا الامر
شموس بغيض النور تحو اغيانها ... من الكفر منهم تستمد ضيا البدر
لهم ملوا عين الزمان وقلبه ... فقرت عيون العالمين من البشر
لهم العقد من اعلى اللالى منظما ... وسلطانا فى الملك واسطة الدر
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم ... سليم كريم اصله طيب النجر
عماد يلوذ المسلمون بظله ... وسد منيع للانام من الكفر
وحين اتاه ان قد اختل جانب ... من اليمن الاقصى اجر على القهر
وساق اليها الجيش جيشا عرمرما ... يدك بجاج الارض فى السهل والوعر
لهم اسد سلكى اذا لاح عرينه ... طوال رماح السمهرية والبتر
وزير عظيم الشان ثاقب رايه ... يجهز فى ان جيوشا من الفكر
يقوم باعباء الوزارة قومة ... يشد جيوش الدين بالنصر والازر
اياد له بالباس كاسرة العدى ... وكفا بالجود جابرة الكسر
به امن اهل البسيطة وطمن العباد ... واضحى الدين منشرح الصدر
شنان عظيم القدر يوسف عصره ... المرة فى مصر احكامه تجرى

تتلى

تتلى الى اقصى البلاد بجيشه ... ومهند ملكا قد تمرق بالنشر
وشتت شمل الملحدين وردهم ... مثال قرود فى الجبال من الذعر
وقطع رؤسا من كبار رؤسهم ... لهم باطن السرحان والطير كالقبر
وكان عصى موسى تلقف كلما ... بدا من صنيع الملحدين من السحر
ولا زال فيهم عامل الرمح عاملا ... ولا برحوا فى الذل بالقتل والاسر
صنايعه من الممالك تتبع ... وما نهبت من ملك قديم ومن فخر
وقد ملكتها آل عثمان اذ مضت ... بنو اطاها اهل الشامة والذكر
فهل يطمع الزيدى فى ملك بتبع ... ويا خذه من آل عثمان بالملك
الى اسه والاسلام والسيف والقنا ... وسراير المومنين الى نكس

فصل ولما تم الفتح الخاقانى العثمانى فى القطر اليمانى عاد الوزير السنان
باشا المعظم الى بلد اسه المكرم وحج بحجة الاسلام وزار المزارات والمشاهد
العظام وصادف الحج الاكبر وكانت الوقفة يوم الجمعة افضل الايام واشرف
بلد اسه الحرام انواع الخيرات والانعام واحسن الى اهل الحرمين الشريفين
ومن حضر فيهما من حجاج الانام وقابل اشراف مكة المشرفة بالاجلال والاحترام
فمن اثاره الخالدة به فى المسجد الحرام تعميره حاشية المطاف من بعد اساطين
المطاف الشريف دايرة حول المطاف مسقفة ومشتة بالحصى بيدورها دور
حجارة مسحوتة مبنية حول الحاشية كالافريز لها فامر الوزير المشار اليه
ان تفرش هذه الحاشية بالحجر الصوان المسحوت ففرشت به فى ايام الموسم
وصار كل الطيفا دايرا بالمطاف من بعد اساطين المطاف وصار ما بعد
ذلك مفروشا بالحصى الصغار كساير المسجد الحرام ولهذا الاثر خاص به
ذكره اسه بالصالحات وادام له العز والسعادات ومنها تعميم سبيل التنعيم
انشاه وامر باجراء الماء اليه من بيار بعيدة يجرى الماء منها الى السبيل فى ساقية
مبنية بينهما بالحصى والنورة وعين لها خادما يتقى من البير ويصب
فى الساقية فيصل الماء الى السبيل ليشرب منه ويتوضا منه المعتمرون
والواردون والصادرون ويدعون له بالنصر والتاييد وعين لخادم ذلك

من ربع اوقاف له بمصر ومنها اباره حفرها بقرب المدينة المنورة لقوافل الزوار
في وادي مفرح وغيرها كثيرة النفع جدا ومنها قراءة ختمة شريفة في
كل يوم يقرأ وما مثل يؤمن نفر الجملة المشرفة واجرى بالمدينة المنورة على
الحال بها افضل الصلاة واتم السلام وعين لمحل قارئ جزءا في كل سنة تتعوض
دنانيز ذهبا وكذلك لمفرق الاجزاء وللداعي وشيخ القراء وعين مصارف
ذلك كله من اوقافه التي بمصر وجعل ناظرها والمتكلم عليها وعلى سائر ما عين
من الخيرات شيخ الاسلام قاضي المسجد الحرام وناظر المسجد الواجب الاحترام
سلالة آل النبي المصطفى خير الانام عليه من الله افضل الصلاة واتم السلام
بدر الملة والدين القاضي حسين الحسيني ادام الله سبحانه عزه واقبال وضاعف
سعادته واجلاله وكل هذه الخيرات باقية جارية الى يوم القيمة ان شاء الله تعالى

فصل ولما فتح خلق الوادي وتونس الغرب فهي من اجل الغزوات
العثمانية واعظم فتوحاتهم العلية الواقعة في ايام دولة السلطان سليم خان
عليه الرحمة والرضوان وبيان ذلك ان سلاطين تونس الغرب من آل حفص
لما ضعفوا ووهنوا ووقع بينهم الاختلاف صار بعضهم يلجئ الى نصارى الفرنج
ويأتي بجنود الكفرة ويستعين بها على اخذ تونس وصارت الفرنج تقاتل من في
تونس من المسلمين ويقتلونهم ويسبون اولادهم ونساءهم ويبنون القلاع
في تلك البلاد ويتواصلون بجنود النصارى الى بلاد اليمن ويولون من تحت
ايديهم سلطانا من ذوي حفص سلاطين تونس قديما على بلاد تونس ومن بها
من المسلمين الى ان صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم اذاهم على المسلمين
وانفردوا واعتمدوا وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب
تونس في موضع يقال له حلق الواد كانه بناء شداد او وضع قابيل عاد
وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وشبحنوها بالابطال الباطشين الفاجرين
من قوم النصارى المشركين وملوها بالات الحرب والقتال والطعن والنزال
وصارت النصارى تكمن للمسلمين ويرسلون منها الاغربة والمراكب في البحر
على بلاد المؤمنين الموحدين ويقطعون الطريق على المسافرين ويأخذون

كل

كل سفينة غصبا وعم اذاهم المسلمين قتلا واسرا ونهبا وسلبا الى ان تعدى
ضررهم على طوائف اهل الاسلام وعم الخاص والعام وزاد فساد اهل الصليب
على ضعفاء المسلمين والمؤمنين والموحدين وكبير ملوك النصارى يومئذ
صاحب اشبيلية من جزيرة الاندلس عاده الله سبحانه وتعالى دار اسلام
ببركة سيد الانام على تلك الذات الشريفة افضل الصلاة واتم السلام ويسمى
العوام اسبانية وهي بحر بقرب اشبيلية جهز جيشا كثيفا لاخذ تونس وولى
على ذلك سلطان تونس احمد بن حفص اليماني فاتاه الله سبحانه بما يستحقه
على سوء فعله فاخذت النصارى تونس ووضعوا السيف في اهلها فقتلوا
الرجال ونهبوا الاموال وسبوا النساء والاولاد والاطفال وبايعوا احمد المذكور
بالتونسية واسودت في صحايف الايام والليالي بياض اسمه ورسمه وانقلب
خاسرا مدحورا واخلع عن ربقة الدين وزاد خيبة وكفورا ونفرت قلوب المسلمين
منه وزادت نفورا وكيف لا يكون ذلك وقد استعان بملة الكفر على
الاسلام واستدعى عبدة الصليب والاصنام ينتصر بهم على افضل ملة بعث عليه
افضل الصلاة واتم السلام واستمر دار الاسلام تونس باقدام اولياء الكفرة
اللئام وبالله الكبير المتعال الاعتصام فانتشرت هذه الاخبار المدهشة
والاثار المظلمة الموحشة الى ان وصلت الى ابواب سلطان الاسلام ظل الله على الانام
مالك صهوة الملك من الذروة الى الغارب ملك المشارق والمغارب واسطة
عقد ملوك آل عثمان المشمول بالمرحمة والاحسان السلطان سليم بن السلطان سليم
ابن السلطان سليم سقى عهدهم صوب الرضوان وابقى فيهم السلطنة الى انتهاء
الزمان فلما طرق سمعه الشريف هذا الحادث الرجيف وعلم ما اصاب اهل الاسلام
من هذه المصايب العظام والامتهان الذي قصم الظهور واوهى العظام استشاط
غيظا وغضبا واضطرمت نار حميته وتاججت لهبا وتحركت فيه العصبية السلفية
والتهبت بزان الحمية العثمانية وقام وقعد وابرق وارعد واراغ وازبد
وهدد ووعد وخاطب الخطباء والوزراء العظام والبكلربكية الكبار الفخام
وقال من يقدم منكم على نصرة الاسلام واذلال عباد الصليب والاصنام

ويستنفذ من اسر من المسلمين ببدا وليث النصارى الطغاة ويخرجه من عهدة
الكفار البغاة اللئام فبادر الوزير المعظم والليث العشمتم صاحب السيف والقلم
فاتح ممالك اليمن ابو الفتوحات سنان باشا المفخم لازالت الوية نصره منشوره
الذوايب مشرقة في المشارق والمغارب صاعدة الى افق السمائر اعظم منا كب
الكواكب وقال انا لسد هذه الخلة انا لها اوضح كربتها واقتح مقفلها واصلح
خللها وازيل علتها ولم تدعنا السلطنة الشريفة الخ فاقيده ولازبتنا العوطف
الكريمة العتمانيه الا لبذل ارواحنا واموالنا في مثل هذه الحوادث وندفع عن
المسلمين ما يصابون به من المصايب الكوارث فقابلت السلطان الاعظم بالشكر
والثناء عليه واشارة الالتفات الشريف السلطاني اليه وجعله سردار العساكر
المنصوره وامره بالتوجه الى قهر طايفة النصارى المقهوره وامران يتوجه معه
لمساعدته ومعاونته ودفع ملالته وسامته وضبط العساكر البحرية الحربيه
وترتيب السفاين البحرية فابودان الباب العالي فارس ميدان البحر السابق الى
قلة ابراج المعالي الاسد الكرغام والليث الهمام والصارم الصمصام امير الامرا
العظام فلج علي باشا القابودان يسر اسه لمن الفتوحات ماشا فشرعا في اخذ
اسباب السفر واخذ امهما من امرآء الصاحي وشجعان العسكر كل اسد عضنفر
وكل باسل معقود بناصيته اسباب النصر والظفر ممن له في حرب البحر اليد البيضا
والمعرفة التي يتصرف بها في الماء والهواء وشحنا مايتي غراب تطرد باحجمه القلاع
وتهدم بما فيها من المدافع محكمات الحصون والقلاع وعدة من المونات الكثيره
لحمل الاثقال ورفع الاحمال الثقال وسل مكامل النحاس لحطم الثغور وهدم
السور والجسور الى الاساس وكثرت التحويف والترتيب وشدة القوة
واليأس وكان يوم بروزة العسكر المنصور من القسطنطينية العظمى يوما عظيما
مشهودا وساعة مباركة اظهرت يمنا وبركة وسعودا وكان الجمع المنصور
جمعا مباركا منصورا ممضودا وذلك في غرة شهر ربيع الاول سنة تسعين
واحد وثمانمايه وركب الوزير المعظم سردار العسكر الباشا سنان وعلي باشا
القابودان والعساكر المنصوره بنصر الله سبحانه الملك الديان سبح البحر كانهم

طوفان

طوفان فوق طوفان وطارت بهم الاعزبة على وجه البحر اقوى طيران وتلت الالسنة
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها فوصلوا الى ايمان اياواهرين واستمروا
سايرين في البحر حتى وصلوا الى ماللوا كليسان من مملكة البندقيه فوصلوا يوم
الخميس الخمس مضين من شهر ربيع الاول ليمان الجزر واستقروا بها ليلة الجمعة
واصبحوا متوجهين والسعد يخدمهم والنصر يقدمهم والفتح والظفر يراقبهم
ويقدمهم ووقعوا ابسعايتهم الى العمان وما امكن لغيرهم من العساكر عبور
العمان بهذه السفاين الكثيرة حفظا من تصادمها عند شدة تموج البحر ولكن
الله سبحانه وتعالى يسلم من اراد ولا دافع لمراده ولا راد وهو على كل شيء قدير
فساروا تارة بالقلوع وتارة بالكرك على خلاف ذلك البحر الواسع الى ان ظهرت لهم
في اليوم الثامن من جبال قلاذونيه واستمروا كذلك الى ان وصلوا وقت الظهر
في اليوم التاسع الى طرف حصار وهو حصار هنيع للكفار على ساحل البحر
فلما وصلت العساكر المنصورة الاسلامية الى ذلك المكان حاربهم الكفار
الملاعين فدهكهم العسكر المنصور دهكا ودكوا الارض تحت ارجلهم دكا فهربت
الكفار الى قلعة حصينة تسمى بجله ووقع القتال العظيم واستشهد فيه من
رزق سعادة الشهاده فاعطاه الله سبحانه وتعالى في جهاده الحسنى وزياده
منهم كخداء القابودان صبحي فرح محمد بك نزل في قرب سفينة مشتاق
الى الجهاد في سبيل الله تعالى فاصابته بندقة في خده فعدت من الجانب الاخر استمر
صاحب فراش خمسة ايام ثم نقلت عليه الملايكة الكرام ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله اموتا بل احياء عند ربهم يرزقون فانتقل الى رحمة الله شهيدا
ومضى الى دار الاخرة سعيدا ثم رميت مدافع وقت المغرب لاعلام الغزاة
بالعود الى سفاينهم للسير فخرجوا وركبوا الى ان وصلوا في اليوم الرابع عشر الى
مدينة سيسنه استقر بها قليل عسكر المسلمون ثم ساروا فلما وصلوا الى محاذاة
حصار هراون حصلت فرتونة في البحر فغرقت بسببها السفاين من الضحى الى العصر
النهار ثم اجتمعت في وقت العشا في محل يقال له كرتم مرابعلى الايمان فخرجت
وهدمت قلعتها وقتل من بها ثم ساروا فلما وصلت قلعة اولاد ووصل اليها بعض

العسكر المنصور ونهبوا ما وجدوا بها من الاخابير وقتلوا من ظفروا به من النصارى
وعادوا الى سفاينهم وصاروا ينزلون لاخذ السفينة كل يوم الى جانب
من ساحل حلقه وكلما وصلت يدهم اليه من نهب وغارة وقتل لطائفة
الكفار بادروا اليه واحرقوا قراهم ودورهم وبساتينهم وعادوا الى سفاينهم
فاجتمع كل من فى ذلك الساحل من النصارى من فارس وراجل وصاروا
عسكرا واقدموا الى قتال من ينزل الى البر من المسلمين فخرج اليهم من السفاين
بعض البحارس والكلكجية وبعض من يتقد الجهاد فى سبيل الله تعالى وقاتلوا
الكفار وهزموهم وقتلوا خلقا كثيرا وفر الباقون ولم يعهد للملاحين
مثل هذه الهزيمة والخسران وذهاب ارواحهم واموالهم واسروا اولادهم
ونساهم قبل الان ولعذاب الاخرة اشد وابقى ثم اطلق المسلمون النار فى
تلك السواحل واحرقوا اشجارها ودورها وقصورها ومحلوا باقلعها الى
جهنم وسات حصيرا وفى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الاول ظفر عسكر
الاسلام بسفينة للنصارى مشحونة فى كانت متوجهة الى بعض قلاعهم فاغتنم
المسلمون ذلك وكان اخذها فالا حسنا للمسلمين وفى اليوم الثانى عشر من
الشهر المذكور وصلوا الى جمود اسى وطاب الريح للمسلمين فوصلوا الى قلعة
خراب من ارض تونس قريبا من قابيله بوزنى وهى على ثمانية عشر ميلا
من مدينة تونس فرمت السفاين والاغربة بالرايات المصبوغة
الوانا اظهارا للهيبة والاسلام وعنوانا للعساكر المنصورة العثمانية فارسوا
فى اليوم الرابع والعشرين فى جزيرة حلق الواد ونزلت العساكر المنصورة
السلطانية ونصبت اطاقات الوزير المعظم والقابودان المكرم على مسافة
لا تصل المدافع اليها من حلق الواد ونزلوا المدافع الكبار التى اذا رمى بها نزلت
الكال منها وتهدمها وتخرب الاطواد الكبار وتحطمها وسرعوا يتقربون قليل
قليل ويبنون لهم متاريس يترسون بها ويسيرون الاتربة امامهم ويستترون
خلفها ويحفرون خنادق ينزلون فيها كيلا يصيبهم المدافع ويتقدمون ويدنون
للقلعة على هذا الاسلوب الى ان احاطت العساكر المنصورة بقلعة حلق الواد

وتقدموا

وتقدموا بالبنادق والات الكهاد ونصبوا بقرب القلعة المخنقات والمدافع
ووجهت الى صوب الكفرة افواه الكماحل الكبار والمصانع وبرز الوزير
سنان باشا محفوفا بنصر الله يخوض هول الموت وما يوراه محتسبا نفسه
فى سبيل الله سبحانه معتمدا على عون معين نصير يستجيب لعظمته ابتهاله
واقدمت العساكر المنصورة بصدق اعتقادها وثبتت النصارى بغلظ
اكبادها وشدة احقادها وترامو بالمدافع الكبار التى هى من اشد الصواعق
واخطف للاسماع والابصار من الرعود والبوارق تخطف ما صدفت
من النفوس والارواح وتمزق ما هدمت من الهياكل والاشباح وتفصل
اللحم عن العظم وتذيب الشحم وتسيل الدم والعساكر المنصورة يقدمون
على هذه الاهوال ثابتون ثبات الاطواد والجبال على الحرب والقتال
والجدال مع المشركين وبحال اذ وصل الخبر بوصول نايب تونس المولى
عليها من قبل السلطان سليم وهو مصطفى باشا ايده الله تعالى بالنصر فالتقاه
وظفره بكل كافر عنيد وكان وصل قبل وصول العمائر الشريفة السلطانية
من البر على مقدار نصف يوم عن تونس بقصد محاصرتها هو والوزير المعظم
حيدر باشا فلما علما بوصول العمارة السلطانية الى حلق الواد واشتغال
العسكر بالكهاد وصل ليلا باخفية مع قليل من الغلمان الى اوطاق سردار
العمارة المنصورة الوزير المعظم سنان باشا واراد ان يتوجه معهما
بنفسه وما امكن الوزير سنان باشا ان يتوجه معهما فارسل طائفة من امرايه
وعين لمخالفهم من التوفكجية وبعض المدافع الكبار والظربزانات ان
يتوجهوا مع البعكلى بليس الى محاصرة تونس واخذها من النصارى الجبارة
وارسل معهما من امراء الصناجق الامير ابراهيم بك من صناجق مصر
وصنجق فرسى محمود بك وصنجق قره حصار كمر بيك ومقدار الف نفر من
طائفة كوكلو مع اغاهم حبيب بك فتوجهوا فى الحال مع حيدر بك ومصطفى
باشا واحاطوا بتونس وكان السلطان الموانس مع النصارى وهو احمد
الحفصى ومن معه من النصارى راوا انهم عاجزون عن حفظ تونس لسعتها

وراوا ان قلعتها ايضا غير ابامتهيئة لا تصونهم فخرجوا من تونس الى برمكة بقربها
يقال لها قربلو كن يعني بحر الرمل وعملوا بها حصارا من الخشب وحشوه بالتراب
والرمل وتحصنوا فيه وكانوا سبعة الاف مقاتل ما بين كفار ومرتدين ومردة
من النصارى المجذولين وشحنوا هذه الابيات بالات الحرب والمدافع والذخيرة
وبخوذلك فلما خلت تونس من اعدآء الدين فتحها عسكر المسلمين وضبطوها
وحصنوها ثم برزوا الى قتال اولئك الملاعين وحاصروهم في قلعتهم التي
اعدوها واحكموها واحدقوها بالالواح والاخشاب والطين وارسلوا اخر ذلك
الى سردار عسكر المسلمين سنان باشا فارسل لنصرتهم وامدادهم واعانتهم القابودان
المذكور وقلج علي باشا فتوجها بطايفة من المسلمين من العسكر المنصورة
السلطانية الى اعانة نايب تونس حيدر باشا ونايب طرابلس الغرب مصطفى
باشا ومن جهز معهما من العسكر سابقا وهم محيطون بالقلعة التي تحصن
بها الكفار الاشقيا والعربان المرتدون فراى قلج علي باشا صعوبة اخذ القلعة
لكثرة من فيها من المقاتلة فطلب عسكرا اخر وعدة ومدافع اخرى من الوزير
سنان باشا فارسل اليه الف ينكجري وصمصم باشي ومن سلحدارية الباب العالي
علي اغا وجهز معهم ثمان مدافع وست قطي بطانات ولحقوا بالقابودان علي
باشا واحاطوا بقلعة الكفار وبنوا المتاريس من كل جانب ومع ذلك كانت
الكفرة الملاعين ومن معهم من عربان تونس المرتدين في غاية الكثرة والقوة
ومعهم كحيول فخرجوا من القلعة مرارا وهجموا على عسكر المسلمين في جهة من
جهات القلعة وقاتل المسلمون قتالا شديدا وعادوا الى قلعتهم واستشهد
في ذلك اليوم كثير من المسلمين وصاروا الى اعلى عليين فلما بلغ الوزير ما
فيه عسكر المسلمين من الشدة جآء بنفسه اليهم فان المسافة قريبة وعسكر
المسلمين محيطة بالقلعة وهي قلعة حلق الواد والحرب قايم على حاله فتوجه
الوزير الى تلك القلعة المحصورة بقرب تونس وشاهدها ووزع على
جوانبها عسكر المسلمين وقوى جاشهم وعين في كل موضع طايفة واشار على
القابودان وعلى البكلر بكية بما راى فيه الصواب وطمئنهم وشد قلوبهم وقوى

جاشهم

جاشهم وعاد من يومه الى قلعة حلق الواد لاجتياح عسكر المسلمين اليه في تلك
الجهة ايضا واستمر كل من الفريقين في مجاهدة الكفار وهم على الثبات والقرار
لا يساموا من مصادمة النار ولا يخافون من الموت لانهم معدومون على جنة الخلد
وملك لا يبلى طالبون درجة الشهادة من الله العلي الاعلا ووصل في تلك الاثنا
نايب الجزاير سابقا وهو امير الامرآء العظام احمد باشا لاعانة عسكر الاسلام
واقبل على الوزير واستامره بما يامره به فاعطاه عدة من المدافع وعين له
جهة الجنوب من قلعة حلق الواد فتوجه اليها وبنى المتاريس وجاهد في
الله حق جهاده واقدم على قتال الكفار والقى الى الحرب مقاليد قياده
فوصل العسكر الى حافة خندق الكفار بعد اربعة عشر يوما وبنوا على حافته
المتاريس وكان الكفار قد نقبوا تحت الارض نقبا طويلا وصلوا به الى موضع
كان كمرك خانه وفيه قلعة برج يصلح للتحصين فيه فوصلوا اليه من تحت
الارض وملوه من الرجال والات الحرب فقطن المسلمون لذلك وكان قريبا
من الجانب الذي فيه الوزير فتوجه اليه بنفسه ووقع فيه حرب شديد واخذ القلعة
وقتل من فيه من النصارى المذجولين فارسل الوزير بالسيل من يقيس عمق
الخندق الذي وصل اليه العسكر فكان عمقه ستون ذراعا بذراع العمل وقعره
متصل بالبحر مملوء بماء البحر فتشاور الوزير مع الامرا واصحاب الراي في ذلك
فما وجدوا لذلك حيلة سوى ان يملا الخندق بالتراب ويبنى عليه المتاريس
فامر الوزير ساير العسكر بذلك فشرعوا في نقل التراب من خلف المتاريس
وباشر الوزير المشار اليه النقل للتراب بيده الشريفة ابتغاء لمرضات الله العزيز
الوهاب ونصرة لدين الاسلام وتاييد الدين محمد عليه افضل الصلاة واتم التسليم
وراى الامرآء ذلك فنادروا بانفسهم غاية الاهتمام واقدموا نهاية الاقدام
وحملوا التراب باذيال الثياب ورموا به في الخندق الى ان امتلا وزاد في
الارتفاع فبنوا المتاريس فوق ذلك الى ان اعتلوا على اكتاف ذلك لارتفاع
عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الثاني سنة تسعماية واحدى وثمانين فصارت
مدافع المسلمين تصل الى وسط القلعة وتقتل الكفار وتحرقهم بالنار وتسوقهم

الى جهنم وبئس القرار ووصل فى هذه الاثنا نايب الجزاير المتولى عليها اذ ذاك امير
الامرا رمضان باشا ومعه عدة الاف مقاتل واجتمع بالوزير وطلب منه خدمة
يودبها فارسله ومن معه من عسكر الاسلام الى اعانة المسلمين الذين حصروا الكفار
بالقلعة التى بقرب تونس فتوجه اليها ونزل فى جهة من جهاتها وحط عليها
مع من هناك من الباشوات والامرا والغزاة والمجاهدين والكرا واستمر الوزير
فى محاصرة قلعة حلق الواد والاستيلا على من فيها من تكلفر والعناد واقدم
المسلمون على الدخول الى الحصار لما شاهدوا وقص الكفار وحمل الوزير ومن
معه من الابطال حملة واحدة حتى تزلزلت الجبال وحمل من فى الجهات الثلاث
من العسكر والامرا والرجال ودخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال
لست مضين من جمادى الاولى سنة تسعماية واحدى وثمانين ووضعوا السيف
فيمن وجدوا بها من الكفار الفجار وساقوهم بالنار الى عذاب النار وبئس القرار
وغنموا ما وجدوا بها من آلات الحرب ومن الذخاير وغير ذلك واسر كبير النصارى
المخذولين وكان ذلك اسر سلطان تونس المولى احمد الحفصى وحبسها وقيدهما
الوزير وامر بقتل من وجد من النصارى والعرب المرتدين وفرح بفتح هذا
الحصن الحصين سايرا هل الاسلام وكافة المومنين واستبشروا بهذا الفتح والنصر
المبين فانه يعد من اجل فتوحات الاسلام واعظم التاييدات لدين محمد عليه افضل
الصلاة واتم السلام وكانت هذه القلعة من اعظم القلاع التى احكمها النصارى
الايام واقواها فى المتانة والاستحكام ومن عجيب الاتفاق ان هذه القلعة
المنكوسة بنتها النصارى المخذولين سنة تسعماية وثمان وتلثين واحكموا
استحكامها فى ثلث واربعين سنة وافتتحها الوزير المعظم سنان باشا فى ثلث
واربعين يوما من ايام محاصرتها بعد السنين التى احكموا فيها بنا ما كان يوم بسنة
ولما تم هذا الفتح المبارك راى الوزير ان عمارتها وحفظها بالعسكر والالات
الحربية والحرب يحتاج الى مونة كثيرة وخزاين من الاموال كثيرة مع قلة
جدواها لبعدها عن الباب العالى وطول مدادها فراى ان الاولى هدمها
وتخريبها حتى لا تصير للنصارى المخذولين سكنا ولا ماوى يتحصنون فيه فامر

هدمها.

بهدمها فهدموها بالجرافات وتركوها جزالا تترا وعملت المعاول فى راسها الى ان وصلوا
الى اساسها فصارت طللا من الاطلال ودمنة يلعب فيها هبوب الصبا والشمال
ولا يسمع فيها نداء الا صياح بوم او صدا ولم يبق بها انيس الا يعافير والا
العيس وارسل الوزير بشاير النصر والفتح المتوالى الى جهة الباب العالى والى
سايرمل د الاسلام ليا خذ المسلمون حظهم من هذا البشير التام والفرح الشامل
والسرور العام ويفرح المسلمون والمومنون بنصر الله وخلد ملكه على الدوام
وقال فى هذا المقام لسان الحال

وهذا دعا لا يرام لا نه ... يزان به كل الورى والممالك
تراه بلا شك اجيب لا نه ... اذا ما دعونا امنته الملايك

وتوجه البشير كانه الصبح الصادق يبشر على الخافقين بايات النصر الخوافق
ويملا براية الفرح اقطار المغارب والمشارق

وكوكب الصبح نجاب على يده ... فحلى تملا الدنيا بشاير ه

ثم لما فرغ الوزير من امر حلق الواد وفعل فيها وفى تلك الوما د والهاد والاعوار
والاخار ما اراد توجه بعساكره الى تونس ليتوجه من طلعة الغزا من بها من عسكر
المسلمين وتونس فوصل اليهم وهم محاصرون قلعة النصارى المخذولين مجاهدون
مجتهدين فى اخذ اوليك الملعونين ففرح بوصوله العسكر بكمله الذين جاهدوا
لنصرة الدين واشتد ازرهم وقوى جاشهم على قتال المشركين وقد تشاوا على
الطعان والقراع كنشاة الاطفال على الرضاع وضربوا بنات الكفار ضرب
الاسود والسباع بما تفترسه من الصيد وهى جياع وحمل باقدامه الوزير
على من فى القلعة حملة الاسد الغشمشم وتسابقت العساكر المنصورة الى
استيصال اعدا الدين سبق السيل الاطم وتعلقوا باطراف الحصار وصبروا
على حر السيف والنار واستشهد كثير من المسلمين الكرام وقتلوا فى سبيل الله
وهم احيا لا اموات عند الله فى دار السلام واستمرت عساكر الاسلام فى الاقدام
الى الموت الزوام وحد السيف والحسام الى ان دخلوا القلعة ونصبوا الرايات
السلطانية على اعلا ما واقدمت بقية العساكر الاسلامية وهجمت على القلعة

والملايكة الكرام ويدعوا بدوام
دولة السلطان
نصره الله

ايضا ودخلوها ووضعوا السيف فيها وفى الكفار عبدة الاصنام وقتلوا منهم قريبا
الف عدهم مغلغل من فرقد الى قدمه فى سابغات كحديد وهى من نفس الياقوت
من اعلى القلعة الى اسفلها وهم زهاء خمسة الاف نفس نزلوا على اقدامهم فى
الهول وهم بوا مقدارهم رمية سهم او سهمين وشرعوا فى الترس بالاتربة والاحجار
واراد وا ان يتحصنوا بها والمسلمون مشغولون بقتل من بقى فى القلعة ونهب
الامتعة والاسباب والاسلاب فوجدوا بها اخشابا والواحا اعدها الكفار
لاتقان القلعة واحكامها وبارود كثيرا ومدافع ولبوسات والات الحروب
وبكسما كثيرا الازوادهم وكانت القلعة بسبب البجلة غير محكمة البنا والعجلة بهم
العساكر السلطانية السلامية عن اتمام اتقانها واتقان استحكامها فلو تاخرت
العساكر السلامية السلطانية عنهم ذلك العام لكانوا اتقنوها اتقانا قويا وكان
لايقوى عسكر الاسلام على فتحها بعد ذلك ولكن خذل الله تلك الطايفة الملعونة
بوصول الوزير المعظم والجيش العرمرم فى ذلك العام قبل استيفاء استحكام القلعة
غاية الاستحكام وكان ذلك بمن سعادة طالع السلطنة الشريفة العثمانية
وحسن اهتمام هذا الوزير المعظم ولطف تدبيراته العليه ودقة ارائه فى
التاقة الجليلة ثم امر الوزير بتعقب العساكر السلامية اوليك الذاهبين
من الكفار فتبعوهم فوجدوهم قد شرعوا فى عمل مكان يتحصنون فيه فهجموا
عليهم بحملة واحدة فيتقن الكفار ان لا مفر لهم ولا محيص فقاتلوا اشد القتال
وقاتلوهم المسلمون بالنصال ووصار الوجه فى الوجه والناب فى الناب والسيوف
المسلولة من القراب تعوض فى الرقاب والخناجر فى الناب حتى سالت
الدماء كالسيل العجاج الى ان ابتل كافور تلك الدماء شقيقا وصيروا البحار الفلق
عقيقا وضرب الكفر فى السماء طريقا وجند الله سبحانه وتعالى على كل حال هم
الظافرون والكافرون هم الصاغرون وصب من دماء اوليك الارجاس
ما يجس به البحر على غزارته والهول على طهارته وقتل الكفار عن اخرهم
قتلا ذريعا وشكر المسلمون ذلك سعز وجل صنيعا وانتصر على النصارى
اهل ملة الكفر الذى بعث الله به رسوله عليه افضل الصلاة واتم السلام

وعاد

وعاد الوزير ظافرا منصورا غانما مسرورا مثابا ماجورا وغنمت العساكر السلطانية
وكبيوش الايمانية ما تكل عن حصرها انامل التحرير ويضيق عن ذكره ادراج التحبير
وجهزت البشاير الى الابواب الشريفة السلطانية والاعتاب المنيفة
العثمانية وتطايرت اخبار هذه البشاير الى سايرالمسلمين فى الافاق يخفق
على الخافقين اجنحة السرور والبشر الخفاق ما بين حدود الغروب والاشراق
ولولا لطف الله سبحانه وتعالى باهل الاسلام لكان البلاء عاما على سايرالمسلمين
فان السلطان سليم لولم يهتم بدفع هذه الكفار الملاعين لكانوا يتسلطون
على اخذ تونس واخذ الجزاير كلها وكانوا يحكمون قلعها واسوارها وحصونها
وحصارتها غاية الاحكام وكانت ترتد عن الاسلام عربان الغرب وغيرهم
وتيقوى الكفار على اخذ مصر وغيرها من بلاد الاسلام لما بلغهم استيلاء ذلك
المرام وانزل عليهم الخزى والخذلان والنكال الى يوم القيام وتداعان الله سبحانه
وتعالى سلطان الاسلام على دفع اوليك الكفرة اللئام ومزقهم كل ممزق بالسيف
والسنان والحسام وشتت شملهم وفرق جمعهم فلا يقوم لهم راس بعد ذلك
فالله سبحانه وتعالى يشكر لتاييد الاسلام صنيع هذا السلطان الاعظم والخاقان
الاكرم السلطان سليم خان صاحب هذه الهمة العليه والايادى الحسان
ويجازيه عن الاسلام والمسلمين خير ايام الغفران ويشكر هذا الوزير العالى
الشان على نفرة اهل الايمان ويجازيه اعظم جزاء على هذا الفتح العظيم بحد
السيف والسنان وكان هذا الفتح الاخير فى يوم الخميس الخمس بقين من
جمادى الاولى سنة تسعماية واحد وثمانين وقتل فى القلعة الثلاث من
الكفرة الخبث عشرة الاف مقاتل ساقهم الله سبحانه الى النار وقد استشهد من
الغزاة الاخيار مايوازى عشرة الاف غازى فمن اعيان الصناجق من
الاكراد خضر بك وصنجق ايله يحشى مصطفى بك وصنجق اولينه احمد بك
وصنجق ترجانه بايزيد بك وصنجق اسكندريه صفر بك وكتخدا البكرية
فرهاد كتخدا وراس نوبة اليايا وكثير من الزعما وارباب التيمار وغيرهم
عدة عديدة واعطى الوزير الامان لطايفة من الكفار راى فى ذلك مصلحة

توازن زهاء مايتي نفر برز وافي امان الوزير واجزوه بامور مهمة كان يريد الاطلاع
عليها منهان عندهم من المعلمين المستادين في عمل الطوب الكبار الذي يعجز عن عمل
مثلها جميع الكفار يعني المعلمين مايتي نفر وخمسة انفار ممن لا نظر لهم في لعذه
الصناعة فامنهم وطلبهم واخذ بخاطرهم واعطاهم الامان على انفسهم وشرط عليهم
ان يسكبوا دايما النحاس ويجعلوه مدافع كبار او يجعل لهم علوفة ويوضع في اطلمهم
القيود وتكفل بعضهم بعضنا فرضوا بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فلما
وكتب لهم علوفات على حسب مراتبهم وصاروا من خدام المرتجاة السلطانية
موكل عليهم من يحفظهم ويتيقظ لهم ويتحذمون في تخدم السلطانية ويسكبوت
النحاس لطوب الكبار والمدافع العظام وظهر الوزير في خلق الواد وقلعتي تونس
الماخوذتان بمايتي مدفع وخمسة مدافع كبار استولى عليها وترك في حصار تونس
خمسة وثلاثين مدفعا لحفظ تونس من الكفار الحاصر وارسل مايتة وسبعين
مدفعا من اكبر المدافع العظيمة الى الباب الشريف العالي السلطاني ليستعان بها
على قتال الكفار الملاعين اذا جهز عليهم العساكر في كل حين فعند
ثم لما فرغ الوزير المعظم الكريم من هذا الفتح العظيم والغنم الكبير انعم على من كان في
ركابه الشريف من الامرا والكبرا والباشوات وسائر الزعما وارباب التيمار
وبولكات العسكر المنصور وارباب الجوامك والعلوفات بالرقيات الكثيرة
والمناصب الكبيرة كل واحد بمقدار سعيه واستحقاقه ورتبته وعرض ذلك
على سرير السلطنة الشريفة وكان مقدار اكثيرا من الخزاين السلطانية فقبل
جميع ذلك بالقبول ووفقت موقع الاجابة في المامول والمسؤول وذلك
في مقابلة ما بذلوا انفسهم في سبيل الله وجاهدوا في الله حق جهاده ونصروا
الاسلام والمسلمين وانعمت السلطنة الشريفة على الوزير بانواع الانعامات
السنية والرقيات الكثيرة العلية والخلع الفاخرة البهية والبشرفات الزاهرة
السلطانية في مقابلة سعيه في نصرة الدين وبذله اموله للغزاة والمجاهدين
واخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين على وجه لم يقع في كثير من الزمان
مثل هذا الفتح العظيم الشان وذلك بمحض العناية الربانية والنصرة الالهية

السجانية

السجانية وسه الحمد على نصرة الاسلام وتاييد دين النبي محمد عليه من الله افضل
الصلاة واتم السلام ثم عاد الوزير المعظم المنصور الكريم الى الابواب الشريفة
السلطانية من معه من عسكر الباب الشريف السلطاني واذن لغيرهم من
العسكر وسايرالامرا والباشوات بالعود الى اوطانهم واماكن حكومتهم مجللين
محترمين مجبورين منصورين سالمين غانمين واستمر الوزير الى
الى ان ورد الى الباب الشريف السلطاني وقبل قوايم سرير الملك العثماني
فقوبل بانواع البشر والتهاني وشمله النظر الشريف الخاقاني ونظرت اليه
السلطنة بعين القرب والدنو وافرغ على كاهله مرة بعد اخرى خلع التشريف
الخسروانية وقبل كلما عرضه الوزير المشار اليه على اعتاب الشريفة السلطانية
من المطالب وانعمت عليه السلطنة الشريفة بكل ما سال فيه من المقاصد
والمارب وكان يوم دخوله الى اسلامبول يوما عظيما مشهودا ووقت حلوله
في منزله السعيد وقتا مباركا مسعودا وازدحمت الخلق على مشاهدة طلعته
والتبرك بوجهه الكريم ويمون غرته وصاروا يتبركون بالنظر الى المجاهدين
والغزاة في سبيل الله سبحانه ويطلبون الدعاء منه وممن معه من المجاهدين
والغزاة والنصارى الاسارى يقادون بين يديه بالسلاسل والاغلال
مقرنين في الاصفاد بشديد الذل والنكال ودخلت سفاين العمارة العامرة
واعزيمتا الى الاسكاله برينة مزخرفة بالبنادق والصناجق تحقق عليها ايات
الفرح بالنصرة والظفر واكمال له واطلقت المدافع للفرح فزلزلت الارض
وارتجها وكادت ان تصم الاذان فلا يسمع الناس مقالها وعساكر الباب الشريف
وردت صفوفا بعد صفوف وتعالقت عايدة بالنصر والتاييد الوفا بعد الوف
ودخل ايضا القابودان المعظم المجاهد الكريم قلج علي باشا المذكور المفخم لازال
في حرب البحر منظفر امنصورا مسعود القدم فقوبل من الحضرة الشريفة السلطانية
بغاية القبول والاقبال وخوطب بلسان الشكر والتعظيم والاجلال وانعم
عليه بسايرمقاصده ومطالبه وجعل لرعاية مايتمناه من سوله ومايه
وجعل لسايرالعساكر المنصورة الاحسان الموفور وشكر لهم سعيهم المشكور واعظم

من ذلك ما حازوه من الاجر العظيم والثواب الجزيل الجسيم وناهيك بهذا الفخر والمجد وقد بقي لهم هذا الذكر الجميل على صفحات الدهر والله سبحانه وتعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على تداول الليالي والايام ويحمي بحماهم كافة المسلمين ويؤيد بتاييدهم ملة الاسلام وسقى ايام سلطنتهم القاهرة على الدوام الى يوم القيام فكم لهم ولاسلافهم الغزاة والمجاهدين في نصرة الملة الحنيفية الغر امن يد بيضاء للناظرين وكم فتحوا بلاد الكفرة وصيروها دار اسلام على رغم المشركين والكافرين وكاد لحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين **فصل** ولقد حكت علماء ايمتنا واعلة الاسلام واتفق قول الائمة الاعلام ان سيوف اكفى اربعة وما عدا ما للنار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين وسيف ابي بكر رضه في المرتدين وسيف علي رضه في الباغين وسيف القصاص بين المسلمين اقول وسيوف بني عثمان اذا سبرتها وتاملتها لا تخرج عن هذه السيوف الاربعة فانهم مازالوا من اول اسلافهم الى الان يجاهدون الكفار والمشركين ويقاتلون الملحدين والباغين ويقيمون شعائر شرايع الدين فالله سبحانه وتعالى يديم ظلال سلطنتهم على المسلمين ويؤيد بهم اهل السنة ويقمع بهم كافة الملحدين وهذا دعاء يجب ان يدعو لهم به جميع طوايف المومنين فانهم عماد الاسلام وقوام هذا الدين المتين وتاييد بقايه بين الانام والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لكافة اهل الاسلام واعز الدين الله تعالى ونصرة سيدنا محمد عليه افضل الصلاة واتم السلام وتامين البلاد وتطمين العباد وتوهين اهل الفساد وقطع جادرة اهل الالحاد ودفع جميع اهل البغي والعناد **فصل** فيما جدده السلطان الاعظم السلطان سليم خان من الخير والاحسان زيادة على والده السلطان سليمان تغمدهما الله تعالى بالرحمة والرضوان وذلك في اول سلطنة الشريفة امر لاهل الحرمين الشريفين ان يزاد لهم سبعة الاف اردب حب من صدقة المقتولة المبرورة زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم في كل عام فكانت تحمل في كل سنة من الانبار

لخاص

الخاص السلطاني على ظهور الجمال من مصر الى السويس وتوضع في سفاين الدشايش الشريفة السلطانية من السويس الى جدة والينبوع وتوزع على الفقراء وكان برز امره الشريف العالي ان يضاف ثلثمائة الاف اردب منها الى الدشيشة العامرة السلطانية لفقراء المدينة المنورة وتوزع عليهم وان يضاف ثلثمائة الاف اردب الى الدشيشة العامرة السليمانية لفقراء مكة المشرفة وتوزع عليهم وان يوزع حمسمائة اردب على الفقراء المنقطعين بالينبع العاجزين فيما عن السفر الى المدينة الشريفة فيستعينون بها على التوجه الى حيث ارادوا وان يوزع حمسمائة اردب على فقراء جده المنقطعين بها العاجزين عن التوجه الى مكة المشرفة لاداء الحج الشريف الفرض او النفل وذلك مقصد جميل للمرحوم وكان الفقراء يتوسعون بها ويرتفقون بها وكانت ترد اليهم في كل عام من اعوام السلطنة الشريفة وكان الدعاء له منهم ولا من سايرالفقراء المخلصين المحتاجين المضطرين وكان يحوز بذلك ثوابا جزيلا واجرا وافرا جميلا رحمه الله تعالى رحمة واسعة واثابه المثوبة العظمى في الدرجات الاخرة على مقاصده الجميلة وخيراته الوافرة الجزيلة ومنها ايضا ما كان يتصدق به على اهل الحرمين الشريفين ايام كان شاه زاده قبل ان يلي السلطنة الشريفة فانه كان يرسل كل عام الف دينار ذهبا توزع ايام موسم الحج على فقراء مكة المشرفة يستعينون بها على مصرف الحج ايام عرفة ومنى ومزدلفة والف دينار ذهبا لفقراء المدينة المنورة في ايام موسم الحج فيستعينون بها على الوصول الى مكة المشرفة لاداء الحج الشريف في كل عام وكان يخص بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من ال صوف الخاصة وبعض غير ذلك يرسلها اليهم ليستمد منهم الدعاء بظهر الغيب فلما ولي السلطنة الشريفة وجلس على التخت السلطاني كان يرسل اليهم عوايدهم السابقة في كل عام وجعل ذلك مضافا الى دفتر الصدقة الرومية وكانت ترد الى الان بعد انتقاله الى رحمة الله سبحانه وتعالى وذلك ايضا من مقاصده الجميلة وخيراته الباقية العميمة الجزيلة ولله انواع من الخيرات ايضا في القدس الشريف وفي الشام وحلب ومصر

بجامع الازهر وغيرها من الممالك العثمانية غير مبانى فى بلاد الروم من المدارس والجوامع
والتكيات وغير ذلك رحمه الله رحمة واسعة ورحم اموات المسلمين **فصل**
فيما وقع فى الحرم الشريف من العمائر فى ايامه اعلم ان عمارة المسجد الحرام من اعظم
مزايا الملوك والسلاطين والخلفاء واشراف ماثر اكابر العلماء وقد يسر الله سبحانه
وتعالى ذلك لسلاطين آل عثمان ايدهم الله سبحانه وتعالى وخلد سعادتهم مدى الزمان
فوقع الشروع فيها فى ايام دولة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم
خليفة الله تعالى فى ارضه القايم باقامة سننه وفرضه ملك البرين والبحرين
سلطان الروم والترك والعرب والعجم والعراقين صاحب المغربين والمشرقين
خادم الحرمين الشريفين المحرمين عالم البلدين الكريمين المعتقدين واسطة
عقد ملوك آل عثمان السلطان سليم بن السلطان سليمان اطراه الله
سبحانه وتعالى برحمتهما سحايب الرحمة والرضوان وجعل قبرهما روضة من رياض
الجنان وجعل السلطنة كلمة باقية دايمة فى عقبهما الى يوم البعث واكثر والدوران
الى ان يعود القارضان كلما ويحشر فى القلى كليب ووايل
وسبب الامر الشريف بتعمير المسجد الحرام المنيف ان الرواق الشرقى منه مال الى نحو
الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤس خشب السقف الثانى عن محل تركيبها فى
جدار المسجد الشريف وذلك بجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباى وجدار
المدرسة الافضلية التى هى الان من اوقاف المرحوم بن عباد الله من شرقى
المسجد الحرام وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه فى الجدار المذكور اكثر
من ذراع ومال وجه الرواق الى صحن المسجد الحرام ميلا ظاهرا بينا وصار بظاهر
الحرم الشريف يصلون المحل الذى قد فارق خشب سطح الحرم محل تركيبه فى الجدار
اما بتبديل خشب السقف باطول منه او نحو ذلك من العلاج واما الرواق
الذى ظهر ميله الى صحن المسجد الحرام فترسوه باخشاب كما ترى وما فى المسجد
الحرام تمسكه عن السقوط واستمر الرواق الشرقى مما سكا على الاسلوب فى
اواخر دولة المرحوم السلطان سليم خان ثم لما تحقق ميلان الرواق المذكور
عرض ذلك على ابواب الشريفة السلطانية السليمية فى سنة تسعماية وتسعة

وتسعين

وسبعين فرمان الامر الشريف السلطانى بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه
الاحكام والاتقان وان يجعل عوض السقف الشريف قبابا دايرة بابوقة
المسجد الحرام لتامن من التاكل فان خشب السقف كان متاكلا من جانب
طرفه بطول العمر وكان يحتاج بعض اكثر الى تبديل خشبة بخشب اخر فى كل
قليل اذ الابقاء للخشب نهائا طويلا مع تكسر بعضه وكان سقفان بين كل
سقف نخوذ راعين بذراع العمل وصار بين السقفين ماوى للحيات والعقارب
وكان من احسن الراى تبديلها بالقباب لتمكنا ودفع مواد الضرر عنها ووصلت
احكام شريفة سلطانية الى نايب مصر يومييذ الوزير يوسف باشا ادام الله
سعادته واقباله وضاعف عظمته واجل له ان يعين لهذه الخدمة من امراء
الصناجق المقيمين بمصر من يخرج من عهدة هذا فقام احمد على تلقيها بالقبول
لكثرة مشقتها وكثرة اشتغالهم باموريناهم والتوغل فيما يعود عليهم نفعه
عاجل من غير مشقة وكان من جملة الامر المحافظين لمصر يومييذ المرحوم اسكندر
باشا الجركسى نايب مصر سابقا فى الامراء العظام ذو الكبر ذوى الاحترام
احمد باشا بارك الله فيه وفى ذويه وناله من خيرى الدنيا والاخرة ما يرجيه
وكان ممن اجتمعت فيه هذه الخصال المحمودة المطلوبة من حب الخير والتوجه
الى الله سبحانه وتعالى وقلة الميل الى الدنيا وزخارفها والميل الى الفقراء والضعفاء
والعلماء والتواضع مع حب الناس وحب العدالة والاستقامة مع صدق لهجة
وكمال الديانة والامانة والاقدام وعلو الهمة والاهتمام فطلب من الوزير
المشار اليه هذه الخدمة واضيف اليه عمل بقية ذراع عرفات من الابطح الى
اخر المسفلة بمكة المشرفة فان السلطنة الشريفة امرت ان يبنى لها ذلك
مستقلا ولا يجرى فى ذلك عين حتى نعينت هذه الخدمة ايضا للامير احمد
المذكور وعرض له ذلك الى الباب العالى فوردت الاحكام الشريفة السلطانية
له بذلك حسبما عرض له واضيف له الى هذه الخدمة صحن جدة تعظيما لشانه
وتوفيرا لقدره ومكانه وبعد ورود الاحكام الشريفة السلطانية اليه اخذ
فى اهبة السفر وتوجه من مصر الى جدة ثم وصل الى مكة المشرفة فى اواخر سنة

تسعماية وتسع وتسعين مهتما غاية الاهتمام فيما امر به من خدمة المسجد الحرام متوجها الى ذلك مقدما عليه بغاية الاقدام سايلا من الله الاعانة والامداد التام وكانت الاوامر الشريفة السلطانية ورديت ان يكون الناظر على هذه الخدمة الشريفة السلطانية والمتكلم عليها من جانب السلطنة المنيفة ناظر المسجد الحرام ومدرس اعظم مدارس سلطان الانام القاضي حسين الحسيني ففرح بذلك الفرح التام وشد نطاق عزمه على مناطق عزمه وقام في امره احسن قيام وجعلها بين يدي الناظر والامير احمد المشار اليه كمال الملايمة والاتفاق وبذلك يحصل تمام النجح والارتفاق وجرت عادة الله سبحانه وتعالى ان الخير كله في الاتفاق والشر جميعه في الشقاق ولم يكن الرفق في شئ الا زانه ولم يكن الخرق في شئ الا شانه ومن اراد الرفق بعباد الله سبحانه وتعالى رفق الله به واعانه ووصل لهذه العمايز الشريفة معاهد رفيق انظر جليل الاثر تقدم له مباشرة الابنية العظيمة وحصلت له بالتجربة جربة تامة ومعرفة مستقيمة اجمع المهندسون على تقدمه في هذه الصناعة ودقة نظره في انواع هذه البضاعة اسمه محمد المعمار جاويش الديوان العالي وهو انسان من اهل الخير عظيم الامانة كثير الديانة مستقيم الراي منور الباطن تشكو السيرة ذاته سبحانه توفيقه واسهل طريقه فاتفق الناظر والامين والمعمار على الشروع في هدم ما يجب هدمه الى ان يوصل الى الاساس فشرع اولا في اكمال الدليل المستقل لاجراء عين عرفات وبناه من حجر المدعا ثم مر به من عرض ثم الى حجر سويقة ثم عطف به الى السوق الصغير واكمله الى منتهاه وبنى قبلة في الابطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب في جدره بزابيز من النحاس ليشرب منها الماء ثم بنى مسجدا وسبيلا وحوض ماء للدواب على يمين الصاعد الى الابطح في قبلي بستان بيرحوخة الصابر الحارة الخاصكية ام السلطان خاب ثراها وبنى مسجدا اخر وسبيلا ومتوضا في انتهاء سوق المعلاه على يسار الصاعد وكل ذلك من الاعمال الجارية الصافية للمسلمين وعرض ذلك على الابواب العالية الشريفة السلطانية فانعم على الامير المشار اليه بسبعين الف عثماني ترقيا في علوفته في مقابلة هذه الخدمة ثم شرع في تجديد

اروقة الحرم الشريف فزاد فيه بالهدم من جهة باب السلام من منتصف شهر ربيع الاول سنة تسعماية وثمانين واخذت المعاول تعمل في هذه المشرفات المسجد الحرام وطبطاب سقفه الى ان انكشف السقف فنزلت احشابه الى الارض وجمع في صحن المسجد الشريف وتنظيف الارض من نقض البنا واتربته وحمل على الدواب ويرمى في اسفل مكة المشرفة وفي ناحية جبل الفلق ثم قام الاساطين الرخام الى ان تنزل بالطف الى الارض واستمر والى هذا العمل الى ان نظفوا وجه الارض من ذلك من باب على الى باب السلام وهو الجانب الشرقي من المسجد الحرام ثم كشفوا عن اساسه فوجدوه مختل فاخرجوا الاساس جميعه وكان جدارا عظيما نازلا الى الارض على هيئة بيوت الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قايمة كترتيب الاسطوانة على تلك القاعدة فشرع اولا في وضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام لست مضين من جمادى الاولى سنة خمس وثمانين وتسعماية واجتمعت الاشراف وتكرا وانعما والقضاة والامرا والفقرا والمشايخ والصلحا يتمنا وتبركا بالحضور في هذا الخير العظيم وقرية الغوايج باخلاص من سويدا القلوب والصميم ويذبح الابقار والاغنام وتصدق بها على الفقرا والخدام ووضع الاساس المبارك باعانة الله تعالى وكان يوما مباركا مشهودا متيمنا ميمونا مسعودا وسلكهم على هذا الاكرام وله الشكر والثنا اكمل التمام في المبدا والختام وكانت الاساطين المبنية سابقا على نسق واحد في جميع الاروقة فظهر لهم ان ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القباب عليها لقلة استحكامها اذ القاعدة يجب ان يكون لها دعايم اربعة قوية تحملها من جوانبها الاربع فرادا ان يدخلوا بين اساطين الرخام الابيض دعامات احرى تبنى من الحجر الشميسي الاصفر يكون سمكها مقدار اربع اسطوانات من الرخام ليكون مدعما لها من كل جانب فيقوى على تركيب القباب من فوقها ويكون لرصف من اساطين الاروقة الثلثة في غاية الزينة والقوة ففي اول ركن من الرواق الاول دعامة بنية من

الحجر الشمسي ثم اسطوانة رخام ابيض من اساطين الرواق السابق عليها عقد اسطوانة
رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الاصفر الشمسي وعلى هذا المنوال الى آخر هذا الصف
من اساطين الرواق ثم الصف الثاني من الرواق الثالث على هذا المنوال ثم بنيت
القباب على تلك الدعامات والاساطين في دور المسجد الحرام جميعه وشرعوا
من ركن المسجد الحرام من جهة باب السلام كما تقدم وقاسوا تلك الصفوف
بخط مستوي وانها لواما قيل ذلك من الازورار والاعوجاج والحجر الشمسي
نسبة الى شمسين جبل بقرب بير شمس وهي حد الحرم من جانب جده به جبلان
صغيران تكسر منهما هذه الاحجار وتحمل الى مكة المشرفة مسافة ما دون ليلة وكان
في اثناء هذه الدعامات الصفر بين الاساطين البيض الرخام حكمة اخرى غير
الاستحكام والزينة وهي ان اساطين الرخام الباقية في المسجد الحرام ما كانت
تغني بالجوانب الاربع لان الجانب الغربي منه احترقت اساطينه الرخام وسقفه
في ايام الجركسية في دولة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق في سنة ثمانمائة
واثنين وخمسين وارسل من امراء الامير يشبك الظاهري الى مكة المشرفة فغير
الجانب الذي احترق منه بالحجر الصوان المنحوت كما قدمنا ذكره في محله وصارت
الجوانب الثلاث من المسجد الحرام وهي الجانب الشرقي والجانب الغربي والجانب
الشامي على نسبة واحدة اساطينها من الرخام الابيض والجانب الشرقي اساطينه
جميعها من قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة الجانب الاخر الان
وبادخال هذه الدعامات الصفر صارت الاساطين كلها على نسبة واحدة
وهي الان كل ثلاث اساطين من الرخام الابيض يكون رابعها دعامة واحدة
من الحجر الاصفر الشمسي في غالب الاروقة من الجوانب الاربع من المسجد الحرام
كلها قائمة على اوتادها بغاية الاحكام كانها صفوف واقفة بالادب حول
حضرة مسجد بيت الله الحرام من جهاته الاربع وهي اعلا من الارتفاع السابق
وارفع كانها تنشد بلسان حالها بل تقول وتنوف على ماسواها وتطول

ان الذي سمك السما بنى لنا ... بيتا دعائمه اعز واطول

واسم امير العمارة الشريفة الامير احمد المشار اليه شكر الله سعيه وبارك فيه وله

وعليه

وعليه في غاية بذل الجهد والاجتهاد مقرون الحركة بالتوفيق والسداد تتلطف
بالخدم والعمال وتتفضل عليهم بانواع الافضال ويوصلهم اجورهم كاملة
لا يقطع منها مقتطعا في احد ولا يضر بحاله ولا ينقص من اجرتها شيا
بل يزيدهم من عنده ويساعدهم بماله مع كمال الدقة في الامور السلطانية
والحرص على حفظها وعدم التبذير منها واما مال نفسه فيتوسع به على الفقرا
ويبذل لهم وللخدام ما اراد ويحن الى اهل البلاد مع التواضع وحسن الخلق
ولين الكلام ومواساة الناس في جميع المهمات والمشي في تشييع الجنائز معهم
وعيادة المرضى وسلام القدوم واستحلاب رضاهم بحيث يترك عظمة الامارة
وصار من جملة فقرآء الناس لكثرة تواضعه وتحدثه وتيسره معه فحمدوه وشكروا
فضله واحسانه وذكروا كثرة تحمله ولطفه ولقد جاني الى منزلي متفضلا
مرارا واما من احاد الفقها بل من ادنى الفقرا وما فعل ذلك الا محبة في الله سبحانه
وتعالى لا لامر ينالني منه فانه اجل قدرا واعظم خطرا من ذلك وما ذكرته الا
ليعلم حسن تواضعه وحسن خلقه وتلبسه بالاوصاف الحسنة السنية الجميلة
وتحققه فان جرم ان الله سبحانه وتعالى وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة
واتم عمل هذا الخير العظيم على يديه فيكفيه ذلك سعادة في الدنيا والاخرة فكم
من وزير كبير نبيل جليل عظيم جليل يتمنى الوقوف في هذه الخدمة
الشريفة مع جلالته وعظمته ويعده من اكبر سعادته دنياه واخرته وما
قدرها الله سبحانه وتعالى الا لمن ظهرت العناية الازلية في حقه واختاره
الله سبحانه وتعالى لذلك من بين عباده واصطفاه من خلقه وما هو هذا الامير
الكبير الكريم الصفات فالله سبحانه وتعالى يعينه على فعل الخيرات ويسدده
في افعاله واقواله ويوفقه للباقيات الصالحات فلما اكمل جانبين من
المسجد الحرام وهما الجانب الشرقي والجانب الشمالي وصل خبر انتقال حضرة
السلطان سليم الى دار النعيم رحمه الله وطيب ثراه واحسن في دنياه واخراه
مثواه واستمر الامير المشار اليه في عمله المبرور وفعله المعمور باخير المعمور
مستعينا بالله ولي الامور

فصل في وفاة المرحوم السلطان سليم الثاني

وانتقاله الى عالم الاخرة من هذا الملك الفاني لما كان لكل اجل كتاب ولكل
نفس انفاس معدودة قدر الله سبحانه وتعالى في ام الكتاب ان لا يسلم منه
ولد ولا مولود ولا سلطان ولا ذو جنود ولا سيد ولا مسود ولا من
يخرج من كتم العدم الى فضاء الوجود وقيل

ما الموت سلطان البرايا كاسمه ... لديه وغلب كمن لم يغالب
ودرع الفتى في حكمه درع غادة ... وايوان كسرى من بيوت العنائب

قدر الله سبحانه وتعالى بالانابة عن كل ما يحالف امره ورضاه وغلب عليه
عند قرب توجهه الى الله سبحانه وتعالى فضل جده وتقواه وظهره الله سبحانه
بمقاساة المرض ونقاه وخيره نورا رحيما وجوهرا علويا منيفا وهيكلا
شريفا ملكيا يصلح لجناب قدسه الكريم ودعاه فلباه بقلب سليم ومضى
الى رحمة ربه الكريم الرحيم فاز بالملك الاخروي في جنات النعيم فحيا طيبا
من الحضرات الالهية بلسان الالطاف الرحمانية يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وكان وقوع
هذا الامر المهول لسبع مضين من شهر رمضان زمان فيضان الرحمة
والرضوان سنة اثنين وثمانين وتسعمايه ودفن جسده الشريف وهيكله
الطاهر المنيف بقرب ايا صوفيه في تربة طيبة عرا وروضة نضرة غنا تنوح
بها ورق الاطيار وتبكي بها سحب الامطار ونفيح ابوابها اكمام الازهار
ويلطم صدورها اوراق الاشجار انزل الله سبحانه وتعالى عليه مطر الرحمة والرضوان
وجعل قبره الشريف روضة ناضرة من رياض الجنان وقيل

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما ... سرى جوده فوق الرقاب وطالما
افاض عيون الناس حتى كانما ... عيونهم فيما تفيض انامله
فيا عين سحي لا تشحي بطايل ... على ملك لا يعرف البخل سايله
فان دفنوا تحت التراب جماله ... فما دفنت اوصافه وشمايله
ستبقى فتيلة هالت عليه ترابه ... انا ملهم سح الغمام ووابله

الباب العاشر في سلطنة سلطان العصر والزمان كما كان الوقت

والاوان

والاوان ملك المشرقين والمغربين سلطان الخافقين خادم الحرمين الشريفين
عالم البلدين المنيفين اعظم سلطان حفقت عليه البنود وتشرفت بمدحه رؤس
المنابر واكبر ملبث جند الجنود وكنت الكتايب وحسد العساكر واعدل خليفة
انتظم به نظام الوجود وعقدت غير عقود الخناصر وقيل

ملك اذا اضاق الزمان باهله ... بخل تحلى بالمكارم والشيم
تكبو السحايب اذ تحاكي كفه ... فالعنت من وجناتها عرق الشيم
ويكلف الاسد المصور بعده ... في القفران يرعى الغزال اذا تخيم

المنصوب له على وجه سرير السلطنة سرادق اكلله العظمى المرفوع له في اعلاء
بساط البسيطة لواء الملك الاسنى العظيم الشان حضرة السلطان الاعظم
السلطان مراد بن سليم بن سليمان رحمة الله عليهم وقيل

نسب كان عليه من شمس الضحى ... نورا ومن فلق الصباح عمودا

لازالت اعلام خلافته مرفوعة على اعلام الزمان ولا برحت الوية سلطنته مخفوقة
فوق الكواكب مكانا عليا مولده الشريف في سنة تسعماية وثلاث وخمسين وجلس
على تخت الملك الشريف في عاشر شهر رمضان المبارك سنة تسعماية واثنين
وثمانين وسنه يوم ولي السلطنة ثلاثون سنة وما ملك همام واسد ضرغام
وبحر مقدام وسيف صمصام وبحر فقام ملك بقايم سيفه ملوك الاقاليم
واداره على حسب مراده مدار الفلك وملاء بحبيث عظمته ما بين السماك
والاسماك وفاجاه الصبح والليل اسعد اسه صباحك ومساك فحداوند
كار العالم وسلطان بني ادم وامام المسلمين والموحدين في اوانه الذي اذا
جلس على سرير محل فتنه فما قدر كسرى في ايوانه وهو منذ مهد المهد وجفا المضاجع
مجبول على كرام الخصال وشرف الطباع مشغول اللسان بالذكر والقران
مشغوف الجنان بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالي الشان
معقود الامنية بسمو القدر وعلو المكانة والمكان لم يزل قايما بنصرة الدين
وحماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين والى النشر في هذه الرسالة
سيرة معدلته في الرعايا ومحدث بما طبعه الله سبحانه وتعالى عليه من كرم السجايا

وجب الخلقة الشريف من الرافة بالرايا والمحبة لعلماء الدين واكرامهم بالمواهب الجزيلة والعطايا وحسن نظره الى اهل الحرمين الشريفين واحسانه الى الفقهاء والفقراء والصلحاء بالبلدين المحترمين المنيفين وامره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام عمارة فايقة حسنة رايقة باقية فى صفحات الايام فاق بها على عمارة من تقدمه من الخلفاء الكرام وسايرسلاطين الانام وكافة ملوك الاسلام فلقد اتاه الله سبحانه وتعالى ما لم يوت احدا من العالمين وجمع له بين سعادة الدنيا والدين وجعله ملكا كريما وسلطانا رؤفا رحيما ومنحه ملكا جليلا عظيما واقفا عند مراد ربه فلم يتعداه عاملا فى امره بتقوى ربه مراعيا للعدل والاحسان فيما استرعاه وقلت

معانى بنى عثمان غير خفية ... وكل الى شاو المفاخر سابق
وقد نجم الشمس النجوم بضوئها ... تفاوتت الانوار والكل رايق
باسم مراد يحلى كل مستحل ... عويص وتنقاد الجبال الشواهق
ويوهننا فى ان ادم لم تمت ... حنوا على اولاده مثله صادق
ولطف تساوى الخلق فيه فضمهم ... كما ضمت الخضر الرقيق المناطق
بقاوك فى الاسلام عز مؤبد ... فدم وابق للاسلام ما ذر شارق

طال ما عمر الله وعمر بانى احسانه وماوشاه زاده قبل جلوسه على تخت السلطنة والسعادة وشملنى بلحظ الشريف السلطانى بالتحسين والزيادة واستمر بعد اللحظ الشريف السلطانى يشملنى بلطفه واكرامه ويكرمنى بحسن التفاته الشريف وانعامه وفرقى بايدى من المدرسة السلطانية السليمانية مدرسة جده المرحوم المحفوف بالرحمة الربانية وانعم على اولادى بالتدريس واولاهم بكل كرم واحسان لطيف نفيس فقلت

فلوان لى فى كل منبت شعرة ... فمثلك قسرا ملك كسرى وقيصرا
وما بيدى الا الدعاء بنصره ... لسانا بيت الشكر كنت مقصرا

والى لاخدمه انا واولادى واحفادى فى بلد الله الحرام المنيف بالدعاء بطول عمره الشريف وخلود ظل عدله الوريف وبقاء سلطنته القاهرة ودوام دولته

خلافته

خلافة الزاهرة الباهرة واخلد ذكره الشريف فى صدور الدفاتر والكتب والتشاطيب عرف شكره على مرور الاعصار والحقب وقلت

والى وان اعطيت فى القول صولة ... وطاوعنى نحو الكلام المحابر
لاعلم انى فى الثناء مقصر ... وان الذى اولاه اوفى واوفر
فاى جميل من عطاياه ينتهى ... وفى كل حين فضله يتكرر
ولكننى مادمت حيا لشاكر ... ويشكره بعدى كتابى المسطر

فصل ومن اعظم سعادة هذا السلطان الاعظم الاسعد ثبت الله سبحانه سعادته وسيده وادام ملكه السعيد وخلد مقارنة هذا الوزير الاعظم الاكرم الافخم ظهر السلطنة الشريفة العثمانية وعضد الدولة المرادية الخاقانية مدبر الامور برايه المصيب الثاقب ومهد مصالح الجمهور بفكره الدقيق الصايب اعظم وزراء السلاطين العظام واكرم الصدور الكبراء الفخام فى دواوين اعاظم ملوك الاسلام محمد باشا المشار اليه حضرة العلية سابقا فى وزارة والد هذا السلطان الاعظم وجده قرن الله سبحانه وتعالى صدارته وسعادته وجده وادام سيادته فى ظل اقبال هذا السلطان الاكرم وشمله بسعده فاول خدمة هذا الوزير حسن التدبير حتى اجلس حضرة السلطان الاعظم روح هذا العالم على السرير وقام باعباء هذا الامر الخطير ودبر ذلك برايه السديد احسن تدبير واعانه على ذلك الملك القدير اللطيف الخبير وتيسير العلى الكبير والله على كل شى قدير فاقبلت السلطنة الشريفة الى ان صار ملمح لسانها وعظم فى عين الدولة الشريفة وقلد احبار اركان السلطنة الشريفة بعقود منتظم السامية المنيفة فكانت كالطوق فى الاعناق والنوم فى الاحداق بحيث لم يبق من اركان الديوان وزعماء الجيوش والامراء ومن له التكلم بين الاعيان الا من ضرب بسهم وافر من عطاه ولم تخذه الافاضل من انعامه وجاه واحسن الى السادة والمشايخ والعلماء الموالى وسائر العظماء الاهالى والى الحرمين الشريفين وجيران البلدين المنيفين واكثر فيهما الصدقات واجرى فيهما العادات من اجراء العيون وحفر الابار

والانهار وبناء دار الشفا والحمامات وغير ذلك من الاعمال الصالحات مستجلبا
بذلك دعاء الفقراء والصلحا وتوجه خواطر الاولياء والاصفياء بدوام دولة
هذا السلطان الاعظم وقوام سلطنته على العالم فهم مواظبون على وظيفة
الدعاء بدوام دولة سلطان هذا الربع المسكون وبقاء صدارة هذا الوزير
الاعظم بالسعد المقرون بزين الله تعالى اعماله بالصالحات بحسن القبول وكسي
ديباج وجهه قبول لامادام الفرقدان واضاء اليمران

فصل ومن سعادة
هذا السلطان الاعظم خلد الله سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم مقارنة
لحضرة اخي المعظم الاسعد الاكرم الاعلم الفايق في كل علم على من كان في علم العلوم
فايق والمتميز في كل فن على من كان في فن الفنون ماهر اسابق ان نظم اتي بعقود
كجواهر من نحور الحور وان نثر نثر الزهر المنثور في الروض الممطور ببعارة فايقة
البراعة في الالسن الثلثة وفصاحة بارعة حازها كتابا ووراثة طالما
تمهر الناقد البصير بحسن التقرير ولطف التحرير واتى في البديهة بما يقصر عنه
بعد الروية كل ماهر نحرير ولا شك انه يغترف من بحر الفيض القدير ويفيض
بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على عالم الانس وانه كتب
الخط الحسن وما يقل خط عذاره الا نضير وتميز في الكمالات على مشايخه
فضلا عن اقرانه في عمر شبابه الازهر باحث العلماء في دقايق العلوم ورجح
عليهم في تحقيق فهم المنطوق والمفهوم ونفث السحر الحلال بكلامه ورقم
على وجنات الطروس نقشا اقل منه فسلك العقول والالباب واتى بالتصانيف
الفايقة في كل باب واتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب ثالث السعدين
وثاني سعد الدين بمكنه الله سبحانه وتعالى في السعد المكين ومنحه اعلا رتب
السعادة والفضل والتمكين ولقد اسعده الله تعالى واكرمه غاية التكريم فسافر
الى تعليم هذا السلطان الاعظم ذي الطبع السليم واكلله الكريم وهو شاه
زاده فاقبل عليه بكمال قابليته الشريفة غاية الاقبال فانطبع في مرايا
قوية الداركة نقوش صور العلم والكمال وانتقش في صحيفة ذهنه مزايا
الفواضل والفضايل والافضال فلما ولي السلطنة العظمى عرف له خدمته السابقة

ورفع مرتبته السنية الفايقة واعلا مكانته ومكانته واعز قدره واعظم شانه
فانثالت العلماء والموالي العظام الى بابه وكذلك الاكابر والاعيان عمدوا
الى جنابه والاحسان اليهم كما احسن اليه وكتب اليهم من يده للخنو والاحسان
عطفه القادرة والاقبال عليه فهو باكرة اكليل مدكوره وبوفور التلطف
والتكرم معروف مشهوره طالما شملني باحاته الكثيرة الوافر وعضدني
بلطفه وجميله المتواتر واخذ بيدي اخذ الله بيده وادام فضله الباهر واحسن
غاية الاحسان الي وتفضل باتواع التفضل علي وشمل بفضله اولادي
وذوي نظر الله سبحانه اليه بعين عنايته والطافه واجرى عوايد كرمه والاحسان
على يديه واسعده في ظل هذا السلطان الاسعد وخلد سلطنته العظمى وابده
خل فتنة الكرى وابده وقيل
وهذا دعاء للبرية نافع وحسن رجاء للسعادة جامع
وقد حفه حسن القبول لانه عليه شعاع الصدق واسه سامع

فصل ومن سعادة هذا السلطان الاعظم عمه الله سبحانه وتعالى بشمول عدله
ورحمته علماء العالم وكرمه احسانه على العلماء والفضلاء والاولياء الكرام والفضلاء
الفخام تخته معهم فمنهم من اجتمعت به وعرفت كمال فضله واغترفت من
بحر فوايده وتقلدت بدرر فرايده ومنهم من كاتبني بفضله وكاتبته لفضله
وتحققت بغزارة فضله ووفور علمه واعقله ومنهم من احطت علما بكماله
بعد التفحص عن مرتبته بفضله وافضاله فوجدتهم في الرتبة العليا من الفضل
والكمال فايقين علماء الدين في هذا العصر على كل حال فاني اسمع اقوال علماء
كل اقليم واسيل عن مراتبهم في العلم وكمالاتهم في التعلم والتعليم واوكد التفحص
عن احوالهم وتصانيفهم وفوايدهم وفضايلهم وتاليفهم واستحلب ما يمكن حلبه
واطلب منهم ذلك اذا امكنني طلبه والشرذمة بين العلماء في كل بلاد وابذلها
لطلبة العلم الشريف في اهل القابلية والاستعداد وهذا ابي منذ ينطت
عني التمايم وانيطت بعفاري في عقود العمايم مع كثرة الرايدين الى بابه الكريم

والواردين من الاقطار الشاسعة لاداء حجة الاسلام وشدة شغفي بملاقاتهم والتيمن
ببركاتهم والسوال عن فضايل فضلايهم وكمالاتهم فكنت اكثر الناس حيرة باحوال
العلما ودرجاتهم فوجدت المولى العظام من علماء الروم هم الغايقين في هذا العصر
في تلك العلوم ونظرهم فيها ادق نظر في المنطوق والمفهوم زادهم الله سبحانه وتعالى
جمالا وكمالا وفضلا باهرا وافضالا وكل ذلك بشريف التفات هذا السلطان
خليفة الله الاعظم على كافة الامم حمل الله به وجود الانام وكمل بتعظيم كمالات الطوايف
العلماء الكرام واكابر فضلاء المولى العظام فترى ملوا في ايام سعادته في حلل المناصب
العالية الفخام واحرز واقصب السبق في ميادين المراتب السامية في ظله الظليل
المستدام ادام الله سبحانه وتعالى لهم ذلك الى قيام الساعة وساعة القيام
واما زمرة المشايخ والاولياء والصلحا والاصفيا نفعنا الله سبحانه بركاتهم وادخلنا
ببركة محبتهم في عداد خدام عتباتهم فمن شانهم عدم الظهور لاعين الناس الا نادرا
واما ارباب الظهور منهم لارشاد عباد الله سبحانه وتعالى كاهل الزوايا واصحاب
النفع والتكايا فكثيرون ظاهرون كثرهم الله سبحانه وتعالى ونفع بهم ويجب على كل
احد ان يعتقد فيهم ولا ينكر على احد منهم ولو شاهد منهم ما ينكره حمل نفسه على
قصور الفهم فلم فيهم اهلا متى يقصد ان ينكر عليه ويخفى حاله عن الناس فحمل
حاله على الصلاح اسلم واجمل وقد ذكر الشيخ محي الدين في فتوحاته المكية ان من
اعظم سعادة الانسان ان يعتقد في كل من انتسب الى الله تعالى ولو كاذبا فعسى
الله سبحانه وتعالى ان يسعدنا باعتقادنا في اهل الله واوليايه حيث كانوا ويدخلنا
في زمرتهم ويبعدنا عن المنكرين عليهم **فصل** ومن اعظم ماثرة الجميلة الكرام
واكرم اثاره الجليلة العظام اتمام عمارة المسجد الحرام وقد تقدم ان والده
السلطان الاعظم المنبرج الى رحمة الله الكريم الاكرم شرع في تعميره على الوجه
الذي تقدم واتم منذ الجانب الشرقي والجانب الشمالي الى ان انتهت العمارة
الى باب العمرة فما عجل الى ان تتم العمارة وسلم ملكه المشيد الى نجله السعيد
السلطان الاعظم الفريد السلطان المشار اليه الفخم الاكرم خلد الله ملكه الاقوم
وافاض على العالمين عدله الاعظم واطال عمره الشريف وعمره بسوابغ الفضل

والنعم

والنعم فزاد الشريف لا يزين العمارة المشار اليها سابقا احمد بك ان يبذل جده وجهده
في اتمام بناء المسجد الحرام ويسرع في اتمام عمارته بكمال السعي والاهتمام فبادر الامير
المشار اليه الى بذل الكد والاجتهاد وتوجد بكليته لاتمام هذه العمارة في خير البلاد
فاعانه الله سبحانه وتعالى على اتمامها واهد بذلك سايرخدامها الى اتمام بناء الجانبين
الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع شرافاته وابوابه ودرجاته في سايرالمسجد
الحرام وذلك في ايام دولة هذا السلطان الاعظم خلد الله ملكه الاقوم وابد
سلطانه الافخم وافاض عليه سوابغ الفضل والكرم فتم وسلم بسعد طالعه
السعيد وكمل على هذا الوجه الحميد بحسن توجهه الشريف وقوة عزمه المشيد
وكان ذلك في اواخر سنة اربع وثمانين وتسعمايه وصار المسجد الحرام نزهة
الناظرين وبهجة الخاطر وجلاء النواظر وصفاء القلوب والخواطر بحيث صار
ما عمره الخلفاء العباسيون قبل ذلك لا يحسن عنده ان يذكر ويوصف لان
هذا البناء امكن وازين واعلى واشرف فكان الان كما هم ذات العماد التي لم
يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كاطواق الذهب في الاجياد وقباب سامية
كقباب الافلاك الشداد وشرافات شريفة مشرفة على الوهاد والنهاد بل اعلا
واشرف واجل واطف وارفع واتحف حتى ذلك بالرخام الابيض المرمر
والحجر السمسي المنحوت الاصفر كانه سبايك الذهب او سبك النضيد والجوهر
مكتوب على الابواب وصدور الاروقة ايات الكتاب والاسم السامي السلطاني
المستطاب بخط الذهب مكتوب بخط كسلسل الذهب على كل موضع ما يناسب
من الايات الشريفة واسم السلطان بالكتابة المنسوبة الفايقة الجليلة واخترع
الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان واخترت اخضر لانه خبر مساجد الله
ثم رايت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخا لطيفا في بيت مفرد
فاعجبني نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه وهو

جدد المسجد الحرام مراد ... دام سلطانه وطال اوانه

ثم رايت تاريخا نثرا جعله مولانا شيخ الاسلام القاضي حسين الحسيني قاضي المدينة
المنورة سابقا وهو هذا باسمه سبحانه يبتدي انما يعمر مساجد الله من امن بالله

واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اوليك ان يكونوا من
المهتدين شرع فى عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله سبحانه
من خلقه وعبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور الشهيد سلطان
الاسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين الملتقى بفضل الله ظل اله الغفور
حضرة الملك الاعظم السلطان سليم نور الله ضريحه وبرد بروايح الجنان
روحه واتم بناه واكمله واتقنه وحسنه وجمله وارث الملك الاعظم
الامام الافخم والخليفة الاكبر المعظم والملك القاهر العزيز من ملكه الله شرق
البلاد وغربها وجعل طوع يديه عجم الرعايا وعربها واطلعه الله سراجا منيرا
فى المشارق والمغارب ومكارم فتوح المقام على هام الكواكب وصيره للاسلام
حصنا حصينا محيطا وجعل ظله المديد على كافة الانام بسيطا وعدله المزيد
فى جميع الوجود مبسوطا وقمع بسطنته الشريفة طوائف الكفر والعدى وجمله
باياس الباس والندى فظام ملكه الشريف بعون الله سبحانه وتعالى مفردا خليفة
الله تعالى على كافة العباد ورحمته الشاملة لجميع البلاد سلطان سلاطين الزمان
خلاصة خواقين آل عثمان السلطان بن السلطان الخاقان الاعظم مراد خان
لازال آل الوجود بدوام خلد فقد عم الرعايا والبرايا ولا برح الايمان فى ايام سلطنته قويا فى
زاده الله قوة ونصرا وشد بملائكته الكرام له ازرا تاريخ اتمامه قد جاء
الحال الله من اتمه عم ثم ورد من الباب العالى الشريف تاريخ منظوم نظمه
درر البحور وعز النحار ونثر كالدر المنثور والزاهر المنثور بخطبة ونعم نقيبة
السلطان الاعظم فى اخر ثلث ابيات بالعربى لا اعلم من الذى ابدعه
واخترعه وانشاه ونظمه ورصعه ورد معه حكم شريف سلطانى يتضمن
الامر بكتابته على بعض ابواب المسجد فامتثل الامر الشريف وكتب هذا
التاريخ البديع اللطيف على طراز باب العباس الى باب على رضى فى الجانب
الشرقى من المسجد الحرام ونقر له فى الحجر ان صفح الشمسيسى وطلى عليه الذهب
فى ذلك المقام ليقراه الخاص والعام ويبقى ذلك النقر فى الحجر على صفحات
الليالى والايام وهو هذا الكريمة الذى اسس بنيان الدين المتين مبنى الرحمة

والارشاد

والارشاد وخصه بمزيد الفضل والكرامة والاسعاد وجعل حرم مكة المشرفة مطافا
لطوائف الطايفين الحاجين من اقاصى الممالك والبلاد صلى الله وسلم عليه وعلى آله
واصحابه الاجلة الامجاد ووفق عبده المعتاد باحكام الشريعة وتشييد
اركانها على الوجه المعتاد المدخر ذخر الاخرة المتزيد من زاد المعاد ظله الممدود
على مفارق العباد السلطان بن السلطان السلطان مراد جعل الله سبحانه وتعالى
اكمل فترة فيه وفى عقبه الى يوم التناد لتجديد معالم المسجد الحرام وحرمه الذى
سواء العاكف فيه والباد لازال للحرمين الشريفين خادما ولاساس الجود
والاعتساف هادما بتجديد حرم بيت الله عز وجل بامره العزيز المبجل
وعمر من حوله ما تضعضع من اركانه بعد ما كاد تنقض عوالى جدرانه فجدد
بنيان حرم بيت الله العتيق وسوره باكمل زينة واجمل صوره بعد ما ابلى
الزمان واكل عيدان سقفه الاكلة والديدان فرفع القباب موضع السطوح
المبنية بالاخشاب وابتهج بهذه الكرة الكبرى كل شيخ وشاب فادعنوا
له بالشرف الباهر والمجد الفاخر تالين قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن
بالله واليوم الاخر فايلين اللهم ادمه فى سرير الكلاءة محفوظا محروسا بحفظك
من كل افة وظافرا على من يريد خلل فقد مشيد المساجد والمدارس محمودا
لكل خير منهد ماوى ودارس واجعل بابه حرما امنا وجانبه للمحتاجين كفيلا
ضامنا يا تون اليه من كل فج عميق بحرمة البيت العتيق يتقبل الله معطى السول
بجاه الرسول هذا الدعاء المجرى بالقبول امن اسس بنيانه على تقوى من
الله ورضوان كما شيد الاركان حاكيا رفعات الجنان وصار هذا عنوان
خلد فقد وبراعة استهلال منشور تسعادته فى اوايل سنة اربع وثمانين
وتسعمايه وكان الابتداء بذلك التجديد بامر والدة الماجد الذى يلوح الى
مدارج الملك المجيد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم السلطان سليم بن السلطان سليمان بن السلطان سليم
ابن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن السلطان محمد
ابن السلطان يلدرم بايزيد بن السلطان مراد بن السلطان اورخان ابن

السلطان عثمان مكنهم الله على سرير السلطنة في دار الجنان وابد خل فتهم في مسند
الخلافة الى انقضاء الزمان وكان الشروع في الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة
تسعماية وثمانين فلما سلم السلطان سليم وديعته باحسن تسليم وارتحل من
دار القصور الى ما هيأ الله له في الجنان من القصور قبل اتمام مارام من
تجديد المسجد الحرام واجلس الله سبحانه وتعالى على سرير الخلافة بخلافة النجيب
احسن اجلاس وجعل حرمه مثابة للناس يسر الله سبحانه وتعالى له الاتمام
بطلعة اقباله وجودة الليالي والايام وانام الانام في مهد عدله الى قيام الساعة
وساعة القيام ونظم راقم هذه الاسطار تاريخا يليق ان يكتب في المقام وهو

جدد السلطان مراد بن سليم ... مسجد البيت العتيق المحترم
سر منه المسلمون كلهم ... دام منصور اللواء والعلم
قال روح القدس في تاريخه ... عمر سلطان مراد الحرم

فصل ومن جملة تعمير المسجد الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبي
الذي هو مجرى السيل الآن فان الارض علت وامتلأ السيل كله الى اسفل مكة
المشرفة بالكلية الآن ولم يبق للدخول الى المسجد من الابواب التي من تلك
الجهة الا ثلاث درجات بعد ان كانت خمسة عشر درجة يصعد فيها الى
ان يدخل من الباب الى المسجد وكان هذا السيل يقطع ويحمل ترابه الى خارج
البلد من جهة المسفلة في كل عشرة اعوام مرة فيفعل عن قطع نحو ثلاثين
عاما فعلت الارض فجات سيول طامة ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى
سنة ثلاث وثمانين وتسعماية ودخلت من ابواب المسجد واستلم المطاف الشريف
ووصل الماء الى حول الكعبة الشريفة وعلا الى ان غطى الحجر الاسود وجدار الحجر
الشريف ووصل الماء والطين الى عتبة الكعبة الشريفة وعلا الى ان قرب من
قفل الباب الشريف ووقف الماء في الحرم الشريف يوما وليلة وما امكن اداء
الصلوات الخمس فيه فتعطلت بكماعة سبعة اوقات وبادر شيخ الاسلام
ناظر الحرم الشريف والامير احمد بك امير العمارة الشريفة وامر اخذ امهما وعبيدهما
ومن المسلمين بهما وكذلك خدام الحرم الشريف والمدرسين والفقهاء والاعيان

والتجار

والتجار الى فتح طريق الماء من اسفل مكة المشرفة ثم نظف وغسل داخل المسجد الحرام والبيت
الشريف ومقام الحنفي ثم اخرجت الاوساخ من الحرم الشريف وكوم الطين اكواما
في المسجد الحرام ثم اخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصر الجديدة وتعب في ذلك
الامير احمد بك وصرف من ماله في ذلك مبلغا كبيرا ثم شرع في قطع السيل
وهبط ارضه الى اسفل عشر درجات او نحوها من الجانب الجنوبي من المسجد
الحرام الى اخر المسفلة وهي ممر سيل اعالي مكة المشرفة فصار السيل اذا سال يذهب
بسرعة ولم يعل الى مكة المشرفة ان يمكنه الدخول الى المسجد الحرام وفعل ذلك ايضا
من جهة باب الزيادة من الجانب الشمالي وهو ممر سيل فيعقعان وحوالته وجرى
الى باب الزيادة لم يصعد الى ابواب المسجد الحرام بل يدخل سردابا واسعا يسمى العتبة
ويجري فيه الى ان يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل الى اسفل مكة المشرفة مع
السيل الكبير وصار الله سبحانه وتعالى المسجد الحرام بذلك وصارت السيول
بعد ذلك تسيل ولا تصل الى باب المسجد الحرام ولم تقرب منه ولهذا راى سيدنا
وعمل مهما نافع ينتفعان به المسجد الحرام عن دخول السيل اليه عيانا نه يحتاج الى
ان يتفقد في كل عامين او ثلاثة اعوام فيقطع ما علا من الارض قبل ان
يعلو كثيرا فيحتاج الى قطع كثير ومصرف زايد فالذي لازم على ولي الامر سلطان
الاسلام والمسلمين نصره الله تعالى وبث به قواعد الدين ان يعين لذلك
قانونا فيقطع هذه السيل في كل عامين مرة من غير ان يحتاج الى تجديد امر
جديد كل مرة فيستمر السيل منهبطا دايم الجريان السيل منه صونا للمسجد الحرام
عن دخول السيل اليه من كل سيل ياتي ويكون ذلك قانونا مستمرا للسلطين
دايما ويبسط ثواب ذلك في صحايف هذا السلطان الاعظم وكانت اليد
البيضا في هذه المرة من اداء هذه المهمة الشريفة للامير احمد بك المشار اليه
انعم الله تعالى عليه وكرم منزلته لديه واجرى كل خير على يديه وبلغه عنده
المرتبة العظمى والمثوبات الكبرى امين **فصل** واجزني الامير المشار
اليه احسن الله اليه ان الذي اعرفه في عمارة المسجد الحرام هذا وما
وقطع ارض السيل من جهة الجنوب الى اخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة

الى اخر سرداب العتبة من خاصة اموال السلطنة نصرها الله تعالى مائة الف دينار
ذهبا جديدا سلطانيا وعشرة الاف ذهب سلطانيا وذلك غير ثمن الاخشاب
المجهزة من مصر الى مكة المشرفة وغير ثمن الحديد الصلب لالات العمارة كالمساحي
والمجارف والمسايير والحديد المحدد راسه بطول الرواقين وبين الاسطوانتين
تحت كل عقد ليل يجلس عليه الحمام وغيره فيلوث المسجد بزرقه وهذا
الحديد بالحديد راسه وتواصله يمنع من جلوس الطير عليه وغير اهلة القباب
التي عملت في مصر من النحاس وطليت بالذهب وجهزت الى الحرم الشريف فركبت
في اعلا القباب فصار لها منظر حسن وزينة عظيمة كانها صفوف واقفة
بالاسلحة من الذهب بغاية السكون والادب حول بيت الله الحرام وايمان
جميع ذلك خارج عن القدر المزبور المصروف في العمارة الشريفة وكان عمل اهلة
قباب المسجد الحرام بمصر باسم نايب مصر الان نايب السلطنة الشريفة بها في هذا
الزمان امير الامرا العظام كبير الكبرا الفخام محي البلد والعباد بعدله الاسما
سمي روح الله المسيح والاسما تنزل من السما زاد الله شانه عظما وافعش
باحيايه عظام العلما العظما والسادات الاجلا الكرما وافاض على اهل الحرمين
الشريفين من فيض كرمه الفياض ما يفيض على القياس ويزرع بسحايب
معدلته ورحمته بذر محبته ومودته في قلوب الناس واعانه على البر والتقوى
وصانه وحماه عن جميع الاسواء وافاض عليه جلايل نعمه الباطنة والظاهرة وجمع
له ما بين سعادتي الدنيا والاخره **فصل** لما كان ماء المسيح احيا موات مصر
وعمرها من الخراب وابرا جميع مرضاها واهلكها من الامراض والاصواب
وانعش اهل الحرمين الشريفين كما احيا الموتى بروح الله المسيح وحمر اليمم الصدقات
المروية السلطانية المرادية كما سرحها اليمم احسن تسريح فهم داعون بدوام
معدلته وخلود ملك السلطان الاعظم المحسن الجزيل الاحسان ما دام الله تعالى
سيادته ورقاه وحفظه ورعاه وحماه من الاسواء ووقاه امين
فصل في ذكر اساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها على ما كانت
عليه قبل هذه العمارة الشريفة ثم ذكرها على ما صارت عليه الان اعلم ان جملة

عدد

عدد اساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها وجوانبه الاربع غير الزيادتين
اربعماية اسطوانة فيكون جملة اساطين الجوانب الاربعة من المسجد الحرام
واساطين ابوابه الشريفة اربعماية اسطوانة وست وتسعين اسطوانة
بتقديم الثناء على الستين غير ما كانت من اساطين الزيادتين فكان في الجانب
الشرقي ثمان وثمانون اسطوانة كلها رخام مخروط ما عدا اسطوانة واحدة
في الصف الاوسط عند باب علي رضه فانها من الاجر مبنية بالنورة بيضة
بالجص وكان في الجانب الشمالي ويقال له الشامي ماية اسطوانة واربع اساطين
كلها رخام ما عدا اربع عشر اسطوانة من اخر الصف الاوسط مما يلي باب العجلة
وباب السدرة فانها حجارة منحوتة وكان في الجانب الجنوبي ويقال له اليماني
ماية واربعون اسطوانة كلها رخام ما عدا خمسا وعشرين اسطوانة في موخر
هذا الرواق عند ابواب ام هاني رضي فانها كانت حجارة منحوتة وكان في الجانب
الغربي سبعة وثمانون اسطوانة كلها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة
في شكل كل دايرة مركبة كل اثنين منها اثنين الى ان يطول في شكل اسطوانة الرخام
مسبوك بينهما بالرصاص في ذاطها وباطنها حديد بطول الاسطوانة منحوت
وكانه في وسط الحجر مسبوك عليه بالرخام عمل ذلك في ايام الملك الناصر فرج
ابن الملك الظاهر برقوق لما احترق هذا الجانب الغربي من المسجد الحرام
في اخر شوال سنة اثنين وثمانماية كما تقدم شرحه في محله فيكون جميع ما
ذكرناه من الاساطين الرخام ثلثماية واربعين اسطوانة وجميع ما
ذكرناه من الاساطين غير الرخام ماية وتسعة وعشرين اسطوانة واما اساطين زيادة
دار الندوة فاذكرناها ستا وستين اسطوانة من جوانبها الاربع كانت
من الحجر الغشيم غير منحوت مبنية بالجص الابيض من ظاهرها ينكشف عنها
الجص فيظهر الحجر الغشيم منها في الجانب الشرقي اثنا عشر اسطوانة وفي
الجانب الشمالي عشرون وفي الجانب الغربي احد عشر وفي الجانب
الجنوبي ثلثة وعشرون اسطوانة **فصل** في ايام دولة المرحوم المغفور
السعيد الشهيد السلطان سليمان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان

امر امير من امرايه مالوالامير حسكلدى فى سنة تسعماية وسبع واربعين وما بعدها ان
يهدم قبة مقام الحنفى الذى كان بناه مصلح الدين الامير فى ابتداء الفتح العثمانى
لممالك العرب وان يبنى مكانه مربعا على وضعة الباقى الى اثناء هذا البناء فى فكر
ان يجعل فى المسجد الشريف حاصلا واسعا لحفظ مون المسجد واخشابه والاته
وان يجعل الجانب حاصل اخر يوضع فيه زيت قناديل الحرم الشريف وشمعه
وقناديله وظروف زيته ومساحه فهمد الى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقى
فيه حاصلين حجر وبنى عليهما وجعل لهما بابين لهذه المصلحة واستمر كذلك الى
ايام دولة هذا السلطان الاعظم عمر الله سبحانه وتعالى الوجود بوجوده وافاض
على اهل العلم ظل سلطنته العادلة سحاب العدل والاحسان والجود فاعيد
ذلك المحل للحجر من المسجد الحرام كما كان واما زيادة باب ابراهيم فقد كان فيها فى الرواق
سبعة عشر اسطوانة من الحجر المنحوت صفين متصلين فى الرواق القبلى الذى
يلى المسجد الحرام فى اثنان منها لاصقتان برباط راسات على يمين المستقبل واثنان
لاصقتان برباط الحنوى على يسار المستقبل وفى الجانب الشمالى تسعة
اساطين وفى الجانب الجنوبى ستة اساطين احداها لاصقة بالمنارة التى
كانت لهذه الزيادة ولم يكن بالجانب الغربى من هذه الزيادة اساطين

فصل فى ايام السلطان قانصوه الغورى ارسل امير امن امرايه يقال له
خير بك المعمار لتعمير زيادة باب ابراهيم فى حدود سنة تسعماية وسبعة
عشر فبنى على باب ابراهيم وقرام تفعا مع مرافقه وجعل حول القرام من
خارج المسجد معاذل وتكاسن وبنى خارج ذلك ميضاة تشتمل على
حاض وبرك ماء وقف ذلك جميعه على جهات وبنى داخل باب ابراهيم
على يمين الداخل مئذنه وقرر فيها بعض المستحقين وجعل فى الجانب اليمانى
من هذه الزيادة حاصل يشتمل على سبيل ماء ظهر بحاكير تملى من ماء المطر
من سطح المسجد الحرام وابقى الجانب القبلى والجانب الشمالى على حالهما
وفرغ الامير خير بك المعمار من ذلك فى حدود سنة عشرين وتسعماية
واما عدد شرافات المسجد الحرام من داخله فثمانمائة واربعماية شرافة وسبعة

انصاف شرافات واما الشرافات التى تكمات على جدر المسجد الحرام من خارج فمئتان
وخمسون شرافة متفرقة على ابواب المسجد الحرام وما يليها دورا وم رابط ومدارس
متصلة بجدر المسجد الحرام ليس فيها شرافات **فصل** وكان فى زيادة دار
الندوة من جوانبها الاربع التى يبطنها اثنان وسبعون ولا شرافة للجهة
الخارجة المحاذية لحائطة الدور بها وكانت فى زيادة باب ابراهيم مما يلى
يبطنها فى ثلاث جهات منها وهى القبلى واليمانى والشامى بضع واربعون
شرافة **فصل** واما ابواب المسجد الحرام فمنها تسعة عشر بابا كانت تفتح
على ثمانية وثلاثين طاقا وهى باقية على حالها ما عدا باب واحد فى زيادة
دار الندوة وكان يفتح على طاقين فزادها الامير قاسم امير بناء المدارس الشريفة
السلطانية السليمانية طاقا واحدا وصار على ثلاث طاقات ابواب المسجد
الحرام الان تسعة وثلاثون طاقا فى كل طاق درفتين وسياتى تفصيلها بعد
ذكر الاسطوانات المحدثة فى عصرنا هذا والذى استمر عليه المسجد الحرام الان
من اساطين الرخام والاساطين الصفر الشميسى والعقاب والطواجن والمعلاق
وشرافات المسجد الحرام فهى ما نذكره اما الاسطوانات الرخام فعددها احد
عشر وثلثمائة اسطوانة ففى جهة شرقى المسجد الحرام وهو ما يقابل باب
البيت الشريف اثنان وعشرون اسطوانة رخام وفى جهة شاميه ويقال
له الجانب الشمالى وهو ما يقابل الحجر الشريف احدى وثمانون اسطوانة رخام
وفى جهة غربيه ثلاث اسطوانات واربعة وعشرون اسطوانة من ذلك
وهو ما يقابل المستجاب الشريف من الحجر الصوان والباقى من الرخام وفى جهة
جنوبيه وهو ما يقابل الركنين اثنان وثمانون اسطوانة منها احد عشرة
من الحجر الصوان والباقى من الرخام وفى زيادة دار الندوة احد عشر اسطوانة
من ذلك واحدة من الحجر الصوان وفى زيادة باب ابراهيم ست اسطوانات
من الرخام واما الاسطوانات الشميسى الصفر فجملتها مائتان واربعة واربعون
اسطوانة فهى عبارة عن شكل مثمن او مسدس او مربع على حسب ما اقتضاه
المكان وبنى فى طول الاسطوانة العليا مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت

وثلثا ما من البحر الشمسي المحوت فمن ذلك في جهة شرقي المسجد الحرام ثلثمائة واثنان واسطوانة
ومن جهة شاميه اربعة واربعون اسطوانة وفي جهة غربيه اربعة واربعون
اسطوانة وفي جهة جنوبيه ستة وسبعون اسطوانة واربع في اركان المسجد
الحرام وفي زيادة دار الندوة ستة وثلثمائة باب ابراهيم سبعة عشر
واما القباب فعددها مائة واثنان وخمسون قبة فمن ذلك في شرقي المسجد
الحرام اربعة وعشرون قبة وفي الجانب الشامي ستة وثلثمائة قبة وفي
الجانب الغربي اربعة وعشرون قبة وفي الجنوبي ستة وثلثمائة قبة وواحدة
في ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة وفي زيادة دار الندوة ستة عشر
قبة وفي زيادة باب ابراهيم خمسة عشر قبة **فصل** واما الطواجين فجملتها
مائتان واثنان وثلثمائة طاجا ففي الجانب الشرقي ثمانية وثلثمائة طاجا
وفي الجانب الشامي تسعة وخمسون طاجا وفي الجانب الغربي ثلثمائة واربعون طاجا
وفي الجانب الجنوبي اربعة وستون طاجا واثنان تحت مأذنة باب السلام وواحدة
في ركن المسجد الحرام من جهة العمرة وفي زيادة دار الندوة اربعة وعشرون طاجا
فصل واما المصليات فجملتها ستة وخمسون مصلى ففي جهة شرقي المسجد الحرام
مقابل باب السلام ثلثمائة وفي جهة شاميه اثنان وعشرون وفي جهة
غربيه ستة عشر وفي جهة جنوبيه خمسة عشر **فصل** واما الشرافات
فجملتها الف وثمانمائة وثلثمائة وثمانون شرافة فمن ذلك من شرقي المسجد الحرام
مائة وثلثمائة وستون شرافة فمن الرخام سبعة وعشرون في وسطهن واحدة
طويلة ومن البحر الشمسي مائة وخمسة وثلثمائة ومن جهة شاميه ثلثمائة
واحدى واربعون فمن الرخام ثمانية وسبعون شرافة منها ثلثمائة طوال
من الرخام والباقي من البحر الشمسي ومن جهة غربيه مائتان واربعة فمن
الرخام اثنان وعشرون ووسطهن واحدة طويلة والباقي من البحر الشمسي ومن
جهة جنوبيه ثلثمائة وخمسة وثلثمائة فمن الرخام سبعون في وسطهن واحدة
طويلة والباقي من البحر الشمسي وفي زيادة دار الندوة مائة واحد وستون
من البحر الشمسي وفي زيادة باب ابراهيم مائة واربعة واربعون من البحر الشمسي

لاعز

فصل واما ابواب المسجد الان فعددها تسعة عشر بابا تفتح على تسعة
وثلثين طاقا في كل طاق درفتان فمنها خوخة تفتح فمنها بالجانب الشرقي اربعة
ابواب الاول باب السلام ويعرف بباب بني شيبة وهي ثلث طاقات
وهذا الباب لم يجدد فيه شيء لكونه عام المحل البناء وفي الدرفة اليمنى من
الطاق خوخة تغلق الدرفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يدخل المسجد الحرام
او يخرج منه وترد الخوخة كما كانت وهكذا جميع الخوخات الباب الثاني طاقات
ويعرف بباب الحناويز وبباب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجدد في هذا الباب
غير الشرافات التي عليه وعددها مائة واربعة وعشرون شرافة الثالث
ثلث طاقات ويعرف بباب العباس مقابلة دار رزق ويعرف بباب الحناويز
ايضا الباب الرابع ثلث طاقات ويعرف بباب علي رضي الله عنه وبباب بني هاشم
وقد جدد هذا الباب والذي قبله على احسن وضع وعدد ما عليهما من الشرافات
مائة وخمسة عشر شرافة وبالجانب الجنوبي سبعة ابواب الاول طاقان
ويقال له باب باذان لان عين مكة المشرفة المعروفة بباذان قريبة منه
وقد جدد هذا الباب باسلوب حسن وعدد ما عليه من الشرافات ستة عشر
شرافة الثاني طاقان ويعرف بباب الغلمة بباء موحدة وغين معجمة وقد
جدد هذا الباب ولم يعمل عليه شيء من الشرافات الثالث باب الصفا لانه
يليه ويعرف ايضا بباب بني مخزوم وهو خمس طاقات وقد جدد هذا الباب بجديد
حسنا وعدد شرافاته تسعة وعشرون الباب الرابع ثلث طاقات ويعرف
بباب اجياد الصغير وقد جدد وعدد شرافاته تسعة عشر الباب الخامس
طاقتان ويعرف بالمجاهدية ويقال له باب الرحمة وقد جدد هذا الباب ايضا
وعدد شرافاته عشرون الباب السادس طاقتان ايضا ويعرف بباب مدرسة
الشريف بحلان لاتصاله بها وقد جدد هذا الباب ايضا وعدد شرافاته
عشرون الباب السابع طاقان ايضا ويعرف بباب ام هاني وقد جدد هذا
الباب ببناء حسن لطيف واسلوب ظريف وعدد شرافاته ثلثمائة عشر
شرافة وبالجانب الغربي ثلثة ابواب الاول طاقان ويعرف بباب الحزورة

ولم يجدد في هذا الباب شئ اصلا لعمارته الباب الثاني طاق واحد كبير يقال له باب البحر
ولم يجدد هذا الباب ايضا لعمارة وقرة لان قصر السلطان الغوري مبني عليه
الباب الثالث طاق واحد ايضا ويعرف بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم
يخرجون ويدخلون منه في الغالب وكان يسمى قديما باب بني سهم وقد جدد
هذا الباب وعدد شرافاته ثماني عشر شرافة وبالجانب الشمالي خمسة ابواب
الباب الاول طاق واحد ويعرف بباب السدرة ويقال له قديما باب عمر وابن
العاص رضي وقد جدد هذا الباب ايضا وعدد شرافاته ست الباب الثاني طاق
واحد ويعرف بباب العجلة وبباب البلطية لاتصاله بمدرسة عبد الباسط
المتقدم ذكره ايضا وقد جدد هذا الباب وعدد شرافاته تسع الباب الثالث
طاق واحد ويعرف بزيادة دار الندوة في ركنها الغربي ولم يجدد هذا الباب
الرابع ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها الشامي وقد كان هذا الباب قديما
طاقين الى ان امر الامير قاسم بك ببناء المدرسة السلطانية ففتح طاقا ثالثا
ثم هدمت الطاقات الثلاث عند بناء المسجد الحرام واعيدت كما كانت وعدد
شرافاته اثنان وعشرون شرافا الباب الخامس طاق واحد ويعرف بباب
المدرسة بالقرب من منارة باب السلام وقد جدد هذا الباب الامير قاسم
بك المذكور سابقا عند بناية المدارس السليمانية **فصل** واما منابر
المسجد الحرام فهي الان ست منابر يؤذن عليها في الاوقات الخمس اولها
منارة باب العمرة عمرها ابو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وعمرها
بعده وزيره صاحب الموصل الوزير محمد الجواد بن علي بن ابي منصور الاصفهاني
في سنة خمسماية وثمان وخمسين وكان رئيس المؤذنين يؤذن بها في زمن الغالكي
ويتبعه سائر المؤذنين وهو الان يؤذن الاوقات الخمس على قبة زمزم ويتبعه
المؤذنون الاليالي شهر رمضان في التسحير فان رئيس المؤذنين يسحر فيها
على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون في التسحير واحدا بعد واحد وذلك
في التمجيد والتوديع والتذكير ونحو ذلك وقد ادركنا هذه المأذنة وهي عتيقة
البناء قد تجدد بعضها المرحوم المقدس المغفور له السلطان سليمان عليه

الرحمة والرضوان فهدمت الى الارض وبنيت بالحجر واعيدت كما كانت بدور
واعيد في علوها الا انهم غيروا اساسها على اسلوب منابر الروم يعلق
عليها في اساسها ثلاث قناديل في ثلاث اعواد معروزة في قبة صغيرة
على راس المأذنة وكان ذلك في سنة تسعماية واحدى وثلاثين وثمانماية
منارة باب السلام عمرها المهدي بن المنصور العباسي لما وسع المسجد الحرام
في سنة مايتين وثمانية وستين وهي بدور ثم هدمت في زمن
الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق في سنة عشر وثمانماية
وهي باقية الى الان وثالثها منارة باب السلام على رأسها واول من عمرها المهدي
العباسي لما عمر منارة باب السلام واستمرت الى ان ادركناها وقد آلت الى
الخراب وكانت بدور واحد في اعلاها قام السلطان سليمان فهدمت
واعيدت من الحجر الاصفر الشميسي وجعل لها دوران اعلى واسفل وغير
راسها على اسلوب منابر الروم ورابعها منارة باب الحزورة وهي بدورين
من اول اول من بناها المهدي العباسي ثم عمرت في زمن الملك الاشرف
شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت في سنة احدى وسبعين
وسبعماية وسلم الناس منها وفرغ المعمرون منها في افتتاح محرم الحرام سنة
اثنين وسبعين وسبعماية بتقديم السين فيهما وهي باقية وخامسها
منارة باب الزيادة وهي قديمة بدورين عمرها المعتضد العباسي بعده
بنيت لما بنى زيادة دار الندوة وسقطت وانشاها الملك الاشرف
برسباي في سنة ثمان وثلاثين وثمانماية كما هو منقور في حجر بجانب المأذنة
وسادسها منارة مدرسة السلطان قايتباي بناها على عقد باب مدرسته
التي الى جهة المسعى في غاية الصناعة بثلاثة ادوار افتخر بصناعتها مهندس
عصره على مهندسي زمانه وبنى نظيرها منارة اخرى على عقد باب المسجد
الخيف من بني فرغ من بناهما سنة ثمان وثمانين وثمانماية واسبغها منارة السلطان سليمان
امر ببنائها في احدى مدارسه فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهي
منارة في غاية العلو والارتفاع مشرفة على البقاع مبنية بالحجر الشميسي

الاصفر مسبوكة سبك الذهب الاحمر لها ثلث دوايرمرفوعة واساسات
كلها مرفوعة راسها على اسلوب منايرباد الروم تكاد تلتهم معارج النجوم
وتغوص في الارض الى مدارج التخوم بناها الامير قاسم بك امير عمارة
المدارس السليمانية وصحيح جده فرغ من بنايها في سنة ثلث وتسعين
وتسعمايه وهي عين المنايرالتي حول المسجد الحرام الان عليها عمل المؤذنين
في الاوقات الخمس وفي شهر رمضان وغيره وكانت على المسجد الحرام منايرا
اخرى ذكرها اصحاب التواريخ منها على باب ابراهيم منارة هيئة صومعة
هدمها بعض امراء مكة المشرفة لاشرافها على داره ذكرها التقي الفاسي
ومنها منارة ذكرها ابن جبير على باب الصفا قال وهي اصغرها وهي على يسار
باب الصفا ولا يصعد اليها لضيقها انتهى ومنها منارة على الجبل الذي يهرول
عنده لما يسعوا بين الصفا والمروة ذكرها الفاكهي وهذه المنايرالثلثة
التي كانت على المسجد الحرام وتهدمت ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت
وبعلو مكة المشرفة منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل
من المعلاه بقرب بير عدي بن مطعم بن نوفل يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
ركز رايته يوم فتح مكة المشرفة فيه وهي منارة عتيقة ذهب راسها
وكان لها دوران ولا اعلم من بناها يوذن فيها اهل ذاك الحي في مغرب شهر
رمضان ويعلق فيها قنديل لاعلام اهل ذاك المكان بدخول وقت المغرب
للافطار في شهر رمضان ويسحر عليها اخر الليل ويطفى القنديل بعد السحور
اعلاما بدخول وقت اول الفجر ليمتنع الصايمون من الاكل والشرب وهو
باق الى الان وذكر التقي الفاسي ان المنايرعلى غير المسجد الحرام كانت
كثيرة في الشعاب والمحلاة وكان المؤذنون يوذنون عليها للصلوات
وكان لهم ارزاق وكان لعبد الله بن مالك الخزاعي على جبل ابي قبيس
منارة وعلى القلعة منارة ومنارة مشرفة على اجياد ومنارة الى جنبها
ولعبد الله بن مالك منارة تشرف على المحزه ومنارة على شعب عامر
وعلى جبل بعاجة وجبل الاعرج وعلى جبل الاحمر ومنارة كبيرة وعدد هذا

ورايت

ورايت في تعليقة انها كانت خمسين منارة في شعاب مكة المشرفة قال التقي الفاسي
وقد ترك الاذان على جميع هذه المنايرومابقي شئ منها والله اعلم بالصواب

فصل خاتمة في ذكر المواضع المباركة والاماكن المأثورة بمكة المشرفة فمنها
المواضع التي نص عليها العلماء ان الدعاء فيها مستجاب وذكر الحسن البصري خمسة
عشر موضعا يستجاب الدعاء فيها وعددها وقال غيره مواضع اخرى فبلغت
ثلثا وخمسين موضعا وذكر منها مواضع غير معروفة الان فاقتصرت على المعروف
منها وهي مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وتحت ميزاب
الرحمة وداخل الكعبة الشريفة وعند مقام ابراهيم وخلف المقام على يمينه وعلى
حاجه افضل الصلاة واتم السلام وعلى الصفا وعلى المروة وفي المسعى وفي
عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات الثلث وعددها ثلث مواضع
غير ان العلماء انما ذكروا ان الحاج يقف للدعاء بعد الرمي عند الجمرة الاولى وعند
الثانية ولا يقف بعد الرمي عند الثالثة وهي جمرة العقبة ويظهر من كلامهم
ان الوقوف للدعاء بعد رمي جمرة العقبة غير مأثور لانه لا يدعو هناك
وقد ذكر الحسن البصري ان الدعاء عندها مستجاب كالجمرتين الاوليين قال
ويستجاب الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور يزار الى الان
وكان بعض العلماء قيد اجابة الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم بعد الزوال
وفي دار ام المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ليلة الجمعة قال المحب الطبري ان
دار خديجة رضي الله عنها افضل المواضع بمكة المشرفة بعد المسجد الحرام وذلك لطول سكنى
النبي صلى الله عليه وسلم فيها وكثرة نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم بها
وفيها مولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ومنها دار الخيزران وهي من قرب الصفا كانت
تسمى دار الارقم المخزومي ثم عرفت بدار الخيزران والمختبى هو افضل المواضع
بمكة المشرفة بعد دار ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها كثرة مكث النبي صلى الله
عليه وسلم بها يدعو الناس الى الاسلام والمختبى قبلة تزار وهو الموضع الذي
كان النبي صلى الله عليه وسلم يختبي فيه من الكفار ويجتمع عليه من امن به ويصلي بهم
الاوقات الخمسة سرا الى ان اسلم عمر رضي الله عنه فجهر بالاسلام وبالصلاة واعز الله

سبحانه به الاسلام ودار الخيزران لهي وحول هذا المحيني ملكتها الخيزران ام الرشيد
شراء لما حجت وقد قلت في ايدي الملاك الى ان صارت الان من املاك
السلطان مراد ومنها جبل ثور عند الظهر وفي جبل ثبير وحرا مطلقا ومنها مسجد
البيعة وهو مسجد على يسار الذاهب الى منى بينه وبين العقبة التي حد منى
مقدار غلوة او اكثر وهو مسجد مهدم فيه بحران مكتوب فيهما ما يدل على
ذلك وهو الذي بايع فيه النبي صلى الله عليه وسلم سبعون من الانصار
بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ومنها مسجد الملتقى يستجاب فيه
الدعاء وقال القاضي ابو البقاء بن الضياء الحنفي في البحر العميق ان بابجاد الصور
موضعا يقال له الملتقى وهو دكة مرتفعة عن الارض مما صفة لدار بعض
بني شيبة قلت وهذه الدكة دثرت الان وما بقي منها الا البعض من احجارها
وذكر النقاش في مناسكه المواضع الذي يستجاب فيها الدعا بمكة المشرفة ووقت
كل بعقبة او قاتا معينة قال اما خلف المقام وتحت الميزاب ففي السحر
وتحت الركن اليماني وقت الفجر وعند الحجر الاسود نصف النهار وعند الملتزم
نصف الليل وداخل زمزم عند عين بوبة الشمس وداخل البيت الشريف عند
الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر وبمنى ليلة البدر شطر الليل وبالمزدلفة
عند طلوع الشمس وبعرفة وقت الزوال وتحت السدرة وهي عن يمين الموقف
الان وبالموقف عند عين بوبة الشمس هكذا اذكره النقاش ومنها جبل ابي
قبيس اغا سمي به لان رجل من اياد يكنى بابي قبيس حفره وبنى به بناء عرف
به قال الفاكهي ان الدعاء فيه مستجاب وان وفد عاد قد موا الى مكة المشرفة
للاستسقاء لقومهم فامروا بالطلوع الى جبل ابي قبيس للدعاء وقيل ليعلم يعلم
خاطئ يعرف الله منه الاناية الاجابة لما دعاه وفيه على حد الروايات
قبر ادم وحوى وشيث عليهم السلام ومنها رباط قديم بمكة المشرفة يسكنه فقراء
المغاربة يسمى رباط المرفق وقفه القاضي جمال الدين علي بن عبد الوهاب الاسكندري
سنة اربع وستماية **فصل** يحكى عن الشيخ خليل انه كان يكره اتيانه ويقول
ان الدعاء يستجاب فيه وعنه بابه ويروى عن المولى المشهور الشيخ عبد الله

ابن

ابن مطرف انه قال ما وضعت يدي في حلقة باب هذا الرباط الا وقع في نفسي كرم ولي
سه وضع يده في نفس الحلقة وفي مقبرة باب المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعا
منها قبر ام المومنين خديجة الكبرى رضي الله عنها وهو محل في شعب بني هاشم كان فيه
بناء ثابوت من خشب يزار فبنى عليه قبة من الحجر الشمسي الامير الكبير الشهيد محمد
ابن سليمان جركز دفتر دار مصر في ايام المرحوم داود باشا نايب الديار المصرية
في ايام السلطان سليمان بناه في سنة خمسين وتسعماية وكسى الثابوت كسوة
فاخرة وعين له خادما ورتب عليه علوفة من خزاين الصدقات الشريفة
السلطانية العثمانية جارية عليه الى الان ومنها عند قبر الفضيل بن عياض رحمه
وقبر الشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه وهما في محوطة فيها جماعة اولياء
كثير اعظمهم الشيخ تقي الدين السبكي والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالطواشي
وكثير من مشاهير الصلحا غيرهم مولانا الشيخ عبد اللطيف النقشبندي الهروي
ومنها عند قبر سفيان بن عيينة رحمه ومنها عند قبر الشيخ ابي الحسن الشوني
رحمه وذكر الشيخ خليل المالكي ان الدعاء عنده مستجاب وكذلك عند قبر سماسرة
الخيز بالمعلاة ويقال انه اذا اراد ان يدعو عند سماسرة الخيز ان يستقبل القبلة
بحيث تكون تربة الملك المسعود بعد ابه عن يساره وقد اندثرت تربة
الملك المسعود الان محلها فوق البير المعروفة ببير ام سليمان الموجودة الان
مرتفعا عن طريق السيل ومنها عند قبر الدلامي بالقرب من الجبل قال المرجاني
الهروي في منهج المنقوش الدعاء عنده مستجاب ومن المواضع التي جربتها
انا القبول الدعاء تربة شيخنا المرحوم علاي الدين الكرماني النقشبندي طيب
الله ثراه ونفع ببركاته احياه توفي في سنة تسعماية وتسعة وعشرين وفي
مكة المشرفة مواضع مباركة ومواليد متيمنة ومساجد مأثورة غير هذه فمنها
مولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقرب جبل
ابي قبيس في قفاه في شعب يقال له شعب علي به مسجد يصلى فيه ومولد
فاطمة رضي الله عنها مهدم عمره ومنها موضع يقال له موضع حمزة رضي الله عنه في اسفل
مكة المشرفة الاصح بموضع يسمى بازان وهو مجرى عين حنين الى بركة ماجن

ومنها مواضع في اعلا جبل يقال له جبل النوى يقال انه مولد عمر بن الخطاب رض يطلع الناس اليه للتفرجة والتنزه لاشراف على مكة المشرفة ومن الناس من يصعد الى زيارته قال التقي الفاسي لا اعلم في ذلك شيا يستانس به غير ان جدي لابي الفضل النويري كان يزوره هذا في جمع من اصحابه في الليلة الرابعة عشر من ربيع الاول في كل سنة انتهى قلت وهذا باق الى الان يجتمع فيه الفقرا الاحياء تلك الليلة ومنها في زقاق المرفق محل فيه مسجد يقال انه كان لابي بكر الصديق رض ويقال انها داره وبناه نور الدين علي بن رسول الغساني صاحب اليمن قبل ان يوول الملك اليه في سنة ثلاث وعشرين وستمايه ويقابل هذه الدار جدار فيه حجر يتبرك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز عليه قال التقي الفاسي لعل هذا الحجر ان صح كلامه للنبي صلى الله عليه وسلم هو الحجر الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي ليالي بعثت انتهى قلت ويقرب هذا الحجر قبل ان يوصل اليه في مقابلة محل علي بيار المستقبل صفة حجر مبني في الجدار في وسطه حفرة مثل المرفق يزوره العوام ويزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اتكى عليه فغاص مرفقه الشريف في ذلك وهو كلام الحجر الذي امامه على شماله قال ابو البقا بن الضيا في البحر العميق ذكر سعد الدين الاسفرايني في كتاب زبدة الاعمال ان اهل مكة المشرفة يمشون اذا اراد والمواليد من دار خديجة رض الى مسجد يقولون انه دكان ابي بكر الصديق رض كان يبيع فيه الخز واسلم فيه على يديه رض عثمان بن عفان والزبير وطلحة اللهم ارض عنهم اجمعين قال وفي جدار هذا الدكان اثر مرفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يتروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى دار ابي بكر رض ذات يوم ونادى يا ابا بكر انتهى قلت الجدار الذي فيه المرفق بعيد من دكان ابي بكر رض الى ناحية القبلة بنحو ذراع وما رايت في كلام احد من المورخين من حقق شيا من ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقته **فصل** ومن الدور المباركة بمكة المشرفة دار العباس رض بالمسعى

عند

عند احد الميلين الاخضرين وهي الان رباط يسكنه الفقرا ومنها موضع بلحف جبل قعيقعان بلصق دار القاضي حسين بن ابي بكر الحسيني ناظر الحرم الشريف يقال له معبد الجنيد اخبرني مولانا المشار اليه باثره قال سعد الدين الاسفرايني انه معبد الجنيد ومعبد ابراهيم بن ادهم رحمهما الله **فصل** ومن الجبال المباركة المانوسة بمكة المشرفة جبل حرا بكسر الحاء المهملة وفتح الراء ممدود وامنعوا من الصرف وكانت الجاهلية تعظمه ايضا وتذكره في اشعارها ومن ذلك قول ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وبجل وكرم وعظم وثور ومن اسسي ثبير امكانه ورزق الله في حرا المنازل ويقال له جبل نور بالنون ايضا لظهور انوار النبوة منه ولكثرة اقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده به ونزول الوحي فيه عليه صلى الله عليه وسلم وذلك في غار اعلاه معروف يوتره اكثر السلف وفي اعلاه صهريج ماء يجتمع فيه المطر ماء عذب سايغ قال السهيلي في الروض الانف ان قريشا لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه كان على جبل ثبير فقال له ثبير وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فاني اخاف ان تقتل على ظهري فيعذب بي الله غيري فناداه حرا الى يا رسول الله قال القاضي ابو البقا بن الضيا في البحر العميق ان النبي صلى الله عليه وسلم اختبى من المشركين في غار ثور فيحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم اختبى عن المشركين في حرا في واقعة ثم اختفى منهم في غار ثور وقت الهجرة قلت لم ينقل وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم مرتين وليس في حديث السهيلي ان حرا المنادي النبي صلى الله عليه وسلم الى اختبى من المشركين خصوصا وقد قال السهيلي لما نقل هذا الحديث في الهجرة قال واحسب في الحديث ان ثورا ناداه ايضا لما قال له ثبير اهبط عني ومن الجبال المباركة المانوسة جبل ثور وهو جبل اكبر من حرا وابعد منه بالنسبة الى مكة المشرفة يسمى بثور ابن مثاة لسكناه فيه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر رض دخلاه واختبيا فيه عن المشركين لما قصدوه بالقتل فنجاه الله سبحانه وتعالى منهم وذكر ذلك موجود في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومنها الغار المشهور يتلقاه الخلف عن

السلف ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابه الكبير الذى يروى ان جبريل عليه السلام
ضرب بجناحه ففتحه وقيل ان يدخل اليه احد من باب الضيق لان الدخول منه عسر
ويحتاج الى فطنة ومن الجبال المباركة فى الحرم الشريف ثبير وهو على يسار
الذاهب الى عرفات وهو الذى هبط عليه الكبش الذى فدى به اسماعيل على
نبينا وعليه الصلاة والسلام قال السيد التقى الفاسى رحمه الله نقلا عن شيخ شيخنا
المجد الفيروزابادى ان صلى الله عليه وسلم قرأ فى هذا الغار سورة المرسلات فى
جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فخرجت عليهم حية فابتدروها ليقتلوها فهربت وهذا
من غريب الاتفاق موافقة للقصة التى اتفقت للنبى صلى الله عليه وسلم
ومنها جبل الخندمة وهو جبل كبير خلف ابى قبيس قال الفاكهى حدثنى ابو بكر محمد
ابن محمد المكى حدثنا عبد الله بن اسامة قال حدثنا طعوان المرزبان عن ابن جريج
عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما مطرت مكة قط الا وكان للخندمة غزة وذلك
ان فيها قبر شعيب نبيا انتهى وهى مشرفة على اجياد الصغير وشعب عامر
وهى معروفة الآن عند الناس بمكة المشرفة **فصل** واما المساجد المأثورة
المباركة منها ما قد انمحى اثره ولا يعرف مكانه فلا نطول كتابنا بذكره واما
الموجود المعروف منها فعدة مساجد منها مسجد الاجابة على يسار الذاهب
الى منى فى شعب بقرب ثنية اوجر يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه
ومنها مسجد باعلا مكة المشرفة يقال له مسجد الجن وقال الازرقى فى تسميته
اهل مكة مسجد الحرس فى مقابلة الحجون وانت صاعد على ثنيتك ومنها مسجد
الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم راسها الآن ويقال لها منارة ابى شامة
واما الى جانب اليسار بئر معطلة الآن يقال انها بئر جبير بن مطعم بن عدى
ابن نوفل ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان رايته فى هذا المسجد ومنها مسجد
بالمدعى عند الميل الايمن المستقبل فى مقابلة زقاق المجزرة قال السيد التقى
الفاسى يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب قلت فهو مسجد لطيف
جدا الآن معروف احاطت به العمران الا الجهة الجنوبية منها التى تلى طريق
وهى بين دكاكين السويقة يتعين على اهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه وفقهم

الله تعالى لذلك ومنها مسجد باسفل مكة المشرفة ينسب الى ابى بكرة فيسمى الآن دار
الهجرة يقال انه ركب منها مع النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة المنورة
تزوره الناس وفيه يذكرون الله تعالى ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل
يقال انه من مساجد عائشة رضى الله عنها وما بعيد عن اميال حد الحرم الشريف وكان
يسمى مسجد الشجرة لشجرة كانت هناك قديما وقد تهدم هذا المسجد وما بقى منه
الا اثار جدرانه قايمة فكانه المكان الذى ارسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم ام المؤمنين
عائشة رضى الله عنها مع اخيها لتعتمر منه ولا يصلون المعتمرين اليه الآن بل يقتصرون على
اميال الحرم فيزورون عندها قليلا ويحرمون بالعمرة ويعودون ومسجد عائشة رضى الله عنها
مما يتعين تجديده وتعميره لانه من الاثار المباركة القديمة وقد تركه الناس
واقتصروا على مساجد مرسومة بالاحجار بحجارة موضوعة من الاحجار الصغار
وهناك ضريح عظيم قديم يتملى من السيول ايام المطر يتوضأ المعتمرون منه
فلما جاء سنان باشا فى سنة تسعماية وثمان وسبعين اعتمر من التنعيم وكان هذا
الضريح خاليا لانه لم يكن ايام مطر حينيذ ورأى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم
من اماكن بعيدة يتعبون فى ذلك وكانت هناك بئر بعيدة منه مملوة
بالتراب فامر القاضى حسين ان يحصل له من تحت ذلك البئر ويبنى مجرى الماء
ليجرى فيه الماء من البئر الى الموضع الذى يعتمرون الناس منه بقرب الاميال وعين
خادما لجهة الماء من البئر فى كل وقت يسكبه فى ذلك المجرى فيسيل منه الماء
الى موضع يتوضأ فيه المعتمرون واهل القوافل المارين من هناك وابن السبيل
وينتفعون بذلك انتفاعا تاما ويدعون لصاحب هذا الخير وهذا اثر عظيم
لسنان باشا المذكور من جملة خيراته الجارية دايما اجرى الله على يديه الخيرات
واثابه عليها اسنى المثوبات وبلغه مايتمنى وختم له ولنا بالحسنى امين وهذا
اخر ما اردت جمعه فى هذه الاوراق من كل خبر ظريف واثر شريف رقق معناه
وراق ولطف ايراده فى الاسماع والاذواق كله نخب درر ونصايح وجمعه
نحت غريب سايح ينسى بها الراكب المجلان حاجه ويصبح الحاسد العضبان
يطرب بها فاتها النجوم فى سماء اللطافة زاهره اوزهور فى رياض انافة زاهره

عن كل درة منها درة فاخرة وضمن كل لفظة نكتة خفية او حكمة ظاهرة وقيل

اصبحت للقلوب قوتا واضحت ... قرطا اذن وللواحظ قرة

ولعمري يحق لو كتبوها ... بسواد العيون فوق البجرة

فدونك ايها الفاضل اللوذعي والكامل اللمعي الناظر في هذا الكتاب المتصفح لوجبات هذه العذارى الكعاب ما اودعته من لطايف الاداب وادرجته من زبد الحكم واللباب ولا يحملك الحسد الذي جبل عليه الانسان من انكار ما تحده من المزايا الحسان ولا يستهلك استصغار مولفه الى ينبذ فوايده والاستهتار بعظيم مواهبه فان ذلك مغنما وعلى عزك مغرما وقيل

وما عز الانسان عن فضل نفسه ... بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل

ومع ذلك فلم ادع رتبة الكمال فوق كل ذي علم ولا ازعم التزاهة عن النقص فالمنزه عن كل عيب هو الملك القدوس العزيز العليم وقيل

لا يعرى ذو كمال من نقص ... ولا يخلو ونقص من كمال

فلن يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله ولا يريبك كمال الناقص في الميل الى نقصه ولقد كتب القاضي الفاضل الى العماد الكاتب معتذرا عن كلام استدركه عليه ولقد وقفت على شيء وما اوقفك ام لا وها انا اخرك به وذلك اني رايت لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال في غده لو غير هذا لكان احسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك ذلك لكان اجمل وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر انتهى قال الرايق بالفاضل اذا عزبشيء تمكنا فيك ان يعذر المولف ويستر الزلل ويقيل العثار ويسد الخلل والعوار فالكريم غفار والعيوب ستارة لسان الله ان يحسن ما مع الابرار ولقد رايت ان اجعل ختام هذا الكتاب مسكا وانظم له الجواهر الفاخرة سلكا فاختمه كما بدانا بالدعاء لدوام سلطاننا الاعظم خليفة الله الاكرم صاحب السيف والقلم والعلم والعلم ملك العرب والعجم سلطان الزمان خاقان الكرم ورافع الايمان عالم السلاطين وسلطان العلماء والاعيان الذي يسعى للتشرف اعتابه ملوك الشرق والغرب قبلة قلوب العالمين كعبة العلما

العاملين المحسن الى اهل الحرمين الشريفين المتفضل على جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم في هذين البلدين المنيفين الباذل عدله واحسانه على الرعايا والامن في ظل ممدوحه جميع البرايا البحر الذي يتدفق عدله واحسانه بالعجايب والراح يلوذ بها عند من نالته شدة الافتقار فيدخل اليه السعادة من باب الفرج وقيل فيه

له دولة اسمى له في العلى ... مقاما واعلا ما جنابا واسنا ما

لقد اعربت عن سيرة عمرية ... بنوا ما عثمان بالعدل بنا ما

السلطان مراد بن السلطان سليم بن السلطان سليمان نصر الله عزائمه وامضى في روس العدى صوارمه وشيد به بنيان الاسلام ودعايمه وجعل مغازيه في سبيل الله مغانمه ولا زالت الوية نصره منشورة الذوايب مشهورة العواصف مشرقة كالشمس يغشى ضوءها المشارق والمغارب صاعدة في السماء تزاحم مناكب الكواكب ولا برحت اسباب سعادته تقوى واحاديث المكارم عنه تروى في عز مزيد ونصر مشيد وعمر مديد وسلطنة لا تبيد وسعادة تزيد مالاح نجم على العشاق بالطيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورضوان الله على الصحابة اجمعين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وقد فرغ مولفه من تحريره ووقفت انامل قلمه عن تحبيره في ليلة يسفر صباحها عن تسع مضين من شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وتسعمايه والحمد لله رب العالمين



المخطوطات

www.alukah.net